المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدراسات العليا
فرع العقيدة

قامت الطالبة باجراء التصويبات التي طلبتها لجنة المناقشة .

أعضاء لجنة المناقشة

| د. محمد ولد سيدي الحبيب | د. عبد الشكور محمد أمان العروسي | أ. د / بركات عبد الفتاح دويدار |
|---|---|---|

# الدعوة في سورة غافر

## موضوعها وأسلوبها

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

٣٠١٠٢٠٠٠٠١٩٤٧

إعداد

الطالبة / أحلام محمد سعيد باحمدان

إشراف

الأستاذ الدكتور / بركات عبد الفتاح دويدار

٠٠٤١٩١

المجلد الأول

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وتقدير

## شكـر و تقديـر

أحمدك اللهم وأشكرك ،أنت أهل الحمد ومستحقه ،لا اله غيرك ولا رب سواك ، أنت مسدي كل نعمة و ميسر كل مهمة ، يقول نبيك محمد عليه السلام " لم يشكر الله من لم يشكر الناس" (١) والمرء لا يستطيع أن يفي بحق كل من جعلته سببا في وصول نعمك و احسانك الى خلقك ،ولكنني ألتجيء اليك بأن تجزى كل محسن وتكافيء كل صانع معروف .

غير أنه لا بد من التنويه بما لوالدى -أمد الله في عمرهما - وزوجي الكريم ، من الدور الكبير في حثهم لي على التحصيل العلمي وصبرهم معي على ذلك .

ولا أنسى فضل أستاذى الجليل فضيلة الدكتور ،بركات عبد الفتاح دويدار ،الذى كان لحسن تعليمه وسعة صدره وغزير علمه أكبر الأثر في تفتيح مدارك طالباته ،فله مني خالص الشكر .

كما أتوجه بالشكر لكل أستاذ فاضل وأستاذة كريمة وأخت عزيزة ... وأشكر كل من أسدى لي معونة سواء بقراءة البحث أو بابداء الرأى والمشورة أو بتقديم التصويبات أو باعارة كتاب فلهم مني جميل الثناء .

وأخيرا ،خالص شكرى وعظيم تقديرى لجامعتي العريقة -جامعة أم القرى - وكليتي الفتية -كلية الدعوة وأصول الدين - فهما صرح شامخ و منار واضح في مهبط الوحي يضيء لطلاب العلم دروب المعرفة على نور من العقيدة الصحيحة والدعوة القويمة .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وجعل العمل خالصا لوجهه الكريم .

---

(١) الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه -. انظر مسند الامام أحمد ٣/ ٢٤٦ ، سنن أبي داود ٢/ ٢٥٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الرسالة : الدعوة في سورة غافر موضوعها وأسلوبها .

الدرجة العلمية: ماجستير .

اسم الطالبة : أحلام محمد سعيد باحمدان .

## ملخص الرسالة


اقتضت طبيعة البحث أن يكون في قسمين : الأول يتناول الجانب العقدى في السورة والذى يتحدث عن العقيدة والأخلاق فيها . . العقيدة بجميع عناصرها/من ايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر الا أن كل ذلك كان في ضوء سورة غافر فقط والتي هي موضوع الدراسة ،أما الجانب الأخلاقي فقد اعتمد على اتجاهين ،اتجاه مصوب نحو الأخلاق الحسنه والتي تطرقت الى الشجاعة والصبر ،والاتجاه الآخر نحو الأخلاق السيئة والتي انحصرت في الكبر والاسراف والفرح والمرح بغير الحق ، وسبب هذا الحصر هو التقيد بموضوع السورة .

أما القسم الثاني من الرسالة فقد تناول الجانب الدعوى الذى اشتمل على أساليب الدعوة في السورة فكان الحديث عن الجدل وأقسامه وموضوعاته ومآله ،ثم الحديث عن القصة وأهميتها وعناصرها وما ورد منها في السورة ،و أخيرا الحديث عن أسلوبي الترغيب والترهيب وأهمية كل منهما مع ذكر صوره المتعددة من خلال السورة .

ومن أهم النتائج التي توصلت اليها :

١ - ان سورة غافر هي سورة العقيدة حيث اشتملت على كل أسسها .

٢ - ان سورة غافر هي سورة الأخلاق لأن السورة - كما نعلم - مكية تعالج القضايا العقدية كما أسلفت وهي في نفس الوقت تؤسس القضية الأخلاقية .

٣ - ان سورة غافر هي سورة الدعوة ويتضح ذلك من أساليبها الثلاثة سواء في جدلها أو قصصها أو ما سلكته في أسلوبي الترغيب والترهيب .

٤ - ان سورة غافر بأساليبها العملية وهي تؤصل أساسها العقدى قد استخدمت الكثير من وسائل التأثير في عرض ما لديها لتلهب به النفوس وتثير كوامنها ومن هذه الوسائل : التوكيد والتكرار ، التعريض ، الاسجال ، الاستدراج ، الالتفات ، التخلص .


| الطالبة | المشرف | عميد كلية الدعوة وأصول الدين |
|---|---|---|
| أحلام محمد سعيد باحمدان | د . بركات عبد الفتاح دويدار | د . علي بن نافع العلياني |

# اَلمقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

( أ )

## المقدمـــــة

الحمد لله العزيز العليم ، غافر الذنب و قابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير . الحمد لله الذى أرسل المرسلين مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة. الحمد لله الذى دعانا ورسوله لما يحيينا ، والصلاة والسلام على من بعثه الله شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيرا ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الكريم تسليما كثيرا .

وبعــد :

يقول الله عز وجل في محكم آياته :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١)

فلقد جعل الله جل جلاله الدعوة أحسن الأقوال ، لما فيها من تعريف به عز وجل وتوحيد له ، وتوضيح لهداه ، فأسس قواعدها في كتابه الكريم ، تارة بأسلوب التوجيه المباشر ، كما قال سبحانه مخاطبا نبيه :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢)

وقال سبحانه مخاطباً موسى وأخاه هارون عليهما السلام حينما أرسلهما إلى فرعون :

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ (٣) .

---

(١) سورة فصلت آية ٣٣ .

(٢) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٣) سورة طه آية ٤٤ .

وتارة بالتوجيه غير المباشر كالترغيب والترهيب والقصص .. الخ ، ولقد جاءت هذه القواعد بأساليب بلغت الذروة في سمو الفكرة وابداع الصورة ، وكانت محل دراسة الكثيرين إلا أني لحظت أن الدراسات في أغلبها قد اقتصرت على النظرة العامة للوسائل دون التركيز على عوامل التأثير فيها ، ولذا أردت أن أجعل بحثي هذا سبيلاً للتعريف بها في ظل آفاق جديدة لدعوة مدروسة دقيقة .

وقد تمنيت من الله قبلها أن تكون دراستي في مجال الدعوة وكان لهذه الأمنية أسباب هي :

أولاً - قدم الدعوة وجدتها :

مما لا شك فيه أن أمر الدعوة الى الله بدأ بآدم عليه السلام واستمر ولن ينتهي إلا بنهاية آخر انسان على الأرض ، نعم ، إن قاعدة الدعوة واحدة ، ولكن أسلوب الدعوة إلى هذه القاعدة يختلف باختلاف الأزمنة ، وهي بحاجة لمن يضيف اليها المزيد .

ثانيا - أهمية الدعوة :

من المسلم به لدى الجميع أن الاسلام وأهله اليوم يعانون من تكالب دول الشرق والغرب عليه بكل ما يملكون من وسائل وتقنيات ليجروا العالم إما الى الحاد مدمر أو نصرانية باطلة ، فحق على الدعوة إذاً أن ترى العناية من أبنائها وبناتها ، وأتمنى أن أضع بهذا البحث ولو لبنة واحدة في بناء ذلك الصرح الشامخ .

## ثالثا - أمّا لماذا سورة غافر ؟؟

فإنّ لهذا قصة بدأت معي حين أنهيت دراستي المنهجية ، وكان أمامي أن أختار موضوعاً للبحث ، فأدرت في المكتبات عيونا حائرة ولم يستوقفني الاّ كتاب الله وذكرى كلمات قديمة بأن هذا الكتاب هو منطلق الدعـوة فتناولته وساهرته وساهرني ، وأدرت في سوره عيونا آمله ، واستوقفتني قصة مؤمن آل فرعون وإذا بي أمرّ برياض آيات السورة من أولها ، وكأني أقرأها لأوّل مرة فإذا بي أخرج منها بنفس تسيل تأثراً ، وما هو إلا أن وقفت بجوانبها بضع وقفات حتى شعرت أني قد بدلت من نفسي نفساً غيرها ، فأصبحت انظر إلى الآيات فأرى فيها من المعاني المؤثرة ما يملأ القلب حسنـا ، كنت أرى الآيات فرأيت معانيها ، وأرى الأساليب فرأيت تأثيرها ، وأرى من خلالها الخير وحسنه ، والشر وقبحه ، ولا عجب في ذلك للأسباب التالية :

١ - إنّ سورة غافر هي احدى السور المكية ، وهذا يجعلنا نعيش في جو الأسس التي قامت عليها الدعوة إلى الله ، لا سيما أنّ العالم اليوم يعيش غربته الثانية ولن يصلح الاّ بما صلح به بالأمس .

٢ - انها تمثل جانبا من جهاد رسول هو موسى عليه السلام ، ظهر تأثيره منعكسا من خلال أحد أتباعه - مؤمن آل فرعون .

٣ - إنّ هذه السورة تصور لنا ما يحدثه الايمان من آثار تتجاوز حدود القلب والعقل والنفس لتنطق به الجوارح فيصبح واقعَ حياة وأساسَ دعوة .

٤ - إن حظّ قصة مؤمن آل فرعون من الدارسين لم يتجاوز السطور دون دراسة أو تمحيص .

* * *

وقد بدأت حديثي عن الجانب العقدى فبسطت قواعد العقيدة من جميع جوانبها كلا على حدة بتعريفها ثم السير بها على النحو الذى سلكته سورة غافر خاصة ،اذ قمت باستقصاء تلك الوقفات من السورة ،وتقسيمها الى مباحث لأعطي كل مبحث حقه من الدراسة ،الا أنه ينبغي أن أشير إلى أنني قد اغفلت -حين الحديث عن مباحث العقيدة - الكثير مما يتعلق بجوانب الايمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ،إذ وجدت أنها تخرج بي عن موضوع البحث ، وقد سودت فيها من الصفحات الكثير ،واكتفيت في هذه الدراسة بما يوضح ما نحن بصدده في ضوء السورة التي بين أيدينا .

ثم تناولت السورة من جانب الدعوة مستقصية وسائل الدعوة فيها ، فكنت أذكر الوسيلة وأتتبع آياتها في السورة لأتناولها بالشرح والتحليل واستخراج ما فيها من فوائد للدعوة مع الوقوف أمام مواطن العبرة بعد تثبيت تلك الوسائل بالدفاع عنها أمام من حاول التقليل من شأنها ، وقد حاولت أن أقف أمام عوامل التأثير التي حفلت بها سورة غافر .

وقد رجعت في موضوعي إلى أمهات الكتب فيما يتعلق بمسائل العقيدة والدعوة واللغة كل في مكانه ، لكنني لم أستغن عن الجديد منها وخاصة فيما يتعلق بالدعوة وبعض مواضع العقيدة التي تبحث في قدرة الله سبحانه وتعالى والتي قدم فيها العلم الحديث الشيء الكثير ،كما عنيت بتخريج الأحاديث ما وسعني ذلك فلله الحمد والمنه.

أما بالنسبة للصعوبات فلا يخلو بحث من صعوبه وليس البحث مجال الافاضة فيها .

وقد انعقد البحث على بابين يسبقهما تمهيد وتتلوهما خاتمة .

أما التمهيد : فكان في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول - في الدعوة الى الله - سبحانه وتعالى - وموقعها من الدين .

المبحث الثاني - في حكم الدعوة الى الله تعالى .

المبحث الثالث - تصور عام للسورة ( اسمائها ، وقت نزولها ومكانه ، عدد آياتها ، فضلها ، مناسبتها لما قبلها ، موضوعاتها الرئيسية ) .

وأما الباب الأول : فعنونته : ( قضايا العقيدة والاخلاق في ضوء سورة غافر ) ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : القضايا العقدية في سورة غافر ، وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : تمهيد في معنى الايمان وأركانه مع بيان للفرق بينه وبين الاسلام وذلك بشكل عام ، ثم الحديث عن الايمان من خلال السورة فقط .

المبحث الثاني : في الايمان بالله - وهو التوحيد - أول ركن من أركان العقيدة ، تحدثت فيه عن معنى التوحيد وأقسامه مقسما ثلاثة أقسام ، خصصت كل قسم لنوع من أنواع التوحيد بحسب دلائل السورة على ذلك التوحيد فكانت المطالب التالية :

المطلب الأول : توحيد الربوبية ، حيث قمت بتوضيح المقصود به ثم تحدثت عن دلائل السورة على هذا الجانب من التوحيد خلال عرض بعض آيات الله الكونية تارة ، وتذكير الناس بأنفسهم تارة أخرى .

المطلب الثاني : توحيد الألوهية حيث قمت بتوضيح المقصود به ثم الوقوف أمام ما تحدثت عنه السورة والذى يتلخص أمره في سوق آيات الربوبية في الخلق والتدبير والملك والحفظ والرعاية والاحسان والرحمة وجعل ذلك دليلا على الوحدة في الألوهية ،وبيان انفراده سبحانه بما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا والتي لا يكون الها الا من اتصف بها ،ثم التنديد بما يتخذه الناس الهة من دون الله واظهار حالها من العجز ،والتشنيع بحال العابدين لهذه الآلهة الباطلة ورميهم بالضلال والسفه حيث رضوا لأنفسهم أن يعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ،ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ،وأخيرا تصوير ما سيكون يوم القيامة بين الأتباع والمتبوعين من التبروء والمعاداة .

المطلب الثالث : توحيد الأسماء والصفات ،حيث قمت بتوضيح المقصود به عند السلف ثم تحدثت عن دلائل السورة على هذا الجانب من التوحيد من خلال ما تحمله من أسماء وصفات .

المبحث الثالث : في الايمان بالملائكة حيث اشتمل على مقدمة حول معنى الايمان بالملائكة ثم الحديث عن هذا الجانب العقدى من خلال السورة فنشأ عن ذلك ثلاثة مطالب ،وهي :

المطلب الأول : جانب من وظائفهم في السماء والذى اقتصر على حملة العرش.

المطلب الثاني : جانب من عاداتهم بعد اثبات حقيقة ايمانهم وهي التسبيح بحمد الله.

المطلب الثالث : جانب من وظائفهم في الأرض والذى اقتصر على الدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم.

المبحث الرابع : في الايمان بالكتب والذى اشتمل على تمهيد وثلاثة مطالب :

التمهيد : في معنى الايمان بالكتب.

المطلب الأول : وجوب الايمان بالكتب السماوية اجمالا و تفصيلا .

المطلب الثاني : وجوب الايمان بها شرعا وعقلا .

المطلب الثالث : اتفاق هذه الكتب في الأصول .

المبحث الخامس : في الايمان بالرسل ،وفيه تمهيد ومطلبان :

التمهيد : حول معنى الايمان بالرسل .

المطلب الأول : عدد الأنبياء والرسل عليهم السلام ،و من خلال ذلك كان لا بد من الوقوف أمام من ذكرتهم السورة وهم نوح عليه السلام ، و هود عليه السلام ،وصالح عليه السلام ،ويوسف عليه السلام ،و موسى عليه السلام .

المطلب الثاني : بعض من وظائف الرسل عليهم السلام ،والتي تتلخص في الآتي :

أولا : دعوتهم الى الله .

ثانيا : كونهم مبشرين و منذرين .

ثالثا : اقامة الحجة على الخلق .

المبحث السادس : في الايمان باليوم الآخر ،وفيه تمهيد ،وأربعة مطالب :

التمهيد : في معنى الايمان باليوم الآخر.

المطلب الأول : بعض من أسماء ذلك اليوم من خلال ما ورد في السورة.

المطلب الثاني : بعض من مشاهد ذلك اليوم.

المطلب الثالث : التأكيد على عقيدة حياة البرزخ ( عذاب القبر ) .

المطلب الرابع : جانب من الرد على بعض منكرى البعث .

الفصل الثاني : في قضايا الأخلاق في سورة غافر .

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : في تعريف الخُلُق لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : في صلة الأخلاق بالعقيدة .

المبحث الثالث : في الأخلاق الحسنة في السورة ،وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الصبر ، وفيه تعريف الصبر ،ثم الحديث عن هذا الخلق من خلال السورة والذى يتناول كيفية الصبر على المعارضين للرسالة والمنكرين لها ،وماهية الزاد لهذا الخلق العظيم وخاتمته .

المطلب الثاني : الشجاعة ،وفيه تعريف لها ،وعلى أى شيء تقوم ،وما هي مظاهرها من خلال السورة .

المبحث الرابع : في الأخلاق السيئة في السورة ،وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : الكبر ،وفيه تعريف الكبر ،وما كان لسورة غافر من حملة على هذا الجانب الأخلاقي السيء مع محاولة للتعليل لكون السورة أكثرت من ذكر هذا الخلق وأسهبت في ذمه ،ثم الحديث عن أسبابه ودوافعه ثم نهايته السيئة سواء في الدنيا أو في الآخرة وأخيرا ما ينبغي للداعية أن يدركه من حقائق وهو يواجه كبر المتكبرين .

المطلب الثاني : في خلق الفرح والمرح بغير الحق وفيه مسائل :

المسألة الأولى : في خلق الفرح بغير الحق ، حيث قمت بتعريفه ثم فرقت بين الفرح المحمود والفرح المذموم ، مع الوقوف أمام الفرح المشار اليه في آيات السورة وتناولت آياتـــه بالتوضيح والشرح .

المسألة الثانية : في المرح بغير الحق ، حيث قمت بتعريفه ، ثم التفريق بينه وبين الفرح مع توضيح ما اذا كان هناك مرح محمود أم أن المرح كله مذموم من خلال السورة .

المطلب الثالث : في الاسراف ، وفيه تعريف له ، مع بيان المقصود به فـي القرآن عامة ، ثم الوقوف أمام المعنى الواضح من السورة ، مـع تناول آياته بالشرح .

وأما الباب الثاني : ففي أساليب الدعوة في سورة غافر ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في أسلوب الجدل وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : في تعريف الجدل لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : في أقسام الجدل ، وكونه محمودا تارة ومذموما تارة أخرى ، ومتى يكون مذموما ومتى يكون محمودا وما هو نوع الجدل المذكور في السورة .

المبحث الثالث : في الموضوعات التي جادل فيها القرآن الكريم من خلال السورة ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الجدال لاثبات الوحدانية ، ومن خلاله كانت الاستدلالات التي تقوى الأمر باستحقاقه العبادة وحده فلا يبقى لمعتـــذر عذر ولا لمحتج حجة ، وفي ضوء ذلك حاولت أن أدرس الأسلوب المتبع بكل ما يحمله من عوامل التأثير .

المطلب الثاني : الجدال في أمر البعث والجزاء ،وهي القضية الثانية التي جادل فيها المجادلون ،ومن خلال ذلك ظهرت استدلالات السورة على امكان البعث و تحقق وتوعه ،وقد حاولت الالتزام بنفس المنهج في توضيح أسلوب تلك المجادلة ،وبعد ذلك كانت لنا وقفة يستفيد فيها الداعية من الأسلوب الذى انتهجه الرسول عليه السلام والحجة القوية في مجادلته للمشركين .

المبحث الرابع : في المجادلات التي وردت في السورة ،وفيها :

مجادلة فرعون لموسى عليه السلام وما يخرج به الداعية منها .

ثم مجادلة مؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه موضحة فيها أسباب المجادلة وما سلكه ذلك المؤمن في خطابه لفرعون وملئه من مسالك شتى وما انتهجه من أسلوب في معالجته قومه ،ثم ما كان من نهاية لذلك الجدال وما يستخلصه الداعية منه .

المبحث الخامس : أهمية أسلوب الجدل للداعية .

والفصل الثاني : في أسلوب القصة ،وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: في تعريف القصة لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : في أهمية القصة في القرآن ،مع التفريق بين القصص الممدوح والقصص المذموم عامة .

المبحث الثالث: في عناصر القصة وتشمل :

١ - الشخصية .

٢ - الأحداث .

٣ - الحوار .

٤ - الزمان والمكان .

مع الاشارة الى مواضع ذلك في السورة الكريمة .

المبحث الرابع : في القصص الذى اشتملت عليه السورة ،وفيه مطلبان :

المطلب الأول : قصة موسى عليه السلام مع فرعون ( دراسة تحليلية ) .

المطلب الثاني : قصة مؤمن من آل فرعون ( دراسة تحليلية ) .

مع الاشارة الى ما أشارت اليه السورة من قصص تتعلق بنوح وهود وصالح ويوسف عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام و محاولة التعليل لتلك الاشارات .

الفصل الثالث : في أسلوب الترغيب والترهيب وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أسلوب الترغيب ،وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الترغيب لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : أهمية أسلوب الترغيب والترهيب ،ومن خلال ذلك كان الرد على من حاول التقليل من قيمة هذا الأسلوب في كونه وسيلة للتربية .

المطلب الثالث : في صور الترغيب في السورة ،والذى انحصر في ثلاث صور ،تناولتها بالدراسة والبحث والتفسير ما استطعت .

المطلب الرابع : في أهمية أسلوب الترغيب للداعية .

المبحث الثاني : في أسلوب الترهيب،وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : في تعريف الترهيب لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : في أهمية أسلوب الترهيب .

المطلب الثالث : في صور الترهيب في السورة ،والتي انحصرت في تسع صور ، مع تناولها بالشرح والدراسة .

المطلب الرابع : في أهمية أسلوب الترهيب للداعية .

وأما الخاتمة : ففيها اجمال لنتائج البحث .

# تمهيد

وفيه ثلاث مسائل :

١ - الدعوة إلى الله وموقعها من الدين .

٢ - حكم الدعوة إلى الله تعالى .

٣ - التعريف بسورة غافر .

بسم الله الرحمن الرحيم



## التمهيد

### المسألة الأولى - الدعوة إلى الله وموقعها من الدين :

( الدعوة هي : الرغبة إلى الله عز وجل ، ودعا الرجل دعوا ودعاء: ناداه ، والاسم : الدعوة . والداعية : صريخ الخيل في الحرب لدعائه من يستصرخه .

وقوله تعالى : " وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا " (١)

معناه : داعيا إلى توحيد الله وما يقرب منه ، وفي كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل : " أدعوك بدعاية الإسلام " (٢) أي بدعوته ، وهي كلمة الشهادة التي يدعى إليها أهل الملل الكافرة ، وفي رواية " بداعية الاسلام " (٣) ، وهو مصدر بمعنى الدعوة .

والدعاة : قوم يدعون الى بيعة هدى أو ضلالة ، واحدهم داع ، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ، أدخلت الهاء فيه للمبالغة ، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله تعالى ، وكذلك المؤذن ، وفي التهذيب : النبي صلى الله عليه وسلم داعي الأمة الى توحيد الله وطاعته ) (٤) .

الا أن هذا المعنى اللغوى قد تخصص بالدعوة إلى الحق ، وهي ما نحن بصدده ، وفي ذلك يقول شيخ الاسلام رحمه الله ( الدعوة إلى الله :

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤٦ .

(٢) صحيح البخارى حديث طويل لابن عباس ج٥ كتاب التفسير ، سورة آل عمران باب " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله " ص ١٦٩ .

(٣) صحيح البخارى من حديث طويل ج٤ كتاب المغازى باب ١٠٢ ، " دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام والنبوة " ص ٤ .

(٤) لسان العرب لابن منظور ج١٤ ص ٢٥٧ - ٢٥٩ مادة : دعى .

هي الدعوة إلى الإيمان به ، وبما جاءت به رسله وبتصديقهم فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا ) . (١)

والدعوة قديمة قدم الانسان نفسه ، فهذا آدم ، ونوح ، وابراهيم، وهود ، وصالح ، وموسى ، وعيسى وغيرهم من الأنبياء والمرسلين -صلوات الله عليهم اجمعين قاموا بالدعوة إلى الله ، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وهم بالدعوة -ولها- ومن أجلها كانوا رسلا .

واذا كتب الله أن يكون لكل رسول نهاية فلا يعني ذلك انقضاء الدعوة بموته ، بل يكون من بعده ورثة يحملون ذلك الميراث ، يوصلونه إلى من لم يصله ، ويذكرون من نسيه ، ويعلّمون من جهله ، وهذا ما كان على مدار التاريخ تشهد له آيات القرآن . قال تعالى :

" إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ " (٢)

وقال تعالى : " لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ " (٣)

فذمّ من قتل الآمرين بالقسط ، ولعن من ترك التناهي عن المنكر ، دليل على أن هناك من كان يقوم به ، ويؤكد ذلك حديث مسلم من رواية

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه ، جـ١٥ ص ١٥٧ .

(٢) سورة آل عمران آية ٢١ .

(٣) سورة المائدة آية ٧٨-٧٩ .

عبدالله بن مسعود (١) حيث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعد خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل ". (٢)

وقام بالدعوة خاتما للرسالات والدعوات محمد صلى الله عليه وسلم ، وتركها أمرا خالدا وسبيلا مفتوحا ومنهجا واضحا لمن بعده ، بعد أن أدى ما عليه على أكمل وجه بأمر من الله ، قال تعالى :

" قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ " (٣)

( أى أن الله يأمر نبيه أن يخبر الناس أن الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هي طريقته ومسلكه وسنته هو وكل من اتبعه ، يدعو الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة و يقين ). (٤)

---

(١) هو الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب ، أحد السابقين إلى الاسلام ، والمهاجرين إلى الحبشة والمدينة ، شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم بدرا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد .
توفي سنة ٣٢ هـ ( أنظر ترجمته في الاصابة ٢/٣٦٨ وما بعدها ، الاستيعاب ٢/٣١٦ ومابعدها ، تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٨٨ وما بعدها ) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الايمان ، باب كون النهي عن المنكر من الايمان م ١ ج ٢ ص ٢٧ .

(٣) سورة يوسف آية ١٠٨ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ج٢ ص ٤٩٥ - ٤٩٦ .

وقال تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

( أى ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومعنى الآية : أنه يجب على هذه الأمة أن تكون طائفة منها متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجبا على كل مسلم بانفراده على الخصوص ) (٢) .

وقوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (٣)

( فأمة محمد هي خير الناس ، وأنفع الناس للناس ، لأنها تقود الناس إلى الخير والفوز الأبدى بدعوتها الى الحق وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ) (٤) .

ومن ذلك يتضح الأمر الصريح للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته بالدعوة الى الله الى يوم القيامة .

## ٢ - حكم الدعوة الى الله :

اتفق علماء الأمة على أن الدعوة إلى الله تعالى أمر واجب وفريضة لازمة ، إلا أنهم اختلفوا في نوع فرضيتها ، حيث ذهب فريق الى أنها

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤ .
(٢) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ١ ص ٣٩١ .
(٣) سورة آل عمران آية ١١٠ .
(٤) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ١ ص ٣٩٢ .

فرض عين ، وذهب آخرون الى أنها فرض كفاية واستدل كل فريق على ما ذهب إليه بأدلة نوردها فيما يأتي :

الفريق الأول :

ذهب الفريق الأول الى أن ( الدعوة الى الله فرض عين على كل مسلم ) وأقاموا رأيهم على قوله تعالى :

" وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ " (١)

فقالوا إنَّ "من" هنا بيانيه (٢) والمعنى :لتكونوا كلكم كذلك يؤيدها قوله تعالى : " قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي " (٣)

وقوله : " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ " (٤)

ففي مجموع الآيات نلحظ توجه الأمر والخطاب إلى جميع الأمة مما يدل على أنَّ الدعوة فرض عين .

الفريق الثاني :

ذهب هذا الفريق إلى أنَّ الدعوة إلى الله فرض على الكفاية (٥)

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤ .

(٢) انظر تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ٤ ص ١٠٤ .

(٣) سورة يوسف آية ١٠٨ .

(٤) سورة آل عمران آية ١١٠ ، وقد أوردها الألوسي في روح المعاني جـ٣ ص ٢١-٢٢ .

(٥) انظر الفتاوى لابن تيميه / جـ١٥ ص ١٦٥-١٦٦ / الحسبة لابن تيميه ص ٤٠-٤٦ / شرح النووى على صحيح مسلم جـ٢ ص ٢٣ .

مستدلا بنفس الدليل والمتمثل في قوله تعالى :

" وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ " (١)

فقالوا إنَّ " من " هنا للتبعيض ، معللين ذلك بأن العلماء هم القادرون على تحقيق تلك الشروط وليس كل الناس علماء ) (٢) .

وخلاصة الأمر : إن لكل من الفريقين أدلتــه وردوده ، وأحسب أن هذا ليس مكانها ، فأكتفي بما أشرت إليـه ثم أدلي بدلوى المتواضع مرجحة بين الأقوال فأقول وبالله التوفيق :

ان أمر الدعوة الى الله أمر واجب على كل مسلم ، وفرض عين على الجميع كل حسب طاقته وذلك لا يكون إلاّ من منطلق الاحساس بالمسئولية العامة ، خاصة وأننا نعيش وضعا عمّ فيه البلاء كل جانب من جوانب الحياة وليس له إلا تجنيد النفوس القادرة ، فيأخذ كل فرد منهم على يد الآخر ليشعر كل واحد أنه محاسب ممن حوله كلّ من جانبه ، وأنه لن يكــون بمأمن من التوجيه والملاحظة فإنّ ترك المعصية أو المخالفة ؛ خشية للّه فقد أفلح ولله الحمد ، من منطلق قوله تعالى :

" وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ " (٣)

وإلاّ كان الترك على أضعف الايمان ، خوفا من الحساب والملاحظة من الناس ، فلا تعم البلوى ولا يستشرى الفساد ، ولا عذر لمعتذر مهما كان ،

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤ .

(٢) تفسير المنار / محمد رشيد رضا / جـ٤ ص ١٤٠ .

(٣) سورة الذاريات آية ٥٥ .

لأنه وهو المسلم لا بد أن يكون على أقل القليل مدركا بفطرته ودينه الخير خيراً فيحبه ،ويعلم الشر شراً فيكرهه ، فاذا أنكر من هذا الباب الذى يعلمه فقد أدى جزءا من واجب يعم به النفع مع أجزاء أخر تؤدى من كل فرد بحسب علمه ،خاصة وأن الشرع لم يترك لمحتج حجة ، فالانكار باليد أولا فإن لم يستطع فباللسان ،فان لم يستطع فبالقلب وذلك أضعف الايمان .

ويظن بعض الناس أن التغيير بالقلب انما هو عمل سلبي فحسب، والواقع أنه عمل ايجابي ،لأنه حينما ينكر بقلبه فهو مثلا لا يؤاكل العاصي ، ولا يجالسه .ولا يواده و يظهر الانكار على وجهه وبذلك يجد فاعل المنكر نفسه محاصرا من المجتمع الذى يعيش فيه ،ولا أدل على ذلك من موقف الرسول مع الثلاثة الذين خلفوا (١) وما نتج عن ذلك الموقف و تلك المقاطعة من نتائج ايجابية ،وهكذا فان فاعل المنكر حينما يجد نفسه محاصرا ممن حوله لا بد أن ينتهي . وبذلك يكون النهي عن المنكر قد بلغ غايته .
وفي هذا الاتجاه يقول صاحب تفسير المنار ( فالذين منعوا عموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جوزوا أن يكون المسلم جاهلا لا يعرف الخير

---

(١) هم الذين ورد ذكرهم في سورة التوبة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العامرى ،وهلال بن أمية الواقفى ،والذين نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الكلام معهم حين تخلفوا عن غزوة تبوك .
( انظر القصة في صحيح البخارى جـ٥ كتاب تفسير القرآن باب " وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت. " ٢٠٨-٢٠٩ ،وصحيح مسلم جـ٤ كتاب التوبة باب " حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه " حديث رقم ٢٧٦٩ ص ٢١٢٠-٢١٢٨ ) .

من الشر ولا يميز المعروف من المنكر ، وهذا لا يجوز دينا ولا تكليفا )[١]

ثم علق صاحب كتاب " أصول الدعوة " قائلا : ( والعلم بطبيعته يتجزأ ويتبعض فمن علم مسألة وجهل أخرى ، فهو عالم بالأولى جاهل بالثانية ، ومعنى ذلك أن يعد من جملة العلماء بالمسألة الأولى وبالتالي يتوفر فيه شرط وجوب الدعوة إلى ما علم دون ما جهل ، ولا خلاف بين الفقهاء في أن من جهل شيئا أوجهل حكمه أنه لا يدعو إليه ، لأن العلم بصحة ما يدعو إليه الداعي شرط لصحة الدعوة ، وعلى هذا فكل مسلم يدعو إلى الله بالقدر الذى يعلمه )[٢].

## ٣ - التعريف بسورة غافر :

### أسماؤها :

لسورة غافر أسماء ثلاثة هي :

(١) (المؤمن ) وبذلك ترجمها البخارى[٣] في صحيحه ،

---

(١) محمد رشيد رضا جـ٤ ص١٤٠ .

(٢) عبد الكريم زيدان ص٣٠٢ .

(٣) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي البخارى ، أبوعبدالله الامام الحافظ الشهير صاحب الجامع الصحيح وغيره من المصنفات النافعة ، توفي سنة ٢٥٦هـ ( انظر ترجمته في تهذيب الأسماء واللغات ٦٧/١ وما بعدها ، طبقات المفسرين للداودى ١٠٠/٢ ومابعدها ، طبقات الحنابلة ٢٧١/١ ومابعدها ، وفيات الأعيان ٣٢٩/٣ ومابعدها ، طبقات الشافعية للسبكي ٢١٢/٢ وما بعدها ) .

والترمذى (١) في الجامع ،وقد جاءت هذه التسمية من قوله تعالى : "وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ"

كما وردت هذه التسمية في السنة ، فقد روى الترمذى عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ " من قرأ حم المؤمن الى ( اليه المصير ) وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى و من قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح (٢) الحديث ) (٣).

(٢) سورة الطول ، ووجه التسمية بها من قوله تعالى في أولها : (٤) "ذِى ٱلطَّوْلِ" (٥))

---

(١) هو محمد بن عيسى بن سورة السلمي ،أبو عيسى ،الحافظ الضرير العلامة المشهور ،أحد الائمة في الحديث ،ذكره ابن حبان في الثقات وقال " كان ممن جمع و صنف و حفظ وذاكر" وكان يضرب به المثل في الحفظ ،توفي سنة ٢٧٩ هـ ( انظر ترجمته في : وفيات الاعيان ٣/ ٤٠٧ ،شذرات الذهب ٢/ ١٧٤ / طبقات الحفاظ ص ٢٧٨ ،تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٣ ).

(٢) رواه الترمذى عن أبي هريرة جـ٤ص ٢٣٢ في كتاب فضائل القرآن ،باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ،حديث رقم ٣٠٣٩ وقال الترمذى : هذا حديث غريب .

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن / الزركشي جـ١ ص ٢٦٩ ، الاتقان في علوم القرآن / السيوطي جـ١ ص ٥٤ ، معترك الاقران / السيوطي جـ٣ ص ٤٤٤ / روح المعاني / الالوسي جـ٢٤ ص ٣٩ ،التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ٧٥ .

(٤) سورة غافر آية ٣ .

(٥) انظر البرهان في علوم القرآن / الزركشي جـ١ ص ٢١٩ ،الاتقان في علوم القرآن / السيوطي جـ١ ص ٢١٩ ،روح المعاني /الالوسي جـ٢٤ ص ٣٩ ،فتح البيان / صديق حسن خان جـ٨ ص ٢٥٩ ، التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ٧٥ .

(٣) سورة غافر : ووجه التسمية بها من قوله تعالى في أولها : "غَافِرِ الذَّنبِ" (١) (٢)

وقت نزولهـــا :

هذه السورة جعلت الستين في عداد ترتيب نزول السور ، وهي أول سور آل حم نزولا ، نـزلت بعد سورة الزمر ، وقبل سورة فصلت (٣) وقد توقف صاحب التحرير والتنوير أمام تاريخ نزول السورة ليحدده بالسنـة الثالثة قبل الهجرة ، معللا لذلك أنه ( قد كانت هذه السورة مقروءة عقب وفاة أبي طالب ، أى سنة ثلاث قبل الهجرة ، لأن أبا بكر قرأ آية "أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ" (٤) حين آذى نفر من قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حول الكعبـــة ، وانما اشتد أذى قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفـــاة أبي طالب ). (٥)

ولكنا لا نسلم لصاحب التحرير والتنوير بهذا التعليل ، لأنه لا يتم له ما ذهب اليه الا بعد توضيح لبعض النقاط والتي تشكـل علامات استفهام ، وهي :

---

(١) سورة غافر آية ٣ .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن / الزركشي جـ١ ص ٢٦٩/ روح المعاني / الآلوسي : ٢٤ ص ٣٩ ، الاتقان في علوم القرآن/ السيوطي جـ١ ص ٥٤ ، التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ٧٥ .

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن ، الزركشي جـ١ ص ١٩١ ، التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ٧٦ .

(٤) سورة غافر آية ٢٨ .

(٥) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، جـ٢٤ ص ٧٦ .

أولاً : ألا يحتمل أن تكون هذه الآية التي قرأها أبو بكر هي التي كانت قد نزلت فقط في ذلك الوقت وأما السورة فلم تنزل الا بعد ذلك ؟

ثانياً : بل الأكثر من ذلك ، ما المانع في أن تكون السورة نزلت قبل ذلك الوقت بزمن طويل ، وقرأها أبو بكر في هذه المناسبة ، كما نقرؤها نحن الآن كشواهد نزلت منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا من الزمان ؟

هذه تساؤلات قد تثار في الأذهان إذا ما قرأ أحدهم تعليل صاحب التحرير والتنوير ، ومن هنا نكتفي بأنها نزلت بعد سورة الزمر ، ونزلت سورة الزمر قبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة غافر في ذلك التاريخ أيضا .

مكان نزولها :

( هي مكية بالاتفاق ، قال ابن عباس (١) : " أنزلت حم المؤمن بمكة " ، وعن سمرة بن جندب (٢) قال : نزلت الحواميم جميعا بمكة ) (٣) .

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، حبر الأمة ، وترجمان القرآن وأحد الستة المكثرين من رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، دعا له النبي عليه السلام بقوله " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ ( انظر ترجمته في الاصابة ٢/٣٣٠ ، الاستيعاب ٢/٣٥٠ ، شذرات الذهب ١/٧٥ ، طبقات المفسرين للداودي ١/٢٣٢ ) .

(٢) هو سمرة بن جنادة بن جندب بن حجير السوائي من بني سواءة بن عامر والد جابر لهما صحبة ، أسلم في الفتح ، كان مع سعد بن أبي وقاص في المدائن ثم نزل الكوفة ومات بها في ولاية عبد الملك ( انظر ترجمته في: الاصابة في تمييز الصحابة ٢/٧٨ ، الاستيعاب ٢/٧٩ ) .

(٣) انظر روح المعاني / الالوسي ٢٤/٣٩ .

الا أن بعض المؤرخين والمفسرين أورد لها استثناء في آيتين منها، وهي :

أولا : ( قوله تعالى "وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ" (١)

معللين لذلك أنها نزلت في فرض الصلوات الخمس وأوقاتها، وفرض الصلوات الخمس وأوقاتها ما وقع الا في المدينة، وانما كان المفروض بمكة ركعتين كل يوم من غير توقيت ). (٢)

والآية الثانية : ( قوله تعالى :

"إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (٣)

نزلت في يهود من المدينة جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الدجال، وزعموا أنه منهم ). (٤)

الا أن الواضح من استقراء الآيات أن هذا الاستثناء من بناء ضعيف على ضعيف :

(١) أما الآية الأولى : ( فان الجمهور على أن الصلوات الخمس نزلت وفرضت بمكة في أوقاتها، على أنه لا يتعين ارادة الصلاة

---

(١) سورة غافر آية ٥٥.

(٢) انظر روح المعاني، الألوسي جـ٢٤ ص ٣٩، التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ٧٥.

(٣) سورة غافر آية ٥٦.

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي جـ١٥ ص ٢٨٨، الاتقان في علوم القرآن، السيوطي جـ١ ص ١٠-١١، روح المعاني، الألوسي جـ٢٤ ص ٣٩، التحرير والتنوير، بن عاشور جـ٢٤ ص ٧٥.

بالتسبيح في الآية ،بل يحمل على ظاهر لفظه من كل قول ينزه به الله تعالى )[١].

وأما الآية الثانية ( فيقول شيخ الاسلام ابن تيمية :" قولهم نزلت الآية في كذا يراد به تارة سبب النزول ،ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية ،وان لم يكن السبب،كما تقول : عني بهذه الآية كذا ، وقال الزركشي في البرهان : قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم اذا قال نزلت الآية في كذا فانه يراد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم ، لا أن هذا كان السبب في نزولها ، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية ، لا من جنس النقل لما وقع )[٢].

## عدد آياتها :

اختلف في عدد آياتها[٣] ( فقد عدت آيها اثنين وثمانين في عد أهل البصرة )[٤] ، ( وأربعا وثمانين في عد أهل المدينة ومكة )[٥] ( وخمسا وثمانين في عد أهل الشام والكوفة )[٦] ( وقيل هي ست

---

( ١ ) انظر روح المعاني ،الالوسي ج٢٤ ص ٣٩ ،التحرير والتنوير، بن عاشور ج٢٤ ص ٧٥ .

( ٢ ) مقدمة في أصول التفسير ص ٤٨.

( ٣ ) قد يكون الاختلاف في عدد الآيات ،لأن اعتبار الآية وعدمه يختلف من مذهب لآخر ،فالكوفيين مثلا يعدون حم آية ،ومن عداهم لا يعدها آية ( انظر البرهان ،الزركشي ج١ ص٢٦٧).

( ٤ ) انظر الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي ج٢٤ ص ٢٨٨ ، الاتقان في علوم القرآن ،السيوطي ص ٦٨ ،التحرير والتنوير ،بن عاشورج٢٤ص٧٧.

( ٥ ) انظر الاتقان في علوم القرآن ،السيوطي ج١ ص ٦٨ ،روح المعاني ، الالوسي ج ٢٤ ص ٣٩ ،التفسير القرآني للقرآن ،عبد الكريم الخطيب ج٢٤ ص ١٢٠٢ ،التحرير والتنوير ،بن عاشور ج٢٤ ص ٧٧ .

( ٦ ) روح المعاني ،الالوسي ج٢٤ ص ٣٩ ، فتح البيان ،صديق حسن خان ص ٢٥٩ ،التفسير القرآني للقرآن ،عبد الكريم الخطيب ج٢٤ ص ١٢٠٢ .

( ٢ )

وقد ورد في فضل سورة غافر أحاديث وآثار عديدة ،أكتفـــي بما أورده الترمذى عن أبي هريرة قال قال رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ " من قرأ " حم المؤمن " الى " إليه المصير " وآية الكرسي حـيـن يصبح حفظ بهما حتى يمسى ، ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتـى يصبح ) .( ٣ )

مناسبتها لما قبلها :

قبل الحديث عن مناسبة السورة لما قبلها ،لا بد من الاشارة إلى أمر مهم هو ترتيب السور،فهل ترتيب السور في القرآن الكريم توقيفـــي أم اجتهادي ؟

التناسب واضحا سواء من ناحية :

(أ) مطلع السورة .

(ب) أو من ناحية نهاية السورة السابقة - سورة الزمر - وبداية اللاحقة - سورة غافر - .

أما من ناحية المطلع ( فإن مطلع سورة غافر مناسب لمطلع سورة الزمر لما بينهما من التشاكل التي خصت به ، وهو أن كل سورة منهما استفتحت بالكتاب ووصفه ، مع تفاوت المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام ).(١)

ثم كان مناسبة فاتحة السورة - أى سورة غافر - بخاتمة التي قبلها - أى سورة الزمر - ( حتى أن منها ما يظهر تعلقها به لفظا ).(٢)

فقد كان مما اشتملت عليه سورة الزمر قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٣)

ثم كان ختامها : القضاء والفصل بين الناس ، وانزال الكافرين منازلهم من النار ، وانزال المؤمنين منازلهم من الجنة .

وبدء هذه السورة - غافر - يلقى الناس جميعا - بعد أن شهدوا - في السورة السابقة - الحساب والجزاء ، ورأوا جزاء المحسنين والمسيئين ، - يلقاهم - بكتاب الله ، الذى هو هداية كل ضال ، ومنارة كل سالك الى طريق النجاة ، ثم يلقاهم مع كتاب الله بغفران الله ورحمته ، وقبول توبة التائبين المنيبين اليه ، وشدة عقاب المجادلين له ، المكذبين برسله ).(٤)

---

(١) أسرار ترتيب القرآن ، السيوطى ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، ص ١٣٠ - ١٣١ .
(٢) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ١/ ٨٦ .
(٣) سورة الزمر آية ٥٣ .
(٤) التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ، جـ ٢٤ ، ص ١٢٠٢ .

( ليكون ذلك استدعاء للكافر الى الايمان والاقلاع عما هو فيه ، وبين السورتين أنفسهما أوجه من المناسبة ، ويكفي فيهما أنه ذكر في كل منهما أحوال يوم القيامة ، وأحوال الكفرة فيه وهم في المحشر وفي النار ، وقد فصل في هذه من ذلك ما لم يفصل منه في تلك ) . (١)

وفي ضوء ذلك نتحدث عن :

موضوعات السور الرئيسية :

تطرقت سورة غافر الى أصلين مهمين من أصول الايمان يتمثلان فيمايلي :

(١) الايمان بالله وتوحيده ، وذلك بالتنبيه على دلائل تفرده سبحانه بالألوهية وابطال عبادة ما يعبد من دونه ، وذلك بالاعتماد على أسلوب الترغيب من خلال التذكير بنعمه العديدة على خلقه ، ليشكروا ويؤمنوا بدل أن يعرضوا ويكفروا .

(٢) اثبات قضية البعث ، والاستدلال على امكانيته ، بالاعتماد على أسلوب الترهيب ، حين يذكر / الكافرين بما يلقون من هول يوم القيامة ،

---

(١) روح المعاني ، الألوسي جـ٢٤ ص٣٩ .

وما يترقبهم من عذاب ، وتهديدهم بأن لا نصير لهم يومئذ ، وبأن كبراءهم سيتبرؤون منهم ، وعندها سوف يعضون أصابع الندم حين لا ينفع الندم .

ومن خلال الجو العام الذى اعتمده الكافرون وهو الجدل ركز القرآن على هذه القضية والتى كررها خمس مرات في هذه السورة ممثلا حالهم بحال الأمم المكذبة السابقة ، منبها على أسباب استئصالهم ، ضاربا المثل بقصة فرعون وقومه مع موسى ، وبطياتها قصة ذلك المؤمن مع فرعون ، ونهاياتهم ، وفي المقابل ذكر الله المؤمنين وتثبيته لهم ، والثناء عليهم ، وثناء الملائكة عليهم .

ومن خلال تلك الموضوعات الرئيسية كانت أبواب البحث وفصوله بمنهجها العلمي ، جاعلة موضوعات العقيدة متصدرة البحث ، ثم الوسائل التي استخدمها القرآن في السورة للوصول إلى تلك الموضوعات ، فكان الباب الأول للحديث عن قضايا العقيدة في ضوء السورة .

# الباب الأول

## قضايا العقيدة والأخلاق في ضوء سورة غافر

ويشتمل على الفصلين التاليين :-

الفصل الأول : قضايا العقيدة في ضوء السورة .

الفصل الثاني : قضايا الأخلاق في السورة

# الفصل الأول

## قضايا العقيدة في ضوء السورة .

ويشتمل على ستة مباحث :-

المبحث الأول : في معنى الإيمان وأركانه .

المبحث الثاني : الإيمان بالله ( التوحيد ) وأقسامه .

المبحث الثالث : الإيمان بالملائكة .

المبحث الرابع : الإيمان بالكتب .

المبحث الخامس : الإيمان بالرسل .

المبحث السادس : الإيمان باليوم الآخر .

## الفصل الأول

## قضايا العقيدة في ضوء سورة غافر

سورة غافر هي احدى السور التي تعد من ديباج[1] القرآن وعرائسه ولبابه .

( يقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - " ال حم ديباج القرآن "[2] ، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " ان لكل شيء لبابا ، ولباب القرآن آل حم )[3] . وقال " مسعر بن كدام " : " كان يقال لهن العرائس "[4] .

وما أجدرها بذلك .. فقد جمعت بين أصول الايمان وأركانه .

تحدثت عن قضايا الايمان ، وبخاصة قضية التوحيد والتي هي روح الاسلام كله ، وأصل عقائده جميعا ، ومن هنا كانت هذه القضية هي قطب الرحى الذى دارت حوله السورة .

لقد تحدثت عن قضايا الايمان ، ولكن ليست بالطريقة التي رتبنا لها بل بطريقة القرآن المتكاملة المترابطة ، والتي يخدم بعضها بعضا ..

---

( ١ ) الديباج : ضرب من الثياب ، والدبج : النقش والتزيين . (انظر لسان العرب ، ابن منظور ، ٢ / ٢٦٢ ) .

( ٢ ) أخرجه الحاكم في مستدركه ٢ / ٤٣٧ ، وسكت عنه الحاكم والذهبي .

( ٣ ) أورده السيوطي في تفسيره وعزاه الى أبي عبيد في فضائله ( انظر الدر المنثور ٥ / ٣٤٤ ) .

( ٤ ) أخرجه الدارمي في سننه جـ٢ كتاب فضائل القرآن باب " في فضل حم الدخان والحواميم والمسبحات ص ٤٥٨ .

تحدثت عن قضية اليوم الآخر ، ورسمت صورا لأهوالها فجاءت مناسبة كنهاية للباطل وأهله.

ومن هنا كثرت الآيات حول قضيتي الايمان بالله واليوم الآخر ..

جاء الحديث عن الايمان بالله كبداية تقود الانسان العاقل ، وتقول له الى أين ؟؟ ياكل هذه الأشياء المرئية والمحسوسة في ذاتك وحولك تحت وهج النهار وعتمة الليل ... وهل بعد هذا تتساءل أين الله ؟ وهل له شريك في ملكه أم لا ؟؟ إن آيات الايمان بالله رسمت الدرب لمن كان بلا درب ، وحملت من كان بلا أقدام ليكتشف أبعاد الايمان .. قال تعالى :

" ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ " (١)

وجاء الحديث عن اليوم الآخر لتصوير نهاية المرء الذى امتدت خطواته بلا هدف ، وجال في دروب الحياة بلا غاية ، وفتح ذراعيه لكل ناعق بلا حذر ، وعاش في ظل كل طاغوت صاغرا ليجد نفسه أمام أهوال القيامة لايملك الا أن يكبح أنفاسه وهو يحاول أن يخرج من بين كل تلك الأهوال ، ولكنها آمال لا تعرف لها اتجاها وليس لها صدى

---

(١) سورة غافر آية ٦١- ٦٤.

الا في نفوسهم ، يقول تعالى :

" إِذِ الْأَغْلَٰلُ فِي أَعْنَٰقِهِمْ وَالسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ " (١)

أما ذكر الملائكة فقد كان في غيرها من السور مفصلا .. أما هنا - في سورة غافر - فقد جاء ليشعر أهل الحق أنهم ليسوا وحدهم ، بل معهم الله قبل كل شيء ، ثم معهم ملائكة يستغفرون ويدعون لهم : " الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ " (٢)

أما بالنسبة للكتب فقد اقتصر الأمر على القرآن والتوراة ، أما القرآن فلأن سورة غافر من أولها إلى آخرها مبنية على لزوم حجة القرآن والتنبيه على معجزته .

وأما التوراة فلأن سورة غافر تضم جانبا كبيرا من قصة موسى عليه السلام ، فكان ذكر التوراة في معرض النعم التي أنعمها الله على بني اسرائيل والتي منها وراثتهم التوراة ليكون لهم كتاب هداية وذكرى .

---

(١) سورة غافر آية ٧١ - ٧٢ .

(٢) سورة غافر آية ٧ - ٩ .

وأما بالنسبة للرسل فقد ورد ذكر بعضهم كنوح ، وهود ، وصالح ، ويوسف عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، ورد ذكرهم في معرض التوجيه من قبل الله لرسوله بالصبر على قومه ، والانتظار عليهم ، فقد أرسل رسلا كثيرين من قبله وكان لهم أقوام كقومه تقلبوا ... وتحركوا ... وملكوا ... واستمتعوا ... وطغوا ... والنهاية معروفة .

أما ما يتعلق بسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، فقد كان له النصيب الأوفر من آيات السورة ، لأن موضوع السورة يستدعي ذلك ، ويكفي في ذلك أن مؤمن آل فرعون والذى هو عنوان السورة ظهر في عصر موسى عليه السلام فاستلزمت الآيات أن تسلط الأضواء على جوانب من قصته وجزء من حياته مع قومه .

وهكذا ظهرت لنا سورة غافر في موضوعها العقدى أبدع ظهور لخدمة الجو العام للسورة .

وعليه كان مدار هذا الباب في أصل الاعتقاد بوجود الله ، وما يستتبعه هذا الاعتقاد من الايمان بملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، واثبات كل ذلك بأدلته النقلية ، والأخرى العقلية ، فكانت من أجل ذلك المباحث التالية :

المبحث الأول : تمهيد في معنى الايمان وأركانه .

المبحث الثاني : الايمان بالله ( التوحيد وأقسامه ) .

المبحث الثالث : الايمان بالملائكة .

المبحث الرابع : الايمان بالكتب .

المبحث الخامس : الايمان بالرسل .

المبحث السادس : الايمان بالبعث بعد الموت .

# المبحث الأول :

# تمهيد في معنى الإيمان وأركانه .

## المبحث الأول

## تمهيد في معنى الايمان وأركانه

إذا نظرنا الى العقيدة التي ينادى بها الاسلام من خلال نصوصه وجدناها ترتكز على أصول ستة هي : الاعتقاد بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره على أنه من الله تعالى . وهذه هي الأصول المعلن عنها في كثير من الآيات والأحاديث .

وهذا الجانب الاعتقادى هو ما يسمى في الاصطلاح الاسلامي ب " الايمان " وعلى ذلك جاءت الآيات الكثيرة تستعمل لفظة " الايمان" ومشتقاتها .

**معنى الايمان :**

( آمن من باب سلم ، ويقال آمنه فهو آمن ، وآمنه غيره من الأمن والأمان ، وقوله تعالى : (١)
" وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③ "
قال الأخفش (٢) يريد البلد الآمن وهو من الأمن .

---

(١) سورة التين آية ٣ .

(٢) هو هارون بن موسى بن شريك التغلبي ، أبو عبدالله : شيخ القراء بدمشق كان أخفش " صغير العينين ضعيف البصر " يعرف بالأخفش الدمشقي ، وكان قيما بالقراءات السبع ، عارفا بالتفسير والنحو والمعاني والغريب والشعر ، وصنف كتبا في القراءات العربية ، توفى سنة ٢٩٢ هـ ( انظر ترجمته في طبقات المفسرين للداودى خ ، الأعلام ٨/٦٣ ) .

والايمان ، هو التصديق ، والله تعالى المؤمن ،لأنه آمن عباده أن يظلمهم ،والأمن : ضد الخوف )[١].

وفي لسان العرب : ( أمِن أى الأمان ،والأمانة وهي بمعنى ،وقد أمنت ،فأنا آمن ،وآمنت غيرى من الأمن والأمان ،والأمن، ضد الخوف والايمان : ضد الكفر .

والايمان بمعنى التصديق ، ضده التكذيب ،يقال : آمن به قوم ،وكذب به قوم ،فأما آمنته المتعدى فهو ضد أخفته ،وفي التنزيل العزيز :

" وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ "[٢]

وفي التهذيب : الايمان هو مصدر آمن يؤمن ايمانا فهو مؤمن ، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم على أن معنى الايمان التصديق ، قال تعالى حكاية عن اخوة يوسف لأبيهم :

" وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ "[٣]

فلم يختلف أهل التفسير في أن معناه : ما أنت بمصدق لنا .والأصل في الايمان : الدخول في صدق الأمانة التي ائتمن عليها ،فاذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقد أدى الأمانة وهو مؤمن )[٤].

---

(١) مختار الصحاح ، الرازى ص ٢٦.

(٢) سورة قريش آية ٤.

(٣) سورة يوسف آية ١٧.

(٤) انظر لسان العرب ، ابن منظور جـ١٣ ص ٢١.

وعلى هذا فخلاصة معنى الايمان في كتب اللغة هو التصديق بما يطلب من الانسان اعتقاده ، تصديقا جازما لا شك فيه ولا تـــردد .

ولقد كثر الكلام في حقيقة الايمان ، وصنف في ذلك الكثيـــر من الكتب ، وما سنذكره هنا هو ما يستفاد من كلام الله مع ما يستفـــاد من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ،لنصل الى ما نريد من نفس كلام اللـــه ورسوله فان هذا هو المقصود فنقول :

لقد تحدث النبي ـصلى الله عليه وسلم ـعن معنى الإيمان كمـــا يرويه أبو هريرة " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما بارزا للناس، اذ أتاه رجل يمشي فقال : يا رسول الله ما الايمان ؟ قال : الايمان أن توءمن بالله وملائكته ورسله ولقائه وتوءمن بالبعث الآخر ، قـــال يا رسول الله ما الاسلام ؟ قال : الاسلام : أن تعبد الله ولاتشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتوءتي الزكاة وتصوم رمضان . قال : يا رسول الله ما الاحسان ؟ قال : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فـــان لم تكن تراه فانه يراك .. الى أن قال : هذا جبريل جاء ليعلم النـــاس دينهم ". (١)

---

(١) صحيح البخارى جـ١ كتاب الايمان باب سوءال جبريل النبـي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان .. " من رواية أبي هريرة ص ١٨ ، صحيح مسلم جـ١ كتاب الايمـــان باب بيان الايمان والاسلام والاحسان .." حديث رقم ٥ ص ٣٩ ، كما روى في صحيح مسلم من رواية عبدالله بن عمر جـ ١ كتاب الايمان باب الايمان والاسلام والاحسان .. حديـــث رقم ١ ص ٣٦ .

إلا أنه يشكل عليه حديث وفد عبد القيس الذى أورده مسلم في صحيحه عن أبي حمزة قال : " كنت أترجم بين يدى ابن عباس وبين الناس فأتته امرأة تسأله عن نبيذ الجر فقال : إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من الوفد من القوم ؟ قالوا : ربيعة ، قال مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى قال ، فقالوا : يا رسول الله ، نأتيك من شقة بعيدة وان بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ، وإنا لا نستطيع أن نأتيك الا في شهر حرام ، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة ، قال : فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع ، قال : أمرهم بالايمان بالله وحده ، وقال : هل تدرون ما الايمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا الخمس من المغنم ... " الى آخر الحديث . (١)

فنجد أن حديث جبريل قد فسر الاسلام بما جعله حديث وفد عبد القيس تفسيرا للايمان . وبيان الأمر كما أراه هو ما ذهب اليه صاحب كتاب حد الاسلام وحقيقة الايمان حينما قال : ( إن الرسول الكريم في حديث وفد عبد القيس قد أمرهم بأربع : اقام الصلاة ، ايتاء الزكاة ، صوم رمضان ، وأداء الخمس من المغنم ، وبالرغم من أنه ذكر الشهادتين الا أنه لم يعد الشهادتين من الأربع لأنها تفسير لما

---

(١) صحيح مسلم جـ١ كتاب الايمان باب ٦ الأمر بالايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين .. ) حديث رقم ٢٤ ص ٤٧ ، ٤٨ .

قبلها ،والأربع تخرج عنها وتقوم عليها وتقبل وتصح بها.

فإذا كان حديث جبريل قد فسر الاسلام بما جعله حديث عبدالقيس تفسيرا للايمان ، الا أن لفظي الايمان والاسلام يلتقيان في دلالتهما على قاعدة الأعمال وأصل الدين وهي أن يعبد الله ولا يشرك به شيء وهذا هو معنى التوحيد ،وهذا هو تحقيق الشهادتين وان كان اللفظان يختلفان في غير ذلك من الدلالات.

وعلى هذا فالايمان المطلق يدخل فيه الاسلام كما في حديث وفد عبد القيس ،ولهذا قال من قال من السلف : كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا ).(١)

وأما اذا قرن لفظ الايمان بالعمل أوبالاسلام ، فإنه يفرق بينهما كما في قوله تعالى : "إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ" وهو في القرآن كثير (٢) ، وكما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: ( اللهم لك أسلمت وبك آمنت .. الحديث ) (٣) وكما في حديث جبريل لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان، ففرق في ذلك بين الاسلام والايمان ، حيث خص الايمان بالأعمال القلبية الاعتقادية ،والاسلام بالأعمال الظاهرة.

---

(١) انظر حد الاسلام وحقيقة الايمان ،الشيخ عبد المجيد الشاذلي ص ١٨٦-١٩٠.

(٢) كما في سوة الكهف آية ١٠٧ ،وسورة النحل آية ٩٧ ،وسورة العصر آية ١-٢.

(٣) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والاستغفار ،باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل جـ٤ص ٢٠٨٦ / ح ٦٧.

وهذا ما ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله حين قال :

( فالتحقيق ابتداء هو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاسلام والايمان ، ففسر الاسلام بالأعمال الظاهرة ، والايمان بالأصول الخمسة ، فليس لنا اذا جمعنا بين الاسلام والايمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما اذا أفرد اسم الايمان فانه يتضمن الاسلام ، واذا أفرد الاسلام فقد يكون مع الاسلام مؤمنا بلا نزاع وهذا هو الواجب ).(١)

والحقيقة أن موضوع الايمان والاسلام وهل هما مترادفان أو متغايران - كما يقول محقق كتاب الايمان - من أكثر الموضوعات بحثا ، وقد اختلف العلماء في ذلك ، وصنفوا فيه الكتب والمقالات.

( فمن القائلين بالفرق بينهما ، وأن الاسلام غير الايمان : الامام أحمد بن حنبل (٢) ، وحماد بن زيد (٣) ،

---

(١) الايمان / ص ٢٤٦.

(٢) هو الامام الجليل أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي ، أحد الأئمة الأربعة الأعلام ، ولد ببغداد ونشأ بها ، وطلب العلم وسمع الحديث فيها ، وسافر في سبيل العلم أسفارا كثيرة. فضائله وخصاله ومناقبه لا تكاد تعد ، توفي سنة ٢٤١هـ. ( أنظر ترجمته في تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢ ، وفيات الأعيان ١/ ٤٧ ، حلية الأولياء ٩/ ١٦١ ).

(٣) هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي ، أبو اسماعيل ، البصري ، الأزرق ، قال ابن حبان " كان ضريرا ، وكان يحفظ حديثه كله " وقال ابن مهدي " أئمة الناس في زمانهم أربعة : سفيان ومالك والأوزاعي وحماد بن زيد " وهما حمادان ، حماد ابن زيد ، وحماد بن سلمة ، والأول أحفظ وأثبت في أيوب ،

===

والزهرى (١) وغيرهم . وقد ذكر "ابن منده" (٢) أدلتهم بالتفصيل في كتابه "الايمان" .

أما القائلون بالترادف ،فمنهم الامام "البخارى" و"محمد بن نصر المروزى" (٣) مؤيدا من "ابن تيميه" و"ابن منده" وغيرهم

---

=== وكان من أهل الورع والدين توفى سنة ١٧٩ هـ ( انظرترجمته في : طبقات الحفاظ ص ٩٦ ، تذكرة الحفاظ ٢٢٨/١ ،شذرات الذهب ٢٩٢/١ ،حلية الأولياء ٢٥٧/٦ ) .

(١) هو محمد بن مسلم بن عبدالله بن عبدالله بن شهاب ،الزهرى ،أبو بكر ،المدني التابعي ؛ أحد الأعلام نزل الشام ، روى عن الصحابة والتابعين ،رأى عشرة من الصحابة ،وكان من أحفظ أهل زمانه ،وأحسنهم سياقا لمتون الأخبار ،فقيها فاضلا ،وكان يأتي دور الأنصار فلا يبقى فيها شابا الا سأله ،ولا كهلا ،ولاأنثى ، ولا عجوزا الا سأله ، قال الشيرازى : كان أعلمهم بالحلال والحرام " توفى سنة ١٢٤هـ ( انظر ترجمته في : طبقات الحفاظ ص ٤٢ ، تذكرة الحفاظ ١٠٨/١ ، حلية الأولياء ٣٦٠/٣ ،وفيات الأعيان ٣١١/٣ ، شذرات الذهب ١٦٠٢/١ ) .

(٢) هو محمد بن اسحاق بن محمد بن زكريا بن يحى بن منده ، أبوعبدالله ،الامام الحافظ ،محدث العصر ،الأصبهاني العبدى ، مكثر في الحديث مع الحفظ والمعرفة والصدق ، وله مصنفات كثيرة ،ورحل كثيرا ،وكان ختام الرحالين ،وفرد المكثرين ،توفى سنة ٣٩٥ هـ ( انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ١٠٣١/٣ ، طبقات الحفاظ ص ٤٠٨ ، شذرات الذهب ١٤٦/٣ ) .

(٣) هو محمد بن الحجاج بن عبد العزيز ،أبوبكر المروزى وهو المقدم من أصحاب الامام أحمد لورعه وفضله ، قال ابن العماد" كان أجل

===

ولهم أدلتهم من الكتاب والسنة ).[1]

وخلاصة الأمر الذى أختاره هو خلاصة ما وصل اليه محقق كتاب الايمان والذى قال فيه مايلي :

( أولا : بالنظر الى المعنى اللغوى ،فلا شك أن لكل واحد منهما مسمى غير مسمى الآخر ، فالاسلام هو الاستسلام والانقياد ، لقوله تعالى :

" وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣ "[2]

أى انقاد ،والايمان هو التصديق ،لقوله تعالى :

" وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا "[3]

أى بمصدق .

ثانيا : أما بالنظر الى الايمان الشرعي فأقرب الأقوال هو القول بالتلازم بينهما ، لأنه يفيد أن مسمى أحدهما غير مسمى الآخر، ويضاف الى هذا بأنه اذا اجتمعا افترقا ،كما في حديث جبريل عليه السلام فقد خص فيه الايمان بالأعمال القلبية ، والاسلام بالأعمال الظاهرة واذا انفرد أحدهما شمل الآخر بالتلازم كما في حديث وفد عبد القيس ( أتدرون ما الايمان ) ثم فسره بما فسر به الاسلام في حديث

---

=== أصحاب الامام أحمد ،اماما في الفقه والحديث ، كثير التصانيف ،توفى سنة ٢٧٥ هـ ( انظر ترجمته في طبقات الحنابلة ١/٥٦ ومابعدها ، شذرات الذهب ٢/١٦٦ ) .

(١) انظر كتاب الايمان لابن منده جـ١ ص ٣٢٤ والذى ذكر ابن منده أدلتهم هناك بالتفصيل جـ١ ص ٣١١ ومابعدها .

(٢) سورة آل عمران آية ٨٣ .

(٣) سورة يوسف آية ١٧ .

جبريل عليه السلام ، وكما في قوله تعالى :

" وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ " (١)

فلا يمكن أن يكون هذا الاسلام المقبول الا ملازما للايمان ) (٢) . وعلى هذا (فالايمان تصديق وقول وعمل ، أما التصديق : فهو تصديق القلب ، وأما القول : فهو قول باللسان ، وأما العمل : فهو عمل الجوارح ) (٣) .

ومنه قوله تعالى :

" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ " (٤)

وقوله :

" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا " (٥)

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( الايمان بضع وستون شعبة ، أعلاها قول لا اله الا الله ، وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان ) (٦) .

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٥ .

(٢) الايمان / محمد بن اسحق بن منده ص ٣٢٥-٣٢٦ ، جـ١ ، تحقيق د . علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .

(٣) انظر العقيدة الواسطية / تقي الدين أحمد بن تيميه ص ٢٥ .

(٤) سورة الحجرات آية ١٥ .

(٥) سورة الأنفال آية ٢-٤ .

(٦) صحيح البخارى جـ١ كتاب الايمان باب أمور الايمان .. )ص ٨١، ٨٢ وصحيح مسلم جـ١ كتاب الايمان باب ١٢ بيان عدد شعب الايمان وأفضلها وأدناها حديث رقم ٥٧ وحديث رقم ٥٨ قريبا منه ص ٦٣ .

وإذا نظرنا الى العقيدة التي تعرضها سورة غافر من خلال نصوصها وجدناها ترتكز على أصول خمسة هي : الاعتقاد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهو المعنى الذى ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيميه في كتابه "الايمان" (١) ، وهذه الأصول هي المعلن عنها في آيات السورة بمصطلحها الاسلامي "الايمان" ، وعلى ذلك جاءت الآيات تستعمل لفظة الايمان ومشتقاتها : آمن ، آمنوا ، آمنا ، يؤمن ، مؤمن ، يؤمنون .

قال تعالى : " وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ " (٢)

وقال : " وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ " (٣)

وقال : " فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ " (٤)

وقال : " وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ " (٥)

وقال : " وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ " (٦)

وقال : " ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ " (٧)

---

(١) ص ٢٤٦ .

(٢) سورة غافر آية ٣٠ .

(٣) سورة غافر آية ٥٨ .

(٤) سورة غافر آية ٨٤ .

(٥) سورة غافر آية ٢٧ .

(٦) سورة غافر آية ٤٠ .

(٧) سورة غافر آية ٧ .

وهي بكل صورها هنا أتت بمعنى التصـــديق والذى ضده التكذيب ،وهو كما يرى صاحب اللسان ( الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها فاذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقـد أدى الأمانة وهو موءمن ) .(١)

وهذا هو المعنى المذكور في آيات سورة غافر التي تلتقي في دلالتها على قاعدة الأعمال وأصل الدين ،وهي عبادةالله وحده ، دون شريك والذى هو معنى التوحيد .

وهو المعنى الذى فصله شيخ الاسلام عندما شرح الايمان بأنـه تصديق وقول وعمل .(٢)

وفي ضوء ذلك ورد لفظ الايمان في السورة بمحاوره الثلاثـــة :

التصديق بالقلب :

" وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ " (٣)

والتصديق بالقول :

" فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ " (٤)

والتصديق بالعمل بالجوارح :

" وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ " (٥)

وقال :

" وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ " (٦)

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ١٣ ص ٢١ .

(٢) انظر العقيدة الواسطية ص ٢٥ .

(٣) سورة غافر آية ٢٧ .

(٤) سورة غافر آية ٨٤ .

(٥) سورة غافر آية ٤٠ .

(٦) سورة غافر آية ٥٨ .

كل ذلك كما أشرنا آنفا معتمدا على قاعدة الأعمال وأصل الدين وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخاصة أن سورة غافر قائمة على اثبات لا اله الا الله ،وهي تعالج قضية الايمان والكفر ،منبهة الى الدلائل الكثيرة على تفرده سبحانه بالألوهية اجمالا ،والتي ستتعمق الدراسة فيها من خلال البحث القادم ان شاء الله .

## المبحث الثاني :

# الإيمان بالله ( التوحيد ) وأقسامه .

وفيه ثلاثة مطالب :

*المطلب الأول* : توحيد الربوبية .

*المطلب الثاني* : توحيد الألوهية .

*المطلب الثالث* : توحيد الاسماء والصفات .

## المبحث الثانـــي

## الايمان بالله ( التوحيد وأقسامه )

( الواحد هو الذى لا يتجزأ ، ولا يثنى ، ولا يقبل الانقسام ، ولا نظير له ولا مثل. (١) والوحدة هي : الانفراد ، واذا وصف الله تعالى " بالواحد " فمعناه هو الذى لا يصح عليه التَّجُزِيء ، ولا التكثر ، فلا ثاني له ،

ولصعوبة هذه الوحدة قال تعالى :

" وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ " (٢)(٣)

وعلى هذا فالتوحيد هو الايمان بالله وحده لا شريك له .

- والتوحيد في الاصطلاح يطلق ويراد به المعنى المصدرى ، وقد يطلق ويراد به الفن المدون المسمى بهذا الاسم ، وأما الثاني فقد اختلفت عبارات القوم في تعريفه (٤) ، وليس هنا مكان بحثها وما يهمنا هنا هو المعنى المصدرى : ( وهو اعتقاد أن الله واحد لا شريك له ،

---

( ١ ) لسان العرب لابن منظور ٣ / ٤٥٠ .

( ٢ ) سورة الزمر آية ٤٥ .

( ٣ ) انظر المفردات للراغب الاصفهاني ص ٥١٤ .

( ٤ ) لم أقف أمام المعنى الاصطلاحي الثاني لكثرة اختلاف عبارات القوم حوله ، حيث أن منهم من توسع في مدلول الكلمة حتى جعلها تشمل جميع مباحث العقيدة ، سواء ما تعلق منها بالله عز وجل وصفاته ، أم بالرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام ، من حيث ما يجب لهم وما يجوز ، ويمتنع عليهم ، أم باليوم الآخر وتفصيل ما يقع فيه وجميع أخبار الغيب التي وردت في الكتاب والسنة ومنهم من يجعله قاصرا على البحث في ذات الله وصفاته ومنهم من قصره على الصفات وسماه علم الصفات ( دعوة التوحيد / هراس ص ٨ ) .

وسمى هذا العلم به تسمية له بأهم أجزائه وهي اثبات الوحدة لله في الذات ، والفعل في خلقه الأكوان ، وأنه وحده مرجع كل كون ، ومنتهى كلّ قصد ، وهذا المطلب كان هو الغاية العظمى من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كما تشهد به آيات الكتاب العزيز ) (١) الا أن هذه الوحدة كان لها متعلقات ، جعلها أقساما وتحدث عنها شارح الطحاوية فقال : ( ان التوحيد الذى دعت اليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان : توحيد في الاثبات والمعرفة ، وتوحيد في الطلب والقصد .

فالأول : هو اثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ليس كمثله شيء في ذلك كله كما أخبر به عن نفسه ، وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الافصاح ، كما في أول ( الحديد ) ، و ( طه ) ، وآخر ( الحشر ) ، وأول ( الم تنزيل السجدة ) ، وأول ( آل عمران ) ، وسورة ( الاخلاص ) بكمالها ، وغير ذلك .

والثاني : وهو توحيد الطلب والقصد ، مثل ما تضمنته سورة ( قل يا أيها الكافرون ) ، و : قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا „ (٢)

وجملة سورة الأنعام ) . (٣)

---

(١) رسالة التوحيد / الشيخ محمد عبده ص ٨ .

(٢) سورة آل عمران آية ٦٤ .

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية / ابن ابي العز الحنفي / تحقيق : جماعة من العلماء ص ٨٨ - ٨٩ .

يقول صاحب كتاب " دعوة التوحيد " معلقا : ( وواضح أن هذا التقسيم الذى ذكره شارح الطحاوية انما هو باعتبار ما يجب على الموحد ،فأحيانا يطلب منه مجرد العلم والمعرفة بعقيدة التوحيد ، وأحيانا يطلب منه توجيه القصد والارادة واخلاص العبادة لله ).(١)

أما تقسيم التوحيد باعتبار متعلقه فيذكره شارح الطحاوية في مكان آخر حيث يقول ( فان التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع :

أ - أحدها الكلام في الصفات .

ب - والثاني ،توحيد الربوبية ،وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

جـ - والثالث : توحيد الالهية ،وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له ).(٢)

( وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد ، بل كل سورة في القرآن ،فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وهو التوحيد العلمي الخبرى ،وإما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادى الطلبي (٣) وإما أمر ونهي والزام بطاعته

---

(١) دعوة التوحيد / محمد خليل هراس ص ١٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز الحنفي / تحقيق جماعة من العلماء ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) وقد تحدث عنه الامام ابن القيم في كتابه مدارج السالكين جـ١ ص ٢٥.

فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته ، واما خبر عن اكرامه لأهل توحيده وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة ، فهو جزاء توحيده ، واما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد ، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

وكذلك الله شهد لنفسه بهذا التوحيد ، وشهدت له به ملائكته ، وأنبياؤه ، ورسله ، قال تعالى :

" شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ " (١)

فتضمنت هذه الآية الكريمة اثبات حقيقة التوحيد والرد على جميع طوائف الضلال ، فتضمنت أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها من أجل شاهد بأجل مشهود به. (٢)

## دلائل السورة على التوحيد :

ان سورة غافر التي نحن بصددها في هذا البحث جاءت متضمنة لكل أنواع التوحيد ، ففيها الخبر عن الله وأسمائه وصفاته ، وهو التوحيد المأخوذ من قوله تعالى :

" حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ " (٣)

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨-١٩.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي / تحقيق جماعة من العلماء ص ٨٨، ٨٩.

(٣) سورة غافر آية ١ - ٣.

وفيها الدعوة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه ، وهو توحيد مأخوذ من قوله تعالى :

" فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ " (١)

وقوله : " هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ " (٢)

وفيها أمر ونهي والزام بطاعته وهي من حقوق التوحيد ومكملاته ، قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم :

" قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ " (٣)

وقوله : " فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ " (٤)

وقوله : " فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ " (٥)

وفيها خبر عن أهل الشرك والكفر وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب والذى هو جزاء من خرج عن حكم التوحيد ، قال تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ " (٦)

وقوله : " أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ " (٧)

---

(١) سورة غافر آية ١٤ .

(٢) سورة غافر آية ٦٥ .

(٣) سورة غافر آية ٦٦ .

(٤) سورة غافر آية ٧٧ .

(٥) سورة غافر آية ٥٦ .

(٦) سورة غافر آية ١٠-١١ .

(٧) سورة غافر آية ٢١ .

وقوله : " وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ
عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ
الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ
رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ " (١)

وقوله : الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي
أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾
مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا " (٢)

وعلى هذا فالسورة كلها في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وسيظهر تفصيل ذلك في المباحث القادمة ان شاء الله .

وقد استخدمت السورة من أجل أساس هذه القضية - قضية التوحيد - عدة طرق للاستدلال منها المنطقي ومنها الواقعي ، على أن أغلبها يمتزج فيها المنطق بالواقع المحس ، فيكونان معا منطقا مستمدا من الواقع ، قال تعالى : " اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ
تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا
وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ
فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ " (٣)

ثم تذكر السورة دليلا آخر أكثر واقعية :
" هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ
ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ " (٤)

---

(١) سورة غافر آية ٤٧ - ٥٠ .

(٢) سورة غافر آية ٧٠ - ٧٦ .

(٣) سورة غافر آية ٦١ - ٦٤ .

(٤) سورة غافر آية ٦٧ .

ومع ذلك كله هناك من يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ، ولكن القرآن لا يترك قضية التوحيد تمر هكذا بل يستمر في تقديم الأدلة ولكن لمن يسمع ويعقل :

" وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ " (١)

وتفصيل الأمر كما أشرنا آنفا سيظهر واضحا من خلال المطالب القادمة :

المطلب الأول : توحيد الربوبية .

المطلب الثاني : توحيد الألوهية .

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات .

---

(١) سورة غافر آية ٥٨ .

## المطلب الأول : توحيد الربوبية

لو جلس كل منصف الى نفسه وأخذ يفكر في أمر الكون - وهذا ما يجمل بكل عاقل أن يفعله ، معطيا لنفسه حقها من الصدق والأمانة ، من غير أن يعبث التعصب بفكره فلن يفرغ من التفكير حتى يشعر برهبة الله تملأ كل جوانبه ، وحده الله دون شريك ، أما لماذا وحده ؟؟ فلأن وحدة نظام الكون بكل ما فيه ساكنه ومتحركه ، بكل جزء فيه على حده ، ثم بكل تلك الأجزاء مجتمعة دون تفاوت هي التي تحكم بذلك والا لظهر التباين والتعارض في قوانين الكون . وحيث أنه لا تباين ولا تعارض فلا بد عقلا من أن يكون المهيمن واحداً لا يشركه في أمره شريك ، هذه النتيجة حين تتحول الى عقيدة يطلق عليها توحيد الربوبية ولكي نزيد الأمر وضوحا لا بد من معرفة مدلول كلمة " الرب " التي اشتق منها لفظ الربوبية .

ان لفظ الرب يطلق على عدة معان ، منها ( المالك ، والسيد ، والمدبر ، والمربى ، والقيم ، والمنعم ، والمعبود بحق سبحانه وتعالى )(١)
ومن هذه المعاني الكثيرة للفظ الرب اشتق اسم الربوبية ، والتي تعنى : الخلق ، والرزق ، والملك ، والسيادة ، والتربية ، والاصلاح ، والتدبير .
يقول شيخ الاسلام رحمه الله ( والرب : هو الذى يربى عبده ، فيعطيه خلقه ، ثم يهديه الى جميع أحواله من العبادة وغيرها )(٢) .

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ١ ص ٣٩٩ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله جـ١ ص ٢٢ .

ولكون الله هو الرب الحق للعالمين اختص بالربوبية دون سواه، ووجب توحيده فيها وامتنع عنه الشريك بحيث لا تصلح الربوبية لغيره، يقول شيخ الاسلام رحمه الله (والرب سبحانه وحده هو الذى لا شريك له ولا ند، بل ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولهذا لا يستحق غيره أن يسمى خالقا ولا ربا مطلقا ونحو ذلك، لأن ذلك يقتضي الاستقلال والانفراد بالمفعول المصنوع، وليس ذلك الا لله وحده).(١)

ومن هنا أصبح معنى الربوبية نفي الشريك عنه تعالى في صفات الربوبية الحقة والتي هي الخلق والرزق والملك والتدبير الذى من لوازمه المنع والعطاء والاعزاز والاذلال والاماته والاحياء.

وعقلاء الناس في كل زمان ومكان يتحاشون دائما نسب أى شيء من صفات الربوبية لغير الله تعالى الرب الحق الذى لا رب سواه ولا اله غيره، وذلك لما يعلمه الانسان العاقل ذو الفطرة السليمة من عدم صلاحية المخلوقين للاتصاف بصفات الربوبية وعجزهم عنها، لأن المخلوق لا يَخلق، والمملوك لا يَملك.

(ولكن لما وجد في الناس من ينازع في توحيد الربوبية ويجعل لغير الله عز وجل شيئا من الشركة معه في الخلق أو التدبر، لم يهمل القرآن الكريم الاحتجاج له، بل قرره أبدع تقرير)(٢) يقول شيخ الاسلام رحمه الله وتوحيد الربوبية (هذا مما لم ينازع في أصله أحد من بني آدم، وانما نازعوا في بعض تفاصيله، كنزاع المجوس، والثنويه، والطبيعية، والقدرية، وأمثالهم من ضلال المتفلسفة والمعتزلة، ومن يدخل فيهم).(٣)

---

(١) المرجع السابق نفسه جـ٢ ص ٣٥.

(٢) انظر دعوة التوحيد / د. محمد خليل هراس ص ٣٢.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جـ٢ ص ٣٨.

وسورة المؤمن - سورة مكية - كان لها وقفة رائعة لتقرر أمر الوحدانية في هذا الجانب . ( تقرر أن هذه الحقائق مسلمة من كل من في الوجود وكل ما في الوجود ، ففطرة الوجود كله مرتبطة بهذه الحقائق ، متصلة بها الاتصال المباشر الذى لا تجادل فيه ولا تماحل ، والوجود كله مقتنع بآيات الله الشاهدة بحقيقته ووحدانيته ، وما من أحد يجادل فيها الا الذين كفروا وحدهم ، شذوذا عن كل ما في الوجود وكل من في الوجود ، فهم وحدهم من بين هذا الوجود الهائل يشذون و هم وحدهم من بين هذا الخلق ينحرفون وهم أصغر وأضأل من هذا الكبر ، ومن ثم نجد الآيات توجه القلوب الى هذا الوجود الكبير ، لعل المتكبرين يتصاغرون أمام عظمة خلق الله ، وتتفتح بصائرهم فلا يكونوا عميا :

" وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) " (١)

فتراه تارة يعرض بعض آيات الله الكونية التي يمرون عليها غافلين ، وتارة يذكرهم بأنفسهم وقد صورهم فأحسن صورهم ، ليصل بهم الى دعوة الله وحده مخلصين له الدين ، وبعد ذلك يأتي العجب من أمر الذين يجادلون في الله ) . (٢)

---

(١) سورة غافر آية ٥٨ .

(٢) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٦٧-٣٠٦٩ .

## آيات الله في الكون والآفاق والأنفس

جَمَعَ الله تعالى ذكر دلالتي النفوس والآفاق في قوله تعالى :
" سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ،، (١)

( فإن الأرض والسماوات بسائر تعقيداتهما ، والحياة في شتى صورها ، وأخيرا الانسان بكل قدراته العليا ، كل هذا أشد تعقيدا من أن يتصور الانسان أنه حدث هكذا وحده أو بمحض الصدفة ، من الخالق وراء كل ذلك ) (٢) وخالق واحد فقط .
فالكون والآفاق بكل ما فيها من سماء وأرض وليل ونهار ، هذان الخلقان الكونيان وتلك الظاهرتان الكونيتان نراهما في معرض الحديث عن ( تصوير الله للبشر واحسان صورهم ومع رزق الله لهم من الطيبات ، تعرض كلها في معرض نعم الله وفضله على الناس ، وفي معرض الوحدانية واخلاص الدين لله .. فيدل هذا على ارتباط هذه الظواهر والخلائق والمعاني ، وعلى وجود الصلة بينهما ، ووجوب تدبرها في محيطها الواسع ، وملاحظة الارتباط بينهما والاتفاق ) (٣) .

( هذا التدبر والفكر هو النظر المأمور به ، وعلى ذلك درج السلف من غير ترتيب المقدمات على قانون أهل المنطق ، بل قد شهد كتاب الله على أن ذلك يفيد البيان ، حيث قال :
" سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ،، (٤) ) (٥)

---

(١) سورة فصلت آية ٥٣ .
(٢) انظر " الله يتجلى في عصر العلم " / نخبة من العلماء الأمريكيين ص ١١١ .
(٣) في ظلال القرآن / سيد قطب جـ ٥ ص ٣٠٩٢ .
(٤) سورة فصلت آية ٥٣ .
(٥) انظر ايثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق / ابن الوزير ص ٤٦ .

فاذا ما تأملنا الآيات وجدنا طرقا متعددة تدل على وجـــود الخالق ووحدانيته ،والتي منها :

طريق العناية ، فالعالم كله (اذا نظر الانسا ن الى ما فيـه من الشمس والقمر وسائر الكواكب التي هي سبب الليل والنهار ،وسبب عمارة أجزاء الأرض ،ووجود الناس ،وسائر الكائنات - وكون الأرض موافقة لسكنى الناس فيها وسائرالحيوانات ،علم على القطع أنه ليس يمكن أن تكون هـــذه الموافقة التي في جميع أجزاء العالم للانسان والحيوان والنبات بالاتفاق ،بل ذلك من قاصد قصده ،ومريد أراده ،وهو الله عز وجل) . (١)

ومما استجيد في هذا المعنى ،وتناقله السلف الصالـــح قول زيد بن عمرو بن نفيل (٢) رحمه الله تعالى :

---

(١) انظر فلسفة ابن رشد / ابن رشد الأندلسي / تصحيح ومراجعة عبد الجواد عمران ص١٠٩.

(٢) هو زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوى ،والد سعيد بن زيـــد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ،كان زيد يتعبد في الفترة قبل النبوة على دين ابراهيم ،ويوحد الله ،ويعيب على قريش الذبح على الأنصاب ويقول : يا معشر قريش ،ما أصبح منكـــم أحد على دين ابراهيم غيرى ، وينهى قريشا عن الزنا ،لأنه يورث الفقر ،وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ؟ فقال : " يبعث يوم القيامة أمة وحده " توفي قبل النبوة ورثاه ورقـــة ابن نوفل ، قال ابن حجر : ذكره البغوى وابن منده في الصحابة وفيه نظر ،لأنه مات قبل البعثة بخمسين سنة ( انظـــر : الاصابة ١/٥٦٩ ، تهذيب الأسماء ١/٢٠٥).

رضيتُ بك اللهم رباً فلن أرى

أدينُ الها (١) غيرك اللهُ ثانيـا (٢)

وأنت الذى من فَضلٍ مَنٍّ ورَحْمَـة

بَعَثت الى موسى رسولاً مناديـا

فقلت له : يا اذهب (٣) وهارون فادعوا

إلى الله فرعون الذى كان طاغيـا

وقولا له أأنت سوّيت هـذه

بلا وتد حتى اطمأنّت كما هيـا ؟

وقولا له : أأنت رفعت هـذه

بلا عمد ؟ أرفِق (٤) إذاً بِك بانيـا !

وقولا له : أأنت سوّيت وسطهـا

منيراً اذا ما جنّه الليل هاديـا ؟

وقولا له : من يُرسل الشمس غُدوةً

فيصبح ما مسّت من الأرض ضاحيا

وقولا له : من يُنبِت الحبّ في الثرى

فيصبح منه البَقْل يهتزّ رابيـا

ويخرُج منه حبّه في رؤوسـه

وفي ذاك آيات لمن كان واعيـا (٥)

---

(١) أدين الـها : أى أدين لاله ، وحذف اللام وعدى الفعل لأنه في معنى أعبد الاها .

(٢) غيرك الله ، يريد : يا ألله .

(٣) يا اذهب : على حذف المنادى كأنه قال : ألا يا هذا اذهب .

(٤) ارفق : فعل التعجب ( انظر السيرة النبوية جـ١ ص ٢٤٢-٢٤٣ ) .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام / تحقيق مصطفى السقا وآخر جـ١ ص ٢٤٢- ٢٤٣ .

**أولا : من آيات الله في الكون والآفاق :**

آيات الله في الكون والآفاق كثيرة جدا ، ونحن لا نستطيع أن نوفيها حقها في هذه العجالة ، وانما نقف في المكان الذى وقفت عنده سورة غافر فنقتصر الأمر على آيتي السماء والأرض ، وظاهرتي الليل والنهار .

**أ - بالنسبة لآيتي السماء والأرض :**

يقول الله تعالى في سورة غافر :

" ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ " (١)

**السماء :**

هي احدى الآيات التي تدل على خلق الله ، وأنه وحده الخالق ، وأول ما يرد ذكرها نجد سؤالا يفرض نفسه - كيف تقف السماء بأحجامها وأوزانها الهائلة في الفضاء بهذا التوازن العجيب ؟

فيجيبنا القرآن :

" ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا " (٢)

---

(١) سورة غافر آية ٦٤ .

(٢) سورة الرعد آية ٢ .

كما يقول سبحانه :

" إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا " (١)

ويجيب العلم بقوله :لم يعرف الانسان مقدار ارتفاع السماء الا بعد كشفه عن مواقع بعض النجوم ، فيعرف أن السماء مرتفعة وليست قريبة كما يظن النظر المجرد ) (٢) ، وهذا الامساك يحصل بقوة الجاذبية التي شاهد العلماء آثارها ، وأحصوا أطوارها ، ومسوا سطوحها ، ولم يسبروا أغوارها ، وعرفوا قوانينها ونواميسها ، ولم يعرفوا مدى أسرارها . يقول الشيخ "نديم الجسر" : ( الحق ما قالوا ، فالجاذبية حق ، وقوانينها المحسوبة المتزنة المتناسبة المحكمة الدقيقة حق ، ولكن هل يكون القانون الدقيق المحكم أثرا من آثار المصادفة العمياء ) (٣) ؟؟

" وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ " (٤)

وهذه حجة أجمع عليها الكفرة مع المسلمين ، ( فقد ثبت بضرورة العقل أن الثقيل لا يستمسك في الهواء الا بممسك ، وأن هذا الامساك الدائم لا يكون بما لا يعقل من الرياح كما زعمت الفلاسفة ،

---

(١) سورة فاطر آية ٤١ .

(٢) كتاب توحيد الخالق / عبد المجيد الزنداني جـ٣ ص ٥٧ .

(٣) قصة الايمان / نديم الجسر ص ٣١١ .

(٤) سورة الزمر آية ٦٧ .

على أن الرياح تحتاج الى خالق يخلقها ،ثم مدبر يقدرها مستوية الأنفاس ،موزونة القوة ، لا يزيد منها شيء على شيء حتى تعتدل اعتدالا أتم من اعتدال الفاعل المختار ،فلو قصد الاعتدال التام حتى يستوى على رأسه جفنة مملوءة ماءلم يستطع الاعتدال الا برياضة شديدة ،فكيف تعتدل عواصف الرياح و تقع موزونة حتى يستوى عليها ثقل الأرض والجبال من غير رب واحد عظيم قدير عليم مدبر حكيم ) (١) خاصة ( و قد أثبت التقدم العلمي أن أجرام السماء كأحجار في بناء واحد يشد بعضه بعضا ،ويقوم كل عطى الآخر ،فاذا اختل النظام في جرم أو أجرام اختل البناء كله ) (٢) حقا ( فالسموات تشهد بجلال الله ،وإحكامها يدل على بديع صنعته ). (٣)

## أما الأرض :

اذا نظرت الى الأرض وكيف خلقت رأيتها من أعظم آيات فاطرها ومبدعها ( فأرضنا التي مَنَّ الله علينا في آيات كثيرة بخلقها ، وذكّرنا بما في هذا الخلق من دلائل القصد والحكمة والنظام هي السيار الوحيد الذى جعله الله صالحا للحياة (٤) فقربها من الشمس معتدلا ،

-------------------------

(١) انظر ايثار الحق على الخلق / ابن الوزير ص ٥٣- ٥٤.

(٢) كتاب توحيد الخالق / عبد المجيد الزنداني ص٥٧.

(٣) الله يتجلى في عصر العلم / نخبة من العلماء الأمريكيين ص ٤٦.

(٤) والحقيقة أن هناك سبع سيارات كبارا أخرى هي : (عطارد ،الزهرة ،المريخ ،المشترى ، زحل ،أورانوس ، نبتون ، بلوتو ) ،منها ما هو أقرب للشمس من أرضنا ،و منها ما هو أبعد

===

والحرارة التي تصل اليها معتدلة ،وكثافتها تفوق كثافة كل السيارات ، حتى الشمس وجاذبيتها معتدلة ودورتها اليومية معتدلة وكافية لاحداث نهار وليل معتدلين صالحين للسعي والراحة ،ودورتها السنوية معقولة وكافية لاحداث فصول معتدلة صالحة للحياة )[1] ( خلقها الله سبحانه فراشا ومهادا ،وذللها لعباده ،وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم ،وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم، وأرساها بالجبال فجعل لها أوتادا تحفظها لئلا تميد بهم ،ووسع أكنافها ،ودحاها[2] فمدها وبسطها ،وطحاها[3] فوسعها من جوانبها وجعلها كفاتا[4] للأحياء تضمهم على ظهرها ما داموا أحياء وكفاتا للأموات تضمهم في بطنها اذا ماتوا ،فظهرها وطن للأحياء ، وبطنها وطن للأموات ، وقد أكثر تعالى من ذكر الارض في كتابه ، ودعا عباده

---

=== ومنها ما هو أكبر من أرضنا ،ومنها ما هو أصغر ،ومنها ما هو أسرع من أرضنا دورانا حول الشمس وحول محوره ،ومنها ماهو أبطأ ، وكلها لا تصلح للحياة لأسباب فصل فيها علم الفلك ولا مجال لذكرها هنا ،ولمزيد من المعلومات حول هذا الجانب راجع قصة الايمان / نديم الجسر ص ٣١٦ ومابعدها الطبعة الثالثة لعام ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م وكتاب طريق الايمان / سميح عاطف الزين ص ٥٠-٥٣ / الطبعة التاسعة لعام ١٩٨٣م.

(١) قصة الايمان / نديم الجسر ص٣١٧-٣١٨.

(٢) دحا الشيء بسطه ووسعه ،يقال دحا الله الارض أي بسطها ووسعها (انظر المعجم الوسيط ١/٢٧٣).

(٣) طحاها : الطحو كالدحو وهو بسط الشيء والذهاب به ( انظر المفردات ص ٤٣٣ ).

(٤) الكفت : القبض والجمع ،والارض كفاتا ،أي تجمع الناس أحياءهم وأمواتهم ( انظر المفردات ص ٤٣٣ ).

(*)
الى النظر والتفكر في خلقها ، فقال تعالى : " قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ "

وقال : " ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا " (١)

وقال :

" ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا " (٢)

وقال :

" وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ " (٣)

وهذا كثير في القرآن ) . (٤)

ب - وأما بالنسبة لليل والنهار :

فيقول تعالى في سورة غافر : " ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ " (٥)

يقول الامام ابن القيم من قبل مئات السنين حول هذا الجانب ( ان من آياته سبحانه وتعالى الليل والنهار وهما من أعجب آياته وبدائع مصنوعاته ، ولهذا يعيد الله ذكرهما في القرآن ويبديه ،

---

( * ) سورة يونس آية ١٠١ .

( ١ ) سورة غافر آية ٦٤ .

( ٢ ) سورة البقرة آية ٢٢ .

( ٣ ) سورة الذاريات آية ٤٨ .

( ٤ ) انظر مفتاح دار السعادة /ابن القيم / جـ١ ص ١٩٩-٢٠٠ ، وقد كانت للشيخ الزنداني حفظه الله وقفة دقيقة متسائلة أمام هذه الآية ملخصا فيها الأدوات والوسائل التي أعدت بها الأرض لتصلح للحياة ( انظر كتاب التوحيد جـ٣ ص ٢٨-٣١ وكتابه توحيد الخالق جـ٣ ص ٤٨-٤٩ ، ٥٧ ، وانظر كتاب العلم يدعو للايمان كريس موريسون ترجمة محمود صالح الفلكي ص ٥١ ومابعدها ، وكتاب الله يتجلى في عصر العلم لنخبة من العلماء الامريكيين ، ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان ص ٦-١٠ .

( ٥ ) سورة غافر آية ٦١ ، ٦٢ .

كقوله تعالى :
" وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ " (١)

وقوله :
" وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ " (٢)

و هذا كثير في القرآن ،فانظر الى هاتين الآيتين وما تضمنتاه من العبر والدلالات على ربوبية الله وحكمته كيف جعل الليل سكنا ولباسا يغشى العالم فتسكن فيه الحركات وتأوى الحيوانات الى بيوتها والطير الى أوكارها ،وتستجم فيه النفوس وتستريح من كد السعي والتعب ، حتى اذا أخذت منه النفوس راحتها وسباتها وتطلعت الى معايشها وتصرفها جاء فالق الاصباح سبحانه وتعالى بالنهار يقدم جيشه بشيرا لصباح . فهزم تلك الظلمة ومزقتها كل ممزق ،وكشفها عن العالم فاذا هم مبصرون ) . (٣)

وبعد كل تلك السنين يتقدم العلم الحديث ليقول : ( ان النوم سنة حيوية وضرورة يعتمد عليها الانسان كأى كائن حي لراحة جسمه وفكره وقلبه ، حتى يستطيع متابعة حياته بعزيمة ونشاط متجددين . أما كيفية حدوثه فقد دامت أبحاث العلم والطب وقتا طويلا لتجد تعليلا لظاهرة النوم ،وإيجاد تفسير لما يحدث في النوم ،الا أن أسرار ذلك

---

(١) سورة فصلت آية ٣٧ .
(٢) سورة الفرقان آية ٤٧ .
(٣) انظر مفتاح/دار السعادة /ابن القيم جـ١ ص ٢٠٣- ٢٠٤ .

النهائية لم تكشف حتى الآن وإن كان العلماء قد عدوا أن ما وصلوا اليه من العلم من اعتبار أن النوم طرح روحي موءقت نصر ما بعده نصر ) (١) .

( وفي الحقيقة يعتبر النوم مهما جدا للكائن الحي ، لأنه قد تبين أن الجسيمات العصبية الموجودة داخل الخلية العصبية لها علاقة بالتعب والراحة ، حيث وجد أنها تنقص وتميل الى الاختفاء في التعب والمجهود الفكرى ، ولكنها في الراحة والنوم ترجع كما كانت .

ولذا فلا عجب اذا كان الانسان يقضي ما يقرب من عشرين سنة من حياته في النوم ، لأن ثلث العمر يمضي في النوم ، وكما أن العضلات ترجع الى طبيعتها بالراحة كذلك فإن راحة الجهاز العصبي هي النوم ) (٢) ومن هنا كان الفرق كبيرا بين نوم الليل ونوم النهار حيث ( اكتشف أخيرا أن الغدة الصنوبرية في الدماغ تقوم بإفراز مادة " الميلاتونين " ويزداد افراز هذه المادة في الظلام ، بينما يثبط الضوء افرازها ، وقد وجد أن للميلاتونين تأثيراً مباشراً على النوم ، والظلمة بما يرافقها من سكون الليل تهيء للانسان أحسن الظروف للسكن والراحة . وهكذا تظهر نواميس الحياة التي تهيمن على حركة الكون والخلق وهي منطلقة من مصدر واحد ، وموجه واحد ، ومسير واحد ، وتبدو حركة الشمس والقمر ، ويبدو تعاقب الليل والنهار مسخرات لخدمة هذا الانسان ،

---

(١) انظر كتاب القرآن والعلم الحديث / عبد الرزاق نوفل ص ٩٦-١٠١ ، مع الطب في القرآن الكريم عبد الحميد دياب وآخر ، ص ١٠٤-١٠٧ ، الطب محراب الايمان ، خالص حلبي ج١ ص ١٤٥-١٥٠ .

(٢) انظر الطب محراب الايمان ، خالص جلبي ج١ ص ١٤٦-١٤٧ .

قال تعالى : " وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ " (١)

كما نبه القرآن على أهمية تعاقب الليل والنهار أو الظلام والضياء حين دعا الى التأمل في حقيقة ما لو كان الليل سرمدا أو كان النهار سرمدا :

" قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ " (٢) (٣)

فهذه الآيات كلها تظهر مرتبطة متناسقة كما رأينا ، ( ومن ثم يذكرها القرآن في مكان واحد من سورة غافر ، بهذا الترابط ، ويتخذ منها برهانه على وحدانية الخالق ، ويوجه في ظلها القلب البشرى الى دعاء الله وحده مخلصا له الدين ، ويقرر ان الذى يصنع هذا و يبدعه بهذا التناسق هو الذى يليق أن يكون الها وحده وهو الله رب العالمين ، فكيف يُعرض الناس عن هذا الحق الواضح المبين ). (٤)

---

(١) سورة ابراهيم آية ٣٣-٣٤.

(٢) سورة القصص آية ٧١-٧٣.

(٣) أنظر مع الطب في القرآن الكريم / عبد الحميد دياب ، أحمد قرقوز / ص ١٠٠-١٠٧.

(٤) في ظلال القرآن / سيد قطب ج٤ ص ٣٠٩٢.

## ثانيا : من آيات الله في الأنفس

يقول تعالى في سورة غافر : " وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ " (١)

ثم نجده سبحانه في آية أخرى من سورة غافر نفسها ، يزيد الأمر وضوحا وتفصيلا فيما يتعلق بموضوع الأنفس فيقول سبحانه :

" هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ " (٢)

أما الآية الأولى ، فشواهدها كثيرة على أن الانسان في أفضل وأحسن وأكمل صورة كما قال سبحانه :

" لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ " (٣)

( فالانسان اذا ما نظرنا الى أبعاده أو شكله أو تركيبه الداخلي أو تراكيب أعضاءه الخارجية نجده حقا في أحسن تقويم ). (٤)

أما كيف أصبح في مرحلة أحسن تقويم - مرحلة حسن الصورة فالقرآن يقص علينا قصتها في آيات ( تحوى على ايجازها أهم أطوار تخلق الجنين في بطن أمه ، وهي ( النطفة ، والعلقة ، والمضغة ومرحلة تخلق الأجهزة ، ثم الخلق الآخر ) ، هذه الأطوار التي استخدم لها

---

(١) سورة غافر آية ٦٤- ٦٥.

(٢) سورة غافر آية ٦٧- ٦٨.

(٣) سورة التين آية ٤.

(٤) انظر القرآن والعلم الحديث / عبد الرزاق نوفل ص ١١٩- ١٢٢.

القرآن ألفاظا لم يستطع العلم الحديث الا أن يستخدمها ، وبذلك نجد أن الآيات القرآنية قد جاءت اضافة لاعجازها العلمي باعجاز بلاغي فريد ومدهش ) (١) وهي - أى الايات القرآنية - تقص علينا رحلة الانسان التي تبدأ من التراب وتنتهي الى التراب :

" هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ " (٢)

كما يقول سبحانه أيضا في آية أخرى :

" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ " (٣)

وفي آية ثالثة يقول :

" وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا " (٤)

وفي آية رابعة يقول :

" وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ " (٥)

وفي الآيات السابقة اشارة الى أن أصل الانسان ومعدنه الأساسي هو من طينة هذه الأرض ومن معدنها ، وهذا ما يتضح من التحليل المخبرى اذ يقررانه لو أرجعنا الانسان الى عناصره الأولية لوجدناه أشبه بمنجم صغير ، يشترك في تركيبه حوالي (٢٢) عنصرا ، كلها موجودة في تراب الأرض ، لا تبلغ في القيمة سوى ما يعادل أربعين قرشا (٦) ولكن السر لا يكمن في نوعية المواد ، وانما يكمن في كيفية

---

(١) انظر مع الطب في القرآن الكريم / د. عبد الحميد دياب / أحمد قرقوز ص ٨٠ .

(٢) سورة غافر آية ٦٧ .

(٣) سورة الروم آية ٢٠ .

(٤) سورة الفرقان آية ٥٤ .

(٥) سورة المؤمنون آية ١٢ .

(٦) اربعين قرشا بالعملة السورية تعادل حاليا : ٨ قروش سعودى تقريبا .

تركيب هذه المواد بعضها الى بعض ) [١] في جسم الانسان في أطواره المختلفة والتي أشار اليها القرآن في سورة غافر ( ليتخذ - أى القرآن - من هذه الحياة مقدمة لتقرير الحياة كلها بين يدى الله ، فهذه النشأة فيها ما لم يدركه علم الانسان ،لأنها كانت قبل وجود الانسان ،وفيها ما يشاهده ويراقبه ولكن هذا انما تم حديثاً بعد نزول القرآن بقرون ) [٢] ( فالناظر اليوم في هذه الايات البينات وهو يضع نصب عينيه حقائق القرن العشرين عن علم الأجنة يشعر بأن الله تبارك وتعالى انما خصه هو بهذه الآيات لأنها تخاطبه باللغة التي يتباهى بها اليوم ) [٣] . ولم يكرر سبحانه على أسماعنا وعقولنا ذكر هذا لنسمع فقط لفظ النطفة والعلقة والمضغة ،ولا لنتكلم بها فقط ،ولا لمجرد تعريفنا بذلك ،بل لأمر وراء ذلك كله هو المقصود بالخطاب واليه جرى ذلك الحديث .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله ( فانظر الى النطفة بعين البصيرة وهي قطرة من ماء مهين ضعيف مستقذر ، لو مرت بها ساعة من الزمان فسدت وأنتنت ،كيف استخرجها رب الأرباب من بين الصلب والترائب الى أن ساقها الى مستقرها ومجمعها ،وكيف جمع سبحانه بين الذكر

---

(١) انظر مع الطب في القرآن الكريم ، عبد الحميد دياب ،أحمد قرقوز ص ٢٧-٣ ، الطب محراب الايمان ، خالص حلبي جا ص ٥٩ .

(٢) في ظلال القرآن / سيد قطب جه ص ٣٠٩٥ .

(٣) مع الطب في القرآن الكريم ص ٨٠ .

والأنثى وألقى المحبة بينهما ،وكيف قادهما بسلسلة الشهوة والمحبة الى الاجتماع الذى هو سبب تخليق الولد وتكوينه ، وكيف قدر اجتماع ذينك الماءين في موضع واحد جعله لهما قرارا مكينا لا يناله هواء يفسده ولا برد يجمده ولا آفة تتسلط عليه ) (١) .

ويقول العلم الحديث عن هذه النطفة ( ان الله حين قال في كتابه : " فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ " (٢) قدم فيها دعوة بل أمرا الى دراسة ما خلق منه الانسان ،وهي النطفة التي هي خلية حية ، وبالرغم من صغرها فهي كيان عضوى معقد أشد التعقيد ، وتعقيدها الظاهرى شديد جدا ،أما تعقيدها الحقيقي فأشد ، كما يقول أحد كبار الأطباء العالميين وهو الدكتور " الكسيس كاريل " الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة ، وفي اللحظة التي يتم فيها الاخصاب تقرر هذه الخلية الصغيرة- بتسخير من الله - بدقة تامة نوع المخلوق البشرى الذى يجرى انتاجه ،حتى لون عينيه وتموجات شعره ،وان العلم ما زال قاصرا عن ادراك الأسباب والدوافع التي تدفع بالبويضة الى أن تتخلص من نصف مادتها بعد أن تبلغ درجة النضج وتصل الى الرحم ،وأن يتخلص الحيوان المنوى كذلك من نصف ما به ،حتى اذا اتحد النصفان كونا خلية واحدة صغيرة بالغة من الصغر حدا كبيرا ،اذ يبلغ وزنها خمسة عشر جزءا من عشرة ملايين جزء من الجرام ) (٣) .

---

(١) مفتاح دار السعادة / ابن القيم جـ١ ص ٢٠٣ .

(٢) سورة الطارق آية ٥ .

(٣) انظر القرآن والعلم الحديث / عبد الرزاق نوفل ص ١١٤-١١٥ .

ويذكر الامام ابن القيم المرحلة الثانية من مراحل تكوين الجنين فيقول ( ثم انظر كيف قلب تلك النطفة البيضاء المشربة علقة حمراء تضرب الى سواد ). (١)

ويقول العلم الحديث : ( ما ان يتم التحام النطفة بالبييضة حتى تباشر البييضة الملقحة بالانقسام وهي في طريقها الى الرحم لتعلق هناك ، وتستمر عملية العلوق مدة أربع وعشرين ساعة ، وبذلك تنتهي مرحلة تشكل العلقة ، ولا يدرك روعة التصوير القرآني لهذه المرحلة "بالعلقة" الا من شاهد تلك الكتلة الخلوية وهي عالقة علوقا - وليس التصاقا - وسبحان من : " خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ " (٢) ) (٣)

(ثم جعلها مضغة لحم مخالفة للعلقة في لونها وحقيقتها وشكلها ) (٤) وهي المرحلة الثالثة ( وتحمل بداخلها مرحلتين ، مرحلة المضغة غير المخلقة حيث لم يتشكل فيها أى عضو أوجهاز ، ومرحلة المضغة المخلقة حيث يتم فيها تمييز الأجهزة المختلفة عن طريق الوريقات الثلاث ، والتي تحمل كل منها زمرة خلايا تأخذ كل واحدة على عاتقها تشكيل واحد من أجهزة الجسم أو أعضائه ، وذلك في اطار من التكامل والتنسيق بين هذه الأجهزة وهي تنمو وتتطور ليكون الانسان في أحسن تقويم ، وتنتهي عملية التخلق في نهاية الشهر الثالث تقريبا ، فسبحان الله ، من الذى

---

(١) مفتاح دار السعادة / ابن القيم جـ١ ص ٢٠٣ .

(٢) سورة العلق آية ٢ .

(٣) انظر مع الطب في القرآن الكريم / عبد الحميد دياب / أحمد قرقوز ص ٨٠ - ٨١ .

(٤) مفتاح دار السعادة / ابن القيم جـ١ ص ٢٠٤ .

دفع هذه الخلايا المتماثلة الضعيفة لتعطي كل هذا من مراكز التفكير والشعور والابداع ؟ انه الأمر الذى حير وما زال يحير كل علماء الدنيا حتى يعلموا أن المبدع والموجه في هذه الحياة هو الله ) (١) ،

( ثم جعلها - أى المضغة - عظاما مجردة لا كسوة عليها مباينة للمضغة، ثم انظر كيف قسم تلك الأجزاء المتشابهة المتساوية الى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار واليابس واللين وبين ذلك في القرآن الكريم ثم كيف ربط بعضها ببعض أقوى رباط وأشَدَّه وأبْعَدَه عن الانحلال ،وكيف كساها لحما ركبه عليها وجعله وعاء لها وغشاء وحافظا وجعلها حاملة له مقيمة له ،فاللحم قائم بها وهي محفوظة به ،وكيف صورها فأحسن صورها وشق لها السمع والبصر والفم والأنف وسائر المنافذ ، ومد اليدين والرجلين وبسطها وقسم رؤوسها بالأصابع ثم قسم الأصابع بالأنامل ، وركب الأعضاء الباطنية من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والأمعاء كل واحد منها له قدر يخصه ومنفعة تخصه ) (٢) ( وبهذا الاستعراض السريع نجد أن تلك المضغة قد أخذت بُعداً آخر ،اكتسبت فيه قدرة على الحركة ،وابتدأ بها القلب بالنبضان بلا توقف ،ولهذا البعد أشار القرآن بعد عرضه لسلسلة أطوار تخلق الجنين حيث قال :

" ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ) (٣)

وقد وقف السياق - في سورة غافر - عند بعض مراحل خلق الانسان

-------------------

(١) انظر مع الطب في القرآن الكريم / عبد الحميد دياب / احمد قرقوز ص ٨٢.

(٢) مفتاح دارالسعادة / ابن القيم جـ١ ص ٢٠٤ .

(٣) مع الطب في القرآن الكريم ص ٨٤.

البارزة ( مرحلة الطفولة ، ثم بلوغ الأشد حوالي الثلاثين ، ثم الشيخوخة ، وهي المراحل التي تمثل أقصى القوة بين طرفين من الضعف ، ومنكم من يتوفى من قبل أن يبلغ هذه المراحل جميعا أو بعضها :

" وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى "

مقدرا معلوما لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون " ولعلكم تعقلون " فمتابعة رحلة الجنين، ورحلة الوليد وتدبر ما تشير اليه من حسن الخلق والتقدير مما للعقل فيه دور كبير .

ورحلة الجنين ورحلة الطفل بعدها كلتاهما توقع على الحس البشرى وتلمس القلب الانساني في أى بيئة وفي أى مرحلة من مراحل الرشد العقلي ، وكل جيل يحس لهذه اللمسة وقعها على طريقته وحسب معلوماته ، فيخاطب القرآن بها جميع أجيال البشر ، فيحسون ، ثم يستجيبون أو لا يستجيبون ، وهو يعقب عليها بعرض حقيقة الاحياء والاماتة ، وحقيقة الخلق والانشاء جميعا :

" هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ " (١) (٢)

وختاما هذا ما كان من أمر الربوبية في ضوء سورة غافر ، الا أننا وقبل الانتقال / الى مابعدها نؤكد حقيقة هامة وهي أن توحيد الربوبية

---

(١) سورة غافر آية ٦٨.

(٢) في ظلال القرآن / سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٩٦.

وحده لا يكفي لتحقيق معنى التوحيد المطلوب شرعا ، لأن مجرد اعتقاد أن الله هو رب كل شيء وخالقه ومليكه وأنه المدبر للأمور جميعا لا يكفي وحده ، فهذا اما كان يقر به المشركون الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتالهم ،فلا بد إذاً أن يكون مع ذلك توحيد الالوهية الذى هو الغاية العظمى من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

يقول ابن تيمية ( ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم الى الرب قبل علمهم بحاجتهم وفقرهم الى الاله المعبود وقصدهم اياه لدفع حاجاتهم العاجلة قبل الآجلة ،كان اقرارهم بالله من جهة ربوبيته أسبق من اقرارهم به من جهة ألوهيته ،وكان الدعاء له والاستعانة به والتوكل عليه فيهم أكثر من العبادة له والانابة اليه ،ولهذا انما بعث الرسل بدعوتهم الى عبادة الله وحده لا شريك له الذى هو المقصود المستلزم للاقرار بالربوبية ،وقد أخبر عنهم أنهم :

"وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ" (١)

وانهم اذا مسهم الضر ضل من يدعون الا اياه وقال :

"وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ" (٢)

فأخبر أنهم مقرون بربوبيته ) . (٣)

---

(١) سورة الزخرف آية ٨٧.

(٢) سورة لقمان آية ٣٢.

(٣) التوحيد / لابن تيمية / ص ١٠٦.

ويقول في موضع آخر ( فأما توحيد الربوبية الذى أقر به الخلق وقرره أهل الكلام ،فلا يكفي وحده بل هو من الحجة عليهم وهذا معنى ما يروى " يا ابن آدم خلقت كل شيء لك وخلقتك لي / فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له " ) (١) .

---

(١) المرجع السابق نفسه / لابن تيمية / ص ٧٥ .

## المطلب الثاني: توحيد الألوهيـــة

( الإله مأخوذ من أَلِه يأْلَه اذا تحير العبد في عظمة اللـه ، وأصل إلٰه : وِلاَه فقلبت الواو همزة فصارت إله ومعنى وِلاه : أن الخلق يَوْلَهون اليه في حوائجهم كما يوله الطفل الى ثدى أمـه عند احساسه بالجوع ) (١) ( اذ الإلـه هو الذى يؤله له فيعبـد محبة وانابة واجلالاً واكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعـاً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً ) (٢).

وتوحيد الالوهية : هو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، وافراده وحده بالعبادة كلهـا ، وإخلاص الدين لله وحده ، وهذا الأخير يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما (٣) لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصاف الكمال ، وجميع أوصاف الربوبية والعظمة . فانه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال ، ولما أسداه الى خلقه من الفواضل والافضال ، فتوحده تعالى بصفـات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه. (٤)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور / جـ١٣ ص ٤٦٨.

(٢) انظر كتاب التوحيد / ابن تيمية ص ٧٣ ، اغاثة اللهفان / ابن القيم جـ١ ص ٢٧ .

(٣) هذه العبارة جاءت بناء على ما ورد في كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ترتيب لأنواع التوحيد ، فجعل أولهم توحيد الأسماء والصفات ، ثم توحيد الربوبية ، ثم توحيد الالوهيـة .

(٤) كتاب التوحيد / محمد بن عبد الوهاب ص ١٤.

وقال صاحب كتاب عقيدة المسلمين ( توحيد الألوهية هو توحيد الله تعالى بأفعال العباد التي تعبدهم الله بها كالنحر ، والنذر ، والدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرغبة والرهبة ، والانابة ، والخشوع والخشية ، والاستعاذة ، والاستعانة ، والاستغاثة ، وغير ذلك من أنواع العبادة التي شرعها الله ، وأمر بها عباده ، فيجب صرفها لمن يستحقها وهو الله جل وعلا ).(١)

ومقصود دعوة الرسل من أولهم الى آخرهم الدعوة الى هذا التوحيد وأن الله ما خلق الخلق الا لعبادته والاخلاص له ، وأن ذلك حقه الواجب المفروض عليهم ، فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل دعوا الى هذا التوحيد ونهوا عن ضده من الشرك ، وخصوصا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا القرآن الكريم ، فانه أمر به ، وفرضه ، وقرره أعظم تقرير وبينه أعظم بيان وأخبر أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة الا بهذا التوحيد وأن جميع الأدلة العقلية والنقلية والنفسية أدلة وبراهين على الأمر بهذا التوحيد ووجوبه ).(٢)

---

(١) عقيدة المسلمين / صالح بن ابراهيم البليهي جـ١ ص ٣٢٩-٣٣٠.

(٢) كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد / الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٤ و ١٥. وقد وجدت لهذا الكتاب شروحات كثيرة مفيدة قام بها نخبة من العلماء الأفاضل منهم حفيد المصنف " سليمان بن عبدالله بن محمد " وسماه تيسير العزيز في شرح كتاب التوحيد و" الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب والذى اختصر الشرح وهذبه وجعله " غاية المطالب ونهاية المآرب " وله مسمى آخر

===

وقال شارح الطحاويه مؤكدا على هذا النوع من التوحيد أنه أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك الى الله ) (١).

قال تعالى :
" وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ) (٢)

وقال تعالى :
" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ " (٣)

ومن الأحاديث التي تعبر عن خصائص الألوهية أصدق تعبير، وتبين لنا أن الملك والخلق والتقدير لله وحده لا شريك له ما رواه أبو ذر جندب بن جناده (٤) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

=== آخر وهو " فتح المجيد " شرح كتاب التوحيد ، ثم جاء تلميذه " حمد بن علي بن محمد بن عتيق " فجمع كتاب إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد فكان كالعجالة لطالب العلم، وهناك أيضا " إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد " للشيخ عبد الرحمن بن حمد بن محمد الجطيلي ".

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي ص ٧٤.

(٢) سورة النحل آية ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء آية ٢٥.

(٤) هو الصحابي جندب بن جنادة بن سفيان ، الغفارى الحجازى ، أبو ذر ، اختلف في اسمه ، كان من السابقين الى الاسلام ، ورجع الى قومه باذن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم هاجر الى المدينة وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي ، وكان زاهدا استقلا من ===

فيما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : "يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ... يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادى : لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا أدخل البحر ، يا عبادى انما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ". (١)

( وقد أثبت الله لذاته المقدسة الوحدانية في عشرات المواضع من آياته ) (٢) ولهذه الأهمية ومن منطلقها نجد القرآن قد سلك الى هذا المطلب الأعظم أساليب متعددة يجدها القارئ

---

=== الدنيا ، قوالا للحق ، صادق اللهجة . وكان يوازى ابن مسعود في العلم ، توفي بالربذة سنة ٣٢هـ ( انظر ترجمته في الاصابة ٦٣/٤ ) الاستيعاب ٦١/٤ ، تهذيب الأسماء ٢٢٩/٢ ، شذرات الذهب ٣٩/١ ، حلية الأولياء ١٥٦/١ ، ٣٥٢ ) .

(١) أخرجه مسلم جـ ١٦ كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم حديث رقم ٥٥ ص ١٣١ - ١٣٤ . كما أخرجه الامام أحمد في مسنده جـ٥ ص ١٦٠ ( قريبا منه ) .

(٢) انظر عقيدة المسلمين / صالح بن ابراهيم البليهي ص ٣٣١ ، ٢٤١ .

غي كـل القـــــــرآن ، فكان لسورة غافر حظ عظيم والتي منها :

١ - سوق آيات الربوبية في الخلق والتدبير ، والملك ، والحفظ ، والرعاية والاحسان والرحمة ، وجعل ذلك دليلا على الوحدة في الألوهية ) (١)
( والقرآن كله تذكير بآلاء الله ) (٢) ، وفي الصفحات السابقة خير شاهد شارح لذلك .

٢ - التنديد بما يتخذه الناس آلهة من دون الله ، واظهار حالها من العجز والتشنيع والفقر البالغ والغفلة عمن يدعوها ويفزع اليها كقوله تعالى في سورة غافر على لسان مؤمن آل فرعون :

" وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ
بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾
لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ
مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ " (٣)

ومما يزيد هذه الآيات وضوحا قوله تعالى :

" أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ
﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ
يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ
ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ " (٤)

---

(١) دعوة التوحيد د . محمد خليل هراس ص ٣٩ ، وانظر اغاثة اللهفان / ابن قيم الجوزية جـ٢ ص ١٣٥ .

(٢) الحسنة والسيئة / تقي الدين ابن تيمية ص ٧٢ - ٧٣ .

(٣) سورة غافر آية ٤١ - ٤٣ .

(٤) سورة الأعراف آية ١٩١ - ١٩٥ .

( فهذا انكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأوثان ، وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة لا تملك شيئا من الأمر ، ولا تضر ، ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تنتصر لعابديها ، بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم ، وبطشهم ، بل الأمر أشد من ذلك ولا يقتصر على اله واحد من معبوداتهم بل ان جميع تلك الالهة لو اجتمعت عن آخرها لخلق أحقر شيء وهي الذبابة لما استطاعوا خلقها ، بل لو سلبتهم الذبابة شيئا من حقير المطاعم وطارت لما استطاعوا انقاذه منها ، قال تعالى :

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ " (١)

وبعد ذلك ، فمن هذه صفته وحاله كيف يعبد ليرزق ويستنصر؟ (٢) ( فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزا ، والعاجز لا يصلح أن يكون الها ، قال تعالى : (٣)

" أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ " ) (٤)

( بل ان هذه الالهة لا تفرق بين من دعاها ومن دحاها كما قال " ابراهيم " عليه السلام :

" يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ " (٥)

---

(١) سورة الحج آية ٧٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٢٧٦ .

(٣) سورة النحل آية ١٧ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي ص ٨٧ .

(٥) سورة مريم آية ٤٢ .

وكما كان "معاذ بن عمرو بن الجموح" و"معاذ بن جبل" (١)
رضي الله عنهما يفعلان وكانا شابين قد أسلما لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فكانا يعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتلفانها ويتخذانها حطبا للأرامل ليعتبر قومهما بذلك ويرتؤا لأنفسهم ، وكان "لعمرو بن الجموح" (٢) وكان سيدا في قومه صنم يعبده ويطيبه ، فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه ويلطخانه بالعذرة ،فيجي عمرو بن الجموح فيرى ما صنع به فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفا ويقول له انتصر،ثم يعودان لمثل ذلك ويعود الى صنيعه أيضا حتى أخذاه مرة فقرناه مع كلب ميت ودلياه في حبل في بئر هناك ، فلما جاء "عمروبن الجموح" ورأى ذلك نظر فعلم أن ما كان عليه من الدين باطل وقال :

تالله لوكنت الها مستدن
لم تك والكلب جميعا في قرن

---

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس ،أبوعبد الرحمن الصحابي الأنصارى الخزرجي ،الامام المقدم في علم الحلال والحرام قال أبونعيم عنه "امام الفقهاء ،وكنز العلماء" ، شهد العقبة وبدرا والمشاهد وكان أفضل شباب الأنصار حلما وحياء وسخاء ،أمره النبي صلى الله عليه وسلم على اليمن ولاية القضاء ، قدم من اليمن في خلافة أبي بكر ،ولحق بالجهاد والجيش الاسلامي في بلاد الشام ، وكانت وفاته بالطاعون سنة ١٧ أو ١٨هـ ( انظر ترجمته في الاصابة ٤٢٦/٣ ،صفة الصفوة ٤٨٩/١ ، تهذيب الأسماء ٩٨/٢ ).

(٢) هو عمروبن الجموح بن زيد بن حرام السلمي ،كان سيد قومه ، شهد أحدا واستشهد بها ( انظر ترجمته في الاصابة ٢٢/٢ ، صفة الصفوة لابن الجوزى ٦٤٣/١ ومابعدها ).

ثم أسلم فحسن اسلامه ،وقتل يوم أحد شهيدا ،رضي الله عنه وأرضاه ،وجعل جنة الفردوس مأواه )[١].

ففي هذه الآيات السابقة بيان شاف لحال هذه الآلهة الباطلة من العجز والمهانة ،حتى أنها أقل شأنا من عابديها ،لا تملك ما يملكون من أسماع وأبصار وقوى العقل والارادة والبيان ، فكيف إذاً تصلح للالهية ، ومن هنا كان لا بد من توحيد الله ، ( فيجب افراده، واخلاص العمل له في كل أنواع العبادة ،قال تعالى :

" فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ "[٢] )[٣]

٣ - ومنها التشنيع بحال العابدين لهذه الالهة الباطلة ،ورميهم بالضلال والسفه حيث رضوا لأنفسهم أن يعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ،ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ،ولا تغني شفاعتهم عنهم شيئا ،وهو لأ شأنهم كما قال تعالى :

" لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ "[٤]

وللتأكيد على أن مدار الأمر كله هو التوحيد ( قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ( له دعوة الحق ) أى التوحيد وقال" ابن عباس" و" قتادة " و" مالك " عن "محمد بن المنكدر" ( له دعوة الحق ) لا اله الا الله .

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٢ ص ٢٧٦.

(٢) سورة غافر آية ١٤.

(٣) عقيدة المسلمين / صالح بن ابراهيم البليهي جـ١ ص ٢٤١.

(٤) سورة الرعد آية ١٤.

فنجد القرآن يعجب من حال هؤلاء العابدين لتلك الآلهة الباطلة ويرميهم بالسفه ، يقول علي بن أبي طالب " مثلهم كمثل الذى يتناول الماء من طرف البئر بيده ، وهو لا يناله أبدا فكيف يبلغ فاه ؟ " وقال " مجاهد " (١) " كباسط كفيه يدعو الماء بلسانه و يشير اليه فلا يأتيه أبدا ".

و معنى الكلام كما يقول " ابن كثير " رحمه الله " ان الذى يبسط يده الى الماء اما قابضا و اما متناولا له من بعد ، انه لا ينتفع بالماء الذى لم يصل الى فيه الذى جعله محلا للشرب ، فكذلك هؤلاء المشركين الذين يعبدون مع الله الها غيره لا ينتفعون بهم أبدا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولهذا قال تعالى :

" وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝٥٠ " (٢) (٣)

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد في الدنيا بل انهم ( ينادون يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتلظون وذلك عندما باشروا من عذاب الله تعالى ما لا قبل لأحد به فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة التي كانت

---

(١) هو مجاهد بن جبر المكي المخزومي مولاهم ، أبو الحجاج ، الامام التابعي الشهير ، قال النووى : " اتفق العلماء على امامته وجلالته وتوثيقه ، وهو امام في الفقه والتفسير والحديث توفي سنة ١٠٣هـ وقيل غير ذلك ( انظر ترجمته في : تهذيب الأسماء واللغات ٢/٨٣ ، شذرات الذهب ١/١٢٥ .

(٢) سورة غافر آية ٥٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٢ ص ٥٠٧ ، وانظر التذكرة / القرطبي ص ٤٨٨-٤٩٢ .

سبب دخولهم الى النار ، فأخبرتهم الملائكة عند ذلك " اخبارا عاليا بأن مقت الله لهم في الدنيا حين كان يعرض عليهم الايمان فيكفرون أشد من مقتكم أيها المعذبون أنفسكم اليوم في هذه الحالة ، قال " قتادة " : نعم ان مقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الايمان في الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوه أكثر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة ) (١) ، قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ۚ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ " (٢)

٤ - ومنها : ( تصوير ما سيكون يوم القيامة بين العابدين والمعبودين ، وبين الأتباع والمتبوعين من التبرؤ والمعاداة وتنصل المعبودين من جناية هؤلاء العابدين ، وانكارهم أن يكون لهم يد في اضلالهم وشركهم ) (٣) قال تعالى : " وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ " (٤)

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٤ ص ٧٢ .

(٢) سورة غافر آية ١٠-١٢ .

(٣) دعوة التوحيد / محمد خليل هراس ص ٤٣ .

(٤) سورة غافر آية ٤٧-٥٢ .

هذه صورة لتلك المحاجاة في النار ،والخصام ( حيث يقول الضعفاء وهم الأتباع للذين استكبروا وهم القادة والسادة والكبراء إنا أطعناكم فيما دعوتمونا اليه في الدنيا من الكفر والضلال فهل أنتم تحملون قسطا من العذاب ؟ فيرد عليهم المستكبرون في محاولة للتنصل : إنا لا نتحمل عنكم شيئا كفى بنا ما عندنا وما حملنا من العذاب والنكال ، فالله قد قسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا ، ولم يجدوا أمامهم الا سجانيهم في النار فتوجهوا اليهم يدعون لهم الله تعالى أن يخفف عنهم ولو يوما واحدا من العذاب ،فيقول لهم الخزنة أوما قامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل ؟؟ إذاً فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم ونحن منكم براء ).(١)

ويقول الله تعالى في موضع آخر من سورة غافر :

" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ".(٢)

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ج٤ ص ٨٣ ، ثم انظر وقفة سيد قطب أمام هذه الايات في كتابه "مشاهد القيامة في القرآن" ص ١٦١ - ١٦٦ ، يقظة أولى الاعتبار / صديق حسن خان / تحقيق أحمد حجازى السقا ص ١٠٧-١٥٢.

(٢) سورة غافر آية ٦٩- ٧٦.

يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتحقير والتصغير والتهكم والاستهزاء بهم " أين ما كنتم تشركون من دون الله " أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله ، هل ينصرونكم اليوم ؟؟ قالوا : ذهبوا فلم ينفعونا " بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا " أى جحدوا عبادتهم كقوله جلت عظمته :

" ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ " (١)

وفي هذا الشأن يقول تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ (٢)

٥ - ومنها ( بيان انفراده سبحانه بما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا يكون الها الا من اتصف بها ، وذلك لأن الإله يجب أن يكون كاملا حائزا لجميع صفات الكمال ، فإن النقص مناف للالهية ، فاذا ثبت اختصاصه سبحانه بهذه الأسماء والصفات دل ذلك على تفرده بالالهية ) . (٣)

وذلك مثل قوله تعالى :

" وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ " (٤)

وقوله في آية الكرسي : " اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ " (٥)

---

(١) سورة الأنعام آية ٢٣ .

(٢) سورة البقرة آية ١٦٥ - ١٦٧ .

(٣) دعوة التوحيد / محمد خليل هراس ص ٤٥ .

(٤) سورة البقرة آية ١٦٣ .

(٥) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

وقوله تعالى : " هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾
هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ
ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ " (١)

وسيأتي المزيد من الحديث والتوضيح حول هذه النقطة في البحث القادم ان شاء الله .

## كيف تحقق توحيد الألوهية من خلال سورة غافر :

اذا كان توحيد الألوهية يقوم على صرف جميع العبادات لله (٢) والاخلاص فيها بغير شائبة توجه بشيء منها الى غيره أصلا فقد وجدنا الكثير من هذه النماذج في سورة غافر على لسان موسى عليه السلام وعلى لسان مؤمن آل فرعون الذى توجه لربه وحده بالحب .. والخوف .. والاخلاص .. والتوكل .. والصبر .. والدعاء .. والاستعاذة .. والاستغاثة . فهذا موسى عليه السلام يتوجه بالاستعاذة لله تعالى وحده فيقول سبحانه على لسانه :

" وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ " (٣)

( أى لما بلغه قول فرعون : " ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ " (٤)

---

(١) سورة الحشر آية ٢٢- ٢٣ .

(٢) سواء منها العبادات القلبية كالحب والخوف والاخلاص والتوكل والصبر ، أو العبادات القولية كالدعاء والذكر والتسمية والاستعاذة والاستغاثة والحلف ، أو العبادات البدنية كالجهاد بالنفس والصلاة والصيام والحج والعمرة ، أو العبادات المالية كالزكاة وصدقة التطوع والنذر والذبح . وهذه العبادات بتفاصيلها يجدها القارىء في كتاب " مدارج السالكين / ابن القيم جـ١ ص ١٠٩ ومابعدها .

(٣) سورة غافر آية ٢٧ .

(٤) سورة غافر آية ٢٦ .

قال موسى عليه السلام : استجرت بالله وعذت به من شره وشر أمثاله ومن كل متكبر عن الحق ، مجرم لا يؤمن بيوم الحساب )(١) (قالها موسى واطمأن وسلم أمره الى المستعلي على كل متكبر ،القاهر لكل متجبر القادر على حماية العائذيـن به من المستكبرين ،مشيرا الى وحدانية الله ربه وربهم ،لم ينسها أويتركها أمام التهديد والوعيد )(٢).

وهذا كما يقول ابن القيم رحمه الله ( علامة توحيد الالهية في القلب )(٣).

ثم نرى مؤمن آل فرعون يضرب لنا نموذجا للخوف حين يتحول الى عباده : فهو لم يخف من بأس فرعون -رغم بطشه وجبروته ، بل وقف أمامه حين قال :

( ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ )

وقف أمامه بعد أن أخذته غضبة لله وقال :

" أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ "(٤)

يقول ابن كثير رحمه الله : ( ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون )(٥) الا أننا نجده في موضع آخر يخاف كأشد ما يكون الخوف حين يقول:

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص٧٧.

(٢) في ظلال القرآن / سيد قطب جـ٥ ص٣٠٧٨.

(٣) مدارج السالكين جـ١ ص٤١١.

(٤) سورة غافر آية ٢٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص٧٧.

" يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا " (١)

وقولـه :

" يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝٣٠ " (٢)

وقولـه :

" وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢ " (٣)

فهو لم يعرف للخوف معنى حين كان الأمر متعلقا بغير الله - فرعون وجنوده - بل أقدم عليه في الكلام كأشد ما يكون الإقدام ، أما حين كان الأمر متعلقا بالله فقد كان ذلك المؤمن خائفا كأشد ما يكون الخوف وفي حسه قوله تعالى :

" وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٥ " (٤)

يقول ابن القيم رحمه الله ما معناه : ( حين يتقدم خوف الله في القلب جميع المخوفات ،فتتساق المخاوف كلها تبعا لخوفه ، فهذا علامة توحيد الالهية في هذا القلب ) . (٥)

ثم نرى في موضع آخر من السورة صورة لذلك القلب بعد أن تغلغل فيه حب الله والاخلاص له - وهي صورة لا نراها الا في قلوب الرسل . عليهم السلام ومن سار على دربهم :

" وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ۝٤٢ " (٦)

---

(١) سورة غافر آية ٢٩ .
(٢) سورة غافر آية ٣٠ .
(٣) سورة غافر آية ٣٢ .
(٤) سورة الأنفال آية ٢٥ .
(٥) مدارج السالكين جـ١ ص ٤١١ بتصرف .
(٦) سورة غافر آية ٤١ - ٤٢ .

صورة القلب بعد أن يملأه الرجاء في الله والثقة به :

" لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ " (١)

يقول شيخ الاسلام مشيرا الى المعنى السابق:فهذا التوحيد -توحيد الالهية - يتضمن فعل المأمور و ترك المحظور .. فيقتضى أن لا يسأل العبد غيره ،ولا يتوكل الا عليه ، ولا يستعين الا به ). (٢)

وهذا هو مقام العبادة والاستعانة علما وحالا .. والتي ثبّت فيها مؤمن آل فرعون قدمه ، مرتقيا من توحيد الربوبية ، صاعداً الى توحيد الألوهية (فاذا به يتيقن أن الضر والنفع ، والعطاء والمنع ، والهدى والضلال ،والسعادة والشقاء كل ذلك بيد الله لا بيد غيره ،وأنه الذى يقلب القلوب ويصرفها كيف يشاء ،وأنه لا موفق الا من وفقه وأعانه ،ولا مخذول الا من خذله وأهانه وتخلى عنه ،وأن أصح القلوب وأسلمها وأقومها وأرقها وأصفاها وأشدها وألينها من اتخذه وحده الها ومعبودا ،فكان الله أحب اليه من كل ما سواه ،وأخوف عنده من كل ما سواه ،وأرجى له من كل ما سواه .. وهذا علامة توحيد الألوهية في ذات القلب ،والباب الذى دخل اليه منه توحيد الربوبية ،أى باب توحيد/الالهية ،هو توحيد الربوبية ). (٣)

---

(١) سورة غافر آية ٤٣-٤٥.

(٢) الحسنة والسيئة / تقي الدين ابن تيمية ص ١٢٦.

(٣) انظر مدارج السالكين ،ابن القيم / تحقيق محمد حامد الفقي ج١ ص ٤١١ " بتصرف ".

## المطلب الثالث : توحيد الأسماء والصفـــات

( ومن الايمان بالله ، الايمان بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريــف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل نؤمن بأن الله سبحانــه : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ " (١)

فلا يُنفى عنه ما وصف به نفسه ، ولا يُحرِّف الكلم عن مواضعه ، ولا يُلحــد في أسماء الله وآياته ، ولا يُكيِّف ، ولا يُمثِّل صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي ولا كفء ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه أعلم بنفسه وبغيره ، وأصدق قيلا ، وأحسن حديثا من خلقه ، ثم رسله صادقون مصدقون ) (٢) كما يؤكد ذلك ابن تيمية رحمه الله في فتاواه حيث قال ( ومذهب السلف : أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، من غير تكييف ولا تمثيل ، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي ، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه ، لا سيما اذا كان المتكلم أعلم الخلــــق بمـــا يقول ، وأفصح الخلق في بيان العلم ، وأفصح الخلق في البيان والتعريـــف والدلالة والارشاد ) (٣) بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ، ولهذا قال : " سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ " (٤)

ولهذا يقول ابن قدامة (٥) ( وكل ما جاء في القرآن ، أو صح عـــن

---

(١) سورة الشورى آية ١١.

(٢) شرح العقيدة الواسطية / ابن تيمية ص ١٧-٢٤.

(٣) مجموع الفتاوى جـ٥ ص ٢٦.

(٤) سورة الصافات آية ١٨٠-١٨٢.

(٥) هو عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي موفق الدين أبو محمد أحد الأئمة الأعلام. قال ابن النجار : "كان ثقة حجة نبيلا ، غزير الفضل ، كامل العقل ، شديد التثبت ، دائم

===

المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجب الايمان به ، وتلقيه بالتسليم والقبول ، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل وما أشكل من ذلك وجب اثباته لفظا ، وترك التعرض لمعناه ، و نرد علمه الى قائله ، ونجعل عهدته على ناقله ، اتباعا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه :

" وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا " (١)

وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله :

" فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ " (٢)

ولذلك قال الامام أبو عبد الله أحمد بن حنبل (٣) رضي الله عنه في قول النبي صلى الله عليه وسلم إن الله ينزل الى سماء الدنيا (٤) أو إن الله

---

=== السكوت ، حسن السمت ورعا عابدا على قانون السلف ، على وجهه النور ، وعليه الوقار والهيبة .. الخ " وقد ألف التصانيف النافعة ، توفي سنة ٦٢٠ هـ ( انظر ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة ٢/١٣٣ ومابعدها ، شذرات الذهب ٥/٨٨ ) .

(١) سورة آل عمران آية ٧ .

(٢) سورة آل عمران آية ٧ .

(٣) هو الامام الجليل أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي أحد الأئمة الأربعة الأعلام ولد ببغداد ونشأ بها ، وطلب العلم وسمع الحديث فيها ، وسافر في سبيل العلم أسفارا كثيرة فضائله ومناقبه وخصاله لا تكاد تعد ، توفي سنة ٢٤١ هـ . ( انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٤/٤١٢ ، وفيات الأعيان ١/٤٧ حلية الأولياء ٩/١٦١ ) .

(٤) فتح البارى جـ١١ كتاب الدعوات باب ١٤ " الدعاء نصف الليل" ===

يرى في القيامة (١) وما أشبه هذه الأحاديث ، نؤمن بها ونصدق بها ، ولا نرد شيئا منها ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ، ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه ، بلا حد ولا غاية :

" لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ " (٢)

وقال الامام الشافعي (٣) رضي الله عنه : آمنت بالله ، وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله ، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله .

---

=== حديث رقم ٦٣٢١ ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، جـ ١٣ كتاب التوحيد باب ٣٥ قول الله تعالى " يريدون أن يبدلوا كلام الله " حديث رقم ٧٤٩٤ ص ٤٦٤ / صحيح مسلم بشرح النووي جـ٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها " صلاة الليل مثنى مثنى .." ص ٣٦-٣٩ قريبا منه .

(١) فتح الباري جـ١٣ باب قول الله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " حديث رقم ٧٤٣٤ ، ٧٤٣٩ ص ٤١٩-٤٢١ ، صحيح مسلم جـ١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب ٣٧ " فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما " حديث رقم ٢١١-٢١٢ ص ٤٣٩-٤٤٠ .

(٢) سورة الشورى آية ١١ .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن شافع القرشي المطلبي ، الامام الجليل ، صاحب المذهب المعروف والمناقب الكثيرة ، توفي سنة ٢٠٤ هـ ( انظر ترجمته في تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٤٤ ، طبقات الشافعية للسبكي ١/ ١٩٢ ، شذرات الذهب ٢/ ٩ ، وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٥ ، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٩٨ ) .

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم كلهم متفقون على الاقرار والإصرار والاثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله ) .(١)

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله ( وتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها ، وهو الكيف المجهول الذى قال فيه السلف - كمالك وغيره - الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، فالاستواء معلوم - يُعلم معناه ويُفسَّر ويُترجم بلغة أخرى - وهو من التأويل الذى يعلمه الراسخون في العلم ، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذى لا يعلمه الا الله تعالى ) .(٢)

وما دام هذا هو نهج السلف فقد أمرنا باقتفاء آثارهم والسير على منوالهم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ".(٣)

---

(١) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ص ٤ - ٨ وقد صدر عن مؤسسة الرسالة شرح لتلك اللمعة للشيخ محمد صالح العثيمين سماه شرح لمعة الاعتقاد الهادى الى سبيل الرشاد .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ٥ ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) أخرجه الامام أحمد جـ٤ ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، سنن أبي داود ، كتاب السنة / باب في لزوم السنة جـ٤ ص ٢٠١ قريبا منه / سنن الترمذى / كتاب العلم باب ١٦ " ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع جـ٥ ص ٤٤ حديث رقم ٢٦٧٦ " قريبا منه " وقال عنه الترمذى : حديث حسن صحيح / سنن ابن ماجه / مقدمه / باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين حديث رقم ٤٣٠٤٢ جـ١ ص ١٥ ، ١٦ " قريبا منه " ، سنن الدارمي ، مقدمة باب ١٦ " باب اتباع السنة " جـ١ ص ٤٤ " قريبا منه " .

## مظاهر هذا النوع من التوحيد من خلال السورة :

حين نتلو آيات سورة غافر نجدها تقف بنا للتعريف ببعض صفات الله ( وهي مجموعة من الصفات ذات علاقة موضوعية بمحتويات السورة كلها وقضاياها ، فالعزة ، والعلم ، وغفران الذنب ، وقبول التوب ، وشدة العقاب ، والفضل ، والإنعام ، والعلو ، والكبر ، والقهر ، والسمع والبصر ، ووحدانية الالوهية ، ووحدانية المصير والمرجع ، كلها تتعلق بتلك المعاني (١) ). التي تتحدث عنها سورة غافر ، والتي يدور رحاها حول معنى العبودية لله رب العالمين .

يقول ابن القيم رحمه الله ( والأسماء الحسنى ، والصفات العلا مقتضية لآثارها من العبودية ، فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع ، والعطاء والمنع ، والخلق والرزق ، والإحياء والاماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنا ، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرا . وعلمه بسمعه تعالى وبصره ، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأنه يعلم السر وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه ، وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضى الله ، بل يصبح تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه ، فيثمر له ذلك الحياء باطنا ، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح .

وعلمه بغناه ، وجوده ، وكرمه ، وبره ، واحسانه ورحمته ، تثمر له سعة الرجاء .

وعلمه بجلال الله وعظمته ، وعزه ، تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة .

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب جـ ٤ ص ٣٠٦٨ .

وعلمه بكماله ، وجماله ، وصفاته العلى يوجب له المحبة .

وبذلك فقد رجعت العبودية كلها الى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها ) (١) .

وفي هذا الاطار ، ومن هذا المنطلق جاءت أسماء الله وصفاته موزعة بين آيات سورة غافر ، بعد أن تصدرتها بقوله تعالى :

" حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝ " (٢)

( أما العزيز : فهو الذي يَقهر ولا يُقهر ، وأما كونه عليما ، فهذا وصف في حق الله : الذي لا يخفى عليه شيء ) (٣) .

يقول " ابن كثير " في ذلك : العزيز العليم ( ذو العزة والعلم ، فلا يرام جنابه ، ولا يخفى عليه الذر وإن تكاثف حجابه ) (٤) .

وغافر الذنب : ( فالغفران ، والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب والغافر والغفور في وصف الله الذي يعفو عن الذنوب ، فيغفر ما سلف ، بما يعلمه سبحانه من استحقاقهم للغفران ) (٥) .

( قابل التوب : يقبل التوبة في المستقبل لمن تاب اليه وخضع لديه .

شديد العقاب : الذي يدمر على المستكبرين ، ويعاقب المعاندين ممن تمرد منهم وطغى وآثر الحياة الدنيا وعتى عن أوامر الله تعالـــى

---

(١) مفتاح دار السعادة جـ٢ ص ٩٠ .
(٢) سورة غافر آية ١ - ٣
(٣) انظر المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٣٣٢ .
(٤) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٧٠ .
(٥) انظر المفردات / الاصفهاني ص ٣٦٢ / تفسير القرآن العظيم ابن كثير جـ٤ ص ٧٠ .

وبغى من الذين لا يتوبون ولا يستغفرون ) .(١)

ذى الطول : ( الطول :(خص به الفضل والمن ) (٢) ( وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : ذى الطول : يعني السعة والغنى ، وكذا قال مجاهد وقتادة (٣) ،وقال يزيد بن الأصم (٤) : ذى الطول ، يعني الخير الكثير ،والمعنى أنه المتفضل على عباده ، المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والانعام التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها .

لا اله الا هو : أى لا نظير له في جميع صفاته ،فلا اله غيره ، ولا رب سواه . اليه المصير : فيجازى كل عامل بعمله ) .(٥)

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٧١ ، في ظلال القرآن / سيد قطب جـ٤ص ٣٠٦٨ .

(٢) المفردات / الأصفهاني ص ٣١٢ .

(٣) هو قتادة بن دِعَامة أبو الخطاب ،السدوسي ،البصرى ،الأكمه ، التابعي أجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه واتقانه وفضله ، قال سعيد بن المسيب " ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة " وكان عالما بالتفسير واختلاف العلماء ،واماما في النسب ،ورأسا في العربية وأيام العرب ،توفي بواسط في الطاعون سنة ١١٧ هـ (انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ١٢٢/١ ، تهذيب الأسماء ٥٧/٢ ، طبقات المفسرين ٤٣/٢ ،وفيات الأعيان ٢٤٨/٣ ، حلية الأولياء ٣٣٣/٢ ).

(٤) هو عمرو بن عبيد البكائي الكوفي ،نزيل الرقة ،ذكره ابن حبان في الثقات مات سنة احدى ومائة وقيل غير ذلك ،وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ( انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣١٣/١١ ، تقريب ٣٦٢/٢ ) .

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ ٤ ص ٧١ .

وتقف بنا سورة غافر بين الحين والآخر عند العديد من أسماء الله وصفاته ، ولكل منها مكانها المناسب ، والذى يعطي لذلك الاسم وتلك الصفة معنى ، يجعل المؤمن يعرف الله عن طريقه فيعبده عن علم ومعرفة .

قال تعالى : " وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ " (١)

وقوله : " إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ " (٢)

فالآيتان قد ختمتا بصفتي السمع والبصر ، الا أن في الآية الأولى بياناً لعلة الشريك الذى لايستطيع أن يقضي بشيء ، وكيف يقضي والقضاء من الزم صفاته السمع والبصر حتى لا يقع الظلم وهي - أى الآلهة - لا تسمع ولا تبصر فجاءت هاتان الصفتان منسوبتين لله في موقعهما الطبيعي والمناسب ، تنسب لله سمعا وبصرا يليقان بجلاله .

وفي الثانية : كان الحديث عن الكبر الذى في الصدور ، والذى له تفاعلات يسمعها الله ، وله مظاهر يبصرها سبحانه ، والكبر يقع من صاحبه دون أن يعترف صاحبه أنه تكبر ، بل يجادل ويمارى ليقنع من حوله أن الدافع له على ذلك هو الحق ، فناسب أن يقول له القرآن ، اذا كنت قد موهت على بعض من حولك مداريا على ما تحمله نفسك فإن الله سميع بصير .

ثم ينتقل بنا المقام الى موضع من السورة تختم آياته بصفتي العزة والحكمة ، قال تعالى على لسان الملائكة : " رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ " (٣)

---

(١) سورة غافر آية ٢٠ .
(٢) سورة غافر آية ٥٦ .
(٣) سورة غافر آية ٨ .

( وانما ذكروا في دعائهم هذين الوصفين لأنه لو لم يكن عزيزا بل كان بحيث يغلب ويمنع ، لما صح وقوع المطلوب منه ، ولو لم يكن حكيما لما جعل هذا المطلوب على وفق الحكمة والمصلحة ) (١) فقولهم : " إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ " (٢)

( أي الملك الذي لا يغلب فأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا الا بداعي الحكمة ) (٣) وهذا ما ينبغي أن يدركه العبد عن ربه .

وحين تختم الآيات في موضع آخر بصفتي العلو والكبر في قوله تعالى : " ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ (٤) "

( فانهما تجيئان هنا لتصب في جانب التحذير ، وبث شاعر الخوف من كل ما يحدث ، بايثار صفتي " العلي ، والكبير " بالذكر هنا ، لأن معناهما مناسب لحرمانهم من الخروج من النار ، فالعلي بمعنى شرف القدر وكماله ، ومن جملة ما يقتضيه ذلك تمام العلم وتمام العدل ، فلذلك لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة والعدل ، والكبير ، يقتضي منه الغنى عن الجور ) (٥) .

وفي ظل هذا المشهد تستطرد السورة الى شيء من صفة الله تناسب موقف الاستعلاء وبالتالي استحقاقه أن يتوجه اليه بالدعاء وحده

---

(١) التفسير الكبير / الرازي جـ٢٧ ص ٣٧ .

(٢) سورة غافر آية ٨ .

(٣) الكشاف / الزمخشري جـ٣ ص ٤١٧ .

(٤) سورة غافر آية ١٢ .

(٥) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ١٠٢ .

مخلصين له الدين " هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ "(١)

وفي ذلك يقول صاحب التحرير والتنوير ( وتجيء صفتا الوحدانية والقهر هنا بالذات لأن لمعنييهما مزيد مناسبة بقوله ( لمن الملك اليوم ) حيث شوهدت دلائل الوحدانية لله وقهره جميع الطغاة )(٢).

ومن هنا كان الاستعلاء الذى يظهر واضحا في اليوم الذى ( يتضاءل فيه المتكبرون ، وينزوى المتجبرون ، ويقف الوجود كله خاشعا والعباد كلهم خضعا ، ويتفرد مالك الملك الواحد القهار بالسلطان ، وهو سبحانه متفرد به في كل آن ، فأما في هذا اليوم فيكشف هذا للعيان بعد انكشافه للجنان ، ويعلم هذا كل منكر ويستشعره كل متكبر وتصمت كل نأمة(٣) وتسكن كل حركة ، وينطلق صوت جليل رهيب ، يسأل ويجيب ، فما في الوجود كله يومئذ من سائل غيره ، ولا مجيب " لمن الملك اليوم ؟ ؟ لله الواحد القهار " )(٤).

ومن تلك الصفات تتضح صلته بعباده ، وصلة عباده به ، تتضح في مشاعرهم وتصوراتهم وادراكهم فيعرفون كيف يعاملونه في يقظة ،

---

(١) سورة غافر آية ١٣-١٦.

(٢) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ١١٢.

(٣) النأمة : النغمة والصوت وأسكت الله تعالى نأمته : أى أماته ( انظر القاموس المحيط مادة : نأم جـ٤ ص ١٧٩ ) دارالفكر ، بيروت .

(٤) في ظلال القرآن / سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٧٣.

وفي حساسية ، وفي ادراك لما يغضبه وما يرضيه ( وقد كان أصحاب العقائد الأسطورية يعيشون مع الهتهم في حيره ، لا يعرفون عنها شيئا مضبوطا ، ولا يتبينون ماذا يسخطها ، وماذا يرضيها ، ويصورونها متقلبة الأهواء غامضة الاتجاهات ، شديدة الانفعالات ، و يعيشون معها في قلق دائم ، و يتحسسون مواضع رضاها بالرقي والتمائم والضحايا والذبائح ولا يدرون سخطت أم رضيت الا بالوهم والتخمين !

فجاء الاسلام واضحا ناصعا يصل الناس بالههم الحق ، ويعرفهم بصفاته ؛ و يبصرهم بمشيئته ، ويعلمهم كيف يتقربو ن اليه ، وكيف يرجو ن رحمته ، ويخشون عذابه ، على طريق واضح ماضٍ مستقيم ).(١)

---

(١) المرجع السابق نفسه جـ٥ ص ٣٠٦٩.

# المبحث الثالث :

# الإيمان بالملائكة .

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مطالب :

التمهيد : معنى الإيمان بالملائكة .

المطلب الأول : جانب من وظائفهم في السماء والذي اقتصر على حملة العرش .

المطلب الثاني : جانب من عباداتهم بعد إثبات حقيقة إيمانهم وهي التسبيح بحمد الله .

المطلب الثالث : جانب من وظائفهم في الأرض والذي اقتصر على الدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم .

## المبحث الثالث

## الايمان بالملائكـــــــــة

**تمهيد : معنى الايمان بالملائكة :**

لفظ الملائكة مشتق من الملك بضم اللام والملك من ذلك لأن معنى الملك الرسول والايمان بالملائكة ركن من أركان العقيدة الاسلامية ،ومعناه (الاعتقاد والاقرار الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور ، وأنهم لايعصون الله ما أمرهم ،وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله القيام بها )[١] سواء منهم الملائكة الذين وردت أسماؤهم في الكتاب أو في السنة بالتفصيل (كجبريل وميكائيل واسرافيل -رؤساؤهم الثلاث )[٢] أوالملائكة الذين لم يرد ذكرهم والذين يجب أن نؤمن بهم بصورة اجمالية ،ونؤمن بما ذكر من أوصافهم ،وأفعالهم في القرآن والسنـــــة (هذه المعاني تحدث عنها الامام البيهقي[٣] في "شعب الايمان" حين قال (والايمان بالملائكة ينتظم في معان :

أحدها : التصديق بوجودهم .

والثاني : انزالهم منازلهم ،واثبات أنهم عباد الله وخلقـــــه كالانس والجن ، ،مأمورون ،مكلفون لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه ،

---

(١) الأسئلة والأجوبة الأصولية / عبد العزيز المحمد السلمان ص ٢٥ .

(٢) اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان / ابن قيم الجوزية جـ٢ ص ١٢٧ .

(٣) هو أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردى الشافعي ، الحافظ صاحب التصانيف ومنها السنن الكبرى والصغرى ،توفى سنة ٤٥٨هـ (انظر شذرات الذهب ٣/ ٣٠٤- ٣٠٥ ) .

والموت عليهم جائز ، ولكن الله تعالى جعل لهم أمدًا بعيدًا فلا يتوفاهم حتى يبلغوه ، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى اشراكهم بالله تعالى ، ولا يدعون آلهة كما دعتهم الأوائل ) .(١)

وقد قال تعالى في صفة عقيدة المؤمنين :

" ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ "(٢)

كما أن هناك الكثير من الأحاديث التي تنص على وجوب الايمان بهم والتي منها ما جاء في الحديث المشهور الذى أخرجه مسلم عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه والبخارى " عندما سأل جبريل عليه السلام عن الايمان فقال صلى الله عليه وسلم :أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره " .(٣)

يثبت هذا في الوقت الذى يثبت فيه ضلال من كفر بهم ، فإنكار وجودهم يعد كفرا باجماع المسلمين بل ينص على ذلك القرآن العظيم ، قال تعالى :

" وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ "(٤)

وقد اقتضت حكمة الله أن يسخر الملائكة لكثير من الوظائف الثابتة في القرآن الكريم والسنة الشريفة سواء ما يتعلق منها / بعبادة الله تعالى ، أو بالكون

---

(١) الحبائك في أخبار الملائك / السيوطي / تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ص ٩ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١ ص ١٥٧ ، واخرج البخارى نحوه عن أبي هريرة في صحيح البخارى مع فتح البارى جـ١ ص ٩٦-٩٧ ، سبق تخريجه كاملا .

(٤) سورة النساء آية ١٣٦ .

أو بالانسان خاصة وهذا ما أشار اليه الامام البيهقي في " شعب الايمان " وهو يتحدث عن المعنى الثالث والأخير من حقائق الايمان بالملائكة فقال : ( والثالث : الاعتراف بأن منهم رسلا يرسلهم الى من يشاء من البشر وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض ، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش ، ومنهم الصافون ، ومنهم خزنة الجنة ، ومنهم خزنة النار ، ومنهم كتبة الأعمال ، ومنهم الذين يسوقون السحاب ، وقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره ). (١)

ولقد كان لسورة غافر نصيب ومشاركة حول هذا الجانب العقدي ، وهي مشاركة جاءت لتؤدي غرضها في مكانها ، وهي تتلخص في نقطتين والله أعلم.

النقطة الأولى : الملاحظ أن الجو العام لسورة غافر مشحون بمعركة حامية بين الحق وأتباعه والباطل وأتباعه .. والذين لا ينقصهم شيء فهم مكتملون قوة وعتادا وملكا ودولة ، وأهل الحق في ذلك الوقت قلة مستضعفة ... فذكر الملائكة في السورة جاء مطمئنا لأصحاب ذلك الحق ، وتلك هي الغاية ، فهم ليسوا وحدهم ، بل معهم ملائكة السماء ، الحافين بالعرش ، يدعون ربهم ليتكرم على عباده المؤمنين / بالمغفرة بعد اعلانهم ايمانهم بربهم ، فإذا اجتمع أهل الكفر والجدال على كفرهم وجدالهم فقد اجتمع أهل الايمان على ايمانهم ، وما يتبع ذلك من دعاء لإخوة الايمان بالمغفرة والنعيم والفلاح .

---

(١) الحبائك في أخبار الملائك / السيوطي / تحقيق بسيوني زغلول ص ٩ - ١٠.

النقطة الثانية : أنهم بحكم رابطة الايمان - لأن حملة العرش ومن حوله هم من بين القوى المؤمنة في هذا الوجود - فبحكم هذه الرابطة كان من حقها عليهم أن يذكروا المؤمنين من البشر عند ربهم ، ويستغفرون لهم ، ويستنجزون وعد الله اياهم.

قال تعالى : " ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ
عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ " (١)

واذا أردنا أن نقف أمام المطالب العقدية حول هذه الآيات ، نجد أنها تناولت ثلاثة مطالب :

المطلب الاول : يتناول جانبا من وظائفهم في السماء ، وقد اقتصرت على حمل العرش.

المطلب الثاني : يتناول جانبا من عباداتهم بعد اثبات حقيقة ايمانهم ، وهي التسبيح بحمد الله.

المطلب الثالث : يتناول جانبا من وظائفهم في الأرض ، وقد اقتصرت في هذه الآية على الدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم.

---

(١) سورة غافر آية ٧ - ٩ .

المطلب الأول : جانب من وظائفهم في السماء

أولا: إن الجانب الأول من تلك الوظائف كان في سورة غافر عبارة عن مجرد اشارة إلى حملهم العرش .

" ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ "

هذه الاشارة وقفت عندها آية الحاقة في قوله تعالى :

" وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ " (١)

يقول الامام ابن كثير في تفسيره ( انهم ثمانية من الملائكة وقد أورد عن سعيد بن جبير (٢) في قوله تعالى :

" وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ "

قال : ثمانية صفوف من الملائكة ) (٣) ( وهذا ما ذهب إليه صاحب التفسير الكبير ) (٤) .

وإلى هنا فأنا أكتفي بهذا القدر من هذا الجانب العقدي ، مبتعدة عما ورد من استطرادات في التفاسير وفي غيرها من الكتب حول أسماء حملة العرش من الملائكة ، والخلافات حول ما اذا كانوا ملائكة أم لا ؟ وما يدور حول أشكالهم وأوصافهم ، لأن الآيات صريحة في كونهم ملائكة ، ولأنها من الغيبيات التي يجب أن نقف فيها عند خبر الصادق عليه الصلاة والسلام .

---

(١) سورة الحاقة آية ١٧ .

(٢) هو سعيد بن جبير بن هشام الكوفي الأسدي ، أبو عبدالله ، من كبار أئمة التابعين ومتقدميهم في التفسير والحديث والفقه والعبادة والورع ، قتله الحجاج ظلما سنة ٩٥ هـ ( انظر ترجمته في : تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢١٦ ، شذرات الذهب ١/ ١٠٨ ) .

(٣) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٧٢ - ٧٣ .

(٤) الامام الفخر الرازي ، جـ ٢٧ ، ص ٣١ .

## المطلب الثاني

## جانب من عباداتهم

فنحن نؤمن بأن الملائكة نوع من مخلوقات الله، التي لا تعرف الا الله، بل انها ما خلقت الا لتعرف الله وتتوجه اليه بالعبادة، وقد أورد لنا القرآن الكريم، وكذلك السنة الكثير من عباداتهم فتحدثنا مثلا عن :

أ - صلاتهم كما قال تعالى على لسانهم :

" وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ " (١)

ب - كما تحدثنا عن حجهم، قال تعالى :

" وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ " (٢)

وقد قال ابن كثير في هذه الآية، ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الاسراء بعد مجاوزته السماء السابعة : "ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم". (٣)

---

(١) سورة الصافات آية ١٦٥.

(٢) سورة الطور آية ٤.

(٣) صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج جـ٧ ص ٢٠١-٢٢٠، صحيح مسلم كتاب الايمان باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض الصلوات جـ٢ ص ٢٢٥ وما قبلها.

جـ - والتسبيح الذى هو أحد عباداتهم ، وقد كان لسورة غافر وقفة أمام هذا الجانب ، فقال تعالى :

" ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ " (١)

كما قال تعالى في كثير من سور القرآن الأخرى :

" وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ " (٢)

وقال :

" يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ " (٣)

وقال على لسانهم :

" وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ " (٤)

وقال :

" وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ " (٥)

وقال على لسانهم :

" وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ . " (٦)

---

(١) سورة غافر آية ٧ .
(٢) سورة الشورى آية ٥ .
(٣) سورة الأنبياء آية ٢٠ .
(٤) سورة الصافات آية ١٦٥-١٦٦ .
(٥) سورة الزمر آية ٧٥ .
(٦) سورة البقرة آية ٣٠ .

( والتسبيح هوعبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغي ،والتحميد : الثناء عليه بالفضيلة ) (١) ،فمعنى نحن نسبح بحمدك : ( أى ننزهك ونبرئك مما يضيفه اليك أهل الشرك بك ) (٢) ( فأصل التسبيح لله عند العرب التنزيه له من اضافة ما ليس من صفاته إليه ،والتبرئة له من ذلك ) (٣) وقد أورد الطبرى أن التسبيح هو صلاة الملائكة ، فعن سعيد بن جبير قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي ، فمر رجل من المسلمين على رجل من المنافقين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يصلى وأنت جالس ، فقال له : امض إلى عملك إن كان لك عمل ، فقال ما أظن الا سيمر عليك من ينكر عليك ، فمر عليه عمر بن الخطاب فقال له يا فلان ،النبي صلى الله عليه وسلم يصلى وأنت جالس ، فقال له مثلها ، فقال ،هذا من عملي ،فوثب عليه فضربه حتى انتهى ، ثم دخل المسجد فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ،فلما انفتل النبي صلى الله عليه وسلم قام اليه عمر فقال : يا نبي الله مررت آنفا على فلان وأنت تصلى فقلت له :

---

(١) المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني ص ٢٢١ ، ١٣١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ١ ص ٧٢-٧٣ .

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن جـ١ ص ١٦٧ .

النبي يصلي وأنت جالس ، فقال : سر الى عملك ان كان لك عمل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهلا ضربت عنقه ،فقام عمر مسرعا فقال : يا عمر ،ارجع ، فان غضبك عز ورضاك حكم ،إن لله في السموات السبع ملائكة يصلون له غني عن صلاة فلان ، فقال عمر : يا نبي الله وماصلاتهم؟ فلم يرد عليه شيئا ، فأتاه جبريل فقال : يا نبي الله سألك عمر عن صلاة أهل السماء ، قال : نعم . فقال : اقرأ على عمر السلام ،وأخبره أن أهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيامة يقولون : سبحان ذى الملك والملكوت ،وأهل السماء الثانية ركوع الى يوم القيامة يقولون : سبحان ذى العزة والجبروت ، وأهل السماء الثالثة قيام إلى يوم القيامة يقولون : سبحان الحي الذى لا يموت ". (١)

والحقيقة أنه لا عجب في أن يكون للتسبيح هذا الشأن الكبير والفضل العظيم ليكون صلاة الملائكة . وفي الحديث يروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم". (٢)

وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " أى الكلام أحب إلى الله عز وجل ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ما اصطفى الله سبحانه لملائكته : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم". (٣)

---

(١) أخرجه الطبرى في تفسيره جـ١ ص١٦٧.

(٢) متفق عليه ،أخرجه البخارى في صحيحه ،كتاب الدعوات باب فضل التسبيح ٧/١٦٨ ، صحيح مسلم جـ٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء حديث رقم ٣١ ص ٢٠٧٢.

(٣) صحيح مسلم جـ ٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار / باب فضل " سبحان الله وبحمده " حديث رقم ٨٥ ص ٢٠٩٣-٢٠٩٤- قريبا منه.

( وانما ذكروا هنا بهذه العبارة ليقتدى بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم ،ولهذا شرع لنا السجود ها هنا لما ذكر سجودهم لله عز وجل ،كما جاء في الحديث " ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ، يتمون الصفوف ،الأول فالأول ،ويتراصون في الصف "(١) لذا قال تعالى :

" إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ " (٢)

مذكراً ابن آدم أن لا يستكبر عن عبادة ربه ، فهؤلاء الملائكة لا يستكبرون عن التواضع له والتخشع ،وذلك هو العبادة ) (٣) بل انهم دائمو التسبيح لله :

" يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝ " (٤)

وقد قال ابن كثير في تفسيره هذه الآية ، ( ان الملائكة لا يستنكفون عن عبادته ،ولا يتعبون أو يملون ،فهم دائبون في العمل ليلا ونهارا ، مطيعون قصدا وعملا ،قادرون عليه ،كما قال تعالى :

" لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ " (٥) ) (٦)

فحرى بالانسان أن يقتدى بهم خوفا من الله ورهبة ، قال تعالى :

" وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ " (٧)

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص ٢٨٢ ،عند تفسير قوله تعالى " ان الذين عند ربك لا يستكبرون ... الآية " والحديث أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب تحريم سبق الامام بركوع وسجود ونحوها جـ٤ ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) سورة الأعراف آية ٢٠٦.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن / الطبرى جـ١٢ ص ٨٣.

(٤) سورة الأنبياء آية ٢٠.

(٥) سورة التحريم آية ٦.

(٦) انظر تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص ١٧٥.

(٧) سورة الرعد آية ١٣.

## المطلب الثالث : جانب من وظائفهم في الأرض

هذا هو الجانب الثالث الذى تعرضت له آيات سورة غافر وهي تتحدث عن حملة العرش ، قال تعالى ": وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ " (١)

وهذا الجانب يمثل واحدا من مواقفهم الكثيرة مع المؤمنين ، والتي سخرهم الله لها ، وهو الاستغفار لهم والدعاء ، قال تعالى : " وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ " (٢)

وفي الحديث عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا دخل شهر رمضان أمر الله تعالى حملة العرش أن يكفوا عن التسبيح ويستغفروا لأمة محمد والمؤمنين " (٣).

والاستغفار من الملائكة هو الدعاء ، كما ورد عن ابن كثير في تفسيره للآية ما نصه ( إن الله قيض ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب كما قال تعالى : " هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ " (٤) ) (٥)

---

(١) سورة غافر آية ٧ - ٩ .

(٢) سورة الشورى آية ٥ .

(٣) انظر كنز العمال جـ ٨ حديث رقم ٢٧١٦ ؛ وانظر كنز العمال بهامش مسند الامام احمد بن حنبل ٣/٣٣٤ والذى عزاه الى الديلمي عن علي .

(٤) سورة الأحزاب آية ٣

(٥) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٧١ .

وكما أسلفنا فان الأمر لا يقف عند مجرد الدعاء لهم بل نجدهم يؤمنون على دعاء المؤمن اذا دعا ، وفي الحديث عن أم سلمة قالت : " لا تدعوا على أنفسكم الا بخير فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون ".(١)

كما يقومون بتبشير المؤمن بالخير ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " زار رجل أخا له في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ ، قال : لا ، غير أني أحببته في الله عز وجل ، قال : فاني رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه ".(٢)

كما أنها تقوم بتسديده ، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من سأل القضاء وكل الى نفسه ، ومن أجبر عليه ينزل الله عليه ملكا فيسدده ".(٣)

---

(١) صحيح مسلم جـ٢ كتاب الجنائز باب في اغماض الميت والدعاء له اذا حضر حديث رقم ٧ ص ٦٣٤ بلفظه وحديث رقم ٦ من نفس الباب " قريبا منه " ص ٦٣٣.

(٢) صحيح مسلم جـ ٤ كتاب البر والصلة والآداب باب في فضل الحب في الله حديث رقم ٣٨ ص ١٩٨٨ " بلفظه ".

(٣) سنن الترمذى بلفظه من رواية أنس جـ ٢ أبواب الأحكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القاضي حديث رقم ١٣٣٨ ص ٣٩٢ وحديث رقم ١٣٣٩ من نفس الصفحة " قريبا منه " ، وقال عنه الترمذى ، هذا حديث حسن غريب ، كما أخرجه الامام أحمد في مسنده بلفظه جـ٣ برواية أنس بن مالك ص ١١٨ وص ٢٢٠ " قريبا منه "

أما كيفية تسديده فالله أعلم به ، ومن هذا الباب ما رواه البخارى في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال سليمان بن داود عليهما السلام ، لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاما يقاتل في سبيل الله ، فقال الملك : قل ان شاء الله ، فلم يقل ونسي ، فأطاف بهن ولم تلد الا امرأة منهن نصف انسان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته ". (١)

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى " ووهبنا لداود سليمان " جـ٦ ص ٤٥٨ حديث رقم ٣٤٢٤ ، قريبا منه ، وقال فيه سبعين امرأة ، كما أخرجه في كتاب الجهاد باب من طلب الولد جـ٦ ص ٣٤ حديث رقم ٢٨١٩ ( انظر فتح البارى جـ٦ ص ٣٤ ) وأخرجه في كتاب التوحيد باب في المشيئة والارادة حديث رقم ٧٤٦٩ ( انظر فتح البارى جـ١٣ ص ٤٤٦ - ٤٤٧ ، كما أخرجه بلفظه في كتاب النكاح باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي ، حديث رقم ٥٢٤٢ ( انظر فتح البارى جـ ٩ ص ٣٣٩ ) .

# المبحث الرابع :

# الإيمان بالكتب .

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

**التمهيد** : معنى الإيمان بالكتب

**المطلب الأول** : وجوب الإيمان بالكتب السماوية إجمالاً وتفصيلاً

**المطلب الثاني** : وجوب الإيمان بها شرعاً وعقلاً

**المطلب الثالث** : اتفاق هذه الكتب السماوية في الأصول

## المبحث الرابع

## الايمان بالكتب

التمهيد : معنى الايمان بالكتب :

(هو التصديق الجازم بأن لله كتبا أنزلها على أنبيائه ورسله وهي من كلامه حقيقة ،وأنها نور وهدى وأن ما تضمنته حق وصدق، ولا يعلم عددها إلاّ الله ،وأنه يجب الايمان بها اجماليا الا ما ورد منها مفصلا فانه يجب الايمان بها على التفصيل ) (١).

المطلب الاول : وجوب الايمان بالكتب السماوية اجمالا وتفصيلا :

أما المفصلة فهي صحف ابراهيم ،وصحف موسى ،وأربعة كتب هي ( توراة موسى و زبور داود وانجيل عيسى وفرقان محمد عليهم السلام.

قال تعالى :

" إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ " (٢)

وقال تعالى :

" إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ " (٣)

وقال تعالى :

" وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ " (٤)

---

(١) الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية / عبد العزيز المحمد السلمان ص ٢٥-٢٦.

(٢) سورة الأعلى آية ١٨-١٩.

(٣) سورة المائدة آية ٤٤.

(٤) سورة الاسراء آية ٥٥.

وقال تعالى :

" ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ " (١)

وقال سبحانه مخاطبا رسوله محمدا :

" وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ " (٢)

وقوله تعالى :

" حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ " (٣)

وأما المجملة فقد وجب الايمان بها باجمالها بدون معرفة أسمائها ولا أسماء من أنزلت عليهم من منطلق قوله تعالى :

" لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ .. " (٤)

وقوله تعالى :

" كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ " (٥)

يقول شارح الطحاوية : ( وأما الايمان بالكتب المنزلة على المرسلين ، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه ، من التوراة والانجيل والزبور ، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى .

---

(١) سورة الحديد آية ٢٧ .

(٢) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٣) سورة غافر آية ١-٢ .

(٤) سورة الحديد آية ٢٥ .

(٥) سورة البقرة آية ٢١٣ .

وأما الايمان بالقرآن ،فالإقرار به ،واتباع ما فيه ،وذلك أمر زائد على الايمان بغيره من الكتب ) (١) . فالايمان بالكتب السماوية الالهية واجب شرعا وعقلا .

المطلب الثاني : وجوب الايمان بها شرعا وعقلا

أما شرعا : فقد قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ " (٢)

فهذه الآية كافية في الدلالة على وجوب الايمان بكتب الله عامة ، وبالقرآن الكريم خاصة ،وفي تحريم التكذيب بها ، كما هو واضح في سورة غافر حيث قال سبحانه في تقرير انزال القرآن :

" تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ " (٣)

يقول الامام ابن كثير ( أى تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن من الله ذى العزة والعلم فلا يرام جنابه ولا يخفى عليه الذر وان تكاثف حجابه ) (٤) .

كما يقول صاحب كتاب التحرير والتنوير هي: (فاتحة أنيقة في التنويه بالقرآن جعلت مقدمة لهذه السورة لأن القرآن جامع لما حوته وغيره من أصول الدين ، و" تنزيل " : مصدر نزّل المضاعف وهو مشعر بأنه أنزله منجما ،واختيار هذه الصيغة هنا للرد على الطاعنين لأنهم من جملة ما تعللوا به قولهم :

" لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً " (٥)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ابن ابي العز الحنفي ص ٢٨٥-٢٨٦ .
(٢) سورة النساء آية ١٣٦ .
(٣) سورة غافر آية ٢ .
(٤) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٦٩ .
(٥) سورة الفرقان آية ٣٢ .

والتعريف في الكتاب " للعهد " وهو القرآن المعهود بينهم عند كل تذكير وكل مجادلة ( فهو ليس منقولا ولا مما يجوز أن يكذّب به ) .(١)

وأجرى على اسم الجلالة الوصف بـ " العزيز ، العليم " .

أ - ( للايمان الى أن ما ينزل منه يأتي على ما يناسب الصفتين ، فكتابه عزيز ، قال تعالى :

" وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ " (٢)

أى القرآن ، عزيز غالب بالحجة لمن كذب به ، وغالب بالفضل لما سواه من الكتب من حيث أن الغلبة تستلزم التفضل والتفوق ، وغالب لبلغاء العرب اذ أعجزهم عن معارضة سورة منه .

ب - كما هو تعريض بأن منكرى تنزيل الكتاب مغلوبون مقهورون وبأن الله يعلم ما تكنه نفوسهم فهو محاسبهم على ذلك .

جـ - وهو رمز الى أن القرآن كلام العزيز العليم فلا يقدر غير الله على مثله ولا يعلم غير الله أن يأتي بمثله .

د - وفي ذكرهما رمز الى أن الله أعلم حيث يجعل رسالته وأنه لا يجارى أهواء الناس فيمن يرشحونه لذلك من كبرائهم :

" وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ " (٣) (٤) )

---

(١) تفسير القرطبي جـ١٥ ص ٢٩٠ .

(٢) سورة فصلت آية ٤١ .

(٣) سورة الزخرف آية ٣١ .

(٤) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٣ ص ٣١٤ ، جـ ٢٤ ص ٧٩ .

ومن هنا كان التشديد على من كذب بعد ذلك بالقرآن وبما سبقه من كتب كما تذكر آيات سورة غافر

" ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ " (١)

( فالكتاب هو القرآن ، وعطف " وبما أرسلنا به رسلنا " يجوز أن يكون على أصل العطف مقتضيا المغايرة ، فيكون المراد : وبما أرسلنا به رسلنا من الكتب قبل نزول القرآن فيكون تكذيبهم ما أرسلت به الرسل مرادا به تكذيبهم جميع الأديان كقوله تعالى :

" وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ " (٢) (٣) )

ولهذا أصل عند صاحب التفسير الكبير ، سبقه اليه صاحب الكشاف حين قالا : ان المقصود بالكتاب : القرآن ، و" بما أرسلنا به رسلنا " من سائر الكتب ) .(٤)

يقول الامام الطبرى عند تفسير هذه الآية ( يقول تعالى ذكره : ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون ، الذين كذبوا بكتاب الله وهو هذا القرآن ، وكذبوا أيضا مع تكذيبهم بكتاب الله بما أرسلنا به رسلنا من اخلاص العبادة لله والبراءة مما يعبدونه من الآلهة والأنداد والاقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب ، فسوف يعلم هؤلاء حقيقة ما تخبرهم به يا محمد وصحة ما هم به اليوم مكذبون من هذا الكتاب حين تجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم في جهنم ) .(٥)

---

(١) سورة غافر آية ٧٠ .
(٢) سورة الأنعام آية ٩١ .
(٣) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ٢٠١ .
(٤) انظر الكشاف / الزمخشرى جـ٣ ص ٤٣٦ ، التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ٢٧ ص٨٧ .
(٥) تفسير الطبرى جـ١٢ ص ٨٤ .

وأما عقلا ، فان الرسول المبلغ عن الله شرائعه وأحكامه يحتاج غالبا في اثبات رسالته إلى كتاب من الله تقوم به الحجة له على تلك الأمة التي أرسل اليها حتى يؤمنوا به ، ويصدقوه ، ويتبعوه ويعملوا بما جاءهم به ، وقبل ذلك هو محتاج إلى معجزة لاثبات رسالته .

ومن هنا كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مبنية على دلالة معجزة القرآن ولا أدل على ذلك من سورة غافر والتي هي من أولها الى آخرها مبنية على لزوم حجة القرآن ، والتنبيه على معجزته وذلك يتضح فيما يلي :

أولا : قوله تعالى :

" حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ " (١)

فبعد أن قرر سبحانه تنزيل الكتاب - القرآن - دلل على أن الجدال في تنزيله كفر والحاد .

ثانيا : قوله تعالى :

" ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ...... " (٢)

فلولا أنه برهان قاهر لم يذم الكفار على العدول عنه ، ولم يحمد المؤمنين على المصير اليه .

ثالثا : قوله تعالى :

" رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥ " (٣)

---

(١) سورة غافر آية ١-٢ .

(٢) سورة غافر آية ٧-٩ .

(٣) سورة غافر آية ١٥ .

فجعل القرآن والوحي به كالروح ، لأنه يؤدي الى حياة الأبد ، ولأنه لا فائدة للجسد من دون الروح ، فجعل هذا الروح سببا للانذار، وعلما عليه ، وطريقا إليه ، ولولا أن ذلك برهان بنفسه لم يصح أن يقع به الانذار والإخبار عما يقع عند مخالفته ، ولم يكن الخبر عن الواقع في الآخرة عن ردهم دلالته من الوعيد حجة ولا معلوما صدقه ، فكان لايلزمهم قبوله .

رابعا - قوله تعالى :

" أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ...... ) (١)

ضرب المثل بمن خالف الآيات وجحد الدلالات والمعجزات ، ثم بين أن عاقبتهم صارت إلى السوآى لأن رسلهم كانت تأتيهم بالبينات ، وكانوا لا يقبلونها منهم ، فعلم أن ما تقدم ذكره في السورة بينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خامسا - قوله تعالى :

" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ ...... ) (٢)

بيان عاقبة الذين يجادلون في آيات الله ومن جملة آياته هذا الكتاب ) . (٣)

---

(١) سورة غافر آية ٢١-٢٢ .

(٢) سورة غافر آية ٦٩- ٧٦ .

(٣) انظر اعجاز القرآن / الباقلاني ص ١٠-١١ .

## المطلب الثالث : اتفاق هذه الكتب السماوية في الأصول .

إن كل هذه الكتب حق من الحق تبارك وتعالى موافق بعضها بعضاً ،لا تناقض ولا اختلاف بينها في الأسس والأصول التي تجمع وحدة الدين ،فيجب أن نؤمن بأن هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى وتوحيد الله سبحانه في ربوبيته والوهيته وأسمائه وصفاته ، وأن ما نسب اليها مما يخالف ذلك انما هو من تحريف البشر وصنعهم ، قال تعالى عن القرآن الكريم كما يحكيه لنا شيخ الاسلام رحمه الله :

( الحمد لله .. الذى أنزل الكتاب تفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين :" مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ " (١) ) (٢)

كما قال تعالى عن الانجيل قبله :

" وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ " (٣)

كما قال سبحانه عن التوراة قبلهما :

" إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ " (٤)

يقول شارح الطحاوية ( فعلينا الايمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله ،وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء ). (٥)

---

(١) سورة يوسف آية ١١١.

(٢) فتاوى شيخ الاسلام جـ٣ ص ٢٩٥- ٢٩٦.

(٣) سورة المائدة آية ٤٦.

(٤) سورة المائدة آية ٤٤.

(٥) ابن أبي العز الحنفي ص ٢٨٥- ٢٨٦.

وهذا ما تقرره سورة غافر في قوله تعالى :

" وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ۝ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ " (١)

ويقول الامام الطبرى إن الهدى : ( ما آتاه الله من البيان للحق ) (٢) والذى فسره القرطبي بأن المقصود به : ( التوراة والنبوة ) (٣) وهذا ما ذهب اليه صاحب التفسير الكبير حين قال أن المراد بالهدى ( يجوز أن يكون انزال التوراة عليه ، ويجوز أن يكون المراد هو النبوة التي هي أعظم المناصب الانسانية ) (٤) بل ذهب الى أعم من ذلك حين قال إن المراد بالهدى ( يجوز أن يكون ما آتاه الله من العلوم الكثيرة النافعة في الدنيا والآخرة ) (٥).

وما نراه أن المقصود بالهدى هنا هو التوراة ، سميت بذلك لما فيها من هدى ونور لقوله تعالى :

" إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ " (٦)

وهذا ما أورثه بني اسرائيل كما تحكى الآية :

" وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ۝ " (٧)

( أى التوراة فعلمناهموها ) (٨) ( تذكيرا لأهل العقول الصحيحة

---

(١) سورة غافر آية ٥٣ - ٥٤.
(٢) تفسير الطبرى جـ١٢ ص ٧٦.
(٣) تفسير القرطبي جـ١٥ ص ٣٢٣.
(٤) انظر الفخر الرازى جـ٢٧ ص ٧٧.
(٥) المرجع السابق جـ ٢٧ ص ٧٧.
(٦) سورة المائدة آية ٤٤.
(٧) سورة غافر آية ٥٣.
(٨) انظر تفسير الطبرى جـ١٢ ص ٧٦ ، تفسير القرطبي جـ١٥ ص ٣٢٣ ، الكشاف للزمخشرى جـ٣ ص ٤٣٦.

السليمة ).[١]

( والفرق بين الهدى والذكرى : إن الهدى ما يكون دليلا على الشيء وليس من شرطه أن يذكر شيئا كان معلوما ثم صار منسيا وأما الذكرى فهي الذى يكون كذلك فكتب أنبياء الله مشتملة على هذين القسمين بعضها دلائل في نفسها وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الالهية المتقدمة ).[٢]

---

(١) انظر تفسير الطبرى جـ١٢ ص ٧٦ ، تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٤ .

(٢) التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ٢٧ ص ٧٧ .

## المبحث الخامس :

# الإيمان بالرسل .

وفيه تمهيد ومطلبان :

التمهيد : معنى الإيمان بالرسل .

المطلب الأول : عدد الانبياء والرسل .

المطلب الثاني : بعض وظائف الرسل عليهم السلام .

## المبحث الخامس

## الايمان بالرسل

تمهيد : في معنى الايمان بالرسل :

من أركان العقيدة الاسلامية الايمان بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام ، والايمان بجميع ما أنزل عليهم ، قال تعالى :

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ (١)

والقاعدة العامة في ذلك : أن نؤمن بأن الله قد أرسل رسلا سماهم بأسمائهم في كتابه الكريم ، أو أخبرنا بهم رسوله الأمين (٢) فهؤلاء لا يجوز أن نكذب بهم ، ولا حتى بواحد منهم ، لأن الكفر برسول

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٥ .

(٢) هناك أنبياء عرفناهم من السنة فقط وهم :
(أ) - شيث ، يقول ابن كثير في البداية والنهاية جـ١ ص٩٩ " وكان نبيا بنص الحديث الذى رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر مرفوعا أنه أنزل عليه خمسون صحيفة ( انظر الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان جـ١ حيث أخرجه هناك مطولا في كتاب البر والاحسان باب ما جاء في الطاعات وثوابها ، حديث رقم ٣٦٢ ، ص٢٨٧ - ٢٨٩ .

===

واحد كفر بجميع الرسل ، قال تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا " (١)

ولأن الايمان بواحد منهم يعني الايمان بجميع الأنبياء والرسل الصادقين ، فموجب الايمان بالكل واحد .

---

=== (ب) - يوشع بن نون : يقول ابن كثير في البداية والنهاية جـ١ ص ٣٢٣ ، قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر بن همام عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن ، ولا آخر قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفها ، ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها ، فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علي شيئا فحبست عليه حتى فتح الله عليه ( أخرجه البخاري بنحوه جـ٦ كتاب فرض الخمس باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " أحلت لكم الغنائم " حديث رقم ٣١٢٤ ص ٢٢٠ ، وفي جـ٩ مختصرا في كتاب النكاح باب من أحب البناء قبل الغزو حديث رقم ٥١٥٧ ص ٢٢٣ ، وأخرجه مسلم بلفظه جـ١٢ كتاب الجهاد باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ص ٥٢ ، وأخرجه الامام أحمد بلفظه جـ٢ ص ٣١٨ ) وقد أورد ابن كثير في نفس الصفحة أن هذا النبي هو يوشع بن نون حين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار الى بيت المقدس ) ، أخرجه الامام أحمد جـ٢ ص ٣٢٥ .

(١) سورة النساء آية ١٥٠-١٥١ .

وفي الوقت نفسه نؤمن بأن لله رسلاً وأنبياء لا نعلمهم ( أما من شك في نبوتهم كذى القرنين وتبع فالأفضل أن نتوقف في اثبات النبوة لهما لأنه صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال ( ما أدرى تبع أنبيا كان أم لا، وما أدرى ذا القرنين أنبيا كان أم لا ) !(١) (٢)

وقد كان لسورة غافر اشارات جانبية أحيانا وأساسية أحيانا أخرى والتي تتضح في المطالب الآتية :

المطلب الأول : حول عدد الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المطلب الثاني : بعض جوانب من وظائف الرسل عليهم السلام.

أما بالنسبة للمطلب الأول في السورة حول هذا الموضوع فقد قال تعالى فيه : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ " (٣)

فما لا شك فيه أنه (لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدى الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث

---

(١) أخرجه الحاكم كتاب الايمان باب " تبع وذا القرنين كانا نبيين أم لا " جـ١ ص ٣٦ ، وقال عنه صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .
وأخرجه البيهقي كتاب الأشربة والحد فيها باب الحدود والكفارات جـ٨ ص ٣٢٩ .

(٢) انظر الرسل والرسالات د. عمر سليمان الأشقر ص ٢١-٢٤ .

(٣) سورة غافر آية ٧٨ .

على التفضيل إلا من جهتهم ، ولا ينال رضى اللّه البتة إلا على أيديهم ، فالطيب من الاعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به ، فهم الميزان الراجح الذى على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال) (١)

لذا كثر عددهم وكثر انتشارهم بين الأمم ، قال تعالى :

" وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ " (٢)

ولقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الكثرة كما رواه أحمد في مسنده عن أبي ذر قال " قلت يا رسول الله ، كم المرسلون ؟ قال : ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا ". (٣) وفي رواية أبي أمامة ، قال أبوذر قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا ". (٤) ، ونحن لا نعرف من هذا العدد الكبير والجم الغفير الا من صرح لنا بأسمائهم القرآن ، وهم خمسة وعشرين نبيا ورسولا ، والقاعدة فيها قوله تعالى :

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ " (٥)

وقال :

" وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ " (٦)

أما من قصصهم علينا القرآن فهم خمسة وعشرون رسولا ورد ذكر ثمانية عشر منهم في موضع واحد من سورة الأنعام .

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد / محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية جـ١ ص ١٥ .

(٢) سورة فاطر آية ٢٤ .

(٣) مسند الامام أحمد جـ٥ ص ١٧٨-١٧٩ .

(٤) مسند الامام أحمد جـ٥ ص ٢٦٥-٢٦٦ . وقال صاحب الفتح الرباني معلقا : (هذا الحديث اورده الهيثمي في مجمع الزوائد في باب السؤال للانتفاع وان كثر من كتاب العلم ، وقال : رواه احمد والطبراني في الكبير ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف ) كما ذكر صاحب الفتح الرباني تضعيف ابن كثير لبعض رجاله وكذلك الحافظ في التقريب ( انظر باب ما جاء في أبي ذر الغفارى رضي الله عنه وقصة أسلامه ٢٢/٣٧٢ ) .

(٥) سورة غافر آية ٧٨ .

(٦) سورة النساء آية ١٦٤ .

قال تعالى : " وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ " (١)

وورد ذكر السبعة الباقين في مواضع متفرقة من القرآن ، قال تعالى :

" إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ " (٢)

وقال :

( وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ) (٣) ، ( وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ) (٤) ، ( وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ) (٥)

" وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ " (٦) ، " مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ " (٧)

وقد أشارت سورة غافر إلى خمسة منهم وهم :

نوح عليه السلام ، هود عليه السلام ، صالح عليه السلام ، يوسف عليه السلام ، موسى عليه السلام .

(١) أما نوح ، فهو النبي الرابع ممن ذكروا بعد آدم عليه السلام ، قال تعالى : " إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ " (٨)

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٣ - ٨٦ .
(٢) سورة آل عمران آية ٣٣ .
(٣) سورة هود آية ٥٠ .
(٤) سورة هود آية ٦١ .
(٥) سورة هود آية ٨٤ .
(٦) سورة الأنبياء آية ٨٥ .
(٧) سورة الفتح آية ٢٩ .
(٨) سورة نوح آية ١ - ٣ .

وهو أول الرسل كما في حديث الشفاعة عن أبي هريرة " يا نوح أنت أول الرسل في الأرض "(١) وقد أرسل إلى قوم عكفوا على عبادة غير الله تعالى ، واتخذوا لهم أصناما يعبدونها من دونه ، ليدعوهم الى توحيد الله ، لكنهم قوم يقودهم الكبر ، وما كان منهم الا التكذيب والاحتقار له ولمن اتبعه ، بالرغم من أنه بذل معهم منتهى وسعه ، واجتهد بغاية امكانه أن يتبعه قومه في الايمان بالله ، والاقلاع عن عبادة تلك الأصنام.

وعندما يئس من ايمانهم توجه الى ربه بالدعاء عليهم ، فأمره الله تعالى بعمل الفلك لتكون أداة نجاته ومن معه من الغرق ، فلما أتم نوح عدته ورأى الأمارة التي بينه وبين ربه على ابتداء أمر الطوفان دخل السفينة وأهله الا ابنه ، ومن كل حيوان وطير ووحش زوجين اثنين ، فلما استووا على ظهر السفينة حلت عزاليها السماء(٢) ، وانفجرت عيون الأرض وغرق كل ما عليها من انسان وحيوان ، وخرج من كان في السفينة ، وبارك الله فيهم ، فكثروا وملأوا الأرض ، قال تعالى :

" حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ..... )(٣)

وقال :

" قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ " )(٤) (٥)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه مطولا جـ٤ كتاب الأنبياء باب ٣ قول الله عز وجل " ولقد أرسلنا نوحا الى قومه " ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) عزاليها جمع عزلاء ويقال : ارسلت السماء عزاليها : انهمرت بالمطر ، وأرخت الدنيا عزاليها : كثر نعيمها (انظر المعجم الوسيط ٢/ ٦٠٥).

(٣) سورة هود آية ٤٥. (٤) سورة هود آية ٤٨

(٥) انظر قصص الأنبياء / النيسابوري ص ٤٥ ، قصص الأنبياء / ابن كثير تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ص ٦٤-٨١ ، قصص الأنبياء / عبد الوهاب النجار ص ٣٠ - ٣٦.

## (٢) هود عليه السلام :

هو رسول من رب العالمين ،أرسله الى قبيلة عاد ليبلغهم رسالة
ربه : " وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ
بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ
نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ " (١)

وقد كان قومه أهل زرع وضرع ، عمروا البلاد وأذلوا العباد ،اتخذوا لهم أوثانا يعبدونها من دون الله ، قال تعالى على لسان هود عليه السلام:

" أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي
أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ " (٢)

انذار وترهيب تارة وتذكير وترغيب تارة أخرى ،الا أن موقفهم لم يكن بأحسن من موقف غيرهم ، فقد كذبوه ،بل اتهموه في عقله ، فحذرهم هود عليه السلام بأنهم اذا تولوا معرضين عن قوله ، فانه قد قام بواجبه الذى كلف به من ربه ، وأن الله سيبيدهم ويستخلف قوما غيرهم ،ولكنهم ظلوا على عتوهم وعصيانهم وتكذيبهم وجحدهم آيات ربهم ، فما كان من الله الا أن أرسل عليهم الريح العقيم ،سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام

---

(١) سورة الأعراف آية ٦٥ - ٦٨ .

(٢) سورة الشعراء آية ١٢٨ - ١٣٤ .

حسوما ،فأهلكهم الله وأبادهم ،وصارت أجسامهم كأنها أعجاز نخل منقعر ،ونجى الله هودا والذين آمنوا معه قال تعالى :

" فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾ " (١)، (٢)

---

(١) سورة فصلت آية ١٥ - ١٦ .

(٢) انظر قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ص ٤٧ - ٥٥ ،تاريخ الأنبياء ،محمد الطيب النجار ص ٨١- ٨٢ ،الأنبياء في القرآن، سعد صادق محمد ص ٧٩-٨٧ .

## ٣ - صالح عليه السلام :

كانت قبيلة ثمود تدين بعبادة الأصنام ، يشركونها مع الله في العبادة ، فأرسل الله إليهم صالحا واعظا ومذكرا لهم بنعم الله وآياته الدالة على توحيده وأنه لا شريك له ، وأقام لهم الأدلة القاطعة والبينة الواضحة على ضلالهم في عبادتهم وعلى أن الله هو الذى يجب افراده بالعبادة دون سواه ، فآمن له المستضعفون من قومه ، وكفر الملأ منهم كبرا وعنادا طالبين منه آية على صدقه ، فأتاهم بالناقة وأمرهم ألا يمسوها بسوء ، ويذروها تأكل في أرض الله ، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم ، الا أن ذلك كبر عليهم ، فعتوا عن أمر ربهم وأجمعوا على عقرها ، ولما أرادوا تنفيذ عزمهم جاءوا الى صالح يرصدون الفرصة للايقاع به وأهله فأهلكهم الله ، وكان تدميرهم بالصاعقة ، وقد عبر الله تعالى عنها تارة بالرجفة ، وتارة بالطاغية ، وتارة بالصيحة ، أما صالح والذين آمنوا معه فقد نجوا مما حاق بقومهم من العذاب ، قال تعالى :

" كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ " (١) (٢)

---

(١) سورة الشعراء آية ١٤١-١٥٩.

(٢) انظر قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ص ٥٨ - ٦٦ ، تاريخ الانبياء ص ٩٠ - ٦ ، الانبياء في القرآن ص ٩١-١٠٣.

## ٤ - يوسف عليه السلام :

هو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام ،كان نبيا يدعو الى دينه مبينا أن ذلك من تعاليم الهه ، بعد أن أعلن تركه ومجانبته ملة الأقوام الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، متبعا ملة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب ، يقول تعالى على لسانه مبينا شناعة ماعليه أهل مصر من تعديد الالهة وتكثير الأرباب ،وأن دينه - دين التوحيد - هو الدين القيم ،ولكن الناس في غفلة عنه :

"إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾" (١)(٢)

---

(١) سورة يوسف آية ٣٧-٤٠.

(٢) انظر قصص الأنبياء / عبد الوهاب النجار ص ١٢٠-١٤٠ ، تاريخ الأنبياء ،محمد الطيب النجار ص ١٣٣-١٦٩.

## ٥ - موسى عليه السلام :

هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازربن لاوى بن يعقوب بن ابراهيم عليهم السلام، أرسله الله الى فرعون وملئه ،قال تعالى :

" وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ " (١)

وقام بأمر الرسالة خير قيام ، فذهب إلى فرعون وأدّى مقالته بواسطة هارون ،إلا أن فرعون كان رجلًا عاتيا تدين الأمة المصرية بعبادته ، وتذعن بقداسته ،ففوجيء من موسى بأمر لا يقره ولا يرضاه وهو محاولة انزاله عن عرش الربوبية ،وأخذ على اثر ذلك يحاور موسى فعلم موسى عدم ارعواء فرعون عن غيه وتماديه في ادعاء الربوبية وأنه مكذب لا محالة، بعد كل البينات والدلائل على صدق دعوته ،ومع ذلك فقد الح عليه وملأه بالدعوة إلى الايمان بالله تعالى ،فكانت عصارة تلك الدعوة كلها أن فريقا من بني اسرائيل قد آمنوا له ،ولما لم يفد العلاج مع فرعون ،أمر الله موسى أن يتخذ لبني اسرائيل بيوتًا للعبادة في مصر و يقيم فيها الصلاة لله تعالى ، قال تعالى : " فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٧﴾ " (٢)

---

(١) سورة مريم آية ٥١ - ٥٣.

(٢) سورة يونس آية ٨٣-٨٧.

إلاّ أنّ فرعون خاف من ترك موسى يفسد في الأرض على حد زعمه فخلص هو وملأه إلى الائتمار به وقتله ، ولما كان الحق لا يعدم نصيرا ، قام رجل مؤمن من آل فرعون يدافع عن موسى إلاّ أنّهم هموا به كما هموا بموسى فوقاه الله سوء عطهم وكانت عاقبته السعادة وعاقبة آل فرعون النار بعد استمرارهم في الاعنات ببني اسرائيل وتماديهم في الكذب وردهم لكل آياته واتهامه بالسحر ، فكانت البطشة العظمى بهم وهي اغراق فرعون ومن معه في اليم ونجاة بني اسرائيل ، قال تعالى :

" وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ " (١) .

وهنا انطلق موسى بقومه بني اسرائيل من أرض مصر ذاهبا الى فلسطين وفي خلال ذلك حنوا الى وثنيتهم فطلبوا من موسى وقد مروا على قوم يعبدون الأصنام - أن يتخذ لهم الها كما لهؤلاء القوم آلهة ، فكان جواب موسى لهم تجهيلا ولوما على طلبهم الها سوى الله بعد كل ما حدث ، وهنا أوصى الله موسى أن يصعد الى الجبل ويمكث فيه أربعين ليلة ، حتى اذا أتمها أعطاه الله ألواحا وكتب له فيها الوصايا التي يأخذ بها بنو اسرائيل أنفسهم وأعقابهم من بعدهم الا أن ربه بلغه بأن قومه فتنوا عن دينهم وأن السامرى أضلهم ، فرجع موسى الى قومه غضبان حزينا ، وأمرهم بالتوبة ، وبعدها أراد أن يدخل بهم أرض فلسطين لكنهم أبوا وقالوا لموسى :

" فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ " (٢)

-----------------

(١) سورة القمر آية ٤١-٤٢ .

(٢) سورة المائدة آية ٢٤ .

وحكم عليهم سبحانه بالتيه اربعين سنة واستمر موسى يكابد في معالجة شئون بني اسرائيل و يسوس ذلك الشعب الشاغب ويأتيهم بالعجائب محتملا صلفهم وطغيانهم ولم يترك وسيلة من وسائل استرضائهم الا فعلها وهم لا يزيدون الا عنادا و مخالفة عن أمره ،فأمره الله أن يذهب الى جبل " نبو " وأن ينظر الى الأرض المقدسة ولا يدخلها وهناك مات ودفن.(١)

أما كيف جاء ذكر اولئك الخمسة في السورة ،ولما اكتفت السورة بهم فنقول وبالله التوفيق :

لقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم الى قومه بالرسالة ، لكنهم رفضوها وأصروا على كفرهم فجاءت السورة - كغيرها من السور المكية - تتحدث عن الكافرين الذين يجادلون في آيات الله بغير حق ،والمغترين بما هم عليه من قوة وسلطة ،وتضرب أمثلة بهم ، فتقص على الرسول قصتهم والتي جاءت : ١ - مرة خطاباً من الله لنبيه مباشر في العرض يذكره بقوم نوح خاصة ومن جاء بعدهم عامة.

٢ - وجاءت في الثانية من خلال القصة في السورة - قصة موسى مع فرعون -على لسان مؤمن آل فرعون لقومه يذكرهم بقوم نوح وقوم هود وقوم صالح ،ومن جاء بعدهم عامة ،والذين كان دأبهم الكفر والتكذيب ،وقد علل صاحب كتاب " التحرير والتنوير " تخصيصهم بالذكر فقال : ( ان القبط كانوا على علم بما حل بقوم نوح وعاد وثمود ،فأما قوم نوح فكان طوفانهم مشهورا ،وأما عاد وثمود فلقرب بلادهم من البلاد المصرية وكان عظيما لا يخفى على مجاوريهم ).(٢)

---

(١) انظر القصص ،ابن كثير ص٢٣٧-٣١٩ ، قصص الأنبياء ،عبد الوهاب النجار ص ١٥٥-٢٩٨.

(٢) محمد الطاهر عاشور جـ٢٤ ص ١٣٥.

ثم ورد ذكر يوسف عليه السلام على لسان ذلك المؤمن (لتذكيرهم بأنهم من ذرية قوم كذبوا يوسف لما جاءهم بالبينات ،فتكذيب المرشدين الى الحق شنشنة معروفة في أسلافهم فتكون سجية فيهم ).(١)

هذه الأمثلة وردت كما قلنا من قبل العظة للمشركين في ذلك الوقت خاصة ،وأن الجميع مشتركون في :

(١) تكذيب الرسل ، (٢) المجادلة بالباطل ، (٣) التجاوز عن التكذيب الى غاية الأذى من الهم بالقتل. ومن هنا جعلت أيامهم جميعا يوما واحدا ،مع أن لكل حزب منهم ، يوماً خاصًا به ،وفي ذلك يقول صاحب الظلال ( ولكل حزب كان يوم ،ولكن الرجل المؤمن يجمعها في يوم واحد " مثل يوم الأحزاب " فهو اليوم الذى يتجلى فيه بأس الله وهو يوم واحد في طبيعته على تفرق الأحزاب ".(٢)

---

(١) محمد الطاهر عاشور جـ٢٤ ص ١٣٨.

(٢) انظر سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٨٠.

المطلب الثاني : من وظائف الرسل عليهم السلام

أما المطلب الثاني الذى تعرضت له سورة غافر فقد ألقت فيه الأضواء على بعض الجوانب من وظائف الرسل عليهم السلام ، قالت فيه : ان الله سبحانه وتعالى هيأ رسله ورباهم على عينه ،فكانوا رجالا موحدين :

" قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ " (١)

موقنين أنهم يعملون بأمر من الله ،وأنه ليس لهم من الأمر شيء ، قال تعالى :

" وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ " (٢)

متسلحين بالصبر والاستغفار والتسبيح فهو زادهم في الطريق ، قال تعالى :

" فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ " (٣)

ثم بعد ذلك دعمهم بالبراهين والمعجزات ،قال تعالى :

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ " (٤) وقال : " وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ " (٥)

كل ذلك ليؤدوا الدور الذى كانوا من أجله رسلا ويقوموا بوظائفهم خير قيام .

وقد وقفت بنا السورة أمام بعض تلك الوظائف وهي :

---

(١) سورة غافر آية ٦٦ .

(٢) سورة غافر آية ٧٨ .

(٣) سورة غافر آية ٥٥ .

(٤) سورة غافر آية ٢٣ .

(٥) سورة غافر آية ٣٤ .

## ١ - الدعوة الى اللـه :

فطر الله تعالى الانسان على فطرة الايمان بالله تعالى وتوحيده ، يقول ابن القيم رحمه الله ( ان الله لا يألف من الأعمال الا أطيبها وهي الأعمال التي اجتمعت على حسنها الفطر السليمة مع الشرائع النبوية مثل ان يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ) (١)، ولكن الانسان قد تخدعه مظاهر ،أو تربية ،أو ضلالات وخرافات ،فيؤمن بمن لا يستحق الايمان به من انسان أو حيوان أو مظهر من مظاهر الطبيعة أو أرض أو دم أو كوكب أو نجم ،لأن العقل البشرى وحده في قصور عن ادراك المعرفة المتصلة برب العالمين ،يقول صاحب كتاب تاريخ الأنبياء ( أما الغالبية العظمى من الناس فلا يستطيعون وحدهم أن يهتدوا الى الحق ويعرفوا الله ومن هنا كانت حاجة البشر الى من يعرفهم بربهم الذى يخلق ويرزق ويحيى ويميت ،ويبصرهم بالطريق المستقيم ويرشدهم الى الحق على هدى وبصيرة ،وتلكم هي مهمة الأنبياء والمرسلين ،فالأنبياء والمرسلون هم السفراء بين اللـه وبين عباده ) (٢) لأنه ( اذا كنا في العلم البشرى لا نأخذ الا عن مصادر يعول عليها ،ففي علم الغيب لا ينبغي أن نأخذ الاعمن يملكون حق الحديث عن الله ) (٣)، وفي هذا المقام يقول الشيخ محمد عبده (٤) ( ان الله تعالى أخذ على

--------------------

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد جـ١ ص٥١.

(٢) محمد الطيب النجار ص١٣-١٤.

(٣) الله في العقيدة الاسلامية / احمد بهجت ص٥٢.

(٤) هو ابن خير الله مفتي الديار المصرية ،صاحب المصنفات الكثيرة المتوفى سنة ١٣٢٣هـ ( انظر ترجمته في : الأعلام للزركلي ٧/ ١٣١ ).

نفسه ارسال الرسل رحمة بالناس ، اذ لو ترك الناس وشأنهم ما عرفوا طريق الحق والشياطين تقعد لهم كل مرصد ، وقد ركب الله في الانسان القوة الشهوية التي تدفعه الى اللذة الجسدية أو لذة جمع المال أو الجاه وركب فيه كذلك القوة الغضبية التي بها يظلم ويطغى ، والصراع دائم ما دامت الحياة الا من عصم الله ، وقد جعل الله تعالى رسله وسيلة للتبصير والهداية ، وتلك مهمتهم ، ومن ذلك نرى أن ارسال الرسل اقتضته الحكمة الالهية ) . (١)

فالغرض الأساسي اذا من بعثة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه منذ بزوغ فجر الرسالة الالهية من لدن نوح عليه السلام الى رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو الدعوة لله تعالى والهداية اليه ، يقول صاحب كتاب الله في العقيدة الاسلامية ( هدف الأنبياء والرسل واحد - وهو هداية الناس الى الحق ... واذا كان الله تعالى هو الحق ، فان هدف رسالات الرسل ودعاوى الأنبياء هو الدعوة الى الله ) (٢) لأنه ( وقبل أى شيء أراد سبحانه أن يعبد في الأرض كما عبد في السماء فقال سبحانه :

" وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ " (٣)

من أجل هذه الحقيقة تكرر النداء للأمم أن تعبد الله وحده ) . (٤)

---

(١) رسالة التوحيد ، تحقيق محمد أبو رية ص ٦٩ .

(٢) أحمد بهجت ص ٥١ .

(٣) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٤) سيرة نبي الهدى والرحمة / عبد السلام هاشم حافظ ص ١٧ .

فجاء على لسان أول رسول قوله تعالى :

" لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ " (١)

كما جاء على لسان آخر رسول قوله تعالى :

" قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ " (٢)

فلا تقف مهمة الرسل عند بيان الحق وابلاغه ،بل عليهم دعوة الناس الى الأخذ بدعوتهم والاستجابة لها ،وتحقيقها في أنفسهم اعتقادا وقولا وعملا وهم في ذلك ينطلقون من منطلق واحد :

" وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ " (٣)

وقد بذل الرسل في سبيل دعوة الناس الى الله جهودا عظيمة ،وحسبنا في هذا أن نقرأ سيرة الأنبياء في القرآن الكريم كلـــه فهو يوضح الجهد الذى بذلوه على مدار حياتهم باستعمال أساليب الدعوة كلهـا محاولين تفتح العقول وتوجيهها الى ما في الكون من آيات ،بغض النظـر عن اعراضهم ). (٤)

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٩.
(٢) سورة غافر آية ٦٦ .
(٣) سورة النحل آية ٣٦.
(٤) الرسل والرسالات / عمر سليمان الأشقر ص ٤٥.

٢ - الانذار والتبشير :

ما بُعث الرسل الا لتقويم حياة الناس واصلاح معوجها والوصول بهم الى بر الأمان ، وهذا وسيلته التبشير والانذار ( فأول الأمر في أصول وظيفة الرسل هو ، تحقيق كلمة " لا اله الا الله " ثم تبشير الناس بحسن العاقبة لمن يعمل منهم الصالحات وانذار الناس بسوء العاقبة لمن يكفر منهم بالله وبتشريعاته ، ويفسد في الأرض )[(١)].

ولوجود هذا الارتباط بين أصل وظيفتهم وبين التبشير والانذار فقد جعل القرآن مهمة الرسل أحيانا مقتصرة على هذا الجانب العام ، فقال تعالى :

" وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ "[(٢)]

وتبشير الرسل وانذارهم دنيوى وأخروى ( لأنه كما أسلفنا لا سبيل الى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة الا على أيديهم ولا سبيل الى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل الا من جهتهم ولا ينال رضا الله البته الا على أيديهم ، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس الا هديهم وما جاءوا به ، فهم الميزان الراجح الذى على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال وبمتابعتهم يتميز

---

(١) الأنبياء في القرآن / سعد صادق محمد ص ٢٨.

(٢) سورة الكهف آية ٥٦.

أهل الهدى من أهل الضلال ) (١) فهم في الدنيا يبشرون الطائعين بالحياة الطيبة

" مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً " (٢)

وقوله تعالى :

" فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ " (٣)

ويعدونهم بالعز والتمكين والأمن :

" وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا " (٤)

ويخوفون العصاة بالشقاء الدنيوى :

" وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا " (٥)

ويحذرونهم العذاب والهلاك الدنيوى :

" فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ " (٦)

وفي الآخرة يبشرون الطائعين بالجنة ونعيمها :

" وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ " (٧)

ويخوفون المجرمين والعصاة عذاب الله في الآخرة :

" وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ " (٨) (٩) )

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد ، ابن قيم الجوزية جـ١ ص ١٥.
(٢) سورة النحل آية ٩٧.
(٣) سورة طه آية ١٢٣.
(٤) سورة النور آية ٥٥.
(٥) سورة طه آية ١٢٤.
(٦) سورة فصلت آية ١٣.
(٧) سورة النساء آية ١٣.
(٨) سورة النساء آية ١٤.
(٩) الرسل والرسالات / عمر سليمان الأشقر ص ٤٧.

ومن هنا ( فقد جعل الله من حق البشر عليه اذا لم يبعث لهم الرسل يـ
يبينون الحق من الباطل والحلال والحرام ،جعل من حقهم أن يطالبوه برفع
العذاب عنهم اذا ما انزلقوا الى الذنوب والآثام ،وذلك انجازا لوعده
حيث قال في محكم كتابه :

"وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾" (١) (٢) )

---

(١) سورة الاسراء آية ١٥ .

(٢) تاريخ الأنبياء / محمد الطيب النجار ص ١٨ .

## ٣ - اقامة الحجـــة :

الأصل أن ارسال النبي رحمة ( لأنّ الله لولم يرسل أنبياءه ورسله لألزم الناس حجته لسببين :

السبب الأول : أخذه العهد عليهم يوم خلق الخلق وهم ذرات في ظهـــر أبيهم.

السبب الثاني : حديث الله الرحيم المستمر الى الناس ،وآياته في الكون وفي أنفسهم .. ولو تأمل الانسان نفسه فحسب .لوأدرك أنـــــه يعيش في كل نفس عالة على هواءٍ خَلَقهُ الله..
لو أدرك الانسان هذا لأدرك أن الحجة تلزمه دون ما حاجة لارسال الرسل .

وهذه هي الفطرة ما لم تتلوث ،واذن -لا تفسير لارسال الأنبيــاء غير الرحمة .. محض كرم من الله ورحمته أنه أرسل أنبياءه ،ومحض كـــرم من الله ورحمته أنه قضى القضاء الرحيم التالي :

" وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ " (١) (٢) )

لأنه لا أحد أحب اليه العذر من الله تعالى ،فالله جل جلاله يقول :

" رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ " (٣)

---

(١) سورة الاسراء آية ١٥.

(٢) الله في العقيدة الاسلامية / أحمد بهجت ص ٥٢.

(٣) سورة النساء آية ١٦٥.

وقد أخبر الله عز وجل في هذه الآية الكريمة أنه تعالى أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام حتى يبشروا من أطاع بخيرات طاعته، وينذروا من خالف وكذب رسله بعقاب وعذاب ربه، وذلك حتى لا يكون لمعتذر عذر يعتذر به يوم القيامة، يقول الامام ابن جرير (أرسل الله تعالى رسلا الى عباده مبشرين ومنذرين لئلا يحتج من كفر به تعالى وعبد الأوثان والأصنام من دون الله، أو ضل عن سبيله، بأن يقول إن أراد الله عقابه: يا رب لو أرسلت الينا رسولا في الدنيا كنا قد اتبعناه، وبذلك قطع الله عز وجل عذر كل مبطل ملحد في توحيد الله تعالى وخالف أمره بجميع معاني الحجج القاطعة، لتكون لله الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه)[(١)] يقول سبحانه وتعالى في ذلك:

" وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ "[(٢)]

فبين (لنا سبحانه وتعالى الحجة التي كانت تكون للناس عليه لو عذبهم دون انذارهم على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام)[(٣)] لذلك كانت القاعدة العامة:

" وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ "[(٤)]

وهنا يظهر (كمال ربوبيته وكمال حكمته وعلمه وعدله ورحمته فيعلم اعداؤه أنهم كانوا هم المفترين الكذابين لا رسله البررة الصادقون)[(٥)].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ٦ ص ٣٠.

(٢) سورة طه آية ١٣٤.

(٣) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم / أبي السعود، جـ١ ص ٢٥٦.

(٤) سورة الاسراء آية ١٥.

(٥) زاد المعاد في هدى خير العباد / ابن قيم الجوزية جـ١ ص ١٤.

وتتمة لما سبق يقول ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "لا أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب اليه المدح من الله عز وجل ، من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أحب اليه العذر من الله ، من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه ".(١)

( ولذلك فان الذين يرفضون اتباع الرسل ويعرضون عن هديهم لا يملكون الا الاعتراف بظلمهم اذا وقع بهم العذاب في الدنيا :

" وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ "(٢)

وفي يوم القيامة عندما يساقون الى مصيرهم الأسود الكئيب فيضجون في النار بعد أن يحيط بهم العذاب من كل جانب ، ينادون ويصرخون ، فيقول لهم خزنة النار :

" أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ "(٣) ).(٤)

---

(١) صحيح البخارى جـ٨ كتاب التوحيد باب ٢٠ " قول النبي صلى الله عليه وسلم لا شخص أغير من الله " ص ١٧٤ ، صحيح مسلم جـ٤ كتاب التوبة باب غيرة الله وتحريم الفواحش حديث رقم ٣٥ ص ٢١١٤ .

(٢) سورة الأنبياء آية ١١-١٥ .

(٣) سورة غافر آية ٥٠ .

(٤) انظر الرسل والرسالات / عمر سليمان الأشقر ٥٢-٥٣ .

المبحث السادس :

# الإيمان باليوم الآخر .

وفيه تمهيد وأربعة مطالب :

**التمهيد** : معنى الإيمان باليوم الآخر .

**المطلب الأول** : بعض من أسماء ذلك اليوم .

**المطلب الثاني** : بعض من مشاهد ذلك اليوم .

**المطلب الثالث** : حياة البرزخ (عذاب القبر) .

**المطلب الرابع** : جانب من الرد على منكري البعث .

## المبحث السادس

## الايمان باليوم الآخـــــر

تمهيد : معنى الايمان باليوم الآخر :

الايمان باليوم الآخر هو : ( الايمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت ، من فتنة القبر وعذابه ونعيمه ، والبعث والحشر ، والنشر ، والصحف ، والميزان ، والحساب ، والصراط ، والحوض ، والشفاعة ، وأحوال الجنة والنار ، وما أعد الله لأهلهما اجمالا وتفصيلا ) (١).

وقد اهتم القرآن الكريم اهتماما بالغا بتقرير حقيقة اليوم الآخر ، وما يكون فيه ، ثم ما يتبعه ، ودعم الايمان به في القلوب بوصفه ركنا من أركان العقيدة الاسلامية (وبخاصة في الآيات المكية حيث نجد سورا أو آيات من سور تنفرد بالاخرة تعريفا بها وتعظيما لها ، تذكيرا وتقريرا وترغيبا وترهيبا ، فلا تكاد سورة تخلو من الحديث عنه ، ولو في اشارة أو تلميح مع تقريبه الى الأذهان تارة بالحجة والبرهان ، وتارة بضرب الأمثال ، وكثيرا ما يتحدث عن الدنيا وكأنها ماض كان ، والأخرى كأنها الحاضر الآن .

وينتقل الكلام فجأة من الوصف المجرد الى الحوار الفني فيخيل الى السامع أن المشهد حاضر يوجه فيه الخطاب ، وذلك للتأثير في النفوس) (٢) .

" وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ " (٣)

---

(١) الأسئلة والأجوبة الأصولية / عبد العزيز المحمد السلمان ص ٢٦١ .

(٢) عقيدة البعث في الاسلام ، التهامي انقرة ص ١٠٦ .

(٣) سورة الزمر آية ٧١ .

كما تجلى هذا في ربط الايمان باليوم الآخر بالايمان بالله ، وكثيرا ما يلاحظ هذا الربط في القرآن الكريم كقوله تعالى :

" لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ " (١)

وقال أيضا :

" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ " (٢)

وفي خواتيم البقرة آية جامعة تجمل الأركان الخمسة ، قال تعالى :

" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) " (٣)

والمصير الذى اختتمت به الآية هو صفة من صفات اليوم الآخر الكثيرة جدا والتي اشتهر بها حتى غدت أسماء وأعلاما ، والتي منها :

اليوم الآخر أو الحياة الآخرة ، ويوم القيامة ، ويوم الفصل ، ويوم الدين ، ويوم الحساب ، ويوم الجمع ، ويوم التغابن ، والساعة ، والغاشية ، والطامة ، والحاقة ، وكذا الواقعة ، والصاخة ، الى غير ذلك من الأسماء والصفات الكثيرة ، يقول الامام القرطبي (٤) في ذلك ( وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه ، وهذا جميع كلام العرب ، ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه ، وتأكد نفعه لديهم ، وموقعه جمعوا له خمسمائة اسم ،

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٦٢ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٥ .

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصارى الخزرجي ، أبو عبد الله القرطبي ، الامام العالم الجليل ، الفقيه المفسر ، المحدث وكان من عباد الله الصالحين ، والعلماء الزاهدين في

===

وله نظائر . فالقيامة لما عظم أمرها ، وكثرت أهوالها ، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة ، ووصفها بأوصاف كثيرة ) .(١)

المطلب الأول : بعض من أسماء ذلك اليوم -

لقد كان لسورة غافر نصيب من هذه الأسماء والصفات ، أورد الامام القرطبي ثمانية منها في تذكرته وهي :

١ - يوم التلاق :

قال تعالى :

" رَفِيعُ الدَّرَجَٰتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ". (٢)

واللقاء ( مقابلة الشيء ومصادفته معا وقد يعبر به عن كل واحد منهما ، يقال لَقِيَهُ يَلْقَاه لِقاءً ولُقياً ولُقِيةً ، ويقال ذلك في الادراك بالحس وبالبصر وبالبصيرة ) (٣) ( ويوم التلاق : اسم من أسماء يوم القيامة حذر الله منه عباده . وقال ابن جريج : قال ابن عباس رضي الله عنهما : يلتقي فيه آدم وآخر ولده ، وقيل : يلتقي فيه العباد ، وقيل : يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض والخالق والخلق وقيل يلتقي الظالم والمظلوم ) . (٤) وقيل المقصود به ( لقاء الأموات بمن سبقهم الى الممات فيسألونهم عن أهل

---

=== الدنيا ، المشتغلين بأمور الآخرة ، قال الذهبي " امام متقن متبحر في العلم ، له تصانيف مفيدة تدل على امامته وكثرة اطلاعه وفور عقله ، توفي سنة ٦٧١ هـ (انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣٣٥ ، طبقات المفسرين ٢/ ٦٥) .

(١) التذكرة / القرطبي ص ٢٦٠ .

(٢) سورة غافر آية ١٥ .

(٣) المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني ص ٤٥٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٧٥ .

الدنيا ، وقيل لقاء الانسان بعمله ) (١) وقد يقال ( ان يوم التلاق يشمل هذا كله ) (٢).

## ٢ - يوم الجزاء :

الجزاء : الغناء والكفاية ، والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة ان خيرا فخير وان شرا فشر (٣) ، ومنه قوله تعالى :

" ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ " (٤)

فيخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر ، بل يجزى بالحسنة عشر أمثالها ، وبالسيئة واحدة ، ولهذا قال تبارك وتعالى :

" لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ " (٥)

## ٣ - يوم الآزفة :

الآزفة : ( اسم من أسماء يوم القيامة ، وسميت بذلك لاقترابها ، كما قال تعالى :

" أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ " (٦) (٧) )

---

(١) التذكرة / القرطبي ص ٢٧٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ابن كثير جـ ٤ ص ٧٥ .

(٣) المفردات في غريب القرآن / الراغب الاصفهاني ص ٩٣ .

(٤) سورة غافر آية ١٧ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ابن كثير جـ ٤ ص ٧٥ .

(٦) سورة النجم آية ٥٧-٥٨ .

(٧) تفسير القرآن العظيم ابن كثير جـ ٤ ص ٧٦ .

( ويقال أزف اعتبارا بضيق وقتها ، والأزف : ضيق الوقت ، وسميت به لقرب كونها ، وعلى ذلك عبر عنها بساعة )[(١)] يقول الامام القرطبي :
( وهي قريبة جدا ، وكل آت قريب ، وما يستبعد الرجل من الساعة ومدته ساعة )[(٢)].

## ٤ - يوم الحساب :

قال تعالى :
" وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ "[(٣)]
( ومعناه أن البارئ يعدد على الخلق أعمالهم من احسان واساءة ، يعدد عليهم نعمه ، ثم يقابل البعض بالبعض ، فما يشف[(٤)] منها على الآخر حكم للمشفوف بحكمه الذى عينه للخير بالخير وللشر بالشر )[(٥)].

## ٥ - يوم التناد :

قال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون :
" وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ "[(٦)]

---

(١) المفردات / الراغب الأصفهاني ص ١٧.
(٢) التذكرة / القرطبي ص ٢٧٧.
(٣) سورة غافر آية ٢٧.
(٤) الاشتفاف : شرب كل ما في الاناء والمقصود بقوله " فما يشف منها " أى ما يتبقى عليه بعد وزن الأعمال ( انظر مختار الصحاح / الرازى ص ٣٤٢ ).
(٥) التذكرة / القرطبي ص ٢٥٦.
(٦) سورة غافر آية ٣٢- ٣٣.

( والنَّدّ بتخفيف الدال من النداء وتشديدها من نَدَّ اذا ذهب )[(١)] ،
أى يَنِدّ بعضهم من بعض ، نحو : " يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ "[(٢)] [(٣)] )

وهو قوله تعالى : ( يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ )

وهو الذهاب في غير قصد .[(٤)]

( وسمي بذلك كما قال بعضهم : لما جاء في حديث الصور أن الأرض اذا زلزلت وانشقت من قطر الى قطر ، وماجت وارتجت ، فنظر الناس الى ذلك ذهبوا هاربين ينادى بعضهم بعضا .

وقال آخرون : بل ذلك اذا جيء بجهنم ذهب الناس هربا منها ، فتتلقاهم الملائكة فتردهم الى مقام المحشر ، وقيل : لأنّ الميزان عنده ملك اذا وزن عمل العبد فرجح نادى بأعلى صوته ألا قد سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وان خف عمله نادى ألا قد شقي فلان بن فلان وقيل : يُنَادَى كل قوم بأعمالهم يُنادِى أهل الجنة أهل الجنة وأهل النار أهل النار .

وقيل : سمى بذلك لمناداة أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار كما هو مذكور في سورة الأعراف ، واختار البغوى[(٥)] وغيره أنه سمي بذلك لمجموع ذلك ، وهو قول حسن جيد والله أعلم ) .[(٦)]

---

(١) التذكرة / القرطبي ص ٢٦٩ .
(٢) سورة عبس آية ٣٤ .
(٣) المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٤٨٦ .
(٤) التذكرة / القرطبي ص ٢٦٩ .
(٥) هو ابراهيم بن هشام بن الحسين بن هاشم ابو اسحاق المعروف بالبغوى والمتوفى سنة ٢٩٧ ( انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٦/ ٢٧٣ ) .
(٦) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ج ٤ ص ٨٠ .

## ٦ - الساعة :

قال تعالى :

" وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ " (١)

وقال :

" إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ " (٢)

( وحقيقة الاطلاق فيها أن الساعة بالالف واللام عبارة في الحقيقة عن الوقت الذى أتت فيه ، وهو المسمى بالآن ، وسميت به القيامة .

إما لقربها : فان كل آت قريب .

وإما أن تكون سميت بها تنبيها على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود وتكسر العظام .

وقيل انها سميت بالساعة لأنها تأتي بغتة في ساعة ، الى غير ذلك من الأقوال ) . (٣)

## ٧ - يوم يقوم الأشهاد يوم الشهادة :

قال تعالى :

" إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ " (٤)

وهذه الشهادة على أنواع :

الأول : شهادة محمد وأمته تحقيقا لشهادة الرسل على أقوامها .

---

(١) سورة غافر آية ٤٦ .

(٢) سورة غافر آية ٥٩ .

(٣) انظر التذكرة / القرطبي ص ٢٦٢ .

(٤) سورة غافر آية ٥١ .

الثاني : شهادة الأرض والأيام والليالي بما عمل فيها وعليها .

الثالث : شهادة الجوارح.

الرابع : شهادة الأمم بعضها على بعض ) (١) .

٨ - " يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ":

قال تعالى :

" يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ " (٢)

وإن أُذِنَ لهم بأن يمكنوا منها - أي المعذرة - لا بأن يقال لهم اعتذروا لقوله : " رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا " (٣)

وقوله : " رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا " (٤) ) (٥)

وقال ابن كثير المقصود بهم المشركون ) (٦) .

ويشير الامام القرطبي الى أن هناك أسماء أخر لم يتعرض لها حين قال ( ولا يمتنع أن تسمى بأسماء غير ما ذكرنا ،بحسب الأحوال الكائنة فيه من الازدحام والتضايق واختلاف الأقدام والخزى والهوان والذل والافتقار والصغار والانكسار ويوم الميقات والمرصاد ،الى غير ذلك من الأسماء ) (٧) .

---

(١) التذكرة / للقرطبي ص ٢٧٣ .
(٢) سورة غافر آية ٥٢ .
(٣) سورة الأحزاب آية ٦٧ .
(٤) سورة المؤمنون آية ١٠٧ .
(٥) التذكرة / القرطبي ص ٢٨١ .
(٦) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٨٥ .
(٧) التذكرة / القرطبي ص ٢٨٣ .

وقد أشارت سورة غافر الى بعض منها :

كيوم البروز :

" والبَرَاز الفضاء ، وبَرَزَ : حصل في بَرَاز ، وذلك إما أن يظهر بذاته ، وإما أن ينكشف عنه ما كان مستورا منه (١) ، ومنه قوله تعالى :

" يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ " (٢)

أى ظاهرون بادون كلهم ، لا شيء يكنهم ولا يظلهم ولا يسترهم ) (٣) .

ودار القرار :

قَرَّ في مكانه يقر قرارا : اذا ثبت ثبوتا جامدا ، وأصله : من القر وهو البرد ، وهو يقتضي السكون (٤) ومنه قوله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون :

" يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ " (٥)

والدار الآخرة :

( وآخِر : يقابل به الأول ، ويُعبر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية كما يُعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى نحو :

" وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ " (٦)

وربما ترك ذكر الدار ) (٧) نحو قوله :

" لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ " (٨)

---

(١) المفردات في غريب القرآن / الراغب الاصفهاني ص ٤٣ .
(٢) سورة غافر آية ١٦ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج٤ ص ٧٥ .
(٤) المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص٣٩٧ .
(٥) سورة غافر آية ٣٩ .
(٦) سورة العنكبوت آية ٦٤ .
(٧) المفردات / الاصفهاني ص ١٣ .
(٨) سورة غافر آية ٤٣ .

المطلب الثالث : بعض من مشاهد ذلك اليوم

( لقد عني القرآن بمشاهد اليوم الآخر ، فلم يعد ذلك العالم الذى وعده الناس بعد هذا العالم موصوفا فحسب ،بل عاد مصورا محسوسا وحيا متحركا وبارزا شاخصا ،وعاش المسلمون فيه ، فرأوا مشاهده ، وتأثروا بها ، وخفقت قلوبهم تارة ،واقشعرت جلودهم أخرى ، وسرى في نفوسهم الفزع مرة ،وعاودهم الاطمئنان أخرى ،ولفحهم من النار شواظ، ورف اليهم من الجنة نسيم ،ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم قبل اليوم الموعود وقد أضحى لديهم واضحا وضوح العقيدة الاسلامية : موت وبعث ونعيم وعذاب ،لأن هذه الحقيقة الواضحة يعرضها القرآن في صور شتى وترتسم في عالم حافل بالمشاهد المنتزعة من عالم الأحياء ، وتتراءى في عديد الألوان والأشكال والسمات :فتؤلف بذلك ملاحم فنية رائعة ، تتملاها النفس ،ويتابعها الخيال ويستغرق فيها الحس ).(١)

فعل القرآن الكريم كل ذلك لأنه أراد أن يؤكد في أذهان البشر حقيقة واقعة عن الجنة ومتعها ونعيمها وأحوالها وعن النار وعذابها وشدتها وأهوالها ،حتى يتسنى للانسان أن يقف على صورة قريبة من ذلك ،وللانسان أن يتصور مدى الفارق بين الحقيقة والمثل أو الصورة ).(٢)

وقد رسمت لنا سورة غافر بعض المشاهد التي تصف هول ذلك اليوم وذلك من خلال عرضها لأحوال أهل النار وعذابهم ،فهم يساقون الى

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن / سيد قطب ص ٣٨- ٣٩.

(٢) يوم القيامة / عبد الرزاق نوفل ص ١٥٢.

النار سوقا وهم مكبلون بالسلاسل والأغلال تسوقهم الزبانية ، قال تعالى :

" إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ " (١)

فاذا ما سيقوا الى هناك ، واستقروا بدأوا بالقاء اللوم على بعضهم بعضا ،

قال تعالى : " وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ " (٢)

واذا بهم بعد طول العذاب وتواصله والذى لم يفتر عنهم لحظة واحدة ينادون خزنة النار ، يريدون الموت ولا موت حتى اذا يئسوا وتيقنوا أنه لا موت ينادون يطلبون تخفيف العذاب يوما فلا يخفف عنهم :

" وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ " (٣)

وكذلك رسمت لنا سورة غافر بعضا من الصور لأحوال أهل النار وعذابهم في قبورهم قبل البعث والحساب والجزاء ، وهي بذلك :

- تؤكد عقيدة هامة فيما يتعلق بحياة البرزخ ، وهي عذاب القبر.

---

(١) سورة غافر آية ٧١-٧٢.

(٢) سورة غافر آية ٤٧ - ٤٨.

(٣) سورة غافر آية ٤٩ - ٥٠.

## المطلب الثالث : حياة البرزخ ( عذاب القبر )

قال تعالى في سورة غافر :

" فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ " (١)

قال ابن القيم ( هي دليل على عذاب البرزخ ، فقد ذكر عذاب الدارين ذكرا صريحا لا يحتمل غيره ) (٢) .

كما ذكر السيوطي (٣) عن الكرماني : ( أن هذه الآية أدل دليل على عذاب القبر ، لأن المعطوف غير المعطوف عليه ) (٤) .

وقال ابن كثير ( هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور ) (٥) ولكن هناك ما تجدر الاشارة اليه في هذا الموضع وهو أن هذه الآية مكية والحديث حول عذاب القبر كان في المدينة بعد ذلك ولم يكن معروفا قبلها ، كما يفهم من الحديث

---

(١) سورة غافر آية ٤٥ - ٤٦ .

(٢) الروح / ابن قيم الجوزية / تحقيق ودراسة السيد الجميلي / ص ١٣٢ .

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي ، المجتهد ، الامام الكبير ، صاحب التصانيف ، الشافعي ، قال الشوكاني : " حفظ القرآن وبرز في جميع الفنون ، وفاق الأقران ..... وذكر العلماء " أن مؤلفاته بلغت ست مائة مؤلف في العلوم المختلفة ، توفي سنة ٩١١ هـ .
( انظر ترجمته في الضوء اللامع ٤/ ٦٥ ، شذرات الذهب ٨/ ٥١ ) .

(٤) الإكليل في استنباط التنزيل / السيوطي ص ١٨٩ .

(٥) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٨١ .

الذى أورده ابن كثير عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة رضي الله عنها اليها شيئا من المعروف الا قالت لها اليهودية " وقاك الله عذاب القبر " قالت عائشة رضي الله عنها : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟ قال صلى الله عليه وسلم " لا " من زعم ذلك ؟ قالت : هذه اليهودية لا أصنع اليها شيئا من المعروف الا قالت " وقاك الله عذاب القبر" قال صلى الله عليه وسلم : كذبت يهودية وهم على الله أكذب لا عذاب دون يوم القيامة ، ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث ، فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه محمرة عيناه وهو ينادى بأعلى صوته " القبر كقطع الليل المظلم " أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيرا وضحكتم قليلا ، أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر ، فان عذاب القبر حق ". (١)

والسؤال هو : كيف نجمع بين أحداث الحديث التي تمت في المدينة وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ ؟

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨١ ، والحديث أورده البخارى في صحيحه جـ٢ كتاب الكسوف ، باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف ص ٢٦ ، " قريبا منه " وباب صلاة الكسوف في المسجد ص ٢٩ ، مسند الامام أحمد جـ٦ ( حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ص ٨١ " بلفظه ". سنن النسائي جـ٤ كتاب الجنائز باب التعوذ من عذاب القبر ص ١٠٤-١٠٥ ( "، " قريبا منه ".

( والجواب : أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوا وعشيا في البرزخ ، وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور اذ قد يكون ذلك مختصا بالروح ، فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسبب فلم يدل عليه الا السنة ) (١) في الأحاديث الآتي ذكرها والله أعلم.

ولم تنفرد سورة غافر بالاشارة الى عذاب القبر ، بل ان نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في غير موضع ، والتي منها :

(١) قوله تعالى :

" وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ " (٢)

يقول ابن القيم : ( وهذا خطاب لهم عند الموت ، وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ولو تأخر عنهم ذلك الى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم : اليوم تجزون ) (٣).

(٢) وقوله تعالى :

" فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ " (٤)

قال شارح الطحاوية : ( يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا أو أن يراد به عذابهم في البرزخ وهو

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨١.
(٢) سورة الأنعام آية ٩٣.
(٣) الروح ص ١٣٢.
(٤) سورة الطور آية ٤٥ - ٤٧.

أظهـــــر لأن كثيــــرا منهم مات ولم يعذب في الدنيا ) (١) (وقد يقال وهو أظهر أن من مات منهم عذب في البرزخ ، ومن بقي منهــــم عذب في الدنيا بالقتل وغيره ، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ ) (٢) وقال البراء بن عازب (٣) رضي الله عنهما هو عذاب القبر ) (٤) .

(٣) قال تعالى : " فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا " (٥)

فعن أبي هريرة رضي الله عنه " قال : المؤمن في روضة ويرحب له قبره سبعون ذراعا وينور له كالقمر ليلة البدر ، أتدرون فيما نزلت هـذه الآية " فان له معيشة ضنكا " ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : " عذاب الكافر في قبره " والذى نفسي بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه الى يوم القيامة " . (٦)

---

(١) ابن أبي العز الحنفي ص٤٤٧ .

(٢) الروح / ابن قيم الجوزية ص ١٣٢ .

(٣) هو الصحابي الجليل البراء بن عازب بن الحارث الانصارى " أبوعمارة من كرام الصحابة وخيارهم أتى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فرده عنها لصغر سنه فلم يشهدها ، ثم شهد أحدا وغيرها من المشاهـد مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد رَوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا من الأحاديث توفى سنة ٧٢ هـ .
( انظر ترجمته في الاصابة ١/ ١٤٤ ، الاستيعاب ١/ ١٣٩ ) .

(٤) لوامع الأنوار البهية / الاسفراييني ص ١٣ .

(٥) سورة طه آية ١٢٤ .

(٦) سنن الترمذى جـ٤ كتاب صفة القيامة باب ٢٦ حديث رقم ٢٤٦٠ " من حديث طويل قريب منه " ص ٦٣٩ - ٦٤٠ وقال عنه الترمذى " حديث حسن غريب " ، مسند الامام أحمد جـ٣ ص ٣٨ مختصرا

===

كما تواترت الأحاديث الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في عذاب القبر والتي منها :

(١) عن أم مبشر ( امرأة زيد بن حارثة رضي الله عنها ) قالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في حائط من حوائط بني النجار وفيه قبور منهم قد ماتوا في الجاهلية فسمعهم وهم يعذبون ،فخرج وهو يقول :( استعيذوا بالله من عذاب القبر ،قالت : قلت يا رسول الله : وانهم ليعذبون في قبورهم ؟ ، قال :نعم عذابا تسمعه البهائم ) .(١)

(٢) ما ورد في الصحيحين عن ابن عباس (٢) " أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ،أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول ،وأما الاخر فكان يمشي بالنميمة ،ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين فقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا ". (٣)

------------------

=== ما نصه ( عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تلدغه حتى تقوم الساعة فلو أن تنينا منها نفخ في الأرض ما أنبتت خضراء، سنن الدارمي جـ ٢ باب في شدة عذاب النار ،كتاب الرقاق ص ٣٣١ .

(١) أخرجه الامام أحمد وابن أبي شيبة في مصنفه ورجاله رجال الصحيح (انظر الفتح الرباني أبواب البكاء على الميت / باب ما جاء في أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ٨/ ٢٥ ).

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم حبر الأمة وترجمان القرآن وأحد الستة المكثرين من رواية الحديث دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ ( انظر ترجمته في الاصابة ٢/ ٣٣٠ ،الاستيعاب ٢/ ٣٥٠ ، طبقات المفسرين للداودى ١/ ٢٣٢ ).

(٣) صحيح البخارى جـ١ كتاب الوضوء باب ما جاء في غسل البول حديث رقم ٢١٨ ص ٣٢٢ بلفظه ، صحيح مسلم ،كتاب نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه جـ٢ ص ٢٠٠ " قريبا منه ".

(٣) وعن زيد بن ثابت (١) " بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه اذ حادت به فكادت تلقيه فاذا أقبر ستة أوخمسة أو أربعة ،فقال من يعرف أصحاب هذه القبور ؟ فقال رجل : أنا ، قال:فمتى مات هؤلاء ؟ قال ماتوا في الاشراك ،فقال ان هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار ، قالوا نعوذ بالله من عذاب النار قال تعوذوا بالله من عذاب القبر ، قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ،قالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ،قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال ،قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال" (٢) الى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي تنص على عذاب القبر وتثبته .

-------------------

(١) هو الصحابي زيد بن ثابت بن الضحاك أبو سعيد الأنصارى البخارى المدني ،كاتب الوحي ،أسلم قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة ،واستصغره النبي يوم بدر ،وشهد أحدا والخندق ومابعدها مع رسول الله ،كتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب له المراسلات الى الناس ،ثم كتب لأبي بكر وعمر في خلافتهما ،وكان عمر وعثمان يستخلفانه اذا حجا ، توفي بالمدينة سنة ٥٤ هـ وقيل غير ذلك (انظر ترجمته في الاصابة ١/ ٥٦١ ، الاستيعاب ١/ ٥٥١ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠ ) .

(٢) صحيح مسلم ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب ١٧ ، عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه " واثبات عذاب القبر والتعوذ منه جـ ٤ ص ٢١٩٩ .

ولكن بعد هذا العرض لهذه الآيات والأحاديث ما الحكمة في أن عذاب القبر لم يذكر في القرآن صريحا مع شدة الحاجة الى معرفته والايمان به ليحذره الناس ويتقى ؟

أجاب ابن القيم رحمه الله عن ذلك قائلا ( ان جواب هذا السؤال من وجهين : مجمل ومفصل .

أما المجمل : فهو أن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله وحيين وأوجب على عباده الايمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة قال تعالى :

" وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ " (١)

وقال :

" هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ " (٢)

كما قال تعالى :

" وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ " (٣)

أى أنه ما دام قد ذكر في السنة فكأنه ذكر في القرآن فالمصدران هما وحي من الله عز وجل ، أنزلهما على رسوله ونحن مأمورون بالايمان بهما معا .

فابن القيم رحمه الله قال بهما معا : فالكتاب هو القرآن ، والحكمة هي السنة ، باتفاق السلف ، وما أخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب

---

(١) سورة النساء آية ١١٣ .

(٢) سورة الجمعة آية ٢ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٤ .

تصديقه والايمان به كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله ، فهذا أصل متفق عليه بين أهل الاسلام لا ينكره الا من ليس منهم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " اني أوتيت الكتاب ومثله معه ".(١)

وأما الجواب المفصل ، فهو أن نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في غير موضع )(٢) ثم شرع رحمه الله يسرد الآيات ، والتي منها ماذكرناه سابقا أو ما أشرنا اليه في الهامش ، مبينا مواضعها في القرآن مع التعليق عليها الى آخر الفصل .

والمتأمل لأحاديث عذاب القبر ونعيمه يجدها تفصيلا وتفسيرا لما دل عليه القرآن الكريم .

( تخصيص آل فرعون بالعذاب )

كان لآل فرعون نتيجة كفرهم واصرارهم على التكذيب والعناد ، حظ وافر من ذلك العذاب حتى أنهم خصوا به من دون غيرهم ، وهذا ما أثبتته سورة غافر ، قال تعالى :

" فَوَقَاهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ "(٣)

وهذا العذاب أكده حديث رسول الله .

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل ج٣ ص ٣٦٧ ، ج٤ ص ١٣١-١٣٢ ، من حديث المقدام بن معديكرب الكندى ، سنن أبي داود ج٤ كتاب السنة باب في لزوم السنة حديث رقم ٤٦٠٤ ص ٢٠٠ .
وقال صاحب الفتح الرباني معلقا : رواه الترمذى وقال حسن غريب ، وسكت عليه ابو داود وهو لا يسكت الا على صالح للاحتجاج به ، ورواه احمد باسناد جيد ، وقال في النيل ( يعني نيل الاوطار ) هو حديث صحيح .
(انظر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة / باب الاعتصام بسنته صلى الله عليه وسلم والاهتداء بهديه ١/ ١٩٢

(٢) الروح / ابن قيم الجوزية ص ١٣٢ .

(٣) سورة غافر آية ٤٥-٤٦

ففي حديث الاسراء الذى أورده ابن كثير في تفسيره عن أبي سعيد الخدرى (١) رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه " ثم انطلق بي الى خلق كثير من خلق الله رجال ، كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم ، مصفدون على سابلة آل فرعون ، وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا :

" وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ "

وآل فرعون كالابل المسوقة يتخبطون الحجارة والشجر لا يعقلون (٢) ".

كما أكده المفسرون ، فعن ابن مسعود قال " ان أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح بهم في الجنة ، وان أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تغدو على جهنم فذلك عرضها " (٣).

وتتمة لذلك فقد أورد ابن كثير عن ابن جرير (٤) قال " سمعت الأوزاعي

---

(١) هو الصحابي الجليل سعد بن مالك بن سنان ، أبو سعيد الخدرى الأنصارى الخزرجي ، استصغر يوم أحد ، فرد ، ثم غزا بعد ذلك مع النبي صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة غزوة ، وروى عنه الكثير من الأحاديث ، قال ابن عبد البر .. كان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم ، توفي سنة ٧٤ هـ وقيل غير ذلك ( انظر ترجمته في الاصابة ٢/ ٣٥ ، الاستيعاب ٢/ ٤٧ ، صفة الصفوة ١/ ٧١٤ ) .

(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٢ .

(٣) الاكليل في أسرار التنزيل / السيوطي ص ١٨٩ ، كما أخرج ابن جرير نحوه دون ذكر لأرواح الشهداء في جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ٤٦ .

(٤) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد ، أبو عمرو الأوزاعي ، امام أهل الشام ، قال ابن حبان " أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وحفظا ، وفضلا ، وضبطا مع زهادة " وكان إماماً في الحديث ، وكان يسكن بيروت وهو من تابعي التابعين ، توفي سنة ١٥٧ هـ ببيروت ( انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٨ ، وفيات الأعيان ٢/ ٣١٠ ، طبقات الحفاظ ص ٧٩ ) .

سأله رجل فقال : رحمك الله رأينا طيورا تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب، بيضاء ، فوجا فوجا لا يعلم عددها الا الله عز وجل ، فاذا كان العشى رجع مثلها سوداء قال : وفطنتم الى ذلك ؟ قال : نعم ، قال : ان ذلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فترجع الى وكورها وقد احترقت أرياشها وصارت سوداء ، فينبت عليها من الليل ريش أبيض ويتناثر الأسود ، ثم تغدو على النار غدوا وعشيا ثم ترجع الى وكورها ، فذلك دأبهم في الدنيا ، فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى :

" أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ " (١)

وعلى هذا :

فالنتيجة التي نصل اليها في خاتمة هذا البحث هي أنه :

( قد توافرت الأخبار في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والايمان به ، ولا نتكلم في كيفيته ، اذ ليس للعقل وقوف على كيفيته ، لكونه لا عهد له به في هذا الدار ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول ) (٢) .

( فمذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت اذا مات يكون في نعيم أو في عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه (٣) وأن الروح تبقى بعد

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٢ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / ابن ابي العز الحنفي ص ٤٥٠ .

(٣) ويرى ابن تيميه رحمه الله أن عذاب القبر يقع على الروح والبدن معا ، فقال رحمه الله " فقد صرح الحديث باعادة الروح الى الجسد وباختلاف أضلاعه وهذا بين في أن العذاب على الروح والبدن مجتمعين ( مجموع الفتاوى ( ٤/ ٢٨٩ ) .

مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحيانا و يحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح الى الأجسام وقاموا من قبورهم لرب العالمين )(١).

وبذلك نعلم أن ( كل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيب منه ، قبر أو لم يقبر ، أكلته السباع ، أو احترق حتى صار رمادا أو نسف في الهواء ، أو صلب أو غرق في البحر ، وما ورد من عذابه و نعيمه يجب أن يفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم من غير غلو ولا تقصير .

فالله قد ركب الانسان من بدن و نفس وجعل أحكام الدنيا على الأبدان ، والأرواح تبع لها ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح ، والأبدان تبع لها ، فاذا جاء يوم حشر الأجساد وقام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعا ، فاذا تأملت هذا المعنى حق التأمل ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل ، لأنه حق لا مرية فيه ، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم .

ويجب أن يُعْلم أن النار التي في القبر ، والنعيم ، ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها ، وان كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى يكون أعظم حرا من جمر الدنيا ، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها ، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما الى جنب صاحبه ، وهذا في حفرة من النار ، والثاني في روضة من رياض الجنة ، لا يصل من هذا الى جاره شيء من حر ناره ، ولا من هذا الى جاره شيء من نعيمه ، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب ، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما .

---

(١) الروح لابن قيم الجوزية ص ٩٧ .

وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير ، واذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه وغيبه عن غيره ، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والايمان بالغيب ، ولما تدافن الناس كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم " لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع "(١) . ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعته وأدركته )(٢). أعاذنا الله من عذاب القبر ، ومَنَّ علينا بالنجاة ، انه على كل شيء قدير .

---

(١) صحيح البخارى جـ١ كتاب الوضوء باب ما جاء في غسل البول حديث رقم ٢١٨ ص ٣٢٢ ، صحيح مسلم ، كتاب نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه جـ٣ ص ٢٠٠ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي / ص ٤٥١- ٤٥٢ .

## المطلب الرابع : جانب من الرد على منكرى البعث .

قضية البعث واعادة الحياة الى الموتى بعد تفتت تلك الأجساد واختلاطها بأجزاء الأرض من معضلات العقيدة ،شأنها في ذلك شأن قضية الوحدانية في الغرابة والاستبعاد ،ومن أجل ذلك سلك القرآن الكريم لاثباتها مسالك مختلفة في طريقة العرض والاستدلال . وقد تجلى مسلك القرآن الكريم في عرضه للقضية بأسلوبه الفطرى السهل الواضح ، لأنه خطاب للفطرة البشرية بما هو في متناول ادراكها ، فقد عني القرآن الكريم بقضية البعث عنايته بقضية الوحدانية ،فكما تعددت الآيات الدالة على اثبات الوجود الالهي ووحدانيته ، فقد كثرت الآيات التي تقرر البعث و تؤكد وقوعه ،فنحن نجد القرآن تارة يعرض شبهة المنكرين ، ثم يرد عليها ويظهر بطلانها (١) ، وأخرى يذكر الدليل على البعث أولا وبعد أن يتقرر ويتضح يورد القضية (٢) ، وحينا يخبر عن وقوع البعث والجزاء خبرا قاطعا مع طي الدليل وعدم ذكره لوضوحه (٣) . ومما لا شك فيه أنه لا سبيل الى استيعاب هذا البحث الكبير في هذه العجالة وانما من حق البحث علينا أن نقف حيث وقفت بنا سورة غافر والتي هي لب بحثنا ،قال تعالى في سورة غافر :

" لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ " (٤)

---

(١) كما في سورة ق آية ١-١١ .

(٢) كما في سورة المؤمنون من آية ١٢ : ١٦ وسورة الرعد من ٣-٥ وسورة الحج من ٥ - ٧ .

(٣) كما في الجاثية آية ٢١ ،وكما في سورة سبأ من ٣-٥ والتغابن آية ٧ .

(٤) غافر آية ٥٧ .

فالآية تعرض نوعا من أنواع الأدلة الحسية الشاهدة الدالة على كمال قدرته سبحانه فقال تعالى منكرا عليهم عدم اعتبارهم بهذه الأدلة المشهودة على القدرة الالهية على البعث ، فأمامهم السموات والأرض والتي يعتبر خلقها أكبر من خلق الانسان :

" أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ⑥ " (١)

فهذه السماء التي يدرجون تحتها ألا ينظرون الى ابداعها وحسنها واحكام بنائها وما زينت به من كواكب ثابتة وسيارة ، ألم يأخذوا منها دليلا على القدرة المبدعة التي لا يعجزها شيء ؟

وهذه الأرض التي يسعون عليها أفلا ينظرون اليها كيف مدت لهم ، وأرسيت بالجبال لئلا تضطرب بهم ، وما أنبت فيها من الأنواع المختلفة الطعوم والأشكال رزقا للعباد ؟ يقول تعالى :

" وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ⑲ " (٢)

وقال :

" وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ⑨ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ⑩
رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ⑪ " (٣)

( فهذا مثل ضربه الله لمنكرى البعث بما يشاهدونه من حال الأرض قبل نزول المطر عليها وهي جدباء مقفرة وحين ينزل عليها الماء تهتز وتربو فتنبت من كل زوج بهيج أى حسن المنظر ، وذلك بعدما كانت يابسة لا نبات فيها فأصبحت تهتز خضراء ) . (٤) انه مثال للبعث والاحياء بعد

---

(١) سورة ق آية ٦ .

(٢) سورة الحجر آية ١٩ .

(٣) سورة ق آية ٩ـ ١١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ ٤ /ص ٢٢٢ .

الموت ، ولذلك يقول جل شأنه " كذلك الخروج " أى مثل ذلك الاخراج للنبات من الأرض ، يحيى الله الموتى فيخرجهم من قبورهم أحياء للحساب والثواب والعقاب .

فلهذا الشاهد المحسوس من آثار قدرته تعالى أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث لخلق السماء والأرض ، قال تعالى :

" أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ " (١)

فالذى خلق السموات وما شملته من أفلاك لا يحيط بها البصر ادراكا ولم يعلم مقدار سعتها وعظمتها الا خالقها ، يرفعها بأمره ويمسكها بقدرته أن تزول ، محكمة البناء لا شقوق فيها ولا تصدع ، قال تعالى : " اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ " (٢)

فهذه الآيات الكونية العلوية منها والسفلية تهدى المتفكر فيها ، المستعمل لعقله الفطرى الذى فطره عليه خالقه ، على أنها قد أوجدت وأحكمت ونظمت بتدبير حكيم حليم ، قادر ، تقتضي حكمته رجوع الخلائق اليه ، وملاقاتهم له ، وتدل دلالة واضحة على أن من طلب دليلا غير هذه الأدلة على قدرة الله على اعادته للحياة مرة أخرى تدل على أنه ممن يعجب من قوله ، فخلق السموات والأرض أكبر من خلق الانسان .

---

(١) سورة الأحقاف آية ٣٣ .

(٢) سورة الرعد آية ٢ - ٣ .

ومن هنا نرى أن أولئك المنكرين ليس لديهم حجة يستندون اليها في انكارهم الا الاستبعاد المستند الى الوهم والظن كما قال تعالى :

" وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ " (١)

اذ ليس هناك علم يقيني لامتناع البعث بعد الموت ، وعدم امكانه ، وانما هناك ظن ووهم ناتج عن تكذيبهم بالحق الذى جاءهم من الله تعالى ، فالله هو الحق ، وقوله الحق ، وليس بعد الحق الا الضلال المبين ، ولذلك فان المكذب بالحق مضطرب ، ليس لديه أساس متين يستند اليه ، قال تعالى : " بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ " (٢)

وهذا كفر متأصل في النفوس يستحق أن يقف أصحابه ذلك الموقف الذليل في ذلك اليوم العظيم :

" يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ " (٣).

---

(١) سورة الجن آية ٧ .

(٢) سورة ق آية ٥ .

(٣) سورة غافر آية ١٦-١٧ .

# الفصل الثاني

## قضايا الأخلاق في السورة

ويشتمل على أربعة مباحث :-

المبحث الأول : تعريف الخلق لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : صلة الأخلاق بالعقيدة .

المبحث الثالث : الأخلاق الحسنة في السورة .

المبحث الرابع : الأخلاق السيئة في السورة .

# المبحث الأول :

# تعريف الخلق لغة واصطلاحًا .

# الفصل الثانـــي

## قضايا الأخلاق في الســورة

### المبحث الأول : تعريف الخلق لغة واصطلاحا :

الخلق والخلُق : السجية ، والخلُق : الطبيعة ، وفي التنزيـــل :

" وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ " (١)

والخلُق : المروءة والخلْق : بضم اللام وسكونها : هو الدين والطبـــع والسجية (٢) ، وقد جمعها صاحب القاموس المحيط فقال : (الخُلق : السجية والطبع والدين والمروءة ) (٣) .

والخِلقة : الفطرة ، والخليقة والسليقة بمعنى واحد ، والجمع: أخلاق .

واشتقاق خَلِيق وما أخلقَه من الخلاقة وهي التمرين ، من ذلك أن تقول للذى قد ألف شيئا صار ذلك له خُلُقا أى مرن عليه ، ومن ذلك الخلق الحسن .

ويُقال : أخلْق الرجل اذا صار ذا أخلاق ، وفي الحديث " ليس شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق . (٤)

وفلان حَسُنَ الخلق : أى حسَنَ الصورة والباطنة والهيئة الداخلية له) . (٥)

ومن هنا قال صاحب اللسان : ( ان حقيقة الخلق هو : صورة الانســـان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة و قبيحة ، والثواب والعقاب

---

( ١ ) سورة القلم آية ٤ .

( ٢ ) لسان العرب لابن منظور جـ ١٠ ص ٨٦ ، ٨٧ ، ٩١ .

( ٣ ) الفيروزآبادى جـ٣ ص ٢٢٩ .

( ٤ ) لسان العرب لابن منظور جـ ( ص ٩١ . والحديث أخرجه الترمذى في كتاب البر باب ٦١ والذى نصه ( ماشيء اثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ) .

( ٥ ) تاج العروس / الزبيدى / جـ٦ ص ٣٣٧ .

يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع ،كما جاءت في ذم سوء الخلق أيضا أحاديث كثيرة )(١) .

ومن هذا العرض اللغوى لمفهوم الأخلاق يمكننا استخلاص المعاني التالية :

١ - أن الخلق يطلق على الصفات الفطرية الطبيعية في خلقه الانسان كما يطلق على الصفات التي مرن عليها الانسان واكتسبها فأصبحت أيضا من طبيعته .

٢ - أن للأخلاق جانبين : جانبا باطنيا نفسيا وجانبا ظاهريا سلوكيا .

الخلق في الاصطلاح :

يعرف ابن مسكويه(٢) الخلق فيقول ( الخلق : حال للنفس داعية لها الى أفعالها من غير فكر ولا روية )(٣) .

---

(١) ابن منظور ،جـ١٠ ص ٨٦-٨٧ .

(٢) هو أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه ،كان في شبابه يحيى حياة سادرة لاهية ،يسعى وراء الشهوات الا أنه فطن الى خطورة ما هو فيه عند بدء رجولته ففطم نفسه عن كبر ،وقد كان يوصف بأنه لا أستاذ له ،وانما أستاذه هو اجتهاده ،فطبعه المتأصل : حب الحقيقة والاطلاع الواسع ولقد ساعدته وظيفته في خزائن الكتب على تنمية فكره وتوسيع ثقافته ،واكتسب بهذه الطريقة الكثير من العلوم فبرز في الكيمياء والتاريخ والفلسفة والأدب والشعر توفى سنة ٤٢١هـ ( انظر ترجمته في : روضات الجنات ٧١/١ ، النجوم الزاهرة ١٩٨/٤ ،معجم الأدباء ١٧/٥ ) .

(٣) تهذيب الأخلاق ،ص ٢٥ .

وقريب منه ما أورده الامام الغزالي (١) في إحيائه حين قال :

إن الخلق (عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر و روية) (٢) .

هذه الهيئة تحتاج الى تعليم وتبصير أخلاقي ، اذ لا بد من وعي أخلاقي ليدرك الانسان حكمة المبادئ الأخلاقية ، ولا بد من بصيرة أخلاقية يستطيع المرء بها التمييز بين السلوك الخير والسلوك الشرير ، وما يترتب على الفضيلة من الخيرات وما يترتب على الرذائل من مضار وشرور ، ( وهذا ما ذهب اليه علماء الأخلاق وأدركوه عندما عرفوا الخلق أنه ( عادة الاراده ) أوهو ( تغليب ميل من الميول على غيره باستمرار ) (٣) مدركين ومشيرين الى أهمية التدريب والتمرين على السلوك المعين ، وهذا ما ذهب اليه الاسلام حين تعبد أفراده بالسلوك الكريم والخلق الفاضل جاعلا العقيدة هي الأساس .

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي ، أبو حامد زالملقب بحجة الاسلام ، قال ابن السبكي " جامع أشتات العلوم ، والمبرز في المنقول منها والمفهوم " ، صاحب التصانيف المفيدة في الفنون العديدة ، توفي سنة ٥٠٥ هـ ( انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ، ٦/ ١٩١ - ٣٨٩ ، وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٣ ، شذرات الذهب ٤/ ١٠ ) .

(٢) احياء علوم الدين ٣/ ٥٨ .

(٣) العقيدة والأخلاق / محمد عبدالرحمن بيصار ، ص ٢١٥ ، مقدمة في علم الأخلاق ، محمود حمدى زقزوق ص ١٧ .

## المبحث الثاني :
## صلة الأخلاق بالعقيدة .

## المبحث الثاني : صلة الأخلاق بالعقيدة

في البداية نقول ان ( القضية الأخلاقية تلتقي مع القضية العقدية في أن كلا منهما تمثل جانبا من جوانب شخصية الانسان وطاقةمن طاقاته الدينية والسلوكية ، و نتيجة لذلك كانت الصلة بينهما وثيقة ، وقامت العلاقة بين العقيدة والأخلاق على أسس نفسية وعوامل بعضها وجداني وبعضها عقلي .

وسواء أخذت العقيدة بمفهومها العام ومحيطها الواسع الشامل لمختلف العقائد الدينية والاجتماعية والسياسية ، أو قصرت على نوع واحد من هذه الأنواع فلا بد أن ينعكس عنها فكر أخلاقي ، وطابع سلوكي محض ، ولا بد كذلك أن يكون لها دور حاسم وفعال في صياغة القوانين ، والمبادىء التي تقام عليها النظريات الأخلاقية ، أو يشكل على ضوئها تصرف الانسان وسلوكه في واقع حياته العملية .

الا أن العقيدة الدينية لشدة فاعليتها وقوة سلطانها على الأفراد والجماعة احتلت المكانة الأولى في دائرة النفوذ بين غيرها من العقائد خاصة اذا كانت راسخة ثابتة تقوم على إدراك واضح وعلم يقيني ثابت ) (١) وهذا لا بد منه لأن الواقع المحسوس الذى نشا هده كلنا في الحياة العملية هو أن الانسان ضعيف عاجز أمام أهوائه وشهواته وغرائزه الحيوانية وأنه في أشد الحاجة الى معونة صوت الايمان ليقوده في هذه الظلمة المخيفة التى تحوطه من كل جانب ، وهذا أمر طبيعي لا غرابة فيه ، اذ من ذا الذى يستطيع كل شيء ؟ ثم أى جزاء أكثر رهبة في نظر الروح الخالدة من جزاء الله الأبدى الذى سيلتقي بها في حياة طويلة.

---

(١) انظر العقيدة والأخلاق ، د . محمد بيصار / المقدمة.

وأى عزاء يسلي عن أحزان الحياة

والامها من التفكير في عدالة الله التي ستوفي الصابرين أجرهم بغير حساب ) (١) ( والأخلاق بهذا المعنى خروج من عبودية النفس والاتجاه الى الخالق سبحانه .. من الرغبة في شيء مادى الى الرغبة في حضرة الاله حيث يجب أن تتطلع كل العيون وهذا لا يمكن أن يتم الا اذا تم تصحيح بصر العين ، فأصبحت ترى كل شيء بحقيقة حجمه ونسبته ، ولهذا تبدأ الأخلاق الدينية بمجاهدة الشهوات حتى تحكمها وتخضعها ولا تبدأ بالتسليم لها واشباعها كما في الأخلاق الشائعة ) (٢) ومن هنا نجد ( الاسلام قد أدخل العلاقة بين الانسان والخالق في اطار الأخلاق ، وذلك أن الله تعالى إذ كان موجودا وخالقا الانسان ومنعما عليه فانه يجب الايمان به حقيقة وذاتاً موجودة. وأخلاقية الايمان تظهر من ناحيتين : ناحية اعتباره عملا ، ذلك أن الأعمال اما داخلية واما ظاهرية والايمان من النوع الأول ، ولهذا نرى الرسول نفسه ينص على أن الايمان عمل عندما سأله رجل أى الأعمال أفضل ؟ فقال : ايمان بالله وجهاد في سبيله ". (٣)

---

(١) محاضرات في الأخلاق الاسلامية والانسانية د/ علي معبد فرغلي ص ٣٥-٣٦ .

(٢) النفس المطمئنة - سيد عبد الحميد مرسي ص ٩٦ .

(٣) انظر سنن النسائي جـ٨ كتاب الايمان وشرائعه ( ذكر أفضل الأعمال ) ص ٩٤ قريبا منه والذى نصه ما روى عن عبدالله ابن حبشي الخثعمي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أى الأعمال أفضل ؟ فقال : ايمان لا شك فيه وجهاد لا غلول فيه وحجة مبرورة ) ، كما ورد في سنن البيهقي جـ٩ كتاب

===

لأنه عمل ايجابي من أعمال القلب كما أن الانكار عمل سلبي .

الناحية الثانية : أن الايمان في حقيقته عمل القلب بالاعتراف بالحقيقة الالهية ، والاعتراف بالحقيقة فضيلة متى كان هناك أدلة لوجود هذه الحقيقة ، وعدم الاعتراف بها مكابرة وخروج على الخلق الحسن ، وهو اعتراف أيضا بانعام المنعم والاعتراف بالفضل له وهو أخلاق أيضا ، ولهذا بين الله أن كفر الكفار راجع أساسا الى المكابرة لا لعدم وجود الأدلة لديهم بل عناد وتكبر ، ولهذا السبب لم يؤمن جماعة الكفار بالرسول :

" وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ " (١)

ووصف الله جماعة المؤمنين من علماء النصارى بأنهم أقرب مودة لأنهم لا يستكبرون :

" وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ " (٢)

---

=== السير باب في فضل الجهاد في سبيل الله ص ١٥٧ قريبا منه والذى نصه ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم حج مبرور ، رواه البخارى في الصحيح عن أحمد بن يونس وغيره ، ورواه مسلم عن منصور بن أبي مزاحم عن ابراهيم .

(١) سورة البقرة آية ١٣ .

(٢) سورة المائدة آية ٨٢ .

فالعلاقة الأخلاقية بين الانسان والرب هي أن يطبق الانسان المبادئ الأخلاقية لا لأنها ضرورية للحياة كتطبيق القوانين الأخرى بل لأنها أكثر من ذلك انها أوامر الهية يجب طاعتها ، لذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم أخلاقا ". (١)(٢)

بل الأكثر من ذلك ما أورده الامام ابن القيم في كتابه مدارج السالكين حين قال : " ان الخلق هوالدين ، ومن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الدين ، وفسر العلماء قول الله تعالى عن رسوله :

" وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ " (٣)

انك على دين عظيم ". (٤)

والخلق خلقان لا ثالث لهما ، خلق حسن و خلق سيء ،أوردهما القرآن في آيتين لا ثالث لهما - في معرض المدح مرة حين قال عن نبيه صلى الله عليه وسلم :

" وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ "

وفي معرض الذم مرة حين تحدث عن قوم عاد فقال :

" كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾

---

(١) سنن الامام أحمد بن حنبل جـ٢ ص ٢٥٠ من رواية أبي هريرة وعلق عليه صاحب كتاب الفتح الرباني قائلا ( خرجه الترمذى وابن حبان في صحيحه وأبو داود وصححه الترمذى وابن حبان والحاكم ) ( انظر الفتح الرباني جـ١٩ كتاب الأخلاق الحسنة وما جاء فيها باب الترغيب في محاسن الأخلاق ص ٧٤- ٧٥ ).

(٢) انظر التربية الاخلاقية الاسلامية ، مقداد يالجن ص ٨١-٨٧.

(٣) سورة القلم آية ٤.

(٤) تأملات في كتاب مدارج السالكين / صلاح شادى

" إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾
إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ " (١)

وفي ظل هاتين الايتين تكررت الايات الكثيرة في الدعوة الى حسن الخلق والتحذير من سوء الخلق ، تدعو الى حسن الخلق ، وهي تتحدث عن الانبياء ومن تبعهم ، ثم محمد من بعدهم والذى قال عنه ربه :

" وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ " (٢)

وقال لنا بعده :

" لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ " (٣)

تتحدث عنهم وما كان منهم من حلم وأناة ، وصبر وتحمل وكرم وشجاعة وعدل واحسان وما الى ذلك من الفضائل الخلقية والكمالات النفسية .

وتحذر من سوء الخلق الذى كان عقبة امام ايمان الكافرين الجاحدين والذى من مظاهره الكذب ، الخيانة ، والجزع ، الطمع ، الغلظة ، الفحش ، البذاء وما إليها من أخلاق .

والقرآن كله تربية وتوجيه وسورة غافر جزء من هذا الكتاب والذى كان لها دورها في الدعوة الى محاسن الاخلاق والثبات عليه فكان الحديث عن الصبر والشجاعة والتحذير من سيء الاخلاق والاستمرار عليها فكان الحديث عن الكبر والاسراف والفرح والمرح بغير حق ، أما الصبر والشجاعة فقد وقفت عندهما سورة غافر كغيرها من / السور المكية ، ومعنى ذلك أن هذه الايات كانت في بدء حياة الرسول ودعوته وفي أشد ظروف المحنة وهو أحوج ما يكون الى أن يدعى الى الصبر والشجاعة وأن تضرب له القصص في سير السابقين قبله وشجاعتهم.

---

(١) سورة الشعراء آية ١٣٧ .
(٢) سورة القلم آية ٤ .
(٣) سورة الاحزاب آية ٢١ .

وأما الأخلاق السيئة التي أشارت اليها السورة واكتفت بها ، ندرك سببها اذا علمنا أن سورة غافر كان فيها الكثير من الآيات للتخفيف عن الرسول في محنته بمكة وهو يواجه قريشا التي وقفت تجادله كثيرا لا تكل ولا تمل والرسول يقف أمامهم للرد والايضاح طمعا في ايمانهم ورغبة في انتشالهم من أوحال الشرك والكفر ، ولكن الوقوف يطول ... والحزن يتسرب الى أعماق نفسه ... والألم يعتصره ... لكن ربه لا يتركه في محنته وحده بل يخفف ويسرى عنه مبينا له العلة في طول المجادلة ، انه ليس تقصيرا منك يا محمد بل سببه :

١ - كبر وجبروت .

٢ - اسراف وارتياب .

٣ - فرح ومرح بغير حق .

ومن هنا كان المبحث الثالث والرابع.

المبحث الثالث - الأخلاق الحسنة في ضوء سورة غافر : وفيه :

١ - الصبر .

٢ - الشجاعة .

وأما المبحث الرابع - الأخلاق السيئة في ضوء سورة غافر :وفيه :

١ - الكبر .

٢ - الاسراف .

٣ - الفرح والمرح بغير حق .

## المبحث الثالث :

# الأخلاق الحسنة في السورة .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الصبر .

المطلب الثاني : الشجاعة .

## المبحث الثالــث

## الأخلاق الحسنة في ضوء سورة غافـــر

### المطلب الأول : الصبر .

الصبر هو : ( حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عـنه ) .(١)

وقال صاحب كتاب مدارج السالكين : ( هو حبس النفس عن الجزع والسخط وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش ) .(٢)

( فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه ، فان كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع ، وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن... وان كان في امساك الكلام سمي كتمانا ويضاده المذل(٣) وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبرا ونبه عليه بقوله :

" وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ "(٤)

وقوله :

" وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ "(٥) )(٦)

( وهو في القرآن على ستة عشر نوعا ، أقف أمام واحد منها فقط وهو الذى بصدد آيتي سورة غافر وهو : الصبر الذى ضمن به النصر كقوله :

" بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ "(٧) )(٨)

---

(١) المفردات / الاصفهاني ص ٢٧٣ .

(٢) ابن القيم ٢/١٥٦ .

(٣) المذل : من مذل مذلا ومذالا : قلق بسره وضجر به حتى أفشاه ( انظر المعجم الوسيط ٢/٨٦٦ ) .

(٤) سورة البقرة آية ١٧٧ .

(٥) سورة الحج آية ٣٥ .

(٦) المفردات / الاصفهاني ص ٢٧٣ .

(٧) سورة آل عمران آية ١٢٥ .

(٨) انظر بصائر ذوى التميز جـ٣ ص ٣٧٣ .

يقول صاحب كتاب المفردات ( ويعبر عن الانتظار بالصبر لما كان حق الانتظار أن لا ينفك عن الصبر بل هو نوع من الصبر ). (١)

( واذا كان الصبر لأى انسان من لوازم بقائه وسيره في الحياة وبلوغ ما يريد فان الصبر أشد ضرورة للمسلم من غيره ، لأن المسلم مطلوب منه أن يحبس نفسه ، ويكفها عن المعصية ويحثها على فعل الطاعة فيحتاج الى قدر كبير من ضبط النفس والارادة التي تمنعه من مقارفة الخطيئة ومفارقة الفضيلة ، ثم يصبر على ما يقدره الله حفاظا على الأجر والثواب .

واذا كان الصبر ضروريا للناس عامة وللمسلم خاصة فان الصبر للداعي المسلم أشد ضرورة له من غيره لأنه يعمل في ميدانين : ميدان نفسه يجاهدها ويحملها على الطاعة ، ويمنعها من المعصية ، وميدان خارج نفسه وهو ميدان الدعوة الى الله ، ومخاطبة الناس في موضوعها فيحتاج الى قدر كبير من الصبر في المجالين مجال النفس ومجال الدعوة .) (٢)

وهذا ما توقفت عنده سورة غافر ، يقول تعالى لنبيه :

" فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ " (٣)

كما يقول سبحانه : " فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ " (٤)

فالصبر يتطلب القدرة .. القدرة على الاحتمال وضبط النفس ، يتطلب ممارسة

---

(١) الاصفهاني ص ٢٧٤ .

(٢) انظر اصول الدعوة / عبد الكريم زيدان ص ٦٣٦ - ٣٣٧ .

(٣) سورة غافر آية ٥٥ .

(٤) سورة غافر آية ٧٧ .

وتدريباً على السيطرة على هوى النفس ، وانفعالاتها ، وعلى الرجوع الى العقل والتروي في مواجهة الشدة والأزمة ، ولذا كان توجيه القرآن للرسول عليه الصلاة والسلام عند مباشرته للدعوة الى الاسلام يقوم على أمرين :

أولا : الصبر على/ أذى المعارضين لرسالته والمتنكرين له .

فمنذ بدء الدعوة الى الرسالة كان الصبر مطلوبا من الله لرسوله الكريم ، ومأمورا به :

" وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ " (١)

لأنه عامل رئيسي في النجاح وفي دفع الهزيمة .

ثانيا : هذا الصبر لا بد له من قوة معنوية فكان لا بد من العمل على صفاء النفس بالاستغفار والتسبيح :

" وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ " (٢)

كما علمه سابقا أن يلجأ الى قيام الليل وتلاوة ما نزل من القرآن فيه :

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾
أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ " (٣)

انه ينصح بالصبر والتوجه الى الله بالاستغفار والتسبيح ( وفي الاستغفار تخلية عن الأكدار النفسيه مطلوب من الرسول تعبدا وتأدبا ) (٤) ،

---

(١) سورة المزمل آية ١٠ .

(٢) سورة غافر آية ٥٥ .

(٣) سورة المزمل آية ١ - ٤ .

(٤) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ج ٢٤ ص ١٧١ .

يقول الامام ابن كثير وهو ( تهيج للأمة على الاستغفار )(١) ، ( وفي التسبيح تحلي بالكمالات النفسية التي يتم الشكر بها ظاهرا وباطنا )(٢) ، وفي كل منهما شد للعزيمة في المواجهة ،ففي التسبيح والاستغفار يُذكر المؤمن بالله وبايمانه به وفي الصبر يتذكر أنه يعمل ابتغاء وجه الله .

ثم يعد بالنصر وباجتياز الأزمات والشدائد في سلام لأولئك الصابرين ،سواء كان هذا النصر في الدنيا أم في الآخرة . يقول تعالى : " إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ "(٣)

فالله يطمئن دعاته ،ويعدهم بالنصر وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة مؤكدا ذلك بعدة تأكيدات .

أ - ( تأكيد الخبر ب (ان ) مراعيا فيه حال المعرف بهم بأن الله ينصر رسله عليهم ،وهم المشركون لأنهم كانوا يكذبون بذلك .

ب - لام التوكيد الداخلة على الفعل المضارع.

جـ - التعبير بالمضارع في قوله ( لننصر ) لما فيه من استحضار حالات النصر العجيبة التي وصف بعضها في هذه السورة ،والا فان نصر الرسل الذين سبقوا محمدا صلى الله عليه وسلم قد مضى ونصر محمد صلى الله عليه وسلم مترقب غير حاصل حين نزول الآية .

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٨٥ .

(٢) انظر التحرير والتنوير جـ٢٤ ص ١٧١ .

(٣) سورة غافر آية ٥٢ .

د - عطف الأمر بالاستغفار والتسبيح على الأمر بالصبر رمزا الى تحقيق الوعد لأنه أمر يعتبر بما هو من آثار الشكر كناية عن كون نعمة النصر حاصلة لا محالة ، ولذلك لم يؤمر بالصبر لما حصل النصر في قوله :

" إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ③ " (١)

فان ذلك مقام محض الشكر دون الصبر ) (٢).

لكن بعد كل هذه التأكيدات هناك سؤال طرحه الامام الطبرى في تفسيره وهو في الحقيقة سؤال وجيـــه : «إنّ هذا وعد قاطع من الله بنصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ، وقد علمنا أن منهم من قتله أعدء، ومثلوا به ومنهم من هم بقتله قومه ، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى يفارقهم ناجيا بنفسه ، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله والمؤمنين به في الحياة الدنيا ؟؟

ثم يجيب قائلا : للأمر وجهان كلاهما صحيح معناه :

أحدهما : أ- يكون النصر باعلائهم على من كذبهم واظفارهم بهم كالذى فُعل بمحمد صلى الله عليه وسلم بإظهاره على من كذبه من قومه .

ب - أو يكون بالانتقام ممن حادهم باهلاكهم وانجاد الرسل ممن كذبهم كالذى فعل بموسى وفرعون وقومه اذ أهلكهم غرقا ونجى موسى ومن آمن معه.

---

(١) سورة النصر آية ٣ .

(٢) انظر التحرير والتنوير جـ٢٤ ص ١٦٧-١٧٠ .

جـ - أو يكون بالانتقام من المكذبين في الحياة الدنيا ولكن بعد وفاة الرسل كما فعل بمريدى قتلة عيسى من الروم.

الثاني : أن يكون الخبر خرج عاما والمراد به البعض، ويقول الامام الطبرى : وهذا سائغ في اللغة فيكون تأويل الكلام حينئذ، اننا لننصر رسلنا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ) (١).

الا أن لصاحب الظلال وقفة أحب أن نستأنس بها هنا ، قال فيها ( الناس يقصرون معنى النصر على صورة معينة معهودة لهم ، قريبة الرؤيا لأعينهم ، ولكن صور النصر شتى ، وقد يلتبس بعضها بصور الهزيمة عند النظرة القصيرة . ابراهيم عليه السلام وهو يلقى في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة اليها .. أكان في موقف نصر أم في موقف هزيمة ؟؟ ما من شك في منطق العقيدة - أنه كان في قمة النصر وهو يلقى في النار كما أنه انتصر مرة أخرى وهو ينجو من النار ، هذه صورة وتلك صورة . وهما في الظاهر بعيد من بعيد ، فأما في الحقيقة فهما قريب من قريب . وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام كما نصرها باستشهاده . وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة بخطبة مثل خطبته الاخيرة التي يكتبها بدمه والتي ربما كانت حافزا محركا لخطى التاريخ كله مدى أجيال. ما النصر ؟ وما الهزيمة ؟ اننا في حاجة الى أن نراجع ما استقر في تقديرنا

---

(١) انظر جـ ٢٤ ص ٤٨-٤٩ .

من الصور ومن القيم . قبل أن نسأل أين وعد الله لرسله وللمؤمنين بالنصر في الحياة الدنيا !!) . (١) ثم تعود آيات الصبر لتخاطب صاحب الرسالة من جديد :

" فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ " (٢)

( فالنصر لك يا محمد حاصل في الحالتين وهو مضمون فهم غير مفلتين من سوء العاقبة فاذا لم ترى النهايات في الدنيا كما وقع حين أقر الله عينك يوم بدر من كبرائهم وعظمائهم ثم فتح الله عليك مكة وسائر جزيرة العرب في حياتك فلا مفر من الرجوع الى الله وهو عود على بدء ) (٣)

" الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ " (٤)

يقول صاحب الظلال ( لقد انتصر محمد في حياته لأن هذا النصر يرتبط بمعنى اقامة هذه العقيدة بحقيقتها الكاملة في الأرض ، فهذه العقيدة لا يتم تمامها الا بأن تهيمن على حياة الجماعة البشرية وتصرفها جميعا - من القلب المفرد الى الدولة الحاكمة - فيشاء الله أن ينصر صاحب هذه العقيدة في حياته ليحقق هذه العقيدة في صورتها الكاملة ، ويترك هذه الحقيقة مقررة في واقعة تاريخية محددة مشهودة ومن ثم اتصلت صورة النصر القريبة بصورة أخرى بعيدة واتحدت الصورة الظاهرة مع الصورة الحقيقية وفق تقدير الله وترتيبه ) . (٥)

---

(١) انظر سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٨٦ .
(٢) سورة غافر آية ٧٧ .
(٣) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٩ ، التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ٢٠٩ .
(٤) سورة غافر آية ٧٠-٧٢ .
(٥) سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٨٦ .

## المطلب الثاني : الشجاعة :

يقول صاحب كتاب الأخلاق :

( الشجاعة مواجهة الألم أو الخطر عند الحاجة في ثبات ، وليست مرادفة لعدم الخوف كما يظن بعض الناس ، فالذى يرى النتائج ويخاف من وقوعها ثم يواجهها في ثبات،رجل شجاع ،وما دام الانسان يعمل في موقفه خير ما يعمل فهو شجاع ) . (١)

كما يقول صاحب كتاب الأخلاق الاسلامية أن الشجاعة ( قوة في عزيمة النفس تدفع الى الاقدام بعقل في مخاطرة بعمل أو قول لتحصيل خير أو دفع شر مع ما في ذلك من توقع هلاك أو مضرة يقينا أو ظنا . (٢)

-------------------

(١) أحمد امين ص ٢٠٥ .

(٢) وباستقراء آيات القرآن نجد أن هذا الخلق بهذا المسمى لم يرد في القرآن الكريم وان كان قد ورد في السنة صراحة كما في حديث أبي موسى الذى قال فيه " جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء فأى ذلك في سبيل الله ، قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " (انظر صحيح البخارى جـ٨ كتاب التوحيد باب " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين " ص ١٨٩ ) . كما وصف الرسول بالشجاعة كما في حديث أنس رضي الله عنه والذى قال فيه كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس ..." ( انظر صحيح البخارى جـ٣ كتاب الجهاد والسير باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق " ص ٢٢٨ . الا أنه اذا كانت الشجاعة كما يقول صاحب اللسان هي" شدة القلب" ( انظر لسان العرب جـ٨ ص ١٧٣ ) فقد وردت هذه المعاني كثيرا في القرآن الكريم كما في سورة غافر التي تحكي شجاعة مؤمن آل فرعون .

وبملاحظة قيود هذا التعريف يتبين لنا أن الإقدام بغير عقل جنون أو شبيه به ، وأنّ الإقدام في غير مخاطرة لا يعتبر من الشجاعة بل هو نشاط وهمة ، وأنّ الإقدام لا لتحصيل خير أودفع شر لا يعتبر شجاعة محمودة بل هو تهور مذموم )[(١)] وفي ضوء ذلك وضع صاحب كتاب الأخلاق النظرية اسمه وهو يتحدث عن الشجاعة فقال :

( وتقوم الشجاعة أساسا في ضبط النفس عند مواجهة الخطر في الظروف الأليمة كما تقوم في مواجهة الظلم والشر بالقول والفعل وفي التغلب على الصعوبات والأخطار والتي تتجاوز المعتاد وفي احتمال أشد الالام بصبر وثبات .

ويضاد الشجاعة ثلاث رذائل : الافراط في الخوف ، وانتفاء الخوف ، والتهور . فالشجاعة الحقة لا تقوم في عدم الخوف من شيء بل تقوم في الخوف مع الفطنة ، والتجروء دون التهور ، انها تتجنب الخطر الذى لا داعي له ولكنها عند الواجب لا تتردد في مواجهة الموت المحقق .

وترتكز الشجاعة على :

أ - التطلع الى جلائل الأعمال لا من أجل الربح أو الشرف بل لما فيها من سمو .

ب - الجود وهو الاستعداد لبذل كل غال في سبيل تحقيق جلائل الأعمال .

----------------------

(١) الأخلاق الاسلامية واسسها ، الميداني ص ٥٦٥- ٥٦٦.

جـ - الصبر وعدم الفزع من المشقة أو المتاعب أو الأحزان أو المجهود أو طول المدة ) .(١)

وفي ضوء ذلك ندرك أن الشجاعة ليست مقصورة على حمل السلاح وارتياد غمار الحروب ،بل ان هناك من المواقف ما يحتاج الى شجاعة أقوى من شجاعة المقاتل في ساحة الوغى ، ووقفة مؤمن أمام موقف مؤمن آل فرعون من فرعون وجنده تجعلنا نقف متأملين لنضعه بعد ذلك /في مقدمة مصاف الشجعان .

ويمكن تلخيص تلك الشجاعة في الآتي :

١ - أدرك مؤمن آل فرعون أن فرعون لم يكن يعنيه من قتل موسى الا سلطانه والحفاظ على هيبته أمام شعبه ،فكانت رغبته في قتله من هذه الزاوية ومن الباب الذى يتهمه فيه بالكذب ، فكان حديثه معه من نفس الباب حيث ترك حديث الدين والايمان حينئذ ولجأ الى إيلام فرعون وتحديه من الجانب الذى صب حرصه عليه وهو اتهامه بالكذب بعد السحر والذى يستحق عليه القتل فقال لهم :

" وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ " (٢)

وكأنه يقول لهم : لا حجة لكم أبداً في قتله في الحالتين وكما أن فرعون بدأ حديثه باتهامه بالكذب ،فكذلك فعل حيث

---

(١) الأخلاق النظرية / عبد الرحمن بدوى ص ١٧٨ .

(٢) سورة غافر آية ٢٨ .

بدأ حديثه بتحطيم تلك الشبهة ،فكان من مظاهر شجاعته حضور ذهنه عند الشدة التي ألمت برسوله -موسى عليه السلام- فبالرغم من أنهم يتآمرون على قتله الا أن ذلك الخطب لم يذهب برشده بل قابله برزانة وثبات ، وتصرف فيه بذهن حاضر وعقل غير مشتت ، ملك نفسه وثبت عقله ،وتصرف في الأمر على أحسن وجه فكان شجاعا حقا الا أنها الشجاعة التي يطلق عليها الشجاعة الأدبية التي تحدث عنها صاحب كتاب الأخلاق فقال : (الشجاعة الأدبية أن يبدى الانسان رأيه وما يعتقد أنه الحق مهما ظن الناس به ، أو تقولوا عليه من غضب عظيم أو أمير، لا يخاف من تحمل ألم يصيبه في سبيل قول حق يقوله أو مبدأ هام ينشره ،فلو رأى مسألة غير ما يراه من حوله من الناس أو خالف حكما أو عظيما جاهرا برأيه غاضا عما يناله من الأذى ،يقول الحق بأدب وان تألم الناس منه ،ويعترف بالخطأ وإن نالته عقوبة ،ويرفض العمل بما لا يراه صوابا ولو لم يقع رفضه موقعا حسنا ).(١)

٢ - وبعد أن ثبت لديه كفرهم وعنادهم يقف بكل شجاعة معلنا عن ايمانه بصراحة بل وداعيا اليه :

"يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾" (٢)

لم يخف من فرعون وسلطته وقوته وخيله وخيلائه ،وفي ذلك

-------------------

(١) أحمد أمين ص ٢٠٧ .

(٢) سورة غافر آية

يظهر التشبث بالحق وعدم التخلى عنه ارضاء لأى قوة ،أو هروبا من أى ضغط وليس بعجيب أمر هذه الوقفة الشجاعة فوراءها دفعة ايمانية ، تستمد قوتها من رصيد ايماني ضخم يشعل أوراه في تلك النفس المطمئنة جذوتان أدركنا الأولى من قوله لقومه :

" وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ۝ " (١)

والثانية من قوله لهم :

" لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝ " (٢)

انه الايمان بالله وبمقاديره ، وباليوم الآخر وتدابيره ، واللذين يعدان من أعظم الوسائل لاكتساب فضائل الأخلاق ، ومنها الشجاعة ، يقول صاحب كتاب الأخلاق الاسلامية : ( ان الايمان بالله ومقاديره والايمان باليوم الآخر من أعظم الوسائل لاكتساب فضائل الأخلاق ومنها خلق الشجاعة ،وذلك لأن الايمان بالقدر خيره وشره من الله يورث القلوب طمأنينة تامة تجاه أشد المخاوف وأعتاها ، فالمرء من صادق الايمان على يقين تام بأنه لن تصيبه مصيبة لم يسبق فيها قضاء من الله وقدره ، ولن يستطيع أن يفلت من مصيبة سبق فيها قضاء من الله وقدره ،فهذه العقيدة الايمانية تجعل القلوب في طمأنينة تامة وتمدها بمدد عظيم من الشجاعة والثبات تجاه أشد المخاوف وبذلك يضمر الجبن وتنمو الشجاعة ) (٣) .

---

(١) سورة غافر آية ٤١-٤٢ .

(٢) سورة غافر آية ٤٣ .

(٣) عبد الرحمن حبنكه الميداني ص ٥٦٩ - ٥٧٠ .

## المبحث الرابع :

# الأخلاق السيئة في السورة .

وفيه ثلاثة مطالب :

**المطلب الأول** : الكبر .

**المطلب الثاني** : الفرح والمرح بغير الحق .

وفيه مسائل :

المسألة الأولى : الفرح بغير الحق .

المسألة الثانية : المرح بغير الحق .

**المطلب الثالث** : الإسراف .

## المبحث الرابع

## الأخلاق السيئة في السورة

### المطلب الأول : الكبر .

لفظة الكبر ، والتكبر ، والاستكبار متقاربة ، فيقول صاحب كتاب مفردات القرآن : ( فالكبر : الحالة التي يتخصص بها الانسان من اعجابه بنفسه وذلك بأن يرى نفسه أكبر من غيره ، وأعظم الكبر التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق ، والاذعان له بالعبادة )(١)

ويضيف الامام الغزالي قائلا ( اعلم أن الكبر ينقسم الى باطن وظاهر ، فالباطن هو خلق في النفس ، والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح ، واسم الكبر بالخلق الباطن أحق ، وأما الأعمال فانها ثمرات لذلك الخلق .

فالكبر ، عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات ، وتسمى أيضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى :

" إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ "(٢)

قال : عظمة لم يبلغوها ، ففسر الكبر بتلك العظمة .

والكبر بالمعنى الباطن : استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير ، وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذى يتعلق بالمتكبر .

ولقد شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر فقال حين سأله أحد الصحابة فقال :

---

(١) المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٤٢١ .

(٢) سورة غافر آية ٥٦ .

" ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال ان اللـــه جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط النـــاس ) (١)
وقوله وغمص الناس : أى ازدراهم واستحقرهم ، وهم عباد أمثاله أوخير منه ، وسفه الحق هو رده.

وكل من أنف من أن يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله ، وكل من رأى أنه خيـر من أخيه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار أو رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ) (٢).

( والتكبر على وجهين :

أحدهما : أن تكون الأفعال الحسنة كبيرة في الحقيقـــة

---

(١) صحيح مسلم جـ١ كتاب الايمان باب تحريم الكبر وبيانه حديث رقم ١٤٧ صفحة ٩٣ " قريبا منه " ، عون المعبود شرح سنن أبي داود جـ ١١ باب ما جاء في الكبر حديث رقم ٤٠٧٤ ص ١٥١-١٥٢ " قريبا منه " ، سنن الترمذى جـ ٣ باب ما جاء في الكبر حديث رقم ٢٠٦٧ وقال الترمذى ، هذا حديث حسن صحيح غريب " قريبا منه " والذى نصه عن أبي هريرة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان رجلا جميلا ، فقال يا رسول الله اني رجل حبب الي الجمال واعطيت منه ماترى حتى ما أحب أن يفوقني أحد بشسع نعلي أفمن الكبر ذلك ؟ ، قال " لا " ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس ".

(٢) انظر احياء علوم الدين ، الغزالي جـ٣ ص ٢٩٦ - ٣٠٥ .

وزائدة على محاسن غيره ، وعلى هذا وصف الله تعالى بالتكبر فقال تعالى :

" ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ " (١)

والثاني : أن يكون متكلفا لذلك متشبعا وذلك في وصف عامة

الناس ، نحو قوله تعالى :

" كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ " (٢)

وقوله : " فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ " (٣)

وهذا هو التكبر المذموم وعليه رد القرآن الكريم وهو قوله تعالى :

" أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ " (٤)

---

(١) سورة الحشر آية ٢٣ .

(٢) سورة غافر آية ٣٥ .

(٣) سورة غافر آية ٧٦ .

(٤) سورة البقرة آية ٣٤ .

وقوله : " فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ " (١)

قابل المستكبرين بالضعفاء تنبيها أن استكبارهم كان بما لهم من القوة من البدن والمال ، وقوله :

" فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ " (٢)

ونبه بقوله : " مجرمين " أن حاملهم على ذلك ما تقدم من جرمهم ، وأن ذلك دأبهم لا أنه شيء حادث منهم ). (٣)

وعموما :

فان ( التكبر سواء كان بالعلم أو بالعبادة أم بالنسب ، أم بالمال ، أم بالقوة ، أم بالشهرة ، أم بكثرة الأتباع ، أو بغير ذلك قد حمل القرآن عليه وعلى أهله حملة صارمة فقال تعالى :

" سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ " (٤)

وقال : " كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ " (٥)

كذلك حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على التكبر وأهله حملة زاجرة مؤدبة ، فقال : " لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في ديوان

-----------------

( ١ ) سورة غافر آية ٤٧ .

( ٢ ) سورة الاعراف آية ١٣٣ .

( ٣ ) انظر المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٤٢١ - ٤٢٢ ، بصائر ذوي التمييز / الفيروزابادي ج٤ ص ٣٢٥-٣٢٦ .

( ٤ ) سورة الاعراف آية ١٤٦ .

( ٥ ) سورة غافر آية ٣٥ .

فيصيبه ما أصابهم

الجبارين/" (١) أى في قوائمهم وسجلهم ، والمراد أنه يكون منهم ويحشر معهم ويصيبه من العذاب ما يصيبهم .

ويقول على سبيل التهديد والوعيد : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " (٢)(٣)

فكان لسورة غافر نصيب من هذه الحملة على هذا الجانب الأخلاقي السيء فقد ورد الكبر بجميع أوصافه تقريبا في سورة غافر ( كبر ، متكبر ، متكبرين ، استكبروا ، يستكبرون ) وهي تجمع بين الكبر والتكبر والاستكبار ...

جاءت في معرض الذم في أكثر من سبعة مواضع ولعل السؤال الذى يتبادر إلى الذهن هنا : ما السبب وراء كثرة ترداد كلمات الكبر بصيغها المتعددة والتذكير بها بين كل وقفة وأخرى ؟؟؟

---

(١) سنن الترمذى جـ٣ باب ٦٠ "ما جاء في الكبر حديث رقم ٢٠٦٨ ص ٢٤٤ ، وقال عنه الترمذى : هذا حديث حسن غريب .

(٢) صحيح مسلم جـ١ كتاب الايمان / باب تحريم الكبر وبيانه حديث رقم ١٤٩ ص ٩٣ ، عون المعبود جـ١ باب ما جاء في الكبر حديث رقم ٤٠٧٣ ص ١٥٠ - ١٥١ ،
سنن الترمذى جـ٣ باب ٦٠ " باب ما جاء في الكبر حديث رقم ٢٠٦٦ ص ٢٤٣ وقال عنه الترمذى : هذا حديث حسن غريب،
سنن ابن ماجه جـ١ مقدمة باب ٩ " باب في الايمان حديث رقم ٥٩ ص ٢٢ - ٢٣ " قريبا منه ".

(٣) انظر موسوعة أخلاق القرآن ، د. أحمد الشرباصي جـ١ ص ٧٠ .

فاذا عرفنا أن الكلام من أول السورة الى آخره تقريبا يجرى في ميدان الرد على مجادلة المشركين في آيات الله ودحض شبههم ، وتوعدهم على كفرهم ، وضرب الأمثال لهم بأمثالهم من أهل العناد وابتداء - علمنا أنه من المناسب أن يكشف القرآن للرسول ومن بعده ما تكنه صدور المجادلين من أسباب جدالهم بغير حق - وما الدافع لهم من وراء هذا الجدال ، وليعلم الرسول صلى الله عليه وسلم دخيلتهم فلا يحسب أنهم يكذبونه تنقصا له ، ولا تجويزا للكذب عليه ، ولكن الذى يدفعهم الى التكذيب والمجادلة هو التكبر عن أن يكونوا تبعا للرسول صلى الله عليه وسلم ووراء الذين سبقوهم بالايمان ممن كانوا لا يعبؤون بهم .

وهذا نحو قوله تعالى :

" قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ " (١)

لذلك نجد أن آية سورة غافر توضح هذا الباعث بطريقة القسر لتنفي أن يكون الداعي الى المجادلة شيئا آخر غيره على وجه مؤكد ، تقول الآية : " إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ " (٢)

(أى أن الذين يدفعون الحق بالباطل ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله ما في صدورهم الا كبر على اتباع الحق واحتقار لمن جاءهم به ). (٣)

---

(١) سورة الانعام آية ٣٣ .

(٢) سورة غافر آية ٥٦ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ ٤ ص ٨٤ .

( أو هو مجاز عن ارادة الرياسة أو أن تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا

" لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ " (١)

ولذلك يجادلون في آيات الله لا أن فيها موقع جدال ما ، وأن لهم شيئا يتوهم صلاحيته لأن يكون مدارا لمجادلتهم في الجملة ، وما هم ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من دفع الآيات أو من الرياسة أو النبوة ) (٢) قال الزجاج (٣) ، المعنى ما في صدورهم الا كبر ما هم ببالغي ارادتهم فيه ، لأن هؤلاء قوم رأوا أنهم ان اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم قل ارتفاعهم ، ونقصت أحوالهم ، وانهم يرتفعون اذا لم يكونوا تبعا فأعلم الله عز وجل انهم لا يبلغون الارتفاع الذى أملوه بالتكذيب ) (٤) .

---

(١) سورة الزخرف آية ٣١ .

(٢) انظر روح المعاني / الألوسي جـ٢٤ ص ٧٨-٧٩ .

(٣) هو ابراهيم بن السرى بن سهل الزجاج أبو اسحاق ، النحوى اللغوى ، قال الخطيب : " كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد له مصنفات حسان في الأدب ، توفي ٣١١ هـ ( انظر ترجمته في طبقات المفسرين للداودى ١/٧ ، تهذيب الأسماء واللغات ٢/١٧٠ ، شذرات الذهب ٢/٢٥٩ ، وفيات الأعيان ١/٣١ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ١٥ ص ٣٢٤ .

ثم تضيف سورة غافر لهؤلاء المجادلين المتكبرين صفة جديدة

وهي : عدم الايمان بيوم الحساب ، وفي ذلك يقول سبحانه : (١)

" وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ "،

ويقف الامام النسفي (٢) عند هذه الآية ويتبعه في ذلك الألوسي (٣) ليقول

( إن الاستكبار عن الاذعان للحق هو أقبح استكبار ، وأدله على دناءة

ومهانة نفس صاحبه ، وعلى فرط ظلمه وعسفه ، وضم اليه عدم الايمان بيوم الجزاء

ليكون أدل وأدل ، فمن اجتمع فيه التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة

بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله تعالى وعباده ولم

يترك عظيمة الا ارتكبها ). (٤) ثم توضح سورة غافر سبب هذه القسوة.

يقول تعالى : " ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ " (٥)

فهم في الأصل قد جادلوا في آيات الله بغير حق ، كبراً وتجبرا فختم الله على

-----------------

(١) سورة غافر آية ٢٧.

(٢) هو أبو البركات ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي كان رأسا في الفقه والأصول بارعا في الحديث ومعانيه ، بصيرا بكتاب الله تعالى وهو صاحب التصانيف المفيدة المعتبرة في الفقه والأصول وغيرها . توفي سنة ٧٠١ هـ ( انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٢/٢٤٧ ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ١٠٢ ).

(٣) هو أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندى الألوسي البغدادى كان شيخ العلماء في العراق محدثا ومفسرا لكتاب الله وكان عالما باختلاف المذاهب مطلعا على الملل والنحل ، سلفي الاعتقاد شافعي المذهب خلف ثروة علمية كبيرة ونافعة . توفى سنة ١٢٧٠ هـ .

(٤) تفسير النسفي ٤/٧٦ ، روح المعاني ، الألوسي ٢٤/٦٣.

(٥) سورة غافر آية ٣٥.

قلوبهم بالكفر ،فكان الختم على القلب سببه الجدال في آيات الله ، وهي علامته يقول الامام الطبري : ( كما طبع الله على قلوب المشركين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحده ويصدق رسله متعظم عن اتباع الحق ) (١) (حتى لا يعقل الرشاد ولا يقبل الحق ) (٢) وهذا أمر قد توعدهم الله به حين قال : " سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا " (٣)

وما تحدثت عنه سورة غافر من الكبر عده صاحب الاحياء شر أنواع الكبر حين قال ( وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق ،والانقياد له ،وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين ) (٤) .

كما اعتبره صاحب كتاب التربية الاخلاقية الاسلامية من أهم العوائق الاخلاقية التي تحول دون رغبة المرء في الاعتقاد حين قال ( من أهم العوائق الاخلاقية التي تحول دون رغبة المرء في الاعتقاد : التكبر " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ " (٥) ) (٦)

ولذلك نجد القرآن الكريم يحد من هذه الظاهرة ويحطمها ، وذلك بعرض الصور المخزية الذليلة لأصحابها والتي تناسب كبرهم في الدنيا وفي الآخرة .

---

(١) تفسير الطبري جـ٢٤ ص ٤٢ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن / القرطبي جـ١٥ ص ٣١٣ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٦ .

(٤) احياء علوم الدين / الغزالي جـ٣ ص ٢٩٦ .

(٥) سورة البقرة آية ١٣ .

(٦) مقداد يالجن ص ١٩٧-١٩٨ .

أما في الدنيا :

أ - ( فان الله يمقته على ذلك أشد المقت ) (١) ( ومقت الله تعالى : ذمه لهم ولعنه اياهم واحلال العذاب بهم ) (٢).

ب - والمؤمنون أيضا يبغضون من تكون هذه صفتــه .

جـ - ان الله ( يطبع على قلبه فلا يعرف بعد ذلك معروفا ولا ينكر منكرا ) (٣) ( ولا يعقل الرشاد ولا يقبل الحق ) (٤) ( فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بغير حق ) (٥).

يقول تعالى : " ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ " (٦)

وأما في الآخرة : فيقول تعالى :

" وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ " (٧)

( يخبر تعالى عن تحاج أهل النار في النار وتخاصمهم وفرعون وقومه من جملتهم فيقول الاتباع للقادة والسادة والكبراء : إنا أطعناكم فيما دعوتمونا اليه في الدنيا من الكفر ، والضلال فهل أنتم مغنون عنا قسطا تتحملونه من العذاب

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ١٥ ص ٣١٣.
(٣) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٠.
(٤) الجامع لاحكام القرآن / القرطبي جـ١٥ ص ٣١٣.
(٥) روح المعاني / الالوسي جـ٢٤ ص ٦٨.
(٦) سورة غافر آية ٣٥.
(٧) سورة غافر آية ٤٧ ، ٤٨.

قال الذين استكبروا : انا لا نتحمل عنكم شيئا كفى بنا ما عندنا ، وما حملنا من العذاب والنكال ، فقد قسم الله بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا ) .(١)

كما يقول سبحانه : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ " (٢)

فهذه الآيات ( تهديد شديد ، ووعيد أكيد من الرب جل جلاله لهؤلاء المجادلين اذ الأغلال في اعناقهم والسلاسل متصلة بأيدى الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة الى الحميم وتارة الى الجحيم ، كما قال تعالى :

" هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ " (٣)

وتقول لهم الملائكة هذا الذى أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم ، وأشركم ، وبطركم فبئس المنزل والمقيل الذى فيه الهوان ، والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه ) .(٤)

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٤ ص ٨٤ .

(٢) سورة غافر آية ٧٠-٧٦ .

(٣) سورة الرحمن آية ٤٣-٤٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم / لابن كثير جـ٤ ص ٨٩ .

- صور كلها خزى ومهانة تناسب الكبر والمتكبرين ، ففي الأولى توضيح عجزهم بعد أن كانوا يدّعون القوة ، ويحتمون وراءها ، اذا بهم عاجزون يستوون مع الضعفاء لا أتباع ولا متبوعين بل الكل لا حول له ولا قوة. وأما الصورة الثانية فقد اختار أهلها أن تكون طريقة وصولهم الى مثواهم الأخير هي السحب والجر كما تسحب البهيمة .. هذه اليد التي كانت تبطش ، وهذه الناصية التي استكبرت على أن تسجد لله ، ها هي تسحب وتجر جراً الى جهنم وبئس المصير .

والملاحظ أن في الآيات التي نحن بصددها ، لم يقل سبحانه فيقول الضعفاء للأقوياء بل قال " للذين استكبروا " كما أنه سبحانه لم يقل : وقال الذين كفروا بل قال " قال الذين استكبروا " ، ولم يقل فبئس مثوى الكافرين ، بل قال " فبئس مثوى المتكبرين " تذكيرا بأن هذا الموقف الذليل الصاغر في جهنم سببه : انتفاخ الصدور والاحساس بالعظمة وتناسي عظمة الله ، فكانت الخاتمة من الرب مناسبة للبداية التي صدرت منهم .

وفي ضوء الآيات الكريمات التي تتحدث عن هذا الخلق الخطير ، فان على الداعية أن يدرك حقيقتين هامتين وهو يواجه أمثال هؤلاء المتكبرين عن قبول الايمان .

١ - أن يطمئن نفسه أنه مهما بلغ كبر المتكبرين الا انهم لن يبلغوه يضمن له ذلك قوله تعالى : (١)

" إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ "

---

(١) سورة غافر آية ٥٦ .

وكما قال سيد قطب رحمه الله ( ان هذا المخلوق الانساني لينسى نفسه في أحيان كثيرة لينسى أنه كائن صغير ضعيف يستمد القوة لا من ذاته ولكن من اتصاله بمصدر القوة الأول، من الله فيقطع اتصاله هذا ثم يروح ينتفخ ، ويورم ويتشامخ ويتعالى ، يحيك في صدره الكبر، يستمده من الشيطان الذى هلك بهذا الكبر ، ثم سلط على الانسان فأتاه من قبله ) (١) ولكنه كبر زائف لأن الآية تؤكده بقوله تعالى :

" مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ "

وبذا تنفي أهليتهم للكبر اذ هم أقل من أن يكون لهم ذلك.

٢ - ثم هي تعلم الداعية كيف يواجه كبر المتكبرين فيستمد ذلك من توجيه القرآن لخير البشر بأن يستعيذ بالله : (٢)

" فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ "

كما أنه ليس وحده على الدرب فقد سبقه موسى حين قال لفرعون وملئه كما قال سبحانه : (٣)

" وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ "

يقول صاحب الظلال : ( فأما موسى عليه السلام فالتجأ الى الركن الركين والحصن الحصين ، ولاذ بالجناب الذى يحمي اللائذين ويجير المستجيرين قالها واطمأن وسلم أمره الى المستعلي على كل متكبر ، القاهر لكل متجبر، القادر على حماية العائذين به من المستكبرين ) (٤).

ومن هنا كان الأمر من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن يجعل الله معاذه منهم فلا يعبأ بما يبيتونه ، وهو سبحانه نعم الملجأ والملاذ من هذا الشر الذى يستحق الاستعاذة بالله منه.

---

(١) في ظلال القرآن جـ٥ ص ٣٠٨٩.
(٢) سورة غافر آية ٥٦.
(٣) سورة غافر آية ٢٧.
(٤) سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٧٨ .

## المطلب الثاني : الفرح والمرح بغير الحق .

### المسألة الأولى : الفرح بغير الحق .

الفرح : ( ضد الترح ، وهو انشراح الصدر بلذة عاجلة وأكثر ما يكون في اللذات البدنية ، فلهذا قال :

"وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ" (١)

وقال : "وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا" (٢)

وقال : "ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ" (٣)

وقال : "حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا" (٤)

وقال : "فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ" (٥)

وقال : "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾" (٦)

والفرح والمفراح : الكثير الفرح .

وما يسرني بهذا الأمر مُفرِح ومَفروح به ، ورجل مُفْرَح أثقله الدين ، وأفرحه : غمه وأزال فرحه . وتقول : أفرحتني الدنيا ثم أفرحتني ، والهمزة للسلب ، فكأن الإفراح يستعمل في جلب الفرح وفي إزالة الفرح ، كما أن الإشكاء يستعمل في جلب الشكوى وفي ازالتها ، فالمُدان قد أزيل فرحه فلهذا قيل : لاغمّ إلاغم الدين ، ويقال : المرء بين مفرحين ، قاعد بين سلامة وحَيْن ) . (٧)

---

(١) سورة الحديد آية ٢٣ .

(٢) سورة الرعد آية ٢٦ .

(٣) سورة غافر آية ٧٥ .

(٤) سورة الأنعام آية ٤٤ .

(٥) سورة غافر آية ٨٣ .

(٦) سورة القصص آية ٧٦ .

(٧) انظر المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٣٧٥ ، بصائر ذوى التمييز / الفيروز ابادى جـ٤ ص ١٧٨ .

ومن هنا كان هناك فرح محمود وفرح مذموم :

أولاً : الفرح المحمود :

لقد بشر الله في قرآنه على المؤمنين بالفرح كما في قوله تعالى :
" وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ " (١)

وفي هذا الجانب يقول الامام القرطبي / : ( والفرح والنشاط محمود وقد وصف الله تعالى نفسه بأحدهما ففي الحديث الصحيح .. " لله أفرح بتوبة العبد من رجل ..." (٢) ) (٣)

الا أن صاحب كتاب المفردات في غريب القرآن وتبعه في ذلك الفيروزابادى (٤) قيد الفرح المحمود فقال : (ولم يرخص في الفرح الا في قوله :
" فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا " (٥)

---

(١) سورة الروم آية ٤.

(٢) من حديث ورد في صحيح البخارى ،كتاب الدعوات باب التوبة ٧/ ١٤٦.

(٣) الجامع لاحكام القرآن جـ١٠ ص ٢٦٠.

(٤) المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٣٧٥ ،بصائر ذوى التمييز جـ٤ ص ١٧٨. والفيروزابادى هو : ابراهيم بن علي بن يوسف جمال الدين الفيروزابادى الشافعي قال النووى : " الامام المتقن المدقق ،ذو الفنون من العلوم المتكاثرات والتصانيف النافعة المستجادات " توفي سنة ٤٧٦ هـ ( انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٢١٥ شذرات الذهب ٣/ ٣٤٩ ،وفيات الأعيان ١/ ٩ ، تهذيب الاسماء واللغات ٢/ ١٧٢ ).

(٥) سورة يونس آية ٥٨.

وقوله : " وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ " (١)

مع أن هناك آية أخرى في سورة آل عمران يقول فيها سبحانه عن المؤمنين : " فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ " (٢)

وان ذهبنا الى أن الاصفهاني والفيروزابادي (٣) لا يقصدان استقراء الآيات في القرآن كله بل يقصدان مواطن الفرح المرخص بها من باب أن آية سورة الروم وآية آل عمران كلتيهما تمثلان الفرح بفضل الله ، فهناك آية سورة الرعد :

" وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ " (٤)

ومن هنا فأنا أميل الى القاعدة التي وضعها الامام القرطبي حول هذا الموضوع فقال : ( وقد ذم الفرح في مواضع كقوله :

" لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ " (٥)

وقوله : " إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ " (٦)

ولكنه مطلق ، فاذا قيد الفرح لم يكن ذما ، لقوله :

" فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ " (٧) ) (٨)

أى أن الفرح حينما يأتي ذكره في الآيات مطلقا بلا قيد فهو فرح مذموم ، فاذا قيد لم يكن ذما .

---

(١) سورة الروم آية ٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٧٠ .

(٣) هو محمد بن محمود بن محمد بن عياد العجلي ، الملقب بشمس الدين الاصفهاني أبو عبد الله ولد بأصفهان ثم رحل الى بغداد فتعلم فيها ، ودرس بمصر وتولى القضاء فيها وكان اماما متكلما فقيها أصوليا أديبا شاعرا منطقيا ورعا متدينا كثير العبادة والمراقبة صنف في المنطق ، وأصول الفقه . توفي سنة ٦٨٨ هـ بالقاهرة ( انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٠٠ ، شذرات الذهب ٥/ ٤٠٦ ) .

(٤) سورة الرعد آية ٣٦ .

(٥) سورة القصص آية ٧٦ .

(٦) سورة هود آية ١٠ .

(٧) سورة آل عمران آية ١٧ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن جـ٨ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

وعلى هذا ، فالفرح المشار اليه في آيات سورة غافر هو الفرح المذموم على اختلاف آراء المفسرين حول المعنى المباشر للفرح هنا ، فهو مذموم سواء أكان المقصود به :

أ - الفرح بالشرك والمعاصي والسرور بمخالفة الرسل والكتب وانكار البعث.(١)

ب - أو الفرح بما يصيب أنبياء الله وأولياءه من المكاره (٢) .

جـ - أو الفرح بالمال والأتباع والصحة.(٣)

د - أو كان فرح بطر وتكبر.(٤)

فأما قوله تعالى : " ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ " (٥)

(أى تقول لهم الملائكة هذا الذى أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم وأشركم وبطركم ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، بئس المنزل والمقيل الذى فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه (٦) . وفي ذلك يقول صاحب التحرير والتنوير:

( وهذا الذم لهم مناسب تماما لما كان منهم في الدنيا ، استهزاء باستهزاء ، والكبر الذى كان نتيجة الفرح بغير الحق لمناسب لهم هذا المقام الدائم ) (٧) .

---

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ١٥ ص ٣٣٣ ، فتح القدير / الشوكاني جـ ٤ ص ٥٠٢ ، تفسير الجلالين / السيوطي ص ٦٢٨ ، أيسر التفاسير / الجزائرى جـ ٤ ص ١٠٠ .

(٢) روح المعاني / الألوسي جـ ٢٤ ص ٨٦-٨٧ .

(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ١٥ ص ٣٣٣ ، فتح القدير الشوكاني جـ ٤ ص ٥٠٢

(٤) انظر روح المعاني / الالوسي جـ ٢٤ ص ٨٦ ، ٨٧ ، فتح القدير الشوكاني جـ ٤ ص ٥٠٢ .

(٥) سورة غافر آية ٧٥ - ٧٦ .

(٦) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٨٩ .

(٧) محمد الطاهر بن عاشور جـ ٢٤ ص ٢٠٦-٢٠٧ .

ثم تحدثت سورة غافر عن نوع آخر من الفرح المذموم ، يقول تعالى عنه : " فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ " (١)

وذلك ( لأنهم لما جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج القاطعات والبراهين الدامغات لم يلتفتوا اليهم ، ولا أقبلوا عليهم واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل ) (٢) وقد أورد المفسرون أكثر من معنى حول المقصود بالفرح هنا منها ( ما قاله مجاهد (٣) ان الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا نحن أعلم منهم لن نعذب ولن نبعث . وقيل : فرح الكفار بما عندهم من علم الدنيا نحو :

" يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " (٤)

وقيل : ان أصل المعنى فلما جاءتهم رسلهم - أى الكفرة - بالبينات لم يفرحوا بما جاءهم من العلم فوضعوا موضعه بما عندهم من الجهل ، ثم سمي ذلك الجهل علما لاغتباطهم به ووضعهم اياه مكان ما ينبغي لهم من الاغتباط بما جاءهم من العلم وفيه التهكم بفرط جهلهم والمبالغة في خلوهم من العلم ) (٥) وقد كان لصاحب الظلال وقفة أمام هذه الآية تحمل معنى آخر قال فيها : " والعلم بغير

---

(١) سورة غافر آية ٨٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٩٠ .

(٣) هو مجاهد بن جبر المكي المخزومي مولاهم الامام التابعي الشهير قال النووى اتفق العلماء على امامته وجلالته وتوثيقه فهو امام في الفقه والتفسير والحديث . توفي سنة ١٠٣هـ (انظر ترجمته في تهذيب الاسماء واللغات ٢/ ٨٣ ، شذرات الذهب ١/ ١٢٥) .

(٤) سورة الروم ٧ .

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ، جـ٤ ص ٩٠ ، تفسير الطبرى جـ٢٤ ص ٥٨ ، الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ١٥ ص ٣٣٦ ، روح المعاني / الالوسي جـ٢٤ ص ٨٧ .

ايمان فتنة ، فتنة تعمى و تطغى . ذلك أن هذا اللون من العلم الظاهرى يوحي بالغرور اذ يحسب صاحبه انه يتحكم بعلمه هذا في قوى ضخمة ، و يملك مقدرات عظيمة ،فيتجاوز بنفسه قدرها و مكانها . وينسى الآماد الهائلة التي يجهلها . وهي موجودة في هذا الكون ،ولا سلطان له عليها . بل لا احاطة له بها . بل لا معرفة له بغير أطرافها القريبة ،وبذلك ينتفخ فيأخذ أكثر من حقيقته ويستخفه علمه وينسى جهله . ولو قاس ما يعلم الى ما يجهل ،وما يقدر عليه في هذا الكون الى ما يعجز حتى عن ادراك سره لطامن من كبريائه ،وخفف من فرحه الذى يستخفه .

وهؤلاء فرحوا بما عندهم من العلم واستهزأوا بمن يذكرهم بما وراءه : " وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن " .

فلما عاينوا بأس الله ، سقط عنهم القناع ،وأدركوا مدى الغرور ، واعترفوا بما كانوا ينكرون ،وأقروا بوحدانية الله ،وكفروا بشركائهم من دونه ، ولكن الأوان كان قد فات ) . (١)

وعلى هذا فالفرح المشار اليه في آيات سورة غافر هو الفرح المذموم على اختلاف آراء المفسرين حول المعنى المباشر له كما أشرت سابقا .

---

(١) في ظلال القرآن / سيد قطب ٥/ ٣١٠١ - ٣١٠٢ .

المسألة الثانية : في المرح بغير حــــق

المرح : ( شدة الفرح والتوسع فيه قال تعالى :
" وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا "
وقرئ ( مرِحا ) أى فَرِحا ) .(١)

وعلى ذلك فالفرح ،ضد الترح وهو انشراح الصدر بلــذة عاجلة . والمرح : شدة الفرح والتوسع فيه .

الا أن هناك من لم يفرق بين الفرح والمرح كالآلوسي حين قال : ( المرح ،الفرح والبطر ) .(٢) وأبوالسعود(٣) حين قال ( مرحا : أىفرحا )(٤)
والامام القرطبي حين كان يتحدث عن المرح .
والمعاني التي طرحها المفسرون بصدده . ثم قال : ( وهذه الأقوال متقاربة ولكنها منقسمة قسمين : أحدهما مذموم ،والآخر محمود ، فالتكبر والبطر والخيلاء وتجاوز الانسان قدره مذموم والفرح والنشـــاط محمود ) .(٥)

-------------------

(١) المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٤٦٦ والآية من سورة الاسراء آية ٣٧ .

(٢) روح المعاني جـ٢١ ص ٩٠ .

(٣) هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادى ،الحنفي ، وهو من بيت عرف أهله بالعلم والفضل ،تتلمذ لكثير من جُلــة العلماء ثم عظم صيته وطارت شهرته ،فتولى التدريس في كثير من المدارس التركية ثم القضاء ثم الفتوى وقام بها خير قيام ، الا أن كل ذلك كان عائقا له عن التفرغ للتصنيف والتأليف الا ما كان من كتابه التفسير وبعض الحواشي على تفسير الكشاف ،توفي سنة ٩٨٢ هـ بالقسطنطينية .(انظر وفيات الأعيان/جـ٢ ٢٨٢- ٣٠٥ ) .

(٤) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم جـ٧ ص ٧٣ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن جـ١٠ ص ٢٦٠- ٢٦١ .

الا أنني أميل الى ما ذهب اليه صاحب التحرير والتنوير حين قال : ( الفرح المسرّة ورضا الانسان على أحواله ، فهو انفعال نفساني ، والمرح : ما يظهر على الفارح من الحركات في مشيه ونظره ومعاملته مع الناس وكلامه وتكبره فهو هيئة ظاهرية ) . (١)

ومن استقراء آيات القرآن الكريم نجد أن الآيات التي تتحدث عن المرح تنحصر في ثلاث آيات يقول الله تعالى في سورة الاسراء :

" وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا " (٢)

كما يقول في سورة لقمان أيضا :

" وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا " (٣)

وأخيرا في سورة غافر :

" ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ " (٤)

والتي يتضح من خلالها أن المرح مذموم كله بلا استثناء وبكل ما ذهب اليه المفسرون من أقوال حين ذهب بعضهم الى أن المقصود به التوسع في الفرح حتى ينسى المرء الآخرة ويشتغل بالنعمة عن المنعم (٥) ، وبذلك يتجاوز الانسان قدره (٦) ويدخل في ذلك الزيادة في البطر والاشر (٧)

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٢) آية ٣٧ .

(٣) آية ١٨ .

(٤) آية ٧٥ .

(٥) انظر روح المعاني / الالوسي جـ٢٤ ص ٨٦ - ٨٧ .

(٦) انظر الجامع لاحكام القرآن / القرطبي جـ١٠ ص ٢٦٠ .

(٧) انظر الجامع لاحكام القرآن / القرطبي جـ١٠ ص ٢٦٠ ، روح المعاني / الالوسي جـ٢١ ص ٩٠ ، فتح القدير / الشوكاني جـ٤ ص ٥٠٢ .

والخيلاء والتبختر والتكبر في المشي (١) كما يدخل فيه العدوان .
ولذلك استحق النهاية المناسبة والتي شرحتها سورة غافر في قوله تعالى :

" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ
وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ
﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ
قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم
بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ " (٢)

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٣ ص ٤١، ٤٤٧ ، الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ١٠ ص ٢٦٠ ، روح المعاني / الألوسي جـ١٥ ص ٧٥ ، فتح القدير / الشوكاني جـ٤ ص ٥٠٢ ، تفسير أبو السعود / جـ٥ ص ١٧٢ .

(٢) سورة غافر آية ٦٩ - ٧٦ .

## المطلب الثالث : الاسراف .

السُّرفة ( دويبة تأكل الورق وسمي الاسراف بذلك لتصور معنى الاسراف فيه ،يقال : سُرِفَت الشجرة فهي مسروفة ) (١) ( وأرض سَرِفة كثيرة السَّرَف ورجل سَرِف الفؤاد وسرِف العقل ،فاسده ) (٢).

( وقولهم : مررت بكم فسرفتكم أى جهلتكم ،ومن هذا يتضح أنه تجاوز ما لم يكن حقه أن يتجاوز فجهِّل فلذلك فسِّر به.

فالسَّرف : تجاوز الحد في كل فعل يفعله الانسان وان كان ذلك في الانفاق أشهر ، قال تعالى : (٣)
"وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا"

وقال : "وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا" (٤)

وقوله : "يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ" (٥)

فتناول الاسراف في المال وفي غيره . ويقال تارة اعتبارا بالقَدر وتارة بالكيفية، ولهذا قال سفيان (٦) : ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف ،وان كان

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٢٣٠-٢٣١.

(٢) بصائر ذوى التمييز / الفيروزابادى جـ٣ ص ٢١٦.

(٣) سورة الفرقان آية ٦٧.

(٤) سورة النساء آية ٦.

(٥) سورة الزمر آية ٥٣.

(٦) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون ،الكوفي ثم المكي ،الهلالي مولاهم ،أبو محمد وهومن تابعي التابعين ،قال النووى :
" روى عنه خلائق لا يحصون من الائمة ،واتفقوا على امامته وجلالته وعظم مرتبته ،ولم يكن له كتب ،وحج سبعين حجة ومناقبه كثيرة
===

قليلا ، قال الله تعالى :

" وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ " (١)

وقال :

" وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ " (٢)

أى المتجاوزين الحد في أمورهم وقال :

" إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ " (٣) (٤)

هذا التجاوز قد يأتي في القرآن الكريم بهذا المعنى بلا قيد كما ذهب الى ذلك الامام النسفي وصاحب تفسير الجلالين (٥) عند قوله تعالى :

" إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ " (٦)

وأحيانا يأتي مقيدا بالشرك ، كما ذهب الى ذلك ابن كثير ، والقرطبي ، والألوسي والنسفي (٧) عند قوله تعالى :

" وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ " (٨)

وقوله : " وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ " (٩)

فالاسراف هو الشرك والمسرفون هم المشركون من باب أن الاشراك اسراف

---

=== مشهور . وكان اماما مجتهدا ، توفي بمكة سنة ١٩٨ هـ ودفن بالحجون ( انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/٢٦٢ تاريخ بغداد ٩/١٧٤ ، حلية الأولياء ٧/٢٧٠ ، طبقات المفسرين ١/١٩٠ ، وفيات الأعيان ٢/١٢٩ ) .

(١) سورة الانعام آية ١٤١ .
(٢) سورة غافر آية ٤٣ .
(٣) سورة غافر آية ٢٨ .
(٤) المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٢٣٠-٢٣١ .
(٥) تفسير النسفي جـ ٤ ص ٧٧ .
تفسير الجلالين / السيوطي ص ٦٢١ .
(٦) سورة غافر آية ٢٨ .
(٧) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٨٢ / الجامع لاحكام القرآن جـ ١٥ ص ٣١٣ روح المعاني جـ ٤ ص ٧٢ / تفسير النسفي جـ ٤ ص ٨٠ .
(٨) سورة طه آية ١٢٨ .
(٩) سورة غافر آية ٣٤ .

في الضلالة ،وأحيانا يأتي مقيدا بالمعصية كما في آية سورة غافر السابقة ( وهذا ما ذهب اليه الألوسي والنسفي ) (١) او مقيدا بالكذب كما في قوله تعالى : (٢)

" ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۝٩﴾ "

وقال مجاهد والشعبي (٣) المسرفون : هم السفهاء والسفاكون للدماء بغير حقها ،وقال عكرمة (٤) : الجبارون والمتكبرون .

وقيل : كل من غلب شره خيره فهو مسرف .

---

(١) روح المعاني جـ٢٤ ص ٦٨ ، تفسير النسفي جـ٤ ص ٧٨ عند قوله تعالى " ولقد جاءكم يوسف من قبل .. "

(٢) سورة الأنبياء آية ٩ .

(٣) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار / الشعبي ،أبو عمرو ، وهو من حمير ، وهو تابعي كوفي قال ابن خلكان : " جليل القدر ، وافر العلم ،عالم الكوفة " له مناقب وشهره ،توفي بالكوفة سنة ١٠٣ هـ وقيل غير ذلك ،وقد أدرك خمسمائة من الصحابة أو أكثر ( انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ١٢٧/٢ ، طبقات المفسرين ١٨٦/١ ،تاريخ بغداد ١٥١/٩ ، تذكرة الحفاظ ٢٠٣/١ ،حلية الأولياء ٣٥٦/٦ ، صفة الصفوة ١٤٧/٣ ).

(٤) هو عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس أبو عبد الله ،أحد فقهاء مكة من التابعين الأعلام ،أصله بربرى من أهل المغرب توفي سنة ١٠٤هـ وقيل غير ذلك ،انظر ترجمته في تهذيب الأسماء واللغات ٣٤٠/١ ،شذرات الذهب ١٣٠/١ ،وفيات الأعيان ٤٢٧/٢، طبقات المفسرين للداودى ٣٨٠/١ ) .

وقيل : هم الذين تعدوا حدود الله ، وهذا جامع لما ذكر ) .[١]

الا أن المعنى الشائع في القرآن للاسراف هو الخروج عن حد الاعتدال في معارضة الايمان بالله وهذا ما أشار اليه صاحب كتاب "من مفاهيم القرآن" حين قال : (تأتي كلمة الاسراف في القرآن الكريم في كثير من دلالتها بمعنى الخروج عن حد الاعتدال في معارضة الايمان بالله والمسرف بهذا المعنى الكثير الشائع فيه : هو من يتشدد في معارضته للايمان ويبالغ في الكفر بالله ) .[٢]

فنقرأ ما جاء في قصة الرجل المؤمن من آل فرعون في قوله تعالى :

" وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ "[٣]

فبعد أن وضح مؤمن آل فرعون حجته على طريقة التقسيم ختمها بقوله : ( ان الله لا يهدى من هو مجاوز للحد كذاب في ادعائه وقد أوهم أنه عنى بالمسرف موسى وهو يعني به فرعون )[٤] فهو تعريض بفرعون بأنه مسرف سواء في عناده[٥] أو في قتله ، وفساده ، كذاب في ادعاء الربوبية ، لا يهديه الله تعالى سبيل الصواب و منهاج النجاة .[٦]

---

(١) تفسير القرطبي جـ ١٥ ص ٣١٧- ٣١٨ ، روح المعاني جـ ٢٤ ص ٧٢ .

(٢) محمد البهي ص ٢٤٨ .

(٣) سورة غافر آية ٢٨ .

(٤) تفسير النسفي جـ ٤ ص ٧٧ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ ١٥ ص ٣٠٨ .

(٦) روح المعاني / الألوسي جـ ٢٤ صفحة ٦٥ .

فالحكم هنا بأن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ( يتناول فرعون أولا ... ،ثم من هو على شاكلته و من ملئه. وفرعون وملؤه كانوا من أشد المعارضين لرسالة موسى والإيمان بالله . ) (١)

وعلى هذا النحو ما جاء في قصة يوسف عليه السلام :

" وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ " (٢)

فالمسرفون هنا ( أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولا يدعو الى الله تعالى أمته بالقسط فما أطاعوه تلك الطاعة الا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوى ولهذا قال الله تعالى " فما زلتم في شك .. " أى يئستم فقلتم طامعين : لن يبعث الله من بعده رسولا وذلك لكفرهم و تكذيبهم وكحالهم هذا يكون حال من يضله الله لاسرافه في أفعاله وارتياب قلبه ). (٣) ( من المشركين الشاكين في وحدانية الله تعالى ) (٤) ( لغلبة الوهم والانهماك في التقليد ) . (٥)

وأخيرا وفي ضوء سورة غافر وردت لفظة الاسراف على لسان مؤمن آل فرعون للمرة الثالثة حين دعاه قومه الى عبادة أوثانهم فقال لهم :

" لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ " (٦)

---

(١) من مفاهيم القرآن / محمد البهي ٢٤٩ .

(٢) سورة غافر آية ٣٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ج ٤ ص ٨٠ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرطبي ج ١٤ ص ٣١٣ .

(٥) روح المعاني / الألوسي ج ٢٤ ص ٦٨ .

(٦) سورة غافر آية ٤٣ .

فيقول لهم ذلك المؤمن ( ما بالي أدعوكم الى النجاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم الذى بعثه ، فتدعونني لأكفر بالله وأشرك به على جهل بلا دليل والخبر أن مردنا الى الله في الدار الآخرة فيجازى كلا بعمله ولهذا قال :

" وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ "

أى خالدين فيها باسرافهم وهو شركهم بالله عز وجل ) (١) وان كنت أميل الى ما ذهب اليه صاحب كتاب التحرير والتنوير حين قال : ان الاسراف الذى ورد على لسان المؤمن { يراد به هنا سفك الدم بغير حق ليصرف فرعون عن قتل موسى عليه السلام ، والوجه : أن يعم أصحاب الجرائم والآثام ، والتعريف فيه تعريف الجنس المفيد للاستغراق وهو تعريض بالذين يخاطبهم اذ هم مسرفون على كل تقدير ، فهم مسرفون في افراط كفرهم بالرب الذى دعا اليه موسى ومسرفون فيما يستتبعه ذلك من المعاصي والجرائم ) (٢) ، وبذلك يكون الاسراف هنا معنى عاما تدخل فيه جميع الوجوه التي عرضت سابقا والتي أوردها الامام القرطبي والألوسي في تفسيريهما . (٣)

ونخرج من كل ما مضى أن العقيدة السليمة هي التي تحفز نحو السلوك الطيب وانتفاء العقيدة أو انحرافها يقود الى كل الاحتمالات السلبية والتفكك والانحراف ان لم يكن الى الكفر ، وعليه فلا مكانة للأخلاق بغير عقيدة ، وقد تنقلب الأخلاق الى شواكل معكوسة من السلوك الذميم الذى

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨١-٨٢ .

(٢) محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ١٥٦ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ١٥ ص ٣١٧ - ٣١٨ روح المعاني جـ٢٤ ص ٧٢ .

يتمثل في الرذائل والفواحش على اختلافها ، وما نعيشه اليوم مخيما على سماء غالبية الجيل المسلم من اضطرابات خلقية لهو موشر خطير على عدم ثبات العقيدة في النفوس ، لأنه اذا ما علمنا أن الجيل الأول حين عاش العقيدة الصحيحة فأصبح سيد العالم وفتح القلوب بأخلاقه كما فتح البلاد بجهاده فأخشى أن تكون هذه الاضطرابات الخلقية التي تعيشها الأجيال هي الوسيلة لاغلاق القلوب ، يقول كات ستيفنز والذى يعرف بيوسف اسلام بعد اسلامه ( حمدت الله على أنني اعتنقت الاسلام قبل أن اجتمع بأحد من المسلمين وقبل أن أتعرف على خلافاتهم ).(١)

ولربط أخلاق الأمة بالعقيدة لابد أن يسعى الدعاة وفي ضوء ذلك تكون الدعوة الى الله .

---

(١) توجيهات اسلامية / محمد زينو ص ٢٢ .

# البَابُ الثانی

# أساليبُ الدّعوة فی سُورَة غافِرْ

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : أسلوب الجدل .

الفصل الثانی : أسلوب القصة .

الفصل الثالث : أسلوب الترغيب والترهيب .

# الفصل الأول

## أسلوب الجدل .

ويشتمل على خمسة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الجدل لغة واصطلاحًا .

المبحث الثاني : أقسام الجدل .

المبحث الثالث : الموضوعات التي جادل فيها القرآن من خلال السورة .

المبحث الرابع : المجادلات التي وردت في السورة .

المبحث الخامس : أهمية الجدل للداعية .

# المبحث الأول :

## تعريف الجدل لغة واصطلاحًا .

# الفصل الأول

## أسلوب الجدل

### المبحث الأول : تعريف الجدل لغة واصطلاحا

#### أولا - في اللغة :

الجَدَلُ مشتق من الجدلِ ، وهو شدة الفتل ، نقول : جدلت الحبل أجدِله جدلا اذا شددت فتله وفتلته فتلا محكما .

قال ابن سيده (١) : جَدَلَ الشيء يَجدِلُه جَدْلاً ، أحكم فتله ، ومنه قول امرؤ القيس (٢) :

وكشح لطيف كالجديل مُخصَّر
وساق كأنبوب السقي المذلل (٣)

والجَدْلُ : كل عظم مُوفَّر كما هو لا يكسر ، ولا يخلط به غيره .

---

(١) هو أبو الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي ، المرسي ، الضرير ، المعروف بابن سيده ، ولد بمرسيه ، كان عالما بالنحو واللغة والأشعار ، وأيام العرب وما يتعلق بعلومها ، توفى بدانيه سنة ٤٥٨ هـ (انظر ترجمته في : وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٣١/١ ، البداية والنهاية لابن كثير ، ٩٥/١٢ ، شذرات الذهب لابن العماد ٣٠٥/٣ ) .

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندى ، الشاعر الجاهلي المشهور ، الملقب بذى القروح ، قال ابن خالويه ، لأن قيصر أرسل اليه حلة مسمومة فلما لبسها أسرع السم اليه ، فتثقب لحمه ، فسمي ذا القروح .

( انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ٥٢/١ - ٨٦ ، تهذيب الأسماء واللغات ١٢٥/١ ) .

(٣) شرح ديوان امرىء القيس ص ٣٥ .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها " العقيقة تقطع جُدْولا لا يكسر لها عظم "(١) والجُدول : جمع جَدْل وجِدْل بالفتح والكسر وهـو العضو .

والجَدْل : الصَّرْع . وجَدَله جَدْلاً وجَدّله فانجدل وتجدّل : صرعه على الجَدالة وهو مجدول ، وقيل للصريع مُجَدَّل لأنه يصرع على الجدالة ).(٢)

قال الزمخشري(٣) : طعنه فجدله أي ألقاه على الجَدالة وهي الأرض.(٤)

---

(١) الفتح الرباني ، أحمد البنا جـ١٣/ كتاب الذبائح باب : وقت العقيقة وتسمية المولود ، الزوائد ص ١٣٠/ وقال صاحب المستدرك : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، قلت - أي البنا - وأقره الذهبي .

(٢) انظر لسان العرب / ابن منظور / جـ١١ ص ١٠٣.

(٣) هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري ، جار اللـه ، أبو القاسم ، علامة التفسير والحديث والنحو واللغة والبيان ، صاحب المصنفات الحسان في الفنون المختلفة ، أشهر كتبه " الكشاف في التفسير " و " أساس البلاغة " في اللغة ، وله غيرها كثير ، توفى سنة ٥٣٨ هـ ( انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٤/ ٥٤ ومابعدها ، طبقات المفسرين للداودى ٢/ ٣١٤ ، شذرات الذهب ٤/ ١١٨ ).

(٤) أساس البلاغة ص ٥٣.

وفي حديث علي حين وقف على طلحة [١] وهو قتيل فقال :

" أعزُز عليَّ أبا محمد ان أراك مجدلا تحت نجوم السماء أى ملقى على الارض قتيلا " . [٢]

والاسم ، الجَدَل : وهو شدة الخصومة .

والجَدَل ، اللدد في الخصومة والقدرة عليها .

والجَدَل : مقابلة الحجة بالحجة .

والمجادلة : المناظرة والمخاصمة .

ورجل جَدِل ومِجْدل ومِجْدال : شديد الجَدَل .

ورجل جَدِل : اذا كان أقوى في الخصام .

ويقال : جادلت الرجل فجدلته جدلا : أى غلبته .

وجادله : أى خاصمه مُجادلة وجدالاً .

وقوله تعالى :

" وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ " [٣]

قال أبو اسحق : قالوا معناه : لا ينبغي للرجل أن يجادل أخاه فيخرجه الى ما لا ينبغي .

---

(١) هو ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ، القرشي التيمي المالكي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، له عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قتل على يد مروان بن الحكم سنة ٣٦ هـ (انظر ترجمته : حلية الأولياء ١/٨٧ ، صفة الصفوة ، ١/١٣٠ ، أسد الغابة ٣/٨٥ ، الاصابة ٥/٢٣٢ - ٢٣٥ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ١/٢٣-٤٠ ) .

(٢) لسان العرب ج ١١ ص ١٠٣ - ١٠٤ ( والحديث موجود في : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٦ ) . قريبا منه .

(٣) سورة البقرة آية ١٩٧ .

وفي الحديث : " ما أوتي الجدل قوم الا ضلوا "(١) ،يقول صاحب لسان العرب : ( والمراد في الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لا لاظهار الحق )(٢).

ثانيا - الجدل اصطلاحا :

قال صاحب التعريفات : ( الجدل : دفع المرء خصمه عن افساد قوله بحجة ،أو شبهة وهو الخصومة في الحقيقة ، والغرض منه الزام الخصم، وافحام من هو قاصر عن ادراك مقدمات البرهان ")(٣)

وقال صاحب كتاب الكليات ( الجدل : هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة وهو لا يكون الا بمنازعة غيره )(٤).

وقال صاحب كتاب مفتاح السعادة ( علم الجدل : هوعلم باحث عن الطرق التي يُقتدر بها على إبرام أى وضع أُريد وعلى هدم أى وضع كان..... والغرض منه تحصيل ملكة الهدم والابرام )(٥).

---

(١) اخرج الامام أحمد في مسنده قريبا منه من حديث أبي أمامة جـ٥ ص٢٥٢ ، ٢٥٦ ،كما أخرج ابن ماجه في سننه قريبا منه ،ما نصه ( عن أبي أمامة ،قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل " ثم تلا هذه الآية " بل هم قوم خصمون " الزخرف ٥٨ ) جـ١ باب اجتناب البدع والجدل ،حديث رقم ٤٨ ص ١٩.

(٢) لسان العرب / ابن منظور جـ١١ ص١٠٣-١٠٥.

(٣) الجرجاني ص ٧٤ - ٧٥.

(٤) أبو البقاء العكبرى جـ٢ ص ١٧٢.

(٥) مفتاح السعادة ومصباح السيادة / طاش كبرى زاده جـ١ ص ٢٨١.

وعلى هذا فخلاصة التعريف : ان الجدل هو : المنازعة أو الخصومة بين طرفين لا لاظهار الصواب بل الغرض منه هو الزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال .

فاذا خرجت عن ذلك الغرض الى غرض آخر ، وهو الوصول الى الصواب كانت مناظرة .

يقول صاحب كتاب التعريفات : ( هي النظر بالبصيرة من الجانبين ، في النسبة بين الشيئين اظهارا للصواب ) .(١)

ويقول صاحب كتاب مفتاح السعادة ( وهو علم يبحث عن كيفية ايراد الكلام بين المناظرين لئلا يقع الخبط في البحث فيتضح الصواب)(٢).

والنتيجة أن المناظرة هي الأولى بالاعتبار من الجدل .

والسؤال : أن الأصل في الأمر أنه من المحال أن يأمر الله بغير طريق الصواب ، أو يجعل رسله يسلكون غيره ، فكيف تكون المناظرة هي الأولى بالاعتبار من المجادلة ، والقرآن يأمر بالجدل في قوله تعالى :

" وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ "(٣)

وقوله :

" وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ "(٤)

---

(١) الجرجاني ص ٢٣٢ .

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة / طاش كبرى زاده جـ١ ص ٢٨٠ .

(٣) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٦ .

والرد كما يرى الامام أبو زهرة (١) قائلا : ان الجدل قد يطلق في اللغة ويراد منه المناظرة وعلى هذا فالجدل في الآيات المقصود منه المناظرة ، ومن هنا قال ابن خلدون (٢) في مقدمته : وأما الجدال فهو معرفة آداب المناظرة ). (٣)

وان كنت أرى غير ذلك لأن المناظرة تكون بين طرفين كلهم يهدف الى الصواب كما يقول صاحب التعريفات (٤) ، ولما علم الله عنهم أنهم لا يهدفون الى الحق بل يقصدون العناد واللجاج ، والجدل بقصد الهدم قال لرسوله : " وجادلهم " ولكن " بالتي هي أحسن " ولهذا أصل عند صاحب المصباح المنير ، الذى قال " ان أصل الجدال : المخاصمة بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب ، ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها وهو محمود ، ان كان للوقوف على الحق والا فمذموم ). (٥)

---

(١) هو محمد بن أحمد أبو زهرة ، من أكبر علماء الشريعة الاسلامية في عصره ولد بمدينة المحلة الكبرى ، وتعلم بمدارس القضاء الشرعي ، وتولى تدريس العلوم الشرعية والعربية ثلاث سنوات ، وبدأ اتجاهه الى البحث العلمي في كلية أصول الدين والتي عين بها استاذا محاضرا للدراسات العليا كما كان عضوا للمجلس الأعلى للبحوث العلمية ، أصدر من تأليفه أكثر من ٤٠ كتابا ، وتوفى سنة ١٣٩٤هـ ) انظر الأعلام ٦/ ٢٥ ).

(٢) هو ولي الدين ، أبو زيد ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد ابن الحسن الحضرمي ، الاشبيلي ، التونسي ، المعروف بابن خلدون ولد بتونس ونشأ بها ، وطلب العلم متنقلا من بلد الى أخرى الى ان رجع الى تونس فأكرمه سلطانها ، الا ان الواشين سعوا به عند السلطان مما اضطره الى الفرار للشرق ثم انتقل الى القاهرة وظل بها الى أن توفي سنة ٨٠٨هـ ( انظر ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد ٧/ ٧٦- ٧٧ ) ظهر الاسلام لأحمد أمين ٣/ ٢٢٥- ٢٢٨ ، معجم المؤلفين ٥/ ١٨٨-١٨٩ ).

(٣) تاريخ الجدل ص ٦.

(٤) الجرجاني ص ٢٣٢.

(٥) انظر المصباح المنير / الفيومي ١/ ٤٤.

وقول صاحب لسان العرب حين أورد قوله صلى الله عليه وسلم :
" ما أوتي الجدل قوم الا ضلوا "(١) قال : والمراد به في الحديث الجدل على الباطل ، وطلب المغالبة به لا لإظهار الحق فان ذلك محمود لقوله عز وجل :

" وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "(٢)

وسورة المجادلة :

" قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ "(٣)

وهما يتجادلان في ذلك الأمر )(٤).

وعلى هذا فالخلاصة أن الجدل له معان متعددة فهو :

١ - يأتي بمعنى اللدد والشدة في الخصومة.

٢ - ويأتي بمعنى مقابلة الحجة بالحجة.

٣ - ويأتي بمعنى مراجعة الكلام.

وبكل منها ورد القرآن .

فأما ما كان بمعنى اللدد والشدة في الخصومة فقد قال تعالى :

" مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا "(٥)

وقال :

" وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ "(٦)

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سورة النحل آية ١٢٥.

(٣) سورة المجادلة آية ١.

(٤) ابن منظور / جـ١١ ص ١٠٥.

(٥) سورة الزخرف آية ٥٨.

(٦) سورة غافر آية ٥ .

وأما ما كان بمعنى مقابلة الحجة بالحجة فقد قال تعالى :

" وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ " (١)

وقال : " وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ " (٢)

وأما ما كان بمعنى مراجعة الكلام ، فقد قال تعالى :

" قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ① " (٣)

ومن هنا كان لا بد لنا من الحديث عن أقسام الجدل بالتفصيل تتمة لهذا البحث ، وهذا ما سنتطرق له في البحث القادم ان شاء الله .

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥.

(٢) سورة العنكبوت آية ٤٦.

(٣) سورة المجادلة آية ١ .

# المبحث الثانى :
# أقسام الجدل .

**أولاً :** الجدل الممدوح .
**ثانياً :** الجدل المذموم .

## المبحث الثاني : أقسام الجدل

قبل أن نتحدث عن أهمية الجدل للداعية كأسلوب من أساليب دعوته قد يعترضنا سؤال وهو كيف نوفق بين كون الجدل وسيلة من وسائل الدعوة الى الله وبين ذم القرآن للجدل ولا سيما أن محور سورة غافر كله يدور حول ذم الجدل ، والمجادلين والحكم عليهم بالكبر والكفر وتصوير نهاياتهم السيئة ، وهذا التوفيق يأتي من معرفة أن الجدل منه ما هو مذموم ، ومنه ما هو ممدوح .

وبيان ذلك يتضح فيما يلي :

### أولا - الجدل الممدوح :

حين نتحدث عن الجدل وسيلة الى الدعوة الى الله فنحن نتحدث عن الجدل الممدوح الذى هو منهج لتقرير الحق ونصرته ، والدعوة اليه والذب عن دين الله ورد الشبه والشكوك وتوضيح الحقائق ، ومقارعة الباطل بالحجة ، والبرهان كما أقره القرآن الكريم آمرا :

" ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ " (١)

والذى هو حرفة الأنبياء عليهم السلام ، قال تعالى لمحمد - صلى الله عليه وسلم : " وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ "

وقال حكاية عن الكفار أنهم قالوا لنوح عليه السلام :

" يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا " (٢) (٣)

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٢) سورة هود آية ٣٢ .

(٣) انظر التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ٧ ٢ ص ٢٩ .

والذى هو جهاد في سبيل الله ، يقول صاحب الانصاف : ( وأما الجدال فيها - أى في آيات الله - لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة العلماء في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ عنها وبها، فأعظم جهاد في سبيل الله ) (١) بل هو الجدال الواجب ، يقول صاحب فتح البارى في حديث وفد نجران : ( جوازمجادلة أهل الكتاب وقد تجب اذا تعينت مصلحته ) (٢) ، ومن هنا تتبع أهمية الجدل كوسيلة للدعوة الى الله لأن من وظيفة الداعية تقرير الحق و قطع حجج المعاندين وحسم دعواهم وافحامهم ، ومع ذلك فهذا موضوع جد خطير فنحن لا نطرحه كموضوع مطلق نترك فيه للنفس العنان دون حدود ولا قيود بل نتتبعه في ضوء المنهج الذى رسمه القرآن الكريم في ظل الآيات الخالدات وتحت الحدود التي أوضحها لنا سلف الأمة أثابهم الله والتي هي :

أولا : قوله تعالى :

" هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ " (٣)

وفي ضوء هذا نرى أن الجدل المأمور به لا بد أن يكون بعلم ، وفي هذا يقول ابن تيميه رحمه الله ( والله لا يأمر المؤمنين أن يجادلوا بمقدمة يسلمها الخصم ان لم تكن علما ، فلو قدر أنه قال باطلا لم يأمر الله أن يحتج عليهم بالباطل لكن هذا قدر/يفعل لبيان فساد قوله وبيان تناقضه

---

(١) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ( بحاشية الكشاف ) / ناصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير جـ٣ ص ٤١٣ .

(٢) ابن حجر العسقلاني جـ٨ ص ٩٥ .

(٣) سورة آل عمران آية ٦٦ .

لا لبيان الدعوة الى القول الحق والقرآن مقصوده بيان الحق ودعوة العباد اليه وليس المقصود ذكر ما تناقضوا فيه من أقوالهم ). (١)

ويقول الامام القرطبي رحمه الله موضحا عند تفسيره هذه الآية :

( في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له والحظر على من لا تحقيق عنده وقد ورد الأمر بالجدال لمن علم وا يقن فقال تعالى :

" وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " (٢)

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتاه رجل أنكر ولده فقال يا رسول الله ان امرأتي ولدت غلاما أسود ، فقال هل لك من ابل ؟ قال : نعم ، قال : ما لونها ؟ قال حمر . قال : هل فيها من أورق ؟ قال :نعم قال : فمن أين ذلك ؟ قال : لعل عرقا نزعه ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهذا الغلام لعل عرقا نزعه (٣) وهذه حقيقة الجدال ونهاية في تبين الاستدلال من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤)

ثانيا : في قوله تعالى :

" ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " (٥)

---

(١) الرد على المنطقيين ص ٤٦٨.

(٢) سورة النحل آية ١٢٥.

(٣) صحيح البخارى جـ٨ كتاب الحدود وما يحذر من الحدود باب ٤١ ما جاء في التعريض ص ٣١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن جـ٤ ص ١٠٨-١٠٩.

(٥) سورة النحل آية ١٢٥.

وفي ضوئها نرى أن الجدال لا يبدأ به في الدعوة وانما يكون من باب دفع الصائل الذى يأتي بعد الحكمة والموعظة الحسنة يقول ابن تيمية يرحمه الله ( وأما الجدل فلا يدعى به ، بل هو من باب دفع الصائل فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن ... فمادام الرجل قابلا للحكمة والموعظة الحسنة أولهما جميعا لم يحتج الى مجادلة فاذا مانع جودل بالتي أحسن ).(١)

وعلى هذا فالجدال الممدوح هو ( كل جدال أيد الحق أو أفضى اليه بنية خالصة وطريق صحيح ).(٢)

*

ثانيا - الجدال المذموم :

ان الله حين ذم الجدل والمجادلين في آيات سورة غافر وغيرها من آيات القرآن الكريم فهو قد ذم الجدل كظاهرة للجحود والشك الذى يؤدى للكفر وخاصة فيما يتعلق بالعقائد كالجدال في :

١ - ذات الله جل ثناؤه وفي صفاته وأسمائه ،كما قال تعالى :

"وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾" (٣)

يقول صاحب كتاب جامع بيان العلم وفضله : ( وقد نهى السلف -رحمهم الله عن الجدال في الله - جل ثناؤه - في صفاته وأسمائه ) وعلل ذلك بقوله : ( لأن الله عز وجل لا يوصف عند جماعة

-------------------

(١) انظر الرد على المنطقيين ص ٤٦٨.

(٢) مناهج الجدل / زاهر بن عواض الألمعي ص ٥٠.

(٣) سورة الرعد آية ١٣.

أهل السنة الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله أو أجمعت الأمة عليه وليس كمثل شيء فيدرك بقياس أو بانعام نظر ،وقد نهينا عن التفكر في الله وأمرنا بالتفكر في خلقه الدال عليه ) .(١)

ويقول صاحب الكشاف عند قوله تعالى :

"وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ" (٢)

( نزلت في النضر بن الحرث(٣) وكان جدلا يقول : الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين والله غير قادر على احياء من بلى وصار ترابا ،وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ) .(٤)

---

(١) انظر : ابن عبد البر النمرى ،القرطبي جـ٢ ص ٩٢ .

(٢) سورة الحج آية ٣ .

(٣) هو النضر بن الحرث بن علقمة بن كلده بن عبد مناف ،وكان كما يقول ابن اسحاق من شياطين قريش ،وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة ،وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : ( فيا بلغني نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قول الله عز وجل : اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين وكل ما ذكر فيه من الأساطير في القرآن ( انظر : السيرة النبوية لابن هشام جـ١ ص ٣٢٠ - ٣٢١ ) .

(٤) جار الله محمود بن عمر الزمخشرى جـ٣ص ٥ .

٢ - الجدال والمراء في القرآن ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لا تماروا في القرآن فان المراء فيه كفر ) (١) ، وقد أورد صاحب كتاب جامع بيان العلم وفضله أن : ( الآثار كلها في هذا الباب المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم انما وردت في النهي عن الجدال والمراء في القرآن ، وروى سعيد بن المسيب (٢) وأبو سلمة (٣) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " المراء في القرآن كفر " (٤) ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا بوجه من الوجوه .

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل ٤/ ١٧٠ ، قريبا منه " ، وقال صاحب الفتح الرباني معلقا : أورده الهيثمي وقال رواه احمد ورجاله رجال الصحيح ، الا أنه مرسل . قلت - أى صاحب الفتح الرباني - يؤيده ما بعده ، عن أبي جهيم أن رجلين اختلفا في آية من القرآن فذكر نحوه .
(انظر الفتح الرباني - فضائل القرآن و تفسيره وأسباب نزوله ، أبواب القراءات وجواز اختلافها ، باب ما جاء من ذلك مما كان اختلاف الصحابة فيه ١٨/ ٣٩ .

(٢) هو سعيد بن المسيب بن حزن ، المخزومي ، أبو محمد ، القريشي ، المدني سيد التابعين ، الامام الجليل ، فقيه الفقهاء ، قال الامام يحيى بن سعيد "كان أحفظ الناس لأحكام عمر وأقضيته " جمع الحديث والتفسير والفقه والورع والعبادة والزهد ، توفي سنة ٩٣ هـ وقيل ٩٤ هـ ( انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ١/ ٥٤ ، وفيات الأعيان ٢/ ١١٧ ، شذرات الذهب ١/ ١٠٢ ، حلية الأولياء ٢/ ١٦١ ) .

(٣) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدني أحد الأعلام ، ليس له اسم وقيل : اسمه عبد الله وقيل اسماعيل ، وقيل اسمه وكنيته واحد ، قال ابن سعد " كان ثقة فقيها كثير الحديث " ونقل أبو عبد الله الحاكم أنه أحد الفقهاء السبعة عن أكثر أهل الأخبار مات سنة ٩٤ هـ وقيل ١٠٤هـ ( انظر شذرات الذهب ١/ ١٠٥ تذكرة الحفاظ ١/ ٦٣ ، تهذيب التهذيب ١٢/ ١١٥ ) .

(٤) عون المعبود شرح سنن ابي داود جـ١٢ كتاب السنة باب ٤ ( النهي عن الجدال في القرآن ) حديث رقم ٤٥٧٩ ص: ٣٥٣ .

والمعنى أن يتمارى اثنان في آية يجحدها أحدهما ويرفعها أو يصير فيها الشك، فذلك هو المراء الذى هو كفر ، وأما التنازع في أحكام القرآن ومعانيه فقد تنازع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا من ذلك ).[1]

وعلى هذا فالقرآن حين ذم الجدل وأهله ذم الجدال في الشيء وليس الجدال عن الشيء لأن الأول باطل ، يقول الامام الفخر الرازى ( وأما الجدال في تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد من قوله تعالى : " مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ "[2]

وقال : " مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ "[3]

وقال : " وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ "[4]

وقال صلى الله عليه وسلم ( ان جدالا في القرآن كفر )[5] فقوله : ان جدالا على لفظ التنكير يدل على التمييز بين جدال وجدال ، واعلم أن لفظ الجدال في الشيء مشعر بالجدال بالباطل ولفظ الجدال عن الشيء مشعر بالجدال لأجل تقريره والذب عنه ، والجدال في آيات الله هو أن يقال مرة انه سحر ، ومرة انه شعر ، ومرة انه قول الكهنة ،

---

(١) ابن عبد البر جـ٢ ص ٩٢.

(٢) سورة غافر آية ٤.

(٣) سورة الزخرف آية ٥٨.

(٤) سورة غافر آية ٥.

(٥) مسند الامام أحمد بن حنبل جـ٢ ( مسند ابي هريرة ) ص ٤٧٨ " قريبا منه ". يقول صاحب الفتح الرباني معلقا : وصححه الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي (انظر باب الترهيب من الجدال والمراء ١٩/ ٢٧١.

ومرة أساطير الأولين ومرة انما يعلمه بشر وأشباه هذا مما كانوا يقولونه من الشبهات الباطلة فذكر تعالى أنه لا يفعل هذا: الا الذين كفروا وأعرضوا عن الحق ) (١)

وبذلك نرى أن الجدال المذموم (هو الجدال بالباطل لادحاض الحق والطعن فيه وقصد اطفاء نور الله ) (٢) وهو : ( كل جدال ظاهر الباطل أو أفضى اليه ) (٣) والذى ينحصر في :

١ - الجدال لنصرة الباطل بالشغب والتمويه بعد ظهور الحق ، قال تعالى : " وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ " (٤)

وقال : " وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ " (٥)

٢ - الجدال بغير علم ، قال تعالى : " وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ " (٦)

ومن هنا نرى أن الآيات حين تذم الجدل والمجادلين في سورة غافر ، وغيرها من سور القرآن الكريم فهي منصرفة الى الجدل الذي يرمى الى تقرير الباطل ، والآيات حين تدعو الى الجدل كمنهج في

---

(١) انظر التفسير الكبير جـ٢٧ ص ٢٠٩ .

(٢) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال / ابن المنير الاسكندرى جـ٣ ص ٤١٣ .

(٣) مناهج الجدل ، زاهر بن عواض الألمعي ص ٦٢ .

(٤) سورة غافر آية ٥ .

(٥) سورة الكهف آية ٥٦ .

(٦) سورة الحج آية ٣ .

الدعوة الى الله أن تصرف الى الجدل الذى يفيد تقرير الحق ، يقول الفخر الرازى : ( ومن هنا نرى أن طريق التوفيق بين الآيات الأولى والثانية (١) أن تصرف تلك الآيات الى الجدل الذى يفيد تقرير الحق وأن تصرف هذه الآيات الى الجدل الذى يوجب تقرير الباطل ) (٢).

---

(١) الآيات الأولى المقصود بها الآيات الكثيرة الدالة على أن الجدال موجب للمدح والثناء من مثل قوله تعالى " وجادلهم بالتي هي أحسن " والآيات الثانية هي الدالة على ذم الجدل من مثل قوله تعالى " ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا ".

(٢) التفسير الكبير جـ٢٧ ص ٢٢٢.

# المبحث الثالث :

## الموضوعات التى جادل فيها القرآن من خلال السورة .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الجدال لإثبات الوحدانية .

المطلب الثانى : الجدال فى أمر البعث .

المبحث الثالث : الموضوعات التي جادل فيها القرآن الكريم من خلال السورة .

تمهيــــد : من يوم أن أهبط آدم الى الأرض وأرسل الله الرسل ، وأنزل الهدايات والكتب ، والناس في جدال وصراع مستمر ، وقد عرض لنـــا القرآن الكريم أنماطا كثيرة من الجدال بين الرسل وأقوامهم بصفة خاصة، وما دار حول ذلك من الصراع بين الحق والباطل بصفة عامة .

واذا تأملنا في القرآن الكريم فاننا لا نكاد نجد فيه لفتة الى ما قبل الرسالة المحمدية الا وجدنا فيها جدالا ونقاشا حتى اذا جـــاء الاسلام وأظهر دعوته الخالصة وأعلن كلمته الفاصلة بين عقيدة التوحيد ومعتقدات الوثنية الضالة قامت قريش تفاوض الرسول وتناقشه ، وكان الجواب صريحا وحازما بالفصل بين العقيدتين : عقيدة التوحيد ، وعقيدة الوثنية ، ومن هنا كان من أهم ما جادل فيه المجادلون قضية الوحدانية . ومــن هنا امتلأ القرآن الكريم بالأدلة التي تجعل العقول تستسلم لما أراد رب العزة ، ولم يبقَ بعيدا عن هذه الساحة الربانية الا من أغلــق قلبه دون أنوار الله وأصم أذنيه عن ندائه .

ثم لما كان الاقناع بحياة أخرى بعد الموت من الأمور المستبعدة ، اذ كيف تتحول تلك الجثة الهامدة والتي أصبحت ترابا الى بشر سوى مرة أخرى ، كانت هذه هي القضية الثانية في الأهمية التي كثر الجدال حولها .. بل ان الجدال في أمر البعث وانكار حقيقته يسير جنبا الــى جنب مع قضية الوحدانية في الغرابة والاستبعاد .

ومن هنا كثرت الأدلة والبراهين القاطعة حول هاتين القضيتين ، وعرف ذلك في نماذجَ حيةٍ متضمنةً شُبَهَ المنكرين المجادلين ثم المناقشــة لها بالمنطق الصحيح المبطل للشبه والملابسات بالبراهين العقلية التــي تعيد للانسانية طمأنينتها .

ومن هنا كان من الطبيعي جدا أن تكون لسورة غافر وقفة أمام هاتين القضيتين خاصة وأن محور السورة كله يدور حول الذين يجادلون في آيات الله تكذيبا وعنادا مع وضوحها فجاء ذكرهم في أربع صور متفرقة من السورة .

## المطلب الأول : الجدال في اثبات الوحدانية في ضوء سورة غافر .

( لما كان هذا النوع من أنواع التوحيد - توحيد الألوهية - هو مناط الايمان بالله وحده واخلاص العبادة له :

" وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ " (١)

أفصح عنه القرآن الكريم كل الافصاح وأبدى فيه وأعاد وضرب لذلك الأمثلة المحسوسة والمشاهدة التي يعيشها المخاطب ويتعامل معها بعقله ومشاعره .

لذا نجد في كل سورة من سور القرآن الكريم الدلالة على هذا التوحيد اذ ان الخصومة بين الأنبياء ، وأممهم انما كانت في هذا النوع من أنواع التوحيد ، فالشرك الذى حدث من جميع الأمم انما كان في هذا النوع . اما توحيد الربوبية فعامة مشركي الأمم مقرون بالخالق . . أى أنه لا خالق الا الله تبارك وتعالى :

" وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ " (٢)

---

(١) سورة البينة آية ٥ .

(٢) سورة الزخرف آية ٩ .

وقوله تعالى : " وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٨٧ " (١) (٢)

ومع ذلك لم يُدخلهم اقرارهم بوجود الله في التوحيد الذى بعث الله من أجله الرسل - توحيد الألوهية - ولكنهم ملزمون بإقرارهم ، فانه اذا ثبت أن خالق هذا الكون موجود ثبت أنه واحد (لأن الصنعة مفتقرة الى الصانع وليست مفتقرة الى الى ما زاد على الصانع فصار وجود مازاد على الصنعة جائزا والجائز الوجود لا يجوز أن يكون الها مبدعا قديما ) . (٣)

ومع ذلك فقد كثرت الأدلة في اثبات وجود الله تعالى والتي هي أدلة قاطعة على اثبات وحدانيته سبحانه فيقول سبحانه موضحا هذه الحقيقة :

" لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ " (٤)

يقول صاحب كتاب مناهج الجدل في القرآن الكريم ( واعلم أن تقرير الدليل أن يقال الله واحد لأن التدبير لا ينتظم في دار واحدة بمدبرين ،فكيف ينتظم التدبير العام في جميع هذا الكون بمدبرين ؟ فلو وجد ذلك لتنازعت الارادتان بين سلب وايجاب ،اذ يريد أحدهما حياة شخص والآخر موته أو اسعاده و الآخر اشقاءه . وهذا التنازع يؤدى

---

( ١ ) سورة الزخرف آية ٨٧

( ٢ ) انظر منهج القرآن في الدعوة الى الايمان / علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ص ١١٥-١١٦ .

( ٣ ) استخراج الجدال من القرآن الكريم / عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي ص ٨٣ .

( ٤ ) سورة الأنبياء آية ٢٢ .

الى فساد السموات والأرض لتخالف الارادات ، ولكنهما صالحان غير فاسدين فبطل ما يؤدي الى فسادها وهو تعدد الآلهة ، فثبتت الوحدانية لله تعالى ) .(١)

وقد سلك القرآن الكريم في استدلاله على وحدانية الله مسلكين :

( المسلك الأول : بيان تفاهة معبودات أولئك المشركين وعجزها ، وأنها لا تخلق ذبابة ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها ضررا ، ولا تجلب لها نفعا فكيف تملك لغيرها نفعا أو ضرا ؟ قال تعالى :

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ " (٢)

وبيان تفاهة المشركين أيضا عندما يعبدون هذه الأوثان ، وأنها أضعف وأحقر من أن يقام لها وزن أو يثار حولها جدل :

" مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ " (٣)

المسلك الثاني :

أ - الاستدلال على وحدانية الله بانتظام الكون وسلامته من الاختلال والتصادم ، فالخلق هو عنوان العبادة :

" أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ " (٤)

---

(١) زاهر بن عواض الألمعي ص١٥٩ .

(٢) سورة الحج آية ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) سورة العنكبوت آية ٤١ .

(٤) سورة النحل آية ١٧ .

وقوله : " ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ " (١)

ب - تذكير المخاطبين بالنعم التي أنعم الله بها عليهم عن طريق تعدادها والتي هي في نفس الوقت آيات بينات ودلالات واضحات على وحدانيته - سبحانه - ومن هنا يعقب عليهم بدعوتهم الى اخلاص العبادة لله وحده ). (٢)

ومن هنا كان الأخذ والرد في سورة غافر بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركين ، بل لو قلنا أن نقول :

ان سورة غافر عبارة عن صورة كبيرة من الجدل بين الرسول ومشركي قومه ، والقضية الأولى التي جادلوا فيها هي قضية الوحدانية ، لما بالغنا قال تعالى :

" وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ " (٣)

وان كان للمفسرين عندها وقفة لا بأس أن نقفها وهي تدور حول معنى الأمر بالدعاء هنا :

١ - فقد قيل ( هو الذكر والدعاء والسؤال . ، قال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم " ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٢ .

(٢) انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم / زاهر بن عواض الألمعي ص ١٥٨ - ١٦٢ ، منهج القرآن في الدعوة الى الايمان / على بن محمد الفقيهي ص ١٣٩ .

(٣) سورة غافر آية ٦٠ .

يسأله شسع نعـــله اذا انقطع .(١) ) .(٢)

٢ - وقيل (الدعاء هو ترك الذنوب ) .(٣)

٣ - وقيل (هو العبادة وهذا ما ذهب اليه أكثر المفسرين لأدلـــة واعتبارات كثيرة منها :

أ - أن الله تعالى قال بعد ذلك :

" إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى " (٤)

ب - ان الدعاء يأتي بمعنى العبادة وهوكثير في القرآن كقولـه تعالى :

" إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا " (٥)

جـ - ولما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( ان الدعاء هو العبادة ) (٦) ثم قرأ

" ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ " (٧) ) (٨)

---

(١) اخرجه الترمذى في جـ٥ باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ١٩ ص ٢٤٢ وقال عنه : هذا حديث غريب .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ١٥ص ٣٢٧ ، التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ٢٧ ص ٨ ، الكشاف / الزمخشرى جـ٣ ص ٤٣٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ١٥ ص ٣٢٧ .

(٤) سورة غافر آية ٦٠

(٥) سورة النساء آية ١١٧ .

(٦) سنن الترمذى جـ٤ أبواب تفسير القرآن ( باب تفسير سورة البقرة ) حديث رقم ٤٠٤٩ ص ٢٧٩ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، مسند الامام أحمد بن حنبل جـ٤ ( حديث النعمان بن بشير ) ص ٢٧٦ " بلفظه " سنن ابن ماجه جـ٢ كتاب الدعاء باب فضل الدعاء حديث رقم ٣٨٢٨ ص ١٢٥٨ " بلفظه " .

(٧) سورة غافر آية ٦٠

(٨) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤/ ٨٥ .

والحقيقة أنه لا اختلاف بين الأقوال ( فالدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها ، يصدقه قول ابن عباس قال : معنى " ادعوني أستجب لكم " أى وحدوني اغفر لكم ، وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد ) . (١)

ومن هنا نرى أن هذه الدعوة للعبادة جاءت مشفوعة باستدلالات تقوى الأمر باستحقاقه لها وحده ، فلا يبقى لمعتذر عذر ولا لمحتج حجة .

جاءت تخاطب العقل والوجدان معا أدلة محسوسة ملموسة يعيشها المخاطبون ويشاهدونها بأبصارهم ويدركونها بعقولهم تنحصر فيما يسمى بدليلي العناية والاختراع كما يرى صاحب كتاب "الكشف عن مناهج الأدلة" حيث يقول ( ان الآيات التي في الكتاب العزيز إما آيات تتضمن التنبيه على دلالة العناية - والمقصود به العناية بالانسان وخلق جميع الموجودات من أجله - وأما آيات تتضمن التنبيه على دلالة الاختراع ، مثل اختراع الحياة في الجماد والادراكات الحسية والعقل وإما آيات تجمع الأمرين من الدلالة جميعا ) . (٢)

أما دليل العناية فقد قال تعالى :

" هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ " (٣)

---

(١) انظر الكشاف / الزمخشرى جـ٣ ص ٤٣٤ .

(٢) انظر ابن رشد ص ٦٥/٦٧ .

(٣) سورة غافر آية ١٣ .

وقوله تعالى: " ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ " (١)

وقوله تعالى: " ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ " (٢)

وأما دليل الاختراع فقد قال تعالى:

" هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ " (٣)

كما أن هناك آيات تجمع بين دليلي العناية والاختراع معا.

في قوله تعالى: " ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ " (٤)

فان قوله " الله الذى جعل لكم .... لا يشكرون " تنبيه على دلالة العناية. وقوله تعالى " ذلكم الله ربكم خالق كل شيء .. " تنبيه على دلالة الاختراع.

وهي كلها نعم، تعرض ثم يعقب عليها بدعوتهم الى اخلاص العبادة لله وحده، فالموجد لجميع المخلوقات يجب أن يكون هو المعبود وحده.. قال تعالى:

" ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ " (٥)

وقال: " ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ " (٦)

---

(١) سورة غافر آية ٦٤.

(٢) سورة غافر آية ٧٩-٨١.

(٣) سورة غافر آية ٦٧.

(٤) سورة غافر آية ٦١-٦٣.

(٥) سورة غافر آية ٦٢.

(٦) سورة غافر آية ٦٤-٦٥.

فجاء التعقيب الأول في قوله تعالى :

" ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ " (١)

كالاتصال بين الأدلة والمستدل عليه ( فكانت الاشارة بـ " ذلكم " الى اسم الجلالة في قوله :

" ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ " (٢)

وعدل عن الضمير الى اسم الاشارة لإفادة أنه تعالى معلوم متميز بأفعاله ، المنفرد بها بحيث اذا ذكرت أفعاله تميز عما سواه ، فصار كالمشاهد المشار اليه ، فكيف تلتبس الهيته بالهية مزعومة للأصنام فليست للذين أشركوا به شبهه تلتبس عليهم ما لا يفعل مثل فعله ، أى ذلكم ربكم لا غيره .

وفي اسم الاشارة هذا تعريض بغباوة المخاطبين الذين التبست عليهم حقيقة الهيته ، وفي هذا التعقيب ثلاث استدلالات للوحدانية :

١ - فهو ( الله ) الجامع لصفات الالهية اجمالا .

٢ - ثم هو ( ربكم ) الذى دبر خلق الناس وهيأ لهم ما به قوام حياتهم .

٣ - وهو ( خالق كل شيء ) أى انه لما كان في معنى الربوبية من معنى الخلق ما هو خلق خاص بالبشر ، فهو خالق الأشياء كلها كما خلقهم .

ولما كانت هذه الأخبار الثلاث مترتبة بطريقة الترقي ، جاء الخبر الرابع كالنتيجة لها وهو نفي الالهية عن غيره .

---

(١) سورة غافر آية ٦٢ .

(٢) سورة غافر آية ٦٠ .

ومن هنا فرع عليه :

أ - استفهام تعجيبي من انصرافهم عن عبادته الى جانب عبادة غيره مع وضوح فساد اعراضهم عن عبادته.

ب - ونتيجة لاستمرارهم على الجحد بآيات الله دون تأمل ولا تدبر في معانيها ودلائلها يطبع نفوسهم على الانصراف عن العلم بوجوب الوحدانية له تعالى ).(١)

كما جاء التعقيب الثاني في قوله :

" هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ "

كموقع النتيجة من الدليل (لأن كل من سواه لا حياة له واجبة ،فهو معرض للزوال فكيف يكون الها مدبرا للعالم ،وجميع ما عبد من دون الله هو بين ما لم يتصف بالحياة تماما كالأصنام من الحجارة أو الخشب أو المعادن ومثل الكواكب والشمس والقمر والشجر وبين ما اتصف بحياة عارضة غير زائلة كالملائكة وبين ما اتصف بحياة عارضة زائلة من معبودات البشر مثل ( بوذه )(٢)

---

(١) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر عاشور ج٢٤ ص١٨٧-١٨٨.

(٢) اسمه الحقيقي "سِدْهارثا" وقيل "سيزاراسا" ولقب "ساكياموني" ومعناه : المتبتِّل من عائلة ساكيا ، ثم أطلقوا عليه لقب "بوذا" ومعناه المستنير ،وقد اتجه تفكيره منذ صغره الى المقارنة بين حياة الترف والنعيم التي يتقلب فيها وحياة البؤس والشقاء التي يرزح تحتها قومه ،مما جعله يغادر قصر والده الى احدى الغابات متأملا ،مفكرا بأن شقاء الحياة منبعث من رغبات النفس وفي استطاعة الانسان الافلات منها بقوة الثقافة الروحية الداخلية.

===

قال تعالى : " وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ " (١)

أى لا يستطيع أحدهم التصرف بالايجاد والاحياء وهو مخلوق أى معرض للحياة - ( " أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ " (٢)

فجعل نفي الحياة عنهم في الحال أوفي المآل دلالة على انتفاء الهيتهم وجعل نفي ادراك بعض المدركات عنهم ،دلالة انتفاء الهيتهم .

وبعد اتضاح الدلالة على انفراده تعالى بالالهية فرع عليه الأمر بعبادته وحده غير مشركين غيره في العبادة لنهوض انفراده باستحقاق أن يعبد ). (٣)

جاءت تلك التعقيبات بعد عرض النعم في معرض الوحدانية واخلاص الدين لله ( فيدل هذا على ارتباط هذه الظواهر والخلائق والمعاني ، وعلى وجود الصلة بينها ، ووجوب تدبرها في محيطها الواسع وملاحظة الارتباط بينها والاتفاق .

-------------------------

=== وحينئذ غادر الغابة وأخذ ينشر رسالته ويتجول في البلاد ،معلما كل من أقبل عليه ناشرا ما يسمى بالديانة البوذية ،مات في الثمانين من عمره وأحرق جسده بعد موته بثمانية أيام (انظر : ذيل الملل والنحل للشهرستاني ،محمد سيد كيلاني ٢ / ١٤ ،أديان الهند الكبرى / أحمد شلبي ص١٣٧ ومابعدها ).

( ١ ) سورة النحل آية ٢٠.

( ٢ ) سورة النحل آية ٢١.

( ٣ ) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ج٢٤ ص١٩٢-١٩٣.

ومن هنا كان من ابرز ما عني القرآن به أكبر عناية ابراز صفة الانعام التي يتصف بها ـ سبحانه ـ يذكرها هنا في مكان واحد بهذا الترابط ، ويتخذ منها برهانه على وحدانية الخالق ويوجه في ظلها القلب البشرى الى دعوة الله وحده مخلصا له الدين ) (١) فيخاطبه مرة بقوله :

" وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ " (٢)

ومرة بقوله : " وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ " (٣)

وثالثة بقوله : " وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ " (٤)

مستخدما ما يسمى باسلوب التمكين (٥) الذى يشير الى أنه ليس لهم أى وجه في اتخاذ الشريك مع الله ، بل كل شيء ينطق بالوحدانية ان كانوا يعقلون ومن هنا قال لهم :

١ - ولعلكم تعقلون ( لأن ما هو مستدل به واضح ظاهر جلي فوجب تعقله وتفهمه ، ومع ذلك كانوا مستمرين على الشرك ، غير مستنكفين ولا يحملهم على ذلك الا عدم العقل الغالب على الهوى ،

---

(١) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٩١-٣٠٩٢ ، من بلاغة القرآن / أحمد بدوى ص ٢٥٣ .

(٢) سورة غافر آخر آية ٦٧ .

(٣) سورة غافر آخر آية ٨١ .

(٤) سورة غافر آخر آية ١٣ .

(٥) وهو أن تأتي القرينة متمكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب فهمه . ( انظر الاتقان جـ٣ ص ٣٠٢ ، تحرير التحبير ص ٣٦٣ ، من بلاغة القرآن لأحمد بدوى ص ١٤٣ ومابعدها ) .

فرجاحة العقل تقتضي العلم على أن من قدر على كل ذلك هو المستحق للعبادة وحده بعد قيام البرهان على أنه هـو الخالق ) (١) وان ما عداه لا يستحق وصف الالهية فمن عقل ذلك من الناس فقد اهتدى الى ما أريد منه ومن لم يعقل ذلك فهو بمنزلة عديم العقل ، يقول صاحب التحرير والتنوير :

( ولأجل هذه النكتة لم يُوء ت لفعل ( تعقلون ) بمفعول ولا بمجرور لأنه نزل منزلة اللازم ، أي رجاء ان يكون لكم عقول فهو مراد كله من ذلك الخلق ،فمن حكمته أن جعل ذلك الخلق العجيب علة لأمور كثيرة ) . (٢)

٢ - " وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ "

وفيها تنبيه على أن في تلك المنن آيات دالة على ما يجب لله من الوحدانية والقدرة والحكمة ( فيريكم آياته في النعم المذكورات وغيرها من كل ما يدل على وجوب توحيده وتصديق رسله ونبذ المكابرة فيما يأتونهم به من آيات صدقهم . وقد جيء في جانب اراءة الآيات بالفعل المضارع لدلالته على التجدد لأن الانسان كلما انتفع بشيء من النعم علم ما في ذلك من دلالة على وحدانية خالقها وقدرته وحكمته .

والاراءة هنا بصرية عُبِّر بها عن العلم بصفات الله ، اذ كان طريق العلم هو مشاهدة تلك الأحوال المختلفة ، فمن

---

(١) انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ٣ ص ٣٤٨ ،روح المعاني الألوسي جـ٨ ص ٥٦ التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ١٢ ص ٢٣٦.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ١٩٨ ،١٩٩ .

تلك المشاهدة ينتقل العقل الى الاستدلال .

واضافة الآيات الى ضمير الجلالة لزيادة التنويه بهـا والارشاد الى اجادة النظر العقلي في دلائلها ، ثم جاء الاستفهام الانكارى منكرا أن يكون شيء من آيات الله يمكن أن ينكرون غيره من الآيات ،فيفيد أن جميع الآيات صالح للدلالة على وحدانية الله وقدرته لا مساغ لادعاء خفائه وأنهم لا عذر لهم في عدم الاستفادة من احدى الآيات ). (١)

٣ - " وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ "

( أى من نبذ الشرك وآمن لأن الشرك يصد أهله عن الانصاف واعمال النظر في الأدلة ). (٢)

يقول صاحب كتاب " من بلاغة القرآن " وان في اكثار القرآن عن هذه النعم وتوجيه أنظارهم اليها و تقريرهم بها ، ما يدفعهم الى :

١ - ( التفكير في مصدرها وأنه جدير بالعبادة مما يثير في أنفسهم شكرها و تقديس بارئها ، ولا سيما أن تلك النعم ليست في طاقة بشر ،وأنها باعترافهم أنفسهم من خلق العلي القدير .

٢ - يتكيء القرآن على عاطفة انسانية يثيرها ،لتدفع صاحبها عن طريق الاعجاب حينا والاعتراف بالجميل أحيانا الى الايمان بالله وحده واجلاله و تقديسه .

---

(١) انظر المرجع السابق نفسه ص ٢١٨ .

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ص ١٠٣ .

٣ - كما أن ذلك الوصف يبعث في النفس حب الله المنعم فتكون عبادته منبعثة عن حبه وشكر اياديه ).(١)

وبذلك يقرر أن (الجامع لهذه الأوصاف ، الخالق لكل شيء ولا يمتنع عليه شيء لا بد أن يكون واحدا لا ثاني له ،فكيف و من أى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الأوثان )(٢) خاصة وأن:

١ - البرهان قائم على أنه الذى خلق هذا الكون وما يحتويه وكونهم مؤمنون بذلك يقتضي وجوب الايمان بوحدانيته في العبادة ، فمن أين جاء الشرك ؟ يقول ابن الحنبلي(٣) :

(فالصنعة مفتقرة الى الصانع وليست مفتقرة الى ما زاد على الصانع فصار وجود ما زاد على الصنعة جائزا والجائز الوجود لا يجوز أن يكون الها مبدعا قديما ).(٤)

---

(١) أحمد بدوى ص ٢٥٧.

(٢) انظر الكشاف / الزمخشرى جـ٣ ص ٤٣٤.

(٣) هو عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الأنصارى الخزرجي المعروف بابن الحنبلي ولد سنة ٥٥٤ ، كان من بيت الحديث والفقه لذا كان فقيها واعظا حضر فتح المقدس مع صلاح الدين ، توفي سنة ٦٣٤ هـ ( انظر ترجمته في : الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١٩٣/٢ ومابعدها ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١٦٤/٥ ومابعدها ،البداية والنهاية لابن كثير ١٣٩/١٣ ، الأعلام للزركلي ١١٦/٤ ).

(٤) استخراج الجدال من القرآن الكريم ص ٨٣.

٢ - لم يقم برهان عقلي أونقلي على عبادة غيره معه وفي هذا يقول ابن رشد [١] ( من المعلوم أنه لو كان ملكان كل واحد منهما فِعْلُه فِعْلُ صاحبه أنه ليس يمكن أن يكون عن تدبيرهما مدينة واحدة لأنه ليس يكون عن فاعلين من نوع واحد فعل واحد فيجب ضرورة أن فعلا معا أن تفسد المدينة الواحدة [٢] ). ونحن اذا استعرضنا صفحة الكون لم نجد للفساد اسما ولا أثرا فكيف يكون هناك شركاء بل الواجب أن لا يكون هناك الا اله واحد .

٣ - إن كل نعمة من النعم الظاهرة والباطنة تستحق شكر المنعم ، ولا تجيز كفرانه فضلا عن اتخاذ الشريك معه .

---

(١) هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ،كان قاضي الأندلس ومن أشهر فلاسفتها كما يعتبر من أعظم شراح فلسفة أرسطو ،وقد نفاه أبناء عصره و منعوا كتبه لاشتغاله بالفلسفة ،كان بارعا بالفقه والطب ،توفي سنة ٥٩٥ هـ ( انظر مقدمة كتابه : الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ).

(٢) انظر الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ٧١ .

وبذلك أقام الرسول عليهم حجته التي من خلالها رأينا ،
قد استخدم تارة أسلوب التوكيد والتكرير الذى يعتبر من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات واقرارها في قلوبهم اقرارا ينتهي الى الايمان الحق الذى تنبعث قيمته من دوام التكرار بالألفاظ عنها ما أمكن ذلك ، لأنه اذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخا تنتهي بقبوله حقيقة ناصعة ، يقول صاحب كتاب الطراز : (وفائدته / - أى التوكيد - ازالة الشكوك واماطة الشبهات عما أنت بصدده وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد ) (١) (وانما يحتاج اليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي تعظم العناية بها ) (٢).

ومن هنا كان التوكيد اللفظي بتكرار الاسم بلفظة الرب في قوله تعالى : " ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ "
وقوله : " فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ "
وقوله : " ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ "
لأنه موضوع يحتاج الى اقرار في نفس المجادل وتثبيته في قلبه خاصة وان ما يتعلق به - وهو الوحدانية - هو موضع انكار منهم فجاء التوكيد بالتكرار هنا قويا تنبيها للنفس لترى ما موقعه ، ولم كان ؟ بعد أن تمادت في الضلال منصرفه عن التفكير المستقيم المؤدى الى الايمان بالله وحده فكانت هذه الغفلة تلفتهم عن التفكير في وحدانيته فأكدها بربوبيته المتكررة في اللفظ لدفع ما يقال به من الشركة ، فحيث إن الخالق هو الله وحده فلا بد من دفع هذه الشركة ويقوى هذا التوكيد ضمير الفصل ( ربكم )

---

(١) يحيى بن حمزة العلوى اليمنى جـ٢ ص ١٧٦.
(٢) بيان اعجاز القرآن / الخطابي ص

حتى يدل على القصر والاختصاص المنافي للشركة ،فالعبادة خاصة بالله وحده .

كما يظهر التمكين واضحا من خلال ذلك العرض الشامل حين يقول لهم : " فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ " (١)

وقوله :

" ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ " (٢)

( فيبين الله سبحانه بهذه القرينة كمال قدرته المقتضية لوجوب توحيده ) (٣)

(فذلكم ) أى المعلوم المتميز بالأمثال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد فهو :

أ - الله ربكم .

ب - الخالق لكل شيء

فالنتيجة الفطرية والطبيعية تقتضي أن يكون ( لا اله الا هو ) .

يقول صاحب الكشاف ( جاءت أخباراً مترادفة لتؤكد أن الجامع لهذه الأوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانشائه لايمتنع عليه شيء بل يستحق الوحدانية فلا ثاني له ، فكيف ؟ ومن أى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الأوثان ) (٤) التي لا تخلق شيئا بل هي

---

(١) سورة غافر آية ٨١ .
(٢) سورة غافر آية ٦٢ .
(٣) فتح القدير / الشوكاني جـ٤ ص ٤٩٨ .
(٤) الزمخشرى ٣/ ٤٣٤ .

مخلوقة منحوته ، والأكثر من ذلك ( أنكم لا تملكون دليلا ولا برهانا على عبادتها بل هو مجرد الجهل والهوى والجحد لحجج الله، والضلال كما ضل من قبلكم ) .(١)

ومن هنا كانت الخاتمة أوما يسمى بالتمكين بعد عرض كل تلك الآيات الظاهرة الباهرة والتي تنبه على أنه ليس في شيء من الدلائل التي تقدم ذكرها ما يمكن انكاره فاذا جادل بعدها مجادل فانه يدل على التواء أو غرض أو كبر أو مغالطة لغاية أخرى غير الحقيقة.

ومرة يختمها بقوله :

" إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ " (٢)

والمراد أن فضل الله على الخلق كثير جدا ولكنهم لا يقومون بشكر نعم الله عليهم ، وترك الشكر لوجوه :

أ - ( اما لجحودهم لها وكفرهم بها كما هو شأن الكفار.

ب - أو لاغفالهم للنظر واهمالهم بما يجب من شكر المنعم وهم الجاهلون .

ولما كان أكثر الخلق هالكين في أحد هذه الأودية لا جرم قال تعالى : " وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ "

ونظيره قوله تعالى : " وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ " (٣)

يقول صاحب الكشاف : ( فان قلت : فلو قيل ولكن أكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس ؟

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ ٤ ص ٨٦ .

(٢) سورة غافر آية ٦١ .

(٣) انظر التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ ٢٧ ص ٨٣ ، ٨٩ ، فتح القدير للشوكاني جـ ٤ ص ٩٨ ، ٤ والآية من سورة سبأ آية ١٣ .

قلت : في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله تعالى :

" إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ " (١)

وقوله : " إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ " (٢) (٣)

وفي هذا زيادة لتمكنه في ذهن السامع (٤) فيأخذ العبرة والعظة ولا ينسى .

كما نجده ثالثة يختمها بقوله : " فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ " (٥)

( والبركة لها تفسيران :

أ - البقاء والثبات .

ب - كثرة الآثار الفاضلة .

فان حملته على الأول : فالثابت الدائم هو الله .

وان حملته على الثاني : فكل الخيرات والكمالات من الله ،فلهذا لا يليق الثناء الا بحضرته ، فكان الختم بالوحدانية مأخوذاً مما قبله لأنه لما اختص سبحانه بالخلق والتصرف به لزم انحصار الألوهية والربوبية فيه ولا حاجة اليه فإنه مُصرَّح به في قوله " ان ربكم الله .." وهذا ختام ملاحظ فيه مطلعه ) . (٦)

---

(١) سورة الحج آية ٦٦ .

(٢) سورة العاديات آية ٦ .

(٣) الزمخشري جـ٣ ص ٤٣٤ .

(٤) من أسرار البلاغة في القرآن / محمود السيد شيخون ص١٠٧/١١٦ .

(٥) سورة غافر آية ٦٤ .

(٦) حاشية الشهاب جـ٤ ص ٧٤١ - ١٧٥ .

ويختمها رابعة بقوله : " ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ " (١)

( فجاءت هذه القرينة بعد التنبيه على الحصر وأنه لا حي الا هو ، اعقبها استحقاقه الوحدانية فلما كان موصوفا بصفات الجلال والعزة استحق لذاته أن يقال له وحده " ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ * " ) (٢) .

( التي جاءت لتقرر أن الذى يصنع هذا ويبدعه بهذا التناسق هو الذى يليق أن يكون الها فكيف يصرف الناس عن هذا الحق الواضح المبين ) (٣) .

وبذلك رأينا أن شركهم لم يقم عليه حجة ولا برهان أو منطق سليم ، ومن هنا فقد ( هاجم القرآن بكل قوة الاشراك بالله ، وهو يهاجم العقل والوجدان معا فيأخذ في نقاش المشركين ليصلوا الى الحق بأنفسهم ويلزمهم الحجة ويقودهم الى الصواب ) (٤) . الا أنهم قوم عميت بصائرهم عن معرفة الحق وركبوا طغيانهم في المعاندة والمكابرة والاستهزاء بعد أن سلك الرسول صلى الله عليه وسلم معهم أرقى الأساليب وذكرهم بآيات الله الآفاقية والنفسية وما أنعم الله به عليهم من الخيرات المادية فلم يستجيبوا له بل أغلقوا آذانهم وقلوبهم ونفوسهم عن كل شيء الا الباطل الذى تمثل بدعوته هو الى دين الآباء يقول الامام القرطبي : ( وكانوا دعوه الى دين آبائه ) (٥) فأمره الله أن يقول منكرا عليهم مسلكهم

---

(١) سورة غافر آية ٦٥

(٢) انظر التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ٢٧ ص ٨٤ .

(٣) انظر الظلال / سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٩٢ .

(٤) من بلاغة القرآن / أحمد بدوى ص ٢٦٠ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن جـ١٥ ص ٣٢٩ .

المعوج وعنادهم المستحكم وجدالهم بالباطل :

" قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ " (١)

( أى قل يا محمد ان الله عز وجل ينهى أن يعبد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان ) (٢) بل بلغ بهم الجهل أقصاه " كما يقول ابن اسحق (٣) حين قالوا : ( يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد سنة وتعبد ما نعبد سنة فنشترك نحن وأنت في الأمر فان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه ، فقال : معاذ الله أن أشرك به غيره وقال له ربه :

" قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ " (٤) ) (٥)

كما علمه أن يقول لهم في سورة غافر : " قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ " (٦)

---

(١) سورة غافر آية ٦٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٧ .

(٣) هو محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار المدني القرشي ، مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف / عاش حياته بين اغراق في النيل منه واسراف في مدحه . ففي الوقت الذى رمي فيه بالتدليس والقدر والتشيع وغير ذلك ، فقد قال عنه ابن عدى لم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة . أخرج له مسلم ، واستشهد به البخارى وروى له أبو داود والنسائي وابن ماجه (انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، عيون الأثر لابن سيد الناس ) .

(٤) سورة الكافرون آية ١-٢ .

(٥) انظر السيرة النبوية / ابن هشام جـ١ ص ٣٨٨ ، أسباب النزول / للواحدى ص ٣٠٧ .

(٦) سورة غافر آية ٦٤ .

وقد نُهِي عليه السلام عن عبادة الأصنام وهو من أبعد الناس عن ذلك بل هو أبعدهم حقيقة ولكن المراد بالنهي هنا ليس هو تحصيل الفعل لأنه حاصل، وانما المراد الثبات والدوام عليه، ومثل هذا قوله: " فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ " (١)

وقوله: " وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٤ " (٢)

وقوله: " وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ " (٣)

فالمنهيات في كل ذلك تحصيل حاصل لأن هذه المنهيات لا يتصور وقوعها من النبي صلى الله عليه وسلم انما المراد كما سبق أن ذكرنا هو الحث على زيادة التمسك والثبات على ما هو عليه.

وفائدة هذه الطريقة هي أنها تفيد الالهاب والتهييج وتثير الشعور والوجدان فتكون النفس أحسن تلقيا وأكثر تمسكا بما هو كائن ولذلك نجد هذا القول مستعملا في المعاني الهامة التي هي أصول في هذا الدين، ومن هنا كان الأسلوب الحاسم في خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم والذى هو مظهر من مظاهر الربوبية القاهرة تتجلى في خطاب البشرية المربوبة في شخص سيدها محمد عليه السلام) (٤).

---

(١) سورة الزمر آية ٢.

(٢) سورة الأنعام آية ١٤.

(٣) سورة الأحزاب آية ١.

(٤) انظر الطراز / يحيى بن حمزة العلوى اليمني جـ٣ ص ١٦٥، ١٦٦ من أسرار التعبير القرآني. عبد الفتاح لاشين ص ٨ - ٩.

يقول صاحب التحرير والتنوير ( والمقصود من اسناد المنهية الى الرسول صلى الله عليه وسلم - التعريض بنهي المشركين فإن الأمر بأن يقول ذلك لا قصد منه الا التبليغ لهم والا فلا فائدة لهم في الاخبار بأن الرسول عليه الصلاة والسلام منهي عن أن يعبد الذين يدعون من دون الله .

يعني فإذا كنت أنا منهيا عن ذلك فتأملوا في شأنكم واستعملوا أنظاركم فيه ،ليسوقهم الى النظر في الأدلة سوقا لينا خفيا لا تِّباعه فيما نهي عنه ) (١) .

( ووجه النهي في ذلك ما جاءه من البينات والتي تقول :

١ - ان اله العالم قد ثبت كونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة التي تستلزم الوحدانية .

٢ - صريح العقل يشهد بأن العبادة لا تليق الا به فالنتيجة أن جعل الأحجار المنحوته والخشب المصورة شركاء له في العبودية مستنكر في بديهة العقل .

٣ - ثم انهم يعتقدون فيه صلى الله عليه وسلم أنه في غاية العقل ومن المعلوم بالضرورة أن كل أحد فانه يريد لنفسه الأفضل والأكمل فاذا ذكر أن مصلحته لا تتم الا بالاعراض عن غير الله والاقبال بالكلية على طاعة الله ظهر به أن هذا الطريق أكمل من كل ما سواه .

٤ - ثم ان هوءلاء الكفار كانوا معترفين بأن الله هو الخالق :

" وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ " (٢)

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ١٩٦ .

(٢) سورة لقمان آية ٢٥ والزمر آية ٣٨ .

فكأنه تعالى يقول : هذه الشركة اما أن تكون مزارعة وذلك لأن البذر مني والتربية مني والسقي مني والحفظ مني فأى شيء للصنم.

أوشركة الوجوه (١) وذلك أيضا باطل أترى أن الصنم أكثر شهرة وظهورا مني .

أو شركة الأبدان (٢) وذلك أيضا باطل لأن ذلك يستدعي الجنسية.

أو شركة العنان (٣) وذلك أيضا باطل لأنه لا بد فيه من نصاب ، فما نصاب الأصنام ؟

أو يقول ليس هذا من باب الشركة لكن الصنم يأخذ بالتغلب نصيبا من الملك فكأن الرب يقول : ما أشد جهلكم، ان هذا الصنم أكثر عجزا من الذبابة « إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا » (٤) .

فأنا أخلق البذر ثم ألقيه في الأرض ، فالتربية والسقى والحفظ مني ثم من هو أعجز من الذبابة يأخذ بالقهر والتغلب نصيبا مني ، ما هذا بقول يليق بالعقلاء .

ومن هنا كان ما طلبوه كما يقول الرازى : ( أمر في غاية القبح ونهاية في الفحش ) (٥) .

وقد تضمن رده صلى الله عليه وسلم :

١ - (تكامل العقيدة عن طريق هذا السلب والايجاب ، فمع الانتهاء

---

(١) شركة الوجوه : وهي أن يشترك اثنان ليس لهما مال ولكن لهما وجاهة عند الناس توجب الثقة بهما على أن يشتريا تجارة بثمن مؤجل وما يربحانه يكون بينهما على ما شرطاه .

(٢) شركة الأبدان : هي أن يتفق أو يشترك اثنان فاكثر كنجارين أوحدادين أو أحدهما نجار والآخر حداد على أن يشتركا من غير مال ، على أن يتقبلا الأعمال ويكون الكسب بينهما .

(٣) شركة العنان : ان يشترك اثنان فأكثر بماليهما على ان يعمل أحدهما فقط، بشرط أن يكون للعامل جزء من الربح أكثر من ربح ماله ليكون الجزء نظير عمله . (ملخصا بتصرف من كتب المذاهب الفقهية ، ومن شاء الرجوع فليرجع الى كتب الفقه في مذاهبها المعتمدة.)

(٤) سورة الحج آية ٧٣ . (٥) انظر التفسير الكبير ٢٧ / ٨٥ .

عن عبادة غير الله - وهو سلب - الى الاسلام لرب العالمين - - وهو ايجاب - ومن الشقين تتكامل العقيدة ).[1]

٢ - كما تتضمن دليلا من أدلة الوحدانية تدل على أن هذا الرسول انما يدعوهم الى ما يريده لنفسه ( فهو يمحض لهم النصيحة ، ليجروا على مقتضاه في أنفسهم بأن يعبدوا الله وحده ).[2]

٣ - استنكاره مجادلتهم اياه في موضوع اتفقوا فيه على المبدأ فهم يعترفون بالرب وأنه هو الخالق ولم يقم برهان على عبادة غيره حتى يستمسكوا به ويعتمدوا عليه بل هي من وضع الآباء وتزيين الشيطان ومن هنا كان التركيز على كلمة الرب لأنها أصل في الانكار عليهم ، يقول صاحب التحرير والتنوير :
( وجعل المجرور بـ(من) وصف (رب) مضافا الى ضمير المتكلم دون أن يجعل مجرورها ضميرا يعود على اسم الجلالة اظهارا في مقام الاضمار على خلاف مقتضى الظاهر لتربية المهابة في نفوس المعرض بهم ليعلموا أن هذا النهي ومجيء البينات هو من جانب سيده وسيدهم فما يسعهم الا أن يطيعوه ولذلك عززه باضافة الرب الى الجميع في قوله : " وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ "[3]
أى ربكم ورب غيركم فلا منصرف لكم عن طاعته ).[4]

٤ - الاستنكار عليهم كيف يدعونه الى عبادة غير الله بدون بينات بل البينات التي جاءت ورأوها تلزمهم أن يستجيبوا لدعوته فضلا عن أن يدعوه الى الاشراك بربه فكان قوله :

---

(١) في ظلال القرآن / سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٩٥.
(٢) التحريـــر والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١٩٦-١٩٧.
(٣) سورة غافر آية ٦٦.
(٤) نفس المرجع السابق جـ٢٤ ص ١٩٦-١٩٧.

( إبطالا لعبادة غير الله بالقول الدال على التحذير والتخويف بعد أن أبطل ذلك بدلالة الحجة على المقصود ، وهذه دلالة كنائية لأن النهي يستلزم التحذير ).(١)

ولكنهم مع كل ذلك لا يستجيبون بل يجادلون مكابرين بدافع التقليد والتعصب ، يتعصبون لعقيدة الآباء والتعصب يعمي ويصم ، ويُيئِس الرسول بما كانوا يفعلون ، فيخفف عنه ربه بأن لا يبتئس ولا يضره تقلبهم في البلاد لأنهم كافرون قد طبع الله على قلوبهم ، وليسوا أول من جادل ، وليسوا أول من كفر ، وليس هو أول من جودل فإن اخوانه الأنبياء واجهوا نفس الموقف ونفس الكفر فهي (قصة قديمة ومعركة ذات مواقع متشابهة في كل زمان رسول يجيء فيكذبه طغاة قومه ولا يقفون عند مقارعة الحجة بالحجة انما هم يلجأون الى منطق الطغيان الغليظ :

١ - يهمون أن يبطشوا بالرسول.

٢ - يموهون على الجماهير بالباطل ليغلبوا به الحق ).(٢)

قال تعالى : " مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ④ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ".(٣)

---

(١) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور.

(٢) في ظلال القرآن / سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٧٠.

(٣) سورة غافر آية ٤ - ٥.

وهنا تكون النهاية بعد أن تستكمل المعركة الجدلية الكلامية براهينها وتقوم حجة الله عليهم بارسال الرسول وتأييده بالمعجزة الدالة على صدقه ، وحين يصل الأمر الى ذروته ويستحكم العناد ولم يعد في القوم أمل لفتح قلوبهم لنور الحق والايمان تكون نهاية تلك المعركة الجدلية كما يقصها الله :

أ - في الدنيا : " فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ " (١)

ب - في الآخرة ، باعثا الخوف من سوء مصير هؤلاء المشركين فيصورهم مرة محاولين ستر جريمتهم بانكارها حين لا يجدون لها سندا من الحق والواقع: " ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ " (٢)

وحينا يصورهم وقد تبرؤا من عبادتهم فحبطت أعمالهم وذلك حين يقول : " فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ " (٣)

وحينا يصورهم معترفين هلكى في أشد صور الهلاك والاعتراف :

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ " (٤)

---

(١) سورة غافر نهاية آية ٥ .

(٢) سورة غافر آية ٧٣ - ٧٤ .

(٣) سورة غافر آية ٨٤ - ٨٥ .

(٤) سورة غافر آية ١٠-١٢ .

فكان هنا ما يسمى بالاسجال (١) الذى أثبت فيه على لسان الخصوم الحقيقة التي كانوا ينكرونها والذى فيه - الاسجال - اشارة لوجدان المتشككين والمنكرين واثارة الخوف في أنفسهم حين يسمعون اعتراف من على شاكلتهم فيدفعهم الخوف الى التأمل عساهم يهتدون ) (٢).

والآيات الكريمات وان لم تتسم بطابع الجدل في مظهرها العام فهي لا تخلو منه في جوهرها بل هي في الصميم منه ولكن الجدل الذى اشتملت عليه تركز في بيان معالم حقائق المشركين وما تنطوى عليه نفوسهم من فساد ،فكأن الآيات في جدلها مع المشركين تنتهج الخطوات الآتية :

١ - المعروف أن المشركين يعترفون أن الله هو الخالق ومن هذا المدخل قامت عليهم الحجة وثبتت الوحدانية لله تعالى .

٢ - بينت الآيات في مقدمتها أن المشركين ليس لهم قاعدة صلبة تقوم عليها ركيزة الشرك عندهم سوى الكبر ،والكبر وحده ،ومن كان كذلك كان كالأعمى أمام البصير .

---

(١) وهو الاتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به ، نحو قوله تعالى : ﴿ ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ﴾ ( غافر : ٨ )
فان في ذلك اسجالا بالايتاء والادخال حيث وصفا بالوعد من الله الذى لا يخلف وعده ( انظر معترك الأقران جـ١ ص ٤٦٢ ).

(٢) من بلاغة القرآن / أحمد بدوى ص ٣٧٦ ،من أسرار البلاغة في القرآن/ محمود السيد شيخون ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

## المطلب الثاني : الجدال في أمر البعث :

وهي القضية الثانية التي جادل فيها المشركون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل هي القضية التي سارت جنبا الى جنب مع قضية الوحدانية في الانكار والمجادلة .

والحقيقة ان انكار البعث ممتد في الأمم منذ القدم وعبر القرون والعصور ، قال تعالى :

" بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ " (١)

وقال تعالى : " كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ " (٢)

والمنكرون للبعث لا يخرجون عن أحد اثنين :

١ - ( الكفرة المنكرون لوجود الله أصلا والزاعمون أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه بلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون أبدا وهؤلاء هم الدهريون . ، وقد تقدم رد القرآن الكريم عليهم .

٢ - والفلاسفة الماديون الذين لا يؤمنون بما وراء المادة ، والذين يطلق عليهم الغزالي اسم الطبيعيين وهم الذين أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته

---

(١) سورة المؤمنون آية ٨١-٨٣ .

(٢) سورة ق آية ١٢ - ١٥ .

ما اضطروا معه الى الاعتراف بفاطر حكيم الا أنهم ذهبوا الى أن النفس تموت ولا تعود ،فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار والقيامة والحساب زاعمين أن النفس تابعة للبدن فهي تفنى بفنائه ولا تعود " (١) ( ومنهم الطبيعيون من العرب الذين يؤمنون بوجود الله :

" وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ " (٢)

ومع ذلك ينكرون البعث وهم في انكارهم لا يملكون حجة وليس لديهم من دليل سوى الاستبعاد ،والاستبعاد وحده ، ولهذا يقول قائلهم :

" حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو " (٣)

ومن أهم شبههم ووجوه استبعادهم للبعث الشبهة التالية :

ان تفتت العظام وتحلل الجسد الى ذرات ترابية واختلاط هذه الذرات بعضها ببعض وضياعها في الأرض مع ما يطرأ على الارض من تغيرات بالأمطار والنباتات وغيرها كل ذلك موضع بعد واستغراب من الكفار .

والجواب عن هذه الشبهة يكون بالاحتجاج عليهم بقدرة الله الشاملة لكل شيء وبعلمه المحيط بكل شيء وما نصبه من دلائل في الآفاق وفي الأنفس على امكان المعاد ومن هنا نعلم أن مبنى الأدلة على قاعدتين أساسيتين ، هما العلم والقدرة .

---

(١) انظر المنقذ من الضلال / أبي حامد الغزالي / تحقيق : جميل صليبا ،كامل عياد /ص ٩٦ .

(٢) سورة لقمان آية ٢ والزمر آية ٣٨ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني جـ٢ ص ٢٣٦ ،تاريخ العرب قبل الاسلام جـ٦ ص ١٢٦ .

أولا : أما علمه المحيط بكل شيء فانه يستلزم أن لا يشتبه عليه أي فرد من أحد بأجزاء الآخرين لكمال علمه واحاطته بجميع الذرات وما تحلل منها قال تعالى : " وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ " (١)

وقال تعالى : " يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ " (٢)

وقال تعالى :

" قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ " (٣)

ثانيا : وأما القدرة فان الله تعالى قادر على كل شيء وقدرته تستلزم أن يكون قادرا على جمع ما تفرق من ذرات في الأجساد واعادة بنائها وتكوينها وارسال الأرواح اليها ثم بعثها وحشرها ، والأدلة على ذلك كثيرة منها قياس الاعادة على الابتداء إما :

١ - عن طريق قياس (المساواة) كما قال تعالى :

" كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ " (٤)

وقوله :

" كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ " (٥)

يعني أن الاعادة ستكون مثل الابتداء في قدرة الله عليها وقد حصل الايجاد أولا ، فما المانع من الاعادة ثانيا .

---

(١) يونس / ٦١

(٢) سبأ / ٢ .

(٣) ق : ٤ .

(٤) الاعراف / ٢٩ .

(٥) الانبياء / ١٠٤ .

٢ - وإما عن طريق قياس ( الأولى ) كما قال تعالى :
" وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ
الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ " (١) (٢)
وهذا ما تعرضت له سورة غافر استدلالاً على امكان البعث
وتحقق وقوعه ملتزمة بالمنهج القويم الذى يجمع بين ما فطرت عليه
النفوس من الايمان بما تشاهده و تحسه ويقع منها تحت تأثير السمع
والبصروبين ما تقرره العقول السليمة ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة
قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ
بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ
بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ
مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ
﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ " (٣)

والبحث في معنى الآية يتضمن ثلاث نقاط :

أولا : الموضوع :

محاجة المجادلين في آيات الله المشتملة على انكار البعث الذى هو أصل المجادلة ومدارها بل هي أكبر شبهة لهم ضللت أنفسهم وروجوها

---

(١) سورة الروم آية ٢٧ .
(٢) انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم ص : ٣١١-٣١٢ .
(٣) سورة غافر آية ٥٦ - ٥٩ .

في عامتهم فقالوا :

" أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ " (١)

فكانوا يسخرون من النبي صلى الله عليه وسلم - لأجل ذلك :

" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ⑦ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ " (٢)

ثانيا : حجتهم في الانكار :

الحقيقة أنهم لا يملكون أى حجة على هذا الانكار وانما الحامل لهم على هذا الجدال كما تقرره الآيات هو :

١ - الكبر ، قال تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ " (٣)

أى أن الحامل لهم على هذا الجدال بالباطل هو كبر في نفوسهم.

٢ - الجهل ولهذا قال تعالى :

" وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ⑤⑦ " (٤)

أى ( لا يتدبرون الحجة ولا يتأملونها لأنهم وكما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله خلق السموات والأرض ، وينكرون المعاد استبعادا وكفرا وجهلا وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا ) (٥)

---

(١) سورة الرعد آية ٥.

(٢) سورة سبأ آية ٧ - ٨.

(٣) سورة غافر آية ٥٦.

(٤) سورة غافر آخر آية ٥٧.

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٥.

وهم لا يعلمون ، لأنهم متلاهون عن النظر في الأدلة مقتنعين بمبادئ الخواطر التي تبدو لهم فيتخذونها عقيدة.

٣ - الحسد ، يقول صاحب التفسير الكبير : ( فهم يجادلون بغير سلطان ولا حجة بل لمجرد الحسد و والكبر والتعصب ، ولذلك يوضح الله تعالى الفرق بين الجدال المقرون بالكبر والحسد ، والجدال المقرون بالحجة والبرهان بذكر المثال : (١)

" وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ "

أي وما يستوى المستدل والجاهل المقلد ولا العالم والجاهل ومع ذلك وان كانوا يعلمون ان العلم خير من الجهل وأن العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا أن الحسد يعمي قلوبهم فيعتقدون في الجهل والتقليد أنه محض المعرفة وفي الحسد والحقد والكبر أنه محض الطاعة ) (٢) ولذلك نُفِيَ عنهم وصف الايمان لأنّ أكثر الناس وهم المشركون ( يمرون بالأدلة والآيات وهم معرضون عن دلالتها فيبقون غير مؤمنين بمدلولاتها ولو تأملوا واستنبطوا بعقولهم لظهر لهم من الأدلة ما يؤمنون بعده ). (٣)

---

(١) سورة غافر آية ٥٨.

(٢) التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ٢٧ ص٧٩ - ٨٠.

(٣) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ ٢٤ ص ١٧٩-١٨٠.

ثالثا - محاجة القرآن لهم :

الأصل في المحاجة أو استدلال القرآن لهم كان ( بقياس الاعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى :

" أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ " (١) ) (٢)

( أى أن القادر على الأكبر قادر على الأصغر لا محالة ، وتقرير هذا الكلام ، ان الاستدلال بالشيء على غيره هو على ثلاثة أقسام :

١ - أن يقال لما قدر على الأضعف وجب أن يقدر على الأقوى ، وهذا فاسد .

٢ - أن يقال لما قدر على الشيء قدر على مثله ، فهذا استدلال حق لما ثبت في العقول أن حكم الشيء حكم مثله .

٣ - أن يقال لما قدر على الأقوى الأكمل فبأن يقدر على الأقل الأرذل كان أولى وكما يقول الامام الرازى : وهذا الاستدلال في غاية الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة ) (٣) وهو كثير في القرآن كقوله تعالى :

" أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ " (٤)

وقوله تعالى : " أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ " (٥)

---

(١) سورة يس آية ٨١ .

(٢) الاتقان في علوم القرآن / السيوطي جـ ٤ ص ٥٣ .

(٣) التفسير الكبير جـ ٢٧ ص

(٤) سورة الاسراء آية ٩٨

(٥) سورة الأحقاف آية ٣٣ .

( فهو يوجه النظر الى مظاهر قدرته متخذا ذلك ذريعة الى اقناعهم بأمر البعث ليقرر بعد ذلك أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ولذا صح أن يسألوا ليقروا : " ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾
رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا
﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ " (١) (٢) )

ونرى من خلال ذلك عقد المشابهة بين خلق السموات والأرض وبين اعادة خلق الانسان مرة أخرى مستدلا بطريقة التمثيل ( التي يقيس فيها المستدل الأمر الذى يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبهم أو على أمر بدهي لا تنكره عقولهم ، ونقربه أفهامهم ويبين الجهة الجامعة بينها .

يقول صاحب كتاب المعجزة الكبرى ( وكثير من استدلالات البعث تقوم على تقريب البعث بقدرة الله تعالى عليه بما يرون من انشاء ذلك الكون البديع ليقرب فيه البعيد ويسهل على الأفهام دخوله بقياس ما في الغيب على الشاهد والذى فيه الدلالة الكاملة على قدرة الله تعالى وأنه القادر على ما لم يقع الآن وسيقع كما وعد ووعده لا يُخلف ).(٣)

---

(١) سورة النازعات آية ٢٧ - ٣٣ .

(٢) انظر من بلاغة القرآن / أحمد بدوى ص ٢٦٥ .

(٣) أبو زهرة ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

وقد استدل القرآن على بطلان انكارهم بأمرين :

١ - ما ذكرته الآية من أن القادر على العظيم هو على الحقير أقدر لأنهم :

أ - ( كانوا مقرين بأن الله خالقها ،

ب - وبأنها خلق عظيم لا يقادر قدره ).(١)

٢ - ( أن مجادلتهم كانت في البعث وهو الاعادة ولا شك أن الابتداء أعظم وأبهر من الاعادة فاذا كان ابتداء خلق العظيم - يعني السموات والأرض - داخلا تحت القدرة، فابتداء خلق الحقير - يعني الناس - أدخل تحتها واعادته أدخل من ابتدائه ، فهو أولى بأن يكون مقدورا عليه مما اعترفوا به/ من خلق السموات والأرض بدرجتين ، والى هذا الترتيب وقعت الاشارة بقوله تعالى :

" وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ " (٢)

فقرر أن قيام السماء والأرض هو بأمره ، أي خلقها من آياته ، فكيف بما هو أحط من قيامها بدرجتين وهو اعادة البشر أهون عليه من الابتداء لتتحقق الدرجتان المذكورتان فقال تعالى :

" وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ " (٣) (٤) )

---

(١) تفسير البحر المحيط / أبي حيان الأندلسي جـ٧ ص ٢٧٢.

(٢) سورة الروم آية ٢٥.

(٣) سورة الروم آية ٢٧.

(٤) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال وبحاشية الكشاف ابن المنير جـ٣ ص ٤٣٣.

يقول صاحب تفسير البحر المحيط ( وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله )(١) ثم ( لما أعطي اثبات البعث ما يحق من الحجاج والاستدلال ، تهيأ المقام ، لاستخلاص تحقيقه ، كما تستخلص النتيجة عن القياس ، فأعلن بتحقيق مجيء الساعة وهي ساعة البعث اذ " الساعة " في اصطلاح الاسلام علم بالغلبة على ساعة البعث ، فالساعة والبعث مترادفان في المآل ، فكأنه قيل : ان الذى جادل فيه المجادلون سيقع لا محالة اذا انكشفت عنه شبه الضالين وتمويهاتهم فصار بينا لا ريب فيه ).(٢)

وكعادة القرآن في تنوع أساليبه والتي على أساسها يختلف اتجاهه الى موضع الاستدلال فهو هنا :

١ - كان استدلاله برد المسألة الى أمر بدهي معروف لديهم ، وهي خلق السموات والأرض والذى لا ينكرونه فما دام قد قدر باعترافهم على خلقهما ولم يدع أحد منهم أن الله عاجز عن ذلك فبطل أن يكون عاجزا من اعادة خلق الانسان مرة أخرى تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

٢ - كما ضرب الله تعالى المثل ليقرب الحقيقة ويدنيها مزيلا سبب انكارهم ، يقول صاحب تفسير البحر المحيط : ( ولما كان أكثر الناس لا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم بل ويجادلون بالباطل في أمر البعث نفي العلم عن الأكثر وتخصيصه به يدل على أن القليل

---

(١) أبوحيان الأندلسي جـ٧ ص ٤٧٢ .

(٢) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ١٧٩ - ١٨٠ .

يعلم لذلك ضرب مثلا للجاهل وهو صاحب الباطل بالأعمى وللعالم وهو صاحب الحق بالبصير وانهما لا يستويان فقال :

" وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ " (١)

أي الذى يجادل بالباطل والذى يجادل بالحق ولا يستوى المحسن بالايمان والعمل الصالح والمسيء بالكفر والمعاصي فانتفاء الاستواء بينهما هو من الجهة الدالة على العمى وعلى البصر والا فهما مستويان في غير ما شيء ولما كان قد تقدم :

" وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ " (٢)

فكان ذلك صفة ذم ناسب أن يبدأ في ذكر التساوى بصفة الذم فبدأ بالأعمى ) (٣).

٣ - ثم استخدام أسلوب التأكيد أو التوكيد الذى هو من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات واقرارها في أفئدتهم اقرارا ينتهي الى الايمان بها .

فهم عندما أنكروا البعث يؤكد مجيئه بأن واللام لمبالغة المخاطبين في الانكار . يقول صاحب كتاب (من بلاغة القرآن) ( كلما توغل الخبر في ميدان الشك زادت ألوان المؤكدات وكلما ألح هؤلاء في التكذيب والشك زاد هو في تأكيد أمرها ) (٤) ومن هنا كان التأكيد

---

(١) سورة غافر آية ٥٨ .
(٢) سورة غافر آية ٥٧ .
(٣) أبو حيان الأندلسي جـ٧ ص ٤٧٢ ، فتح القدير / الشوكاني جـ٤ ص ٤٩٨ .
(٤) انظر : أحمد بدوى ص ١٤٣ ، ١٤٥ ، من أسرار البلاغة ص ٧٩ .

بمنزلة تكرير الجملة ثلاث مرات . يقول صاحب كتاب الاتقان : ( فاذا اجتمعت إن واللام ،كان بمنزلة تكرير الجملة ثلاث مرات لأنّ ( إنَّ ) أفادت التكرير مرتين فاذا دخلت اللام صارت ثلاثا ).(١)

ثم قال تعالى : ( لا ريب فيها ) ( لأنه لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لأنه لا بد من جزاء )(٢) فنفى عنها الريبة بـ ( لا ) على سبيل الاستغراق مع أنه ارتاب فيها المرتابون ،لكن نزل منزلة العدم تعويلا على ما يزيله من الأدلة الباهرة كما نزل الانكار منزلة عدمه لذلك ).(٣)

وعليه فقد كانت خلاصة الاستدلال في الآيات المذكورة بالتالي :

١ - هدم موقف المعاندين لأسباب :

أ - فقدان الحجة ( بغير سلطان ) .

ب - فقدان الاستقامة ( كبر ) .

جـ - العجز ( ما هم ببالغيه ) .

د - الجهل ( لا يعلمون ) .

هـ - الكفر ( لا يؤمنون ) .

٢ - وحدانية الربوبية تثبت القدرة على البعث ( وهو السميع العليم ) .

٣ - ايجاد الأكبر يؤكد القدرة على ايجاد الأصغر ( لخلق السموات والأرض ... ) .

٤ - عدم استواء المتعارضين يؤكد أن قدرة الله غير قدرة الناس .

٥ - الوان التأكيد من الآية دليل واضح لكل من آمن .

---

(١) جلال الدين السيوطي جـ١/ ص ١٩٥ .

(٢) الكشاف / الزمخشرى جـ٣ ص ٤٣٣ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن / السيوطي جـ١ ص ١٩٤ .

ما يخرج به الداعية من مجادلة المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم:

١ - التعرف على طبائع معينة من البشر لا تستجيب للدعوة ليس لأن لها مرتكزاً من حق أو سنداً من حجة الا أنه الكبر والجهل والحسد والتعصب الأعمى الذميم ،ومن هنا فإن على الداعية أن يكون مهيأً نفسيا الى أن عمله ليس وظيفة حتمية النتائج بل هي رسالة تبليغ وايصال ميراث لا ينتظر عليه جزاء ولا شكورا بل سيجد ويلاقي التعنت والتعصب ،وكما قال صاحب الظلال هي ( قصة قديمة منذ عهد نوح عليه السلام ) (١) ومن هنا فان عليه أن لا ييأس ولا يضيق بل يكون طويل النفس مع من يدعوهم ،وهذا رسول الله مع قومه بعد كل استدلالاته الواضحة التي عرضها عليهم والتي تؤكد وحدانية الله فهي على كثرتها الا أنهم يجادلون ويماطلون وليس هذا فقط بل يحاولون دعوته الى الاشراك بربه لا يضيق ،ولا يتبرم ، بل يدعوهم الى النظر في زيادة من نعم الله لأنه لم يرسل الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا.

٢ - ومع أن الأصل في الدعوة هو الملاينة والملاطفة والمجاملة الا أن على الداعية أن يدرك أن هذه الملاينة لا تكون الا في أسلوب الدعوة وطريقة النداء أما المبدأ الذى يدعو اليه فلا ملاينة ولا مجاملة ولا مداراة فيه/بل لا بد أن يعلم الجميع أنهم ان لم يستجيبوا فلهم دينهم وله دينه وهذا واضح مما علمه سبحانه الداعية الأكبر محمداً صلى الله عليه وسلم : " قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ " (٢)

---

(١) سيد قطب جـ ٤ ص ٣٠٧٠.

(٢) سورة غافر آية ٦٦.

وهو ليس خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أبعد الناس عن عبادة غير الله معه وانما المخاطب وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بهـذا الأسلوب هو كل فرد من أفراد أمته وعلى رأسهم دعاته.

٣ - تنوع الأسلوب الذى انتهجه - عليه السلام - في استدلاله بين التوكيد والتكرير، والتمكين، والترغيب والترهيب، الذى يعتمد على اختيار الألفاظ.

أ - ففي قضية الوحدانية مثلا نراه يستخدم أسلوب التوكيد، الذى هو من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات واقرارها في أفئدتهم اقرارا ينتهي الى الايمان بها، فنراه يكرر كلمة ( الرب ) أثناء حديثه معهم أكثر من مرة لأنها هي القضية .. ومن خلالها لم يلفت أنظارهم الى جمال الآيات الكونية مثلا بل الى مـا يجعلهم يشعرون بأنها نعمة ذات فائدة لا يستغنى عنها فيوحدون. مراعيا أنه ليس في مجال عرض قدرة الله الدالة على وجوده لأنهم مؤمنون أنه موجود بل عرض مصنوعاته بطريقة يصل فيها الى الوحدانية في قلوبهم، ومن هنا لا بد أن يدرك الداعية أن لكل مقام مقالا، فهم لما كانـوا مقرين بوجود الله كان حديثه معهم بأسلوبه وألفاظه واستدلالاته كتلة واحدة مترابطة هي برهان دعوته للوحدانية.

ب - أما في قضية البعث فقد اعتمد على البدهيات كمدخـل لحجته فلا يستطيعون نكرانها.

٤ - التدرج في الأسلوب الذى بدأ بعرض الآيات الكونية والآفاقية حتى اذا لم تُعمل أثرها في نفوسهم انتقل الى ما لا يجحدونـه بل يعيشونه عن طريق عرض الآيات في أنفسهم والتي هي أقرب الى الاحساس

والتفكير فيها فيخلق من ذلك جوا يعيش في ظله القلب البشرى ليوجهه بعد ذلك الى دعوة الله وحده مخلصا له الدين .

٥ - ومن هنا لوحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم / وهو يعرض دعوته وأثناء سوق استدلالاته لا يبدأ بعرض مطلبه مباشرة بل يبدأ ذلك بمقدمات وهي عرض نعم الله عليهم وما أكثرها في الآفاق والكون والأنفس ،لتكون بمثابة المنبه والتشويق والمقدمة والتمهيد في النفوس لما سيقوله بعد ذلك من أصل في الموضوع ، فبعد ذكر الحقائق التي لا يجحدونها يعقب عليها بدعوتهم الى الايمان بالله وحده .

٦ - ومن خلالها استخدم ما يسمى بأسلوب الالهاب والتهييج والتي لا بد أن يقف عندها الداعية للفائدة ، وخاصة في المعاني الهامة التي هي أصول في هذا الدين كما في قوله تعالى :

" قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ " (١)

حيث ان المخاطب وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الأسلوب هو كل فرد من أفراد أمته وانما كان الغرض اثارة الشعور والوجدان لتكون النفس أكثر تلقيا وأكثر تمسكا .

٧ - وأخيرا يتعلم الداعية بشكل عام كيف يمكن اثارة المخاطبين ودفعهم الى التفكير من خلال جمال النقاش بين الرسول صلى الله عليه وسلم ومشركي مكة والذى يثير التفكير والوجدان معا ، يثير التفكير بقضاياه ويثير الوجدان بتلك الأسئلة المطروحة.

---

(١) سورة غافر آية ٦٦ .

# المبحث الرابع :

# المجادلات التي وردت في السورة .

## المبحث الرابع

## المجادلات التي وردت في السورة

مجادلة فرعون لموسى من أعظم صور الصراع بين الحق والباطل ، وهي تصور معركة ضارية بين جند الرحمن وجند الشيطان ، وقد ذكرت هذه المجادلة في كثير من سور القرآن لما فيها من عظات و عبر ، وقد كان لسورة غافر نصيب منها تحكى بدايتها كما قال سبحانه :

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ " (١)

ثم ان سورة الأعراف شرحت لنا هذه البداية كما قال تعالى :

" وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ " (٢)

هذه البداية التي تعتبر ( ردا على فرعون حين قال :

" أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ " ) (٣) (٤) فكان التعريف به (بطريقة الاضافة التي تفيد التعظيم له سبحانه ). (٥)

ومقام الأمر ( أن موسى قال لفرعون وملئه قد جئتكم ببينة وبرهان من ربكم يشهد على صحة ما أقول وصدق ما أذكر لكم من أرسال الله اياى اليكم رسولا ) (٦) ( فجاءت هذه الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا

---

(١) سورة غافر آية ٢٣-٢٤ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٠٤ - ١٠٥ .

(٣) سورة النازعات آية ٢٤ .

(٤) انظر استخراج الجدال من القرآن الكريم / ابن الحنبلي ص ٧١ .

(٥) انظر الطراز / يحيى بن حمزة العلوى ج٣ ص ٢٦٢ ، من أسرار البلاغة / محمود شيخون ص ١٠٤ .

(٦) انظر جامع البيان في تفسير القرآن / الطبرى ج٩ ص ١٠ .

لأنّ مقام الانكار مما يثير سؤال سائل أن يقول : هذه دعوى غريبة تحتاج الى حجة ،فبنى موسى كلامه على ما يوثق به من صدق دعوته مع الاستعداد للتبيين على ذلك الصدق بالبراهين أو المعجزة ان طلبها فرعون )[١] فاستهل حديثه معهم مؤكدا ( اني رسول ) يؤكده لهم ليثبت المعنى في نفوس سامعيه فيستقر في أفئدتهم كبداية لعقيدة هي الاساس الذى يوصل الى الايمان وليس اتهاما بالسحر فهو رسول وليس بساحر .

هذا التقرير لم يكن مجرد ادعاء بل جاء تصاحبه البينة ليس مني بل من ربكم ،وأنا أرى أن موسى عليه السلام لم يقل من ربي ولا من ربنا لأنّ الأصل أن فرعون يدعي أنه ربهم الأعلى وموسى بعيد عن ذلك لا يعترف الا بربوبية رب العالمين فهو اذا ربكم الذى هو رب العالمين ومنهم فرعون مدعي الربوبية ،يقول صاحب التحرير والتنوير ( وقد قصد موسى اختيار هذه الصفة في الاعلام بالرسل ابطالا لاعتقاد فرعون أنه رب مصر وأهلها فانه قال لهم " أنا ربكم الأعلى " فلما وصف موسى مرسله بأنه رب العالمين شمل فرعون وأهل مملكته فتبطل دعوى فرعون انه اله مصر بطريق اللزوم وذلك في جميع البلاد والعباد )[٢]. ثم يعقب صاحب التفسير الكبير قائلا : ( ان فيه اشارة

---

(١) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٩ ص ٣٩ .

(٢) محمد الطاهر بن عاشور جـ٩ ص ٣٨ .

الى ما يدل على وجود الاله تعالى فرب العالمين يدل على أن العالم موصوف بصفات لأجلها افتقر الى رب يربيه واله يوجده ويخلقه ). (١)

ومن هنا قال لهم أولا : ( من رب العالمين ) كحقيقة مجردة ردا على دعوى فرعون .

ثم قال : ( من ربكم ) لأنه ثبت أنه ربكم ( بكل البينات العدة التي جئت بها من عند من تنسب اليه الربوبية وهو ربكم لا رب وحدى ، وفي هذا استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سور تهم ). (٢)

وبذلك نرى أن دعوى موسى عليه السلام اشتملت على مطالب أساسية كدعوة كل الرسل وهي :

١ - اقرار فرعون بأن موسى رسول من عند الله بموجب البينات والبراهين التي جاء بها من عند الله .

٢ - الاقرار بوجود الله ووحدانيته لا شريك له.

ونظم الكلام كما يقول الرازى : ( كأنه قال : أنا رسول الله ورسول الله لا يقول الا الحق ، ينتج اني لا أقول الا الحق ، ولما كانت المقدمة الأولى خفية ، وكانت المقدمة الثانية جلية ظاهرة ، ذكر ما يدل على صحة المقدمة الأولى وهو قوله :

" قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ " وهي المعجزة الظاهرة القاهرة ، ولما قرر رسالة نفسه فرع عليه تبليغ الحكم وهو قوله " فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ ﴿١٠٥﴾ " ) (٣)

---

(١) الفخر الرازى جـ١٤ ص ١٩٠.

(٢) انظر الكشاف / الزمخشرى جـ٣ ص ٤٢٤ ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان / النيسابورى جـ٢٤ ص ٤٠.

(٣) التفسير الكبير جـ١٤ ص ١٩٠ . والآية من سورة الأعراف آية ١٠٥.

الا أن فرعون قد رفض هذه المطالب ، وجادل موسى مجادلة عنيفة بدأت بتحديه ومطالبته بالبينة التي ادعى أنه أتى بها تدل على صدقه فيما يدعو اليه حيث قال له كما تحكي سورة الأعراف :

" إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ " (١)

( أى ان كنت جئت بمعجزة لأن أكثر موارد الآية في القرآن مراد فيه المعجزة ، وأكثر موارد البينة مراد فيه الحجة فحين قال موسى :

" قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ " (٢)

أى الحجة على اثبات الالهية وعلى حقيقة ما جاء به من ارشاد لقومه فكان فرعون غير مقتنع ببرهان العقل أو قاصرا عن النظر فيه فانتقل الى طلب خارق للعادة ). (٣) وكأنه يوحي بالتصديق عند ما يأتي موسى بها .

ومن هنا قام موسى عليه السلام بتقديم البينة الدالة على صدقه وصحة نبوته وعرضها عليهم كما بينها الله :

" فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ " (٤)

وبذلك كملت مقدمات موسى دليلاً وحجة أمام فرعون والتي اعتمدت على :

١ - أن لهذا العالم الها قادرا حكيما .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٠٦ .

(٢) سورة الاعراف آية ١٠٥ .

(٣) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٩ ص ٣٩ - ٤٠ .

(٤) سورة الأعراف آية ١٠٧ - ١٠٨ .

٢ - أنه أرسله اليهم بدليل أنه أظهر المعجزة على وفق دعواه ومتى كان الأمر كذلك ،وجب أن يكون رسولا حقا.

٣ - أنه متى كان الأمر كذلك كان كل ما يبلغه عن الله اليهم فهو حق وصدق ..ثم ان فرعون ما نازعه في شيء من هذه المقدمات الا في طلب المعجزة ، وهذا يوهم أنه كان مساعدا على صحة سائر المقدمات والمعروف أن يلتزم بالتصديق بعد رؤية بينات موسى خاصة وأنه هو الذى تحداه بطلبها الا أن فرعون لم يسلم لموسى بل أراد هو ومن معه التضليل والتمويه وأخذتهم العزة بالاثم ،وكان قوم فرعون قد اشتهروا بالسحر وكان غالبا في زمانهم ولهذا اتهموه به كما تحكى سورة غافر : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ،، (١)

وقالوا له : أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ،، (٢)

فقد ( أوردوا الشبهة الطاعنة في نبوته عليه السلام وهي أن ما جئتنا به سحر لا معجز ولما علم أن المعجز انما يتميز عن السحر لكون المعجز مما يتعذر معارضته والسحر ما يمكن معارضته قال :

" فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ،، (٣) ) (٤)

---

(١) سورة غافر آية ٢٣-٢٤.

(٢) سورة طه آية ٥٧.

(٣) سورة طه آية ٥٨.

(٤) التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ٢٢ ص ٧١.

يقول الامام ابن نجم الحنبلي : ( فالصادر من خصمه - فرعون - معارضته الا أنها فاسدة لأن حقيقة المعجزة غير حقيقة السحر فلا يخلو حال فرعون من أن يكون :

١ - ما فهم معجزة موسى .

٢ - أو فهم الا أنه قصد المصادمة والمباهتة ).(١)

ومن هنا أرادوا أن يخوضوا معه تجربة أخرى القصد من ورائها الخداع كما تشرحها سورة طه :

" فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ "(٢)

وكلاهما يوجب المسايرة الى دليل يفضح معارضته ويقطع حجاجه ،لذا فقد قبل موسى الاجتماع بهم يوم الزينة مستخدما أسلوب الاستدراج الذى اعترف لهم فيه بالسحر وليس مرادا ،بل هو من مجاراتهم ليعثروا فلربما كان من الممكن بهذه الوسيلة ثنيهم عن الانكار )(٣) فقال لهم :

" مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ "(٤)

وهذا هو التحدى الثاني لموسى والذى طلب منه فيه تحديد الزمان والمكان لتلك المعركة الجدلية ، وانما أراد موسى عليه السلام أن يكون يوم العيد الذى يجتمع فيه الناس وأن يكون ذلك المشهد بين معترك الحق والباطل

---

(١) انظر استخراج الجدال من القرآن / ص٦٧.

(٢) آية ٥٨ .

(٣) انظر الاتقان في علوم القرآن / السيوطي ٢/٥٧.

(٤) سورة طه آية ٥٩.

في رابعة النهار لكي لا يخفى على أحد ما يجرى فيه ولتظهر قدرة الله في مثل ذلك الموقف الرهيب ، يقول صاحب التفسير الكبير : ( ان تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ما سيقع فتعيينه انما يليق بالمحق الذى يعرف أن اليد له لا المبطل الذى يعرف أنه ليس معه الا التلبيس ) .(١)

وبدأ فرعون ومن معه تلك المجادلة الا أنهم قدموا لها بمقدمة تهيئة وتعبئة للنفوس :

" قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾ " (٢)

والقصد هو اثارة حمية بعضهم بعضا ، فكانت هذه التعبئة عبارة عن تنفير وذلك :

١ - ( بالطعن في معجزات موسى عليه السلام .

٢ - اتهامه بالسحر لأن كل طبع سليم يقتضي النفرة عن السحر وكراهة رؤية الساحر .

٣ - ومن حيث أن الانسان يعلم أن السحر لا بقاء له فاذا اعتقدوا فيه قالوا كيف نتبعه فانه لا بقاء له ولا لدينه ولا لمذهبه .

٤ - اتهامه بأنه يريد أن يخرجهم من أرضهم وهذا نهاية التنفير لأن المفارقة عن المنشأ والمولد شديدة على القلوب وهذا هو الذى حكاه الله تعالى عن فرعون في قوله :

" أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ " (٣)

---

(١) الفخر الرازى ٢٢/٧٢ .

(٢) سورة طه آية ٦٣ - ٦٤ .

(٣) سورة طه آية ٥٧ .

وكأن السحرة تلقوا هذه الشبهة من فرعون ثم اعادوها .

٥ - اتهامه بأنه يريد أن يذهب بطريقتهم المثلى وفي ذلك تأثير شديد على القلب ،لأن العدو اذا جاء استولى على جميع المناصب والأشياء التي يرغب فيها وفي ذلك نهاية المشقة على النفس .

فهم ذكروا هذه الوجوه للمبالغة في التنفير عن موسى والترغيب في دفعه وابطال أمره ) . (١)

ثم بدأت المعركة : " قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ (٢)

يقول الفخر الرازى عن موسى عليه السلام : ( وقد قدمهم في الالقاء على نفسه لأنه كان قد أظهر المعجزة مرة واحدة فما كان به من حاجة الى اظهارها مرة أخرى ، والقوم إنما جاءوا لمعارضته فلو بدأ باظهار المعجزة لكان كالسبب في اقدامهم على اظهار السحر و قصد ابطال المعجزة غير جائز ، ولكنه فوض الأمر اليهم حتى أنهم باختيارهم يظهرون ذلك السحر ثم يظهر هو معجزته التي تبطل سحرهم فكان هذا التقدير سببا لازالة الشبهة ) . (٣)

---

(١) الفخر الرازى ٢٢/ ٨٢ .

(٢) سورة طه آية ٦٥-٧٠

(٣) انظر الفخر الرازى ٢٢/ ٨٢ .

ومن هنا خر السحرة سجدا مؤمنين ، يقول صاحب كتاب من بلاغة القرآن : ( والنظرة الفاحصة تكشف رغبة القرآن في تصوير نفسية هؤلاء السحرة ، وأنهم لم يكونوا يوم تحدوا موسى بسحرهم خائفين أو شاكين في نجاحهم وانما كان الأمل يملأ قلوبهم في نصر مؤزر عاجل ، فهم لا ينظرون ما عسى أن تسفر عنه مقدرة موسى عندما ألقى عصاه ، بل كانوا مؤمنين بالنصر سواء ألقى موسى أولا أم كانوا هم أول من ألقى )(١).

وفي هذا رد على شبهة فرعون الثانية والتي ألقاها مباشرة بعد أن شاهد منهم السجود والاقرار خوفا من أن يصير ذلك سببا لاقتداء سائر الناس بهم في الايمان بالله تعالى وبرسوله فقال :

" ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ " (٢)

يقول صاحب التحرير والتنوير : ( لما رأى فرعون ايمان السحرة تغيظ ورام عقابهم ولكنه علم أن العقاب على الايمان بموسى بعد أن فتح باب المناظرة نكث لأصول المناظرة فاختلق للتشفي من الذين آمنوا شبهة تتلخص في انهم :

١ - آمنوا قبل أن يأذن لهم معتمدين على الخاطر دون بحث دليلا على أن ايمانهم ليس عن بصيرة بل عن سبب آخر فيه جرأة عليه ، وأوهم أنهم لو استأذنوه لأذن لهم.

---

(١) من بلاغة القرآن / أحمد بدوي ص ٦٢.

(٢) سورة طه آية ٧١.

٢ - ثم انه لكبيركم الذى علمكم السحر ،وأنتم تلامذته فيه فاصطلحتم على أن تظهروا العجز من أنفسكم ترويجا لأمره وتفخيما لشأنه ، وهذا تواطؤ بينكم ،ومقصد فرعون من هذا اقناع الحاضرين بأن موسى لم يأت بما يعجز السحرة ادخالا للشك على نفوس الذين شاهدوا الآيات.

٣ - ثم بعد ذلك اشتغل بالتهديد تنفيرا لهم عن الايمان ،و تنفيرا لغيرهم عن الاقتداء بهم -أى السحرة - حين قال :
( لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف )(١).

وهذا هو الجدل الذى يترجح فيه جانب الغرور والكبرياء والترفع باظهار العلم ،فكأنّ الامام الغزالي -رحمه الله - يشرح نفسية فرعون فيقول ( وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه ،وهما شهوتان باطنيتان للنفس قويتان لها.

أ - أما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية .

ب - وأما تنقيص الآخر فانه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويؤذيه ويصدمه )(٢).

---

(١) انظر التفسير الكبير / الفخر الرازى ٢٢/٨٧ ،التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ١٦/٢٦٣.

(٢) انظر احياء علوم الدين / الغزالي حـ٣/ ١١٦-١١٨.

ومع ذلك فقد انجلت المعركة بانكسار عنفوان الكبرياء :

(١)
" فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ "

( ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادقة الصحيحة التي لا تغلب أبدا )[٢] الا أن فرعون لم يسلم بل استمر احتدام الجدال والصراع بينه وبين موسى وظل العناد مستحكما في نفوس آل فرعون حتى قالوا لموسى :

(٣)
" وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ "

واذا بفرعون ومن معه بعد أن أعيتهم الحيل وبعد أن أصلاهم موسى عليه السلام نار الحجج والبراهين ملجما خصومتهم مفحما لهم ، يلجأون الى منطق الطغيان والفرعنة/ بعد ذلك وينتقلون بالأمر من المعارك الفكرية .

---

(١) سورة الأعراف آية ١١٨-١١٩.

(٢) انظر الأحكام في أصول الاحكام /ابن حزم الأندلسي ١/ ٢٥.

(٣) سورة الأعراف آية ١٣٢.

الى معارك دموية كما تقرر سورة غافر :

" فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ " (١)

يقول ابن كثير - رحمه الله - : " وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني اسرائيل ، أما الأول فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم أو لمجموع الأمرين ، وأما الأمر الثاني فللعلة الثانية ولاهانة هذا الشعب ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام ، ولهذا قالوا : " أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ " (٢)

ولهذا قال قتادة (٣) هذا أمر بعد أمر ) . (٤)

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل لا بد من التخلص من رأس الأمر كله : " وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ " (٥)

---

(١) سورة غافر آية ٢٥/٢٦ . (٢) سورة الاعراف آية ١٢٩ .

(٣) هو قتادة بن دعامة بن قتادة ، أبو الخطاب ، السدوسي ، البصري الأكمه ، التابعي ، أجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وأمانته واتقانه وفضله ، قال أحمد : " كان قتادة أحفظ أهل البصرة لم يسمع شيئا الاحفظه ، وكان عالما بالتفسير ، واماما في النسب ، ورأسا في العربية ، توفي بواسط في الطاعون سنة ١١٧هـ ( انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/١٢٢ ، طبقات المفسرين ٢/٤٣ ، وفيات الأعيان ٣/٢٤٨ ، حلية الأولياء ٢/٣٣٣ ) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/٧٦ .

(٥) سورة غافر آية ٢٦ .

وبذلك نرى أن الحجة التي احتج بها فرعون لقتله هو اظهار الخوف على دينهم مستغلا حب الناس الشديد لأديانهم يقول صاحب التفسير الكبير : ( ولما كان حب الناس لأديانهم فوق حبهم لأموالهم لا جرم بدأ فرعون بذكر الدين فقال ( اني أخاف أن يبدل دينكم) وأتبعه بذكر فساد الدنيا فقال "أو أن يظهر في الأرض الفساد " .

وأما فساد الدين : فقد استغل اعتقاد القوم أن الدين الصحيح هو الذى كانوا عليه ، فلما كان موسى ساعيا في افساده كان في اعتقادهم أنه ساع في افساد الدين الحق .

وأما فساد الدنيا : فهو لا بد وأن يجتمع عليه /قوم (أى على موسى) و يصير ذلك سببا لوقوع الخصومات واثارة الفتن ) (١) ( وهذا كما يقال في المثل : صار فرعون مذكرا ، يعني واعظا يشفق على الناس من موسى عليه السلام وكما يقول ابن كثير - رحمه الله - : هو أمر في غاية الجحد والتجهم والعناد ) (٢) .

---

(١) الفخر الرازى ٢٧/٥٥ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٧٦ - ٧٧ .

وظن فرعون أن تلك المعارك ستبقى معارك في مستوى القدرات البشرية وأن الكثرة الكثيرة ستكون درعا له ،وسندا في ذلك الصراع ،ناسيا أو متناسيا أن موسى يستند على القوة القاهرة التي لا تغلب والملجـــأ المكين :

" وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ " (١)

متخذا من أسلوب التوكيد ( وسيلة لتثبيت ذلك المعنى الذى يدور حوله كل ذلك الجدال في نفوس سامعيه واقراره في أفئدتهم حتى يصبح عقيـدة من عقائدهم ).(٢)

-------------------

(١) سورة غافر آية ٢٧.

(٢) انظر من أسرار البلاغة / محمود السيد شيخون ص ٧٩.

(فلفظة " إني " جاءت لتؤكد أن الطريق المؤكد المعتبر في دفع الشرور والآفات عن النفس انما هو الاعتماد على الله والتوكل على عصمته عند توجه الآفات والمخافات من شياطين الانس ، ولفظة " ربي وربكم " جاءت لتقول : ان الله سبحانه هوالذى رباني والى درجات الخير رقاني ومن الآفات وقاني وأعطاني نعما لا حد لها ولا حصر ، فلما كان المولى ليس الا الله وجب ألا يرجع العاقل في دفع كل الآفات الا الى حفظ الله .

وهو ربكم ، وفيها بعث لقوم موسى على أن يقتدوا في الاستعاذة بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه ).(١)

ثم جاء أسلوب التمكين شرحا لتوكيده فقال :

" مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ "(٢)

فأما قوله " من كل متكبر " ( تشمل فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض بهم فيكون أبلغ )(٣) وأما قوله : " لا يؤمن بيوم الحساب " ، ( فلأن الموجب للاقدام على ايذاء الناس أمران :

أ - كون الانسان قاسي القلب .

ب - كونه منكرا للبعث والقيامة .

---

(١) انظر التفسير الكبير / الفخر الرازى ٢٧/ ٥٥ - ٥٦ ، الكشاف / الزمخشرى ٣/ ٤٢٣ .

(٢) سورة غافر نهاية آية ٢٧ .

(٣) الكشاف / الزمخشرى ٣/ ٤٢٣ .

فالمتكبر القاسي قد يحمله طبعه على ايذاء الناس الا أنه اذا كان مقرا بالبعث والحساب صار خوفه من الحساب مانعا له من الجرى على موجب تكبره ،فاذا لم يحصل عنده الايمان بالبعث والقيامة كانت الطبيعة داعية له الى الايذاء والمانع وهو الخوف من السؤال والحساب زائلا ،واذا كان الخوف من السؤال والحساب زائلا فلا جرم تحصل القسوة والايذاء) (١).

كان هذا شأن موسى مع ربه وكان ذاك شأن فرعون مع قومه يقلبون أوجه الرأى ويحيلون الفكر في الاقدام على جريمة القتل ،وبينما هم على ذلك اذ دفعت المروءة ،والشجاعة رجلا أنار الله بصيرته وكشف له سبيل الرشد والايمان فدافع عن موسى أشد الدفاع وناضل عنه وجادل وبيّن لهم سوء أمرهم وعاقبة تدبيرهم وفند حججهم وزيف ضلالهم، يقول صاحب التفسير الكبير : ( لما حكى الله عن موسى عليه السلام أنه ما زاد في دفع مكر فرعون وشره على الاستعاذة بالله ، بين أنه تعالى قيض انسانا أجنبيا غير موسى حتى ذب عنه على أحسن الوجوه وبالغ في تسكين تلك الفتنة واجتهد في ازالة ذلك الشر ) (٢).

ولقد سلك في خطابه لفرعون وملئه مسالك شتى .. وشق الى قلوبهم بالنصيحة يثير حساسيتها بالتخويف والاقناع ،مخاطبا العقل ، معتمدا في مناقشاته معهم على المسلمات حتى يقطعوا بصحة المدعى أمامهم .

---

(١) التفسير الكبير / الفخرالرازى ٢٧/ ٥٦.

(٢) الفخر الرازى ٢٧/ ٥٧.

انها جولة عظيمة جالها ذلك الرجل المؤمن مع المتآمرين من فرعون وملئه ، وانه منطق الفطرة المؤمنة في حذر و مهارة وقوة .

ولقد اعتمد في مجادلته قومه أسلوب الاستدراج [١] وهو مهم للداعية بما ( تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم الى الاذعان والتسليم ، لأنه لا انتفاع بايراد الألفاظ المليحة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لغرض المخاطب بها ) [٢].

وقد بدأت باستفهام على سبيل الانكار في سبب قتله وتفظيع ما هم مقدمون عليه :

" أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ " [٣]

( فهل هذه الكلمة البريئة المتعلقة باعتقاد قلب واقتناع نفس تستحق القتل ، وقد ذكر الامام الرازى بعد ذلك ما يدل على حسن ذلك الاستنكار و يقوى حجته :

١ - فالرجل - موسى عليه السلام - ما زاد على أن قال " ربي الله ".

٢ - ثم انه ما قال هذه الكلمة البريئة الا ومعه حجته وفي يده برهانه :

" وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ " [٤]

---

(١) وهو استمالة المخاطب بما يؤثر فيه ويأنس اليه ، أو بما يخوفه ويرغبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه .
( انظر الأقصى القريب ، التنوخي ص١٠٣ ، الطراز / يحيى ابن حمزة العلوى اليمني ٢/ ٢٨١ ) .

(٢) المثل السائر / ابن الأثير ٢/ ٢٩٥ .

(٣) سورة غافر آية ٢٨ .

(٤) سورة غافر آية ٢٨ .

يشير الى تلك الآيات التي عرضها موسى عليه السلام ورأوها وهم فيما بينهم وبعيدا عن الجماهير يصعب أن يماروا فيها ، فهم أول الناس علماً بصدقها ) . (١)

ومن هنا يقول صاحب كتاب الطراز ما نصه : ( فصدر كلامه بالانكار عليهم في قتله واستقباحه لأمرين :

١ - لأنه قائل بالتوحيد لله تعالى .

٢ - لأنه قد جاءهم بالمعجزات الواضحة في هدايتهم الى الخير.

فمن هذه حاله ،كيف يقدم على قتله ؟ هذا مما لا يتسع له عقل ولا يقبله ) . (٢)

( كأنه قال : أترتكبون هذه الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة ،من غير روية ولا فكر ،وما لكم من علة في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله : ( ربي الله ) مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده . وهو استدراج لهم الى الاعتراف به ،وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ) . (٣)

ثم أخذ بعد ذلك في الاحتجاج عليهم على جهة التقسيم ،ليفرض لهم أسوأ الفروض ويقف معهم موقف المنصف أمام القضية تمشيا مع أقصى

---

(١) انظر التفسير الكبير ٢٧/ ٥٧ ،مناهج الجدل في القرآن الكريم، الألمعي ص ٤١٣-٤١٤.

(٢) يحيى بن حمزة العلوى اليمني ٢/ ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٣) انظر الكشاف / الزمخشرى ٣/ ٤٢٤ ،غرائب القرآن / النيسابورى ٢٤/ ٤٠.

فرض يمكن أن يتخذوه ،مقسما الرأى في موسى عقليا عن طريق حصر الأوصاف للموضوع الذى يجادل بشأنه - ثم بيان أنه ليس في أحد هذه الأوصاف خاصية تسوغ قبول القتل لموسى مبطلا دعوى فرعون من طريق هذا الحصر المنطقي للموضوع .

قال ابن الأنبارى [١] في شرح البرهان ( السبر : يرجع الى اختبار أوصاف المحل ) [٢] ثم شرح ذلك صاحب كتاب الاتقان فقال : ( السبر والتقسيم أن يقسم ما هو محل الجدل الى منتهى أقسامه ويسبر كل قسم بأن ينفي عنه مايريد الخصم اثباته له ) [٣].

والمفروض أن ( مثل هذا التقسيم والسبر لا يدع مجالا للشك وتستريح النفس الى ما تصل اليه من نتائج عن طريقه ) [٤].

---

( ١ ) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن دعامة الامام أبوبكر بن الأنبارى ،المقرئ ،النحوى ، البغدادى ،صاحب التصانيف العديدة ،كان صدوقا فاضلا دينا خيرا من أهل السنة ،كما كان حافظا ومع حفظه كان زاهدا متواضعا ،مات سنة ٣٢٨ هـ ببغداد ( انظر ترجمته في البداية والنهاية ١١/١٩٦ تذكرة الحفاظ ٣/٨٤٢ ، التفسير والمفسرون للداودى ٢/٢٢٧ ومابعدها ).

( ٢ ) ارشاد الفحول للشوكاني ص ٢١٤.

( ٣ ) السيوطي ٢/١٧٣.

( ٤ ) من أسرار البلاغة / محمود السيد شيخون ص ٢٢٩.

وقد حصر مؤمن آل فرعون دعواهم وقسمها فقال : ما علة همكم بقتل موسى ؟ فالأمر لا يخلو من أحد أمرين اما أن يكون كاذبا واما أن يكون صادقا .

أ - فإن كان كاذبا فكذبه عليه ولا يتعداه وانتم خالصون عنه . يقول الامام القرطبي : ( لم يكن ذلك لشك منه في رسالته وصدقه ولكن تلطفا في الاستكفاف واستنزالا عن الأذى ).(١)

ب - وإن كان صادقا فاتباعه نفع وفوز ونجاة ، وإصابتهم ببعض الذى يعدهم هو كذلك أقل احتمال في القضية ولا يطلب اليهم أكثر منه وهذا منتهى الانصاف في الجدل والافحام.

يقول صاحب الكشاف : ( فان قلت لم قال " بعض الذى يعدكم " وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه ؟ قلت : لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى أن يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبوله فقال : " وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم " وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه ).(٢)

فثبت أن على كلا التقديرين كان الأولى ابقاؤه حيا ومدار الاستدلال هو اظهار الانصاف وترك اللجاج لأن تقدير الكلام ،أنه لاحاجة بكم في دفع شره الى قتله بل يكفيكم أن تمنعوه عن اظهار هذه المقالة

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ١٥/٣٠٦.

(٢) الزمخشرى ٣/ ٤٢٤-٤٢٥.

ثم تتركوا قتله فان كان كاذبا فحينئذ لا يعود ضرره الا اليه وان يك صادقا انتفعتم به ،فالتقسيم يؤدى في النهاية الى عدم التعرض لموسى عليه السلام وعدم محاولة قتله . وهكذا وبطريقة السبر والتقسيم يبقى العقل المجرد والفكر السليم .

ثم يؤكد لهم أنه ليس بكاذب بتقرير :

"إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾" (١)

فالله تعالى قد هدى موسى الى الاتيان بهذه المعجزات الباهرة ومن هداه الله الى الاتيان بالمعجزات لا يكون مسرفا كذابا فهذا يدل على أن موسى عليه السلام ليس من الكاذبين وبالتالي لا يستحق القتل ، وفيه اشارة الى علو شأن موسى عليه السلام على طريق الرمز والتعريض .

وقيل ان هذا ( احتجاج آخر ذو وجهين :

أحدهما : أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولا أيده بالمعجزات .

وثانيهما : أنه اذا كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ) . (٢)

ومن خلال كل ذلك يتضح أن الانسان يعتز برأيه وبفكرته حتى وهو يسلم في أعماقه ببطلانها وخطئها ، والمعاندون أكثر تشددا في هذا المجال ولذلك راعى مؤمن آل فرعون هذه الناحية في مناقشاته معهم

---

(١) سورة غافر آية ٢٨ .

(٢) فتح القدير / الشوكاني ٤/ ٤٨٩ .

حيث رأينا في طريقته مع قومه ما يعرف بـ " مجاراة الخصم " والتي فيها تسليم لهم ببعض مقدماتهم وهو أن موسى مسرف .. مرتاب الا أن هذه المقدمة لا تنتج ما يريدون أن يصلوا اليه وهو القتل بل هو بعيد وانما النتيجة أن الله سيعالج أمره لأن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ، وفي هذا النوع من جدله معهم استدراج لهم ومحاولة ثنيهم عما يعتزمون عليه بعد بيان فساد العلاقة بين مقدمتهم الاتهامية والنتيجة التي رتبت عليها ، وفي هذا يقول الشهرستاني (١) ( اعلم أن الموافقة في العبارات على طريق الالزام على الخصم من أبلغ الحجج وأوضح المناهج ) (٢) .

ثم يعقب صاحب كتاب الطراز على كل ما مضى من قول ذلك المؤمن قائلا :

( وفي سياق هذا الكلام من الملاطفة وحسن الأدب وكمال الانصاف ما يربو على كل غاية وبيانه من أوجه :

---

(١) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد ، أبو الفتح الشهرستاني ، كان اماما مبرزا فقيها متكلما أصوليا ، برع في الفقه ، وتفرد في علم الكلام ، وكان كثير المحفوظ ، حسن المحاورة ، يعظ الناس ، شافعي المذهب ، توفى سنة ٥٤٨ هـ وقيل ٥٤٩ هـ ( انظر ترجمته في ( طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦/١٢٨ ، وفيات الأعيان ٣/٤٠٣ شذرات الذهب ٤/١٤٩ ) .

(٢) الملل والنحل ٢/٥٦ .

١ - لأنه صدر الكلام بكونه كاذبا على جهة التقدير ، ملاطفة واستنزالا للخصم على نخوة المكابرة ، ودعاء له الى الاذعان والانقياد للحق ، وقدمه على كونه صادقا دلالة على ذلك.

٢ - ولأنه فرض صدقه على جهة التقدير مع كونه مقطوعا بصدقه تقريبا للخصم وتسليما لما يدعيه من ذلك وهضما لجانب الرسول ، زيادة في الانصاف ومبالغة فيه ). (١)

٣ - ( أنه أردفه بقوله : " يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ " (٢)

وان كان التحقيق أنه يصيبهم كل مايعدهم لا محالة لأنه نبي صادق الا أنه احتاج في مقاولة خصوم موسى أن يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة في القول ويأتيهم من جهة المناصحة ، ليكون أدعى الى سكونهم اليه ، فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم اياه فقال : " وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم " وهو كلام المنصف في مقالة غير المشتط فيه ليسمعوا منه أولا ولا يردوا عليه ، وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد ولكنه أردفه بقوله " يصبكم بعض الذى يعدكم " ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا عن أن يتعصب له أو يرمى الحصا من ورائه ، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل فكأنه برطلهم في صدر الكلام

---

(١) يحيى بن حمزة العلوى اليمني ٢/٢٨٣.

(٢) سورة غافر آية ٢٨.

بما يزعمونه لئلا ينفروا منه ).(١)

٤ - ( انه أتى بـ " إنْ " الشرطية وهي موضوعة للأمور المشكوك فيها ليدل بذلك على أنه غير مقطوع بما يقوله على جهة الغرض ، وادعانا للخصم على التقدير لارادة هضمه لحقه ، وأنه غير معط له ما يستحق من التعظيم.

٥ - وقوله في آخر الآية : " إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ "(٢)

أي هو على الهدى ولو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولا عضده بالبينات ، وانما أتى به على التلطف والانصاف مخافة أن يبعدوا عن الهداية ومحاذرة عن نفارهم عن طريق الصواب فرضا وتقديرا ، والا فلو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى النبوة ولما أعطاه اياها ولما عضده بالبينات.

وفي هذا الكلام من الاستدراج للخصم وتقريبه وادنائه الى الحق ما لا يخفى على أحد من الأكياس ، وقد تضمن من اللطائف والأسرار التي يستفيد منها الداعية - ما لا سبيل الى جحده ).(٣)

ثم لما أقام مؤمن آل فرعون الدلائل على أنه لا يجوز الاقدام على قتل موسى نراه يستخدم معهم طريقة أخرى للجدل معتمدا على

---

(١) انظر المثل السائر لابن الأثير ٢/ ٢٩٦ ، الطراز / يحيى بن حمزة العلوى اليمنى ٢/ ٢٨٣ .

(٢) سورة غافر آية ٢٨ .

(٣) انظر الطراز / يحيى بن حمزة العلوى اليمنى ٢/ ٢٨٣- ٢٨٤ المثل السائر / ابن الأثير ٢/ ٢٩٦-٢٩٧ ، الكشاف / الزمخشرى ٣/ ٤٢٥ ، تفسير البحر المحيط / ابي حيان الأندلسي ٧/ ٤٦١ .

الترهيب تارة ،لأنه يعلم أن الانسان يكره الألم وينفر منه والترغيب تارة أخرى :

١ - أما الترهيب فهو بتخويفهم من عذاب الله وتذكيرهم ببأسه وانتقامه من الضالين المكذبين :

" يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا " (١)

يعني قد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ولكم عبرة فيمن سبقكم من الأحزاب السابقة وما أصابها في الدنيا وما ينتظرها في الاخرة .

٢ - وأما الترغيب فقد كان عن طريق ما سينالهم من الخير والهدى والرشاد الذى وعدهم به وحفظ الخير الذى هم فيه كأمة مالكة ظاهره في الأرض ثم بعد ذلك الجنة يرزقون فيها بغير حساب .

ومع ذلك لم يسلم فرعون بل قال : " ما أريكم الا ما أرى " أى لا أشير اليكم برأى سوى ما ذكرته من أنه يجب قتله حسما لمادة الفتنة وما أهديكم بهذا الرأى الا سبيل الرشاد والعلاج .

الا أن مؤمن آل فرعون نجده مقابل ذلك يراعي طبيعتهم العنيدة ويجامل خصومه ولا يرد على دعواهم ردا مباشرا حين قال فرعون : " ما أريكم الا ما أرى " الا أنه في الوقت نفسه لا يسلم لهم بها فيقول متمما حواره معهم : " يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ " (٢)

---

(١) سورة غافر آية ٢٩ .

(٢) سورة غافر آية ٣٠ .

متبعا طريقة الانتقاد في الاستدلال لأنّ خصمه ـ فرعون ـ بالرغم من أنه لا يشك في صدق كلام ذلك المؤمن الا أنه يقصد المغالطة مما اضطره الى الاتيان بدليل آخر لا يستطيع فرعون جحده ، فهو يريد أن يصرفهم عن قصدهم في قتل موسى لأنه لا يستحق القتل بل يجب اتباعه ما دامت كل الحجج معه ، محذرا لهم من بأس الله أن ينزل بهم ، ومع ذلك يغالط فرعون قائلا : :

" مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ " (١)

مما اضطر ذلك المؤمن أن يحذرهم مخوفا من مثل يوم الأحزاب الذى يذكرونه ويمرون عليه ، فهم اذا لم يسلموا بنزول العذاب عليهم استبعادا له فليذكروا أنه نزل بمن سبقهم فتزول شبهة الاستبعاد .

وهنا نلحظ أن ذلك المؤمن قد استخدم طريقة المناصحة والارشاد وتوجيه انظارهم الى من سبقهم ليأخذوا منه الفائدة والعبرة ، وهذه الصورة أو الطريقة تراعي الجدل في ثناياها وترد عليهم في اجمال وتدليل .

وعاد يفصل في دعوته لقومه ونداءه لهم الى الايمان بموسى والتمسك بطريقته بعد أن دعاهم الى قبول ذلك الدين على سبيل الاجمال حين قال لهم : " يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ " (٢)

---

(١) سورة غافر آية ٢٩ .

(٢) سورة غافر آية ٣٨ .

وسبيل الرشاد : هو سبيل الثواب والخير وما يؤدى اليه ،لأن الرشاد نقيض الغي ،وفيه تصريح بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي .

ثم بعد ذلك زاد الأمر تفصيلا عن طريق : بيان حقارة حال الدنيا وكمال حال الاخرة ،أما حقارة الدنيا فهي قوله :

" يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ " (١)

والتي حاصلها : أن الاخرة باقية دائمة والدنيا منقضية منقرضة والدائم خير من المنقضي ، وبذلك نرى كيف أنه اعتمد على أسلوب الترغيب في النعيم الدائم والترهيب عن العذاب الدائم والذى هو من أقوى وجوه الترغيب والترهيب ،ثم بين كيف تحصل المجازاة في الاخرة مشيرا فيه الى أن جانب الرحمة غالب على جانب العقاب فقال :

" مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ " (٢)

ولكن القوم على الرغم من قوة عارضته وحسن مجادلته قاوموه ليلجئوه الى صفهم ورأيهم فقال :

" وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ " (٣)

يقول الامام الرازي : ( فان قيل لم كرر نداء قومه ؟

فالملاحظ أنه أراد بذلك زيادة تنبيه لهم وايقاظاً من سنة الغفلة ،واظهار أن له بهذا السهم مزيد اهتمام ،وعلى أولئك الأقوام

---

(١) سورة غافر آية ٣٩ .

(٢) سورة غافر آية ٤٠ .

(٣) سورة غافر آية ٤١ .

فرط شفقة . ولما ذكر هذا المؤمن أنه يدعوهم الى النجاة وهم يدعونه الى النار ، فسر ذلك : بأنهم يدعونه الى الكفر بالله والى الشرك به أما الكفر بالله فلأن الأكثرية من قوم فرعون كانوا ينكرون وجود الاله ، ومنهم من كان يقر بوجود الله الا أنه كان يثبت عبادة الأصنام . فحين قال : ﴿وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ (١)

فكأنه قال : وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يعقل جعله شريكا للإله ؟ ولما بين أنهم يدعونه الى الكفر والشرك استخدم معهم ما يسمى بالتمكين أو كما سماه صاحب تحرير التحبير المناسبة (٢) حين بين لهم أنه يدعوهم الى الايمان بالعزيز الغفار ، قاصدا كلمة " العزيز " اشارة الى كونه كامل القدرة ، منبها على أن الاله هو الذى يكون كامل القدرة ، وأما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون الها ، وأما الأصنام فانها أحجار منحوتة فكيف يعقل القول بكونها آلهة .

كما قصد كلمة " الغفار " اشارة الى أنه لا يجب أن يكونوا آيسين من رحمه الله بسبب اصرارهم على الكفر مدة مديدة فإن إله العالم وان كان عزيزا لا يغلب قادرا لا يغالب ، لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بايمان ساعة واحدة .

---

(١) سورة غافر آية ٤٢ .

(٢) وهو أن يمهد المتحدث للقرينة تمهيدا تأتي به القرينة متمكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها مطمئنة في موضعها غير نافرة ولا قلقة متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم ( انظر الاتقان ، السيوطي ٣٠٢/٣ ، تحرير التحبير / ابن أبي الاصبع ص ٣٦٣ ) .

ثم بين حجته في عدم اجابته لهم :

١ - ان هذه الأوثان التي تدعونني الى عبادتها ليس لها دعوة في الدنيا ولا في الآخرة :

"لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ" (١)

والتي تحتمل :

أ - أن المعنى : ما تدعونني الى عبادته ليس له دعوة الى نفسه لأنها جمادات ، والجمادات لا تدعو أحدا الى عبادة نفسها حتى اذا قلبها الله تعالى حيوانا في الاخرة فانها تتبرأ من هؤلاء العابدين.

ب - أو معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الاخرة ، فسميت استجابة الدعوة بالدعوة إطلاقا لإسم احد المتضايفين على الآخر.

والحاصل أنه أراد أن يبين لهم أن دعواهم خالية من الحجة وأن البرهان قد قام على النقيض من ذلك فكأنه يقول لهم : ان المحاجة لا تقوم الا على الحجة والبرهان ، وانتم حين تدعونني لأكفر بالله وأشرك به فلم تثبتوا على مدعاكم شيئا من ذلك بل ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة ، اما حين ادعوكم الى العزيز الغفار ، فقد قام البرهان على هدايتي الى طريق الحق ، والصواب فلم لا تتقبلون الحق المؤيد بالحجة والبرهان.

---

(١) سورة غافر آية ٤٣.

٢ - ان المرد الى الله تعالى العالم بكل المعلومات ، القادر على كل الممكنات ، الغني عن كل الحاجات الذى لا يبدل القول لديه وما هو بظلام للعبيد ، فأى عاقل يجوز له عقله أن يشتغل بعبادة تلك الأشياء الباطلة ، وأن يعرض عن عبادة هذا الاله الذى لا بد وأن يكون مرده اليه.

ثم ختم كلامه لهم بخاتمة لطيفة توجب التخويف والتحذير الشديد "فستذكرون ما أقول لكم" سواء في الدنيا أو في القيامة وقت مشاهدة الأهوال .

- ومع ذلك فقد هددوه بالقتل .

فرد عليهم معولا في دفع تخويفهم وكيدهم ومكرهم على فضل الله تعالى فقال : "وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ" .

وهو انما تعلم هذه الطريقة من موسى عليه السلام فان فرعون لما خوفه بالقتل رجع موسى في دفع ذلك الشر الى الله حيث قال : " اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب " إلا أنهم لم يتركوه وشأنه خاصة بعدما صرح بتقرير الحق فقد قصدوه بنوع من أنواع السوء قال مقاتل (١) : لما ذكر هذه الكلمات قصدوا قتله

---

(١) هو مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدى الخراساني ، أبو الحسن البلخي المفسر ، من الطبقة السابعة ، حكي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : الناس كلهم عيال على ثلاثة : مقاتل بن سليمان في التفسير ، وعلي زهير بن أبي سلمى في الشعر ، وعلى أبي حنيفة في الكلام توفي سنة ١٥٠ هـ .
(انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٣/ ١٦٠ ، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧٩ ، التفسير والمفسرون ٢/ ٣٣٠ ).

فهرب منهم الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه ، وقيل المراد بقوله :

" فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ "

أنهم قصدوا الى ادخاله الكفر وصرفه عن الاسلام فوقاه الله عن ذلك

" وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ " (١)

(١)

وبالفعل كانت النهاية لتلك المجادلة عبارة عن صورة تدخلت فيها يد القدرة الالهية كما تقررها سورة غافر :

" وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ " (٢)

فكان ذلك خاتمة للجحود والكبر والطغيان .

والواضح من الأمر أنه بقدر ما كان موسى قويا ثابتا في مجادلته بقدر ما كان فرعون ضعيفا مترددا شأن الباطل في ذلك والذى قال فيه سبحانه : " وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ " (٣)

فبين تعالى أن المفتون هو الذى لا يلقن حجة ، وأن المحق هــو الملقن حجة على الحقيقة وهم أهل الحق ولذلك قال تعالى :

" ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ " (٤) (٥)

---

(١) انظر التفسير الكبير / الفخر الرازى ٢٧/ ٧٠-٧١ .

(٢) سورة غافر آية ٣٧ .

(٣) سورة الكهف آية ٥٦ .

(٤) سورة غافر آية ٣٥ .

(٥) الاحكام في أصول الأحكام / ابن حزم ١/ ٢٣ .

وقد ظهر هذا الطبع واضحا من مجموع الجهالات التي صدرت من فرعون والتي تتمثل في :

١ - اتهام موسى بالسحر وهذا غاية في البعد لأن تلك المعجزات كانت قد بلغت من القوة والظهور الى حيث يشهد كل ذى عقل سليم بأنه ليس من السحر البته .

٢ - أنه لجأ الى قتل أبناء الذين آمنوا معه واستحياء نسائهم لئلا ينشأوا على دين موسى فيقوى بهم.

٣ - بل كان من قبائح فعله مع موسى محاولة قتله :

" وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ " (١)

هذه القولة تظهر الجدل بالباطل في أبشع صورة لأنه لو كان على الحق لما لجأ الى القتل بل ظهرت حجته وغلبت ولذلك لم يقل أنه سيقتل موسى على صيغة الجزم ،بل اهتز موقفه بعد أن ظهرت حجج موسى الواضحات فقال ( ذروني أقتل موسى ) .

وكما قال صاحب التفسير الكبير في احتمالات هذه القولة :

( الا أنه كان خائفا لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرة تمنعه عن قتله فيفتضح الا أنه لوقاحته قال ( ذروني أقتل موسى ) وغرضه منه : أنه انما امتنع عن قتله رعاية لقلوب أصحابه وغرضه منه اخفاء خوفه ) . (٢)

ولكنه سبحانه سجلها عليه خالده " وما كيد فرعون الا في تباب ".

---

(١) سورة غافر آية ٢٦.

(٢) الفخر الرازى ٢٧/ ٥٤.

هذا التباب وضحته آيات سورة غافر : " ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا
وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟
لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟
إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ
عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟
ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ " (١)

ولأن الانكار بعد الاعتراف لا يسمع فقد كانت عاقبتهم على ضلالهم الأول ضلالا ثانيا : هو الانكار بعد الاعتراف ( وفي مثل هذا اللون من التسجيل اثارة لوجدان المتشككين والمنكرين و اثارة الخوف في أنفسهم حين يسمعون اعتراف من على شاكلتهم ويدفعهم الخوف الى التأمل عساهم يهتدون ).(٢)

والملاحظ أن في قصة فرعون مع موسى في سورة غافر حذف للكثير من فصولها وذلك :

١ - ( لأن الحديث فيها ليس بعنصر أساسي في هذه المجادلة الا انها تدرك من السياق .

٢ - كما أن حذفها كان أفضل لأن ذكره يشغل عن تأمل ما في هذه المجادلة مما يحتاج الى تأملة وهو كثير ).(٣)

٣ - ثم ان تخطيها فيه وصول الى العناصر الجوهرية في المجادلة وهي المقصود لأن فيها الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق فرعون ومن معه التدمير بتكذيبهم .

---

(١) سورة غافر آية ٤٦ - ٥٠ .
(٢) انظر من بلاغة القرآن / احمد بدوى ص ٣٧٦ .
(٣) انظر الكشاف / الزمخشرى ٢ / ٣٢٤ ، الايضاح القزويني ص ١٣٨ ، الأقصى القريب / التنوخي ص ٦١ .

ما يخرج به الداعية من مجادلة موسى لفرعون :

١ - يتعلم الداعية كيف يكون فن الحوار وما هي الأصول المتبعة في ممارسة طريقة المناقشة حين يقف مع الناس مواقف الرد والاقناع والمحاجة وحتى لا ينهزم أمام محاجة الخصوم .

فهذا موسى عليه السلام كان مهيأ لكل موقف ومستعدا لمواجهة جميع الاحتمالات المطروحة من خصومه ولم يظهر أنه فوجيء بشيء منها .

وهكذا الداعية لا بد أن يضع في خلده المفاجآت المتوقعة من قبل معارضيه بالحوار لأنه ان لم يكن مستعدا لمواجهة كل الاتهامات والاحتمالات غلبت عليه روح الانهزام .

٢ - ولا بد أن يدرك الداعية أن للدعوة أساليب متعددة كثيرة تعينه في تبليغ دعوته منها ، أسلوب الالتفات الذى يحتاجه الداعية كثيرا لما فيه من فوائد عظيمة ذكرها صاحب الاتقان فقال ما نصه : (منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حب المتنقلات ، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد ).(١)

٣ - ومنها أسلوب التلطف في القول والرفق في المعاملة والذى له شأن كبير في نجاح الداعية في قيام دعوته الى الخير لأن النفوس شبت في الغالب على الأنفة والرعونة ونشأت على التقيد بالالف والعادة فمن حاول الخروج بها عن مألوفاتها وعاداتها فلا بد له أن يمزج مرارة الحق

-----------------

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/٢٥٣ .

وحلاوة التلطف وأن يسهل صعوبة التكليف بحلاوة الرفق واللين ،من هنا رأينا موسى عليه السلام ينادى فرعون قائلا :

" يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٤ " (١)

( فكأنه قال : يا ملك مصر ) (٢) ويقول صاحب التحرير والتنوير :

( والظاهر ان خطاب موسى عليه السلام لفرعون بقوله يا فرعون خطاب اكرام لأنه ناداه بالاسم الدال على الملك والسلطان بحسب متعارف أمته وليس هو بترفع عليه لأن الله تعالى قال له ولهارون :

" فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا " (٣) (٤) )

مما يفيد أن لين القول هو محل رجاء التذكر والاتعاظ .

٤ - ومنها أسلوب الاستدراج لاستمالة المدعو بما يؤثر فيه ويأنس اليه أو بما يخوفه ويرهبه قبل أن يفاجئه بما يريد أن يطلبه منه ، وهو الأسلوب الذى انتهجه موسى عليه السلام مع خصومه ، ولأن أمزجة الناس تختلف في ذلك ، فينبغي أن يستمال كل بما يناسبه ولا بد أن يدرك الداعية ان من الخطأ الذى يجب الحذر منه ، هو استدراج الخصم الى ما يفقده السيطرة على أعصابه ،فينقلب الحوار الى ثورة ومهاترة كلامية قد تجر إلى خصومة لا تحمد عقباها ، فالداعية الحكيم لا يستدرج بالغضب والانفعال ولا يخرج من الموقف معلنا الخصومة لأحد بل عليه أن يعلم ان الأمر عبارة عن تصرف في الكلام لا بد أن يتقن ليكون له

---

(١) سورة الأعراف آية ١٠٤.

(٢) التفسير الكبير / الفخر الرازى ١٤/ ١٩٠.

(٣) سورة طه آية ٤٤.

(٤) محمد الطاهر بن عاشور ٩/ ٣٧.

قوة توصله الى هدفه ( بما تضمن من النكت الدقيقة في استدراج الخصم الى الاذعان والتسليم لأنه لا انتفاع بايراد الألفاظ الطيحة الرائعة ، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لغرض المخاطب بها ) .(١)

٥ - وليعلم الداعية أن الأمر ليس معتمدا على قوة البينة أو وضوح الحجة حتى يستجيب له الناس بل غالبا ما يقابل بالمعارضة والرفض ومن هنا لا بد أن يدرك أنه لا يملك الهداية لأحد ، بل ليس من شأنه ذلك وهذا موسى عليه السلام بالرغم من كل ما جاء به فقد اتهم بالسحر وعندما أثبت أنه ليس بساحر اتهم بالافساد في الأرض ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل هموا بقتله ، وهذا هو طريق الدعاة الى الله .

٦ - البشارة لأهل الايمان أن يطمئنوا الى العاقبة وأن يعرفوا أن النصر للحق في النهاية مهما علا الباطل ومهما تجبر وطغى أهله فهم ليسوا على شيء لأن الله يقول : " وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ "(٢)

ويقول : " وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ "(٣)

وفيما مضى ذكره تسلية للدعاة في تكذيب من كذبوهم يقول صاحب تفسير القرآن العظيم ( ان هذه المجادلة فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه وبشارة بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة كما جرى لموسى بن عمران عليه السلام ) .(٤)

---

(١) المثل السائر / لابن الأثير ٢/ ٢٩٥ .

(٢) سورة غافر آية ٢٥ .

(٣) سورة غافر آية ٣٧ .

(٤) ابن كثير ٤/ ٧٦ .

٧ - وفي النهاية لا بد أن يدرك الداعية أن جميع الأبواب لو أغلقت أمامه في أثناء سيره في طريق دعوته فان باب الله مفتوح فهو الركن الركين والحصن الأمين يلجأ اليه كقوة أمام قوة وجبروت أعدائه ، وهذا ما فعله موسى عليه السلام حين قال :

" إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ " (١)

مؤكدا أن هذا الطريق هو المختبر في دفع الشرور والآفات عن النفس ، ولم يزد على ذلك حتى قيض الله من ذب عنه على أحسن الوجوه وعمل على تسكين تلك الفتن التي تدور حول قتله واجتهد في ازالة ذلك الشر.

٨ - كما يستطيع الداعية أن يستفيد من مواقف مؤمن من آل فرعون حين أراد أن ينصح قومه ويعظهم فيما كانوا متورطين فيه من الخطأ العظيم ، كيف رتب معهم الكلام وساقه أرشق مساق مع استعمال الرفق واللين والأدب الجميل ، والخلق الحسن مقتديا برسوليه حين قال لهما ربهما حين بعثهما لفرعون : " فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا " (٢)

فبدأ بطلب الباعث لهم على قتله ليتوصل بذلك الى قطعهم والجامهم.

٩ - كما يتعلم الداعية كيف يعطي الاجابة والمحاورة حقها ويحيط بها من جميع جوانبها ويشبعها بحثا واستدلالا حتى ينقاد من يحاوره للهدى ويستجيب للحق اللهم الا اذا وجد منه مكابرة في الحق ومجادلة بالباطل.

---

(١) سورة غافر آية ٢٧.
(٢) سورة طه آية ٤٤.

١٠ - كما يتعلم الداعية كيف يكون متمكنا من تجسيد فكرته ، والتي يختار لها الكلمة الدقيقة المعبرة التي تساعده على تصوير ما يريد فيشعر به المدعو أتم شعور وأقواه مما يزيد الحق تمكنا في النفس ويكون تأثيرها قويا .

١١- كما يتعلم كيف يكون الاعراض عن الجدل الباطل حين يبتلى بمن لا يقصد الا الطعن في كلامه بقصد الاهانة والتحقير أو ابتلى بمجادل لا يريد الا أن يعاجز في الحق ويساند الباطل بقصد العلو والكبرياء فعليه أن يتخذ موقفا حكيما ومخرجا حسنا مستفيدا من موقف -مؤ من آل فرعون- الذى يتسم بالأدب الجم والهدوء النفسي والاتزان العقلي والخلق الكريم ، والذى أبقى الحوار الى نهايته محتفظا بمستوى عال عن الفظاظة والخشونة مع ما يحمله من قوة الاقناع ووضوح الحجة .

١٢- كما يستفيد من أسلوبه مع قومه الذى اعتمد على طريقة التلويح في المقال والتعريض في الخطاب والذى هو أبلغ من التصريح وأوقع في النفس وأعظم تأثيرا في القلب وأدعى الى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمة المخاطب بترك المجاهرة بالتوبيخ ، الذى يهيج الحرص على الاصرار ولا سيما النفوس المنطوية على الكبر ، وها هو يقول لهم لما سمع بخبر عزمهم على قتل موسى :

" أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ " (١)

---

(١) سورة غافر آية ٢٨ .

وفيه من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو الكاذب ومن هو الصادق أبلغ من التصريح بذلك وهو أبلغ في الانصاف وأبعد عن الجدل والاعتساف لأن النفوس جبلت على الميل الى العظمة وحب الكرامة ونشأت على التقيد بالالف والعادة فلا بد لمن أراد صرفها عن غيها الى رشادها أن يسير بها أقرب المسالك .

١٣- ومن ضمن الأساليب التي ينبغي للداعية أن يستفيد منها الأسلوب الذى انتهجه مؤمن آل فرعون حين أبرز كلامه في معرض النصيحة لنفسه وهو يريد مناصحة قومه : " وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ " (١)

والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله :

" تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ "

وهذا تعريض بهم وهو أبلغ وأحكم للقبول .

١٤- كما يتعلم الداعية طريقة التأثير عن طريق التعليم الذى يبين فيه المطلوب مقرونا بحكمة التشريع ومشفوعا بالحث على التمسك والتحذير من التهاون فيه .

١٥- ويستطيع الداعية أن يستفيد كبير فائدة من أسلوب التخلص الذى لجأ اليه ذلك المؤمن والذى يعني ( الانتقال بما ابتدئ به الكلام الى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول الا وقد وقع عليه الثاني لشدة

---

(١) سورة غافر آية ٤١-٤٢ .

الالتئام بينهما ).(١)

واذا أردنا أن نحصر التخلصات في قصة مؤمن آل فرعون نجد أن

التخلص الأول :

لما حاول مؤمن آل فرعون دعوة فرعون وملئه الى عبادة الله بعدما كان بينه وبين موسى من الخصومة والجدال فصدر حديثه معهم بثنيهم عن قتل موسى واتخاذ موقف المحايد بينهم وراء سؤال استنكارى حول السبب في قتله والذى لم يكتفوا بالوقوف أمامه بل ادعى فرعونهم أن سبيل الرشاد ليس الا سبيله ثنيا عن الحق والتفكير فيه.

التخلص الثاني :

لما أجابه فرعون بما أجاب أراد أن يحقق عليهم الأمر حتى لا يكون لهم سبيل الى الجحود فخرج عن ذلك الى تحذيرهم وترهيبهم بصورة في الدنيا لا ينكرونها بل يذكرونها ويسمعون عنها ،صورة يوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ،والا فهناك صورة في الآخرة حين ينادي بعضهم على بعض فيولوا مدبرين وصدر كلامه بقوله " يا قوم " تأدبا منه وملاطفة لهم ،ولم يقل لهم انكم تقصدون الى البينات مماطلة .. لم

---

(١) انظر الايضاح ،القزويني ص ٣٠٢ ،الطراز ،العلوى اليمني ٢/ ٣٣٠ ، الاتقان في علوم القرآن / السيوطي ٣/ ٣٧٣.

يواجههم بها بل ذكرهم :

" وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ " (١)

اذا هو لم يأت بحجته على أنهم لا يريدون الايمان بل المماطلة على جهة القطع منه بها بل ذكرهم بموقف وترك لهم وحدهم الاستنتاج والحكم على أنفسهم عن طريق سرد قصة يوسف معهم وموقفهم منه بالرغم من بيانه وتذكيرهم بالنهاية في الدنيا والآخرة ونراهم حكموا على أنفسهم بالجهالة حين أعادوا نفس الموقف غير عابئين به بل يهزأ كبيرهم قائلا :

" يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا " (٢)

## التخلص الثالث :

لما تحقق من تعويلهم على الانكار والتكذيب خرج الى تبرئة نفسه مما يدعونه اليه ولهذا قال :

" مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ " (٣)

فكأنه صور المسألة في نفسه على معنى أني فكرت في أمري ونظرت في حالي فرأيت أن اجابة دعوتكم هي الحكم على نفسي اذا رفضتها وآثرت النجاة وأراهم بذلك أنها نصيحة ،نصح بها نفسه أولا وبنى عليها تدبير أمره لينظروا فيقولوا ما نصحنا الا بما نصح به نفسه وما أراد لنا الا ما أراد لروحه ،ليكون ذلك أدعى لهم الى القبول لقوله ،وأبعث الى الاستماع

---

(١) سورة غافر آية ٣٤.

(٢) سورة غافر آية ٣٦-٣٧.

(٣) سورة غافر آية ٤١.

قامت الطالبة باجراء التصويبات التي طلبتها لجنة المناقشة.

أعضاء لجنة المناقشة

| أ.د / بركات عبد الفتاح دويدار | د. عبد الشكور محمد أمان العروسي | د. محمد ولد سيدي الحبيب |
| --- | --- | --- |


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدراسات العليا
فرع العقيدة


# الدعوة في سورة غافر
## موضوعها وأسلوبها

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة


إعداد

الطالبة / أحلام محمد سعيد باحمدان



جامعة أم القرى / مكة المكرمة
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH



إشراف

الأستاذ الدكتور / بركات عبد الفتاح دويدار


المجلد الثاني

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م


٣٠١٠٢٠٠٠٠١٩٤٧

بسم الله الرحمن الرحیم

## المبحث الخامس :

## أهمية الجدل للداعية .

تمهيـــد :

قبل الحديث عن أهمية الجدل للداعية ،فلا بد أن يُدرك أن المقصود بالجدل في قوله تعالى :

" ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " (١)

هو الجدل الذى يقصد اليه من باب دفع الصائل والذى يقول فيه ابن تيمية -رحمه الله -: ( إن الدعوة إلى الله تكون بالحكمة والموعظة الحسنة وأما الجدل فلا يدعى به ،وانما يكون من باب دفع الصائل من منطلـــق أن الانسان له ثلاثة أحوال :إما أن يعرف الحق ويعمل به ،واما أن يعرفه ولا يعمل به ،واما أن يجحده ،فأفضلها أن يعرف الحق ويعمل بـــه .

والثاني : أن يعرفه ولكن نفسه تخالفه فلا توافقه على العمل .

والثالث : من لا يعرفه بل يعارضه .

فصاحب الحال الأول هو الذى يدعى بالحكمة فان الحكمة هي العلم بالحق والعمل به ،والأكمل من الناس من يعرف الحق ويعمل به فيدعىٰ بالحكمة ، والثاني من يعرف الحق لكن تخالفه نفسه فهذا يوعظ بالموعظة الحسنـــة والنفس لها أهواء تدعوها الى خلاف الحق وان عرفته ، وعامة الناس يحتاجون الموعظة الحسنة والى الحكمة فلا بد من الدعوة بهذا وهذا .

وأما الجدال فلا يدعى به بل هو من باب دفع الصائل ،فاذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن ،ولهذا قال ( وجادلهم ) فجعله فعلا مأمورا مع قوله " ادع " فأمره بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأمره أن يجادل بالتي هي أحسن ،وقال في الجدال ( بالتي هي أحسن )

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

ولم يقل ( بالحسنة ) كما قال في الموعظة لأن الجدال فيه مدافعة ومغاضبة فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة والموعظة لا تدافع كما يدافع المجادل ،فما دام الرجل مستعدا للحكمة أو الموعظة الحسنة أوهما معا لم يحتج الى مجادلة/ فاذا مانع جودل بالتي هي أحسن ) (١) .

ومن هذا المنطلق على الداعية ( أن لا يقصد الى الجدل قصدا أوليا في هداياته وتوجيهاته فهو لا يستهل دعوته بالجدال والمناظرة ولكن يقيم الحجج والبراهين ويسوق المعلومات والمبادئ بأسلوب الوعظ والارشاد والوعد والوعيد تربية للنفوس وتهذيبا للأخلاق وهداية للمجتمعات الانسانية بالموعظة الحسنة لأنها تدخل الى الانسان من وجدانياته فتؤثر فيه وهذا هو أنسبها للدعوة العامة ،لأن الجدل كثيرا ما أثار النقاش باصطلاحاته المنطقية ووصل الأمر للعناد واللجاجة فيضيع الحق ،ولكن الأمر لا يخلو من حاجة اليه عند معارضة الخصوم وتوارد الشبه وهذا شأن القرآن الذى ألجم خصومه بالجدل المحكم والاستدلال الملزم بأسلوب رائع مفحم فكان هذا هو المنهج العام لأدلة القرآن فما ورد بخلاف هذا من الأدلة فهو لحكمة تقتضيها أسرار التنزيل القرآني ) (٢) .

---

(١) الرد على المنطقيين ص ٤٦٧- ٤٦٨ .

(٢) انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم / زاهر بن عواض الألمعي ص ١٤ .

هذا هو الأساس في الجدل وفي ضوئه ننظر لأهمية الجدل للداعية، حيث تأتي أهميته كأسلوب رصين مقنع ومنهج متنوع بأروع حجة وأحكم برهان لنصرة الحق، يقف أمام الشبه التي يثيرها المرتابون والمعارضات التي يقيمها المعاندون لتبليغ رسالة الله والدفاع عنها، فهذه وظيفة الرسل وهي بالتالي وظيفة الدعاة والمصلحين من بعدهم ومن هنا:

١ - يحتاجه الداعية لأن من وظيفته الفصل بين الحق والباطل، ثم الدفاع عن الحق، وتبين المستقيم من السقيم، يقول صاحب شرح الكوكب المنير ما نصه: (قال أبو محمد الجوزى (١) في الايضاح:

اعلم وفقنا الله واياك أن معرفة هذا العلم لا يستغني عنه ناظر ولا يتمشى من دونه كلام مناظر لأن به يتبين صحة الدليل من فساده تحريرا وتقريرا، وتصح الأسئلة الواردة من المردودة اجمالا وتفصيلا، ولولاه لاشتبه التحقيق في المناظرة بالمكابرة، ولو خلى كل مدّعٍ مُدّعى ما يرومه على الوجه الذى يختار،

---

(١) هو يوسف بن الشيخ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد التيمي البكرى القرشي البغدادى أبو محمد الجوزى، العلامة الفاضل، الفقيه الأصولي، الواعظ، كان كثير المحفوظ، قوى المشاركة في العلوم، اشتغل بالفقه والأصول وبرع في ذلك، تولى الأعمال الجليلة، وأرسله الخليفة الى ملوك الأطراف، وأنشأ مدرسة بدمشق، وهي المعروفة بالجوزية، ووقف عليها أوقافا كثيرة، وكذلك فعل في بغداد، قتل صبرا بسيف الكفار التتار شهيدا مع أبنائه الثلاثة سنة ٦٥٦هـ (انظر ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة ٢/٢٥٨، طبقات المفسرين ٢/٣٨٠، شذرات الذهب ٥/٢٨٦).

ولو مُكّن كل مانع من ممانعة ما يسمعه متى شاء ، لأدى الى الخلط وعدم الضبط ، وانما المراسم الجدلية تفصل بين الحق والباطل مرتبين المستقيم من السقيم فمن لم يحط بها علما كان في مناظراته كحاطب ليل ) (١).

٢ - يحتاجه الداعية وخاصة في هذا الوقت الذى ( هبت فيه الصراعات الفكرية في مختلف الاتجاهات بقصد الاساءة الى الدين والنيل منه بالاضافة الى غزو فكرى يتمثل في المادية الجدلية القديمة والتي نعيش اليوم امتدادها فكان لزاما على الداعية أن يتعرف على المنهج القرآني الذى سلكه في معالجة الاتجاهات البشرية وسياسته للأمة مع قيام الحجة ووضوح المحجة ليتخذ منه منهجا في رسم السلوك فيما يشجر بينه وبين غيره في جميع الاتجاهات سواء في ذلك الأفراد والجماعات ، لا سيما أن العقل البشرى يتطلع دائما الى قوة الاقناع عن طريق الحجة والبرهان والعلم ) (٢) ، يقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله : ( فكل من لم يناظر أهل الالحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الاسلام حقه ولا وفى بموجب العلم والايمان ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ولا أفاد كلامه العلم واليقين ) (٣).

---

(١) ابن النجار ٢/٣٦٩.

(٢) انظر مناهج الجدل في القرآن / الألمعي ص ٦.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ١/٣٥٧.

٣ - بواسطة أنواع الجدل يستطيع الداعية أن يستخدمه للاقناع مع جميع أصناف الناس و تباين أفهامهم و تفاوت مداركهم ،فالداعية ( المتدبر لآيات القرآن والمتفكر في مناهجه يجد فيه ما يعلم الجاهل و ينبه الغافل ويشبع نهمه العالم )[١] بما يملكه من وسائل الاقناع بالحجة والبرهان في تقرير الحق و دفع الباطل فهو يستهدف الحقائق في ذاتها و يقيم عليها البراهين والحجج ، فالداعية ( المتتبع لآيات القرآن يجد أن المظهر العام للجدل القرآني هو معاملة الناس بما يتناسب مع أحوالهم العلمية والاعتقادية فكثيرا ما يكون جدل القرآن مع المشركين جدل هداية ودلالة وقد يشتمل على تخطئة بعض مزاعمهم بينما يكون جدله مع أهل الكتاب جدل تخطئة والزام لأنهم على علم ،أما جدل القرآن مع المنافقين فتبدو عليه سمات الشدة والقسوة مصحوبة بالتهديد والوعيد )[٢].

٤ - ( ما يروجه أعداء الاسلام من المستشرقين وغيرهم فان بعضهم يتهمون الاسلام بأنه دين تلقيني عاطفي ، بضاعته مسلمات و قضايـــاه خطابيات وأنه يفر من الجدل و يكره النقاش واضطلاع الداعية ودراسته للجدل القرآني خاصة أثناء دعوته والذى أشار في آيات كثيرة بالحكمة والتفكير والبرهان والحجة وأمر الرسول الكريم بمجادلة الكافرين كما أمره بدعوتهم الى الايمان بل جاء الأمر بهما في آية واحدة :

" ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "[٣]

---

(١) انظر المعجزة الكبرى / أبو زهرة ص ٣٧٠.

(٢) انظر مناهج الجدل في القرآن / الألمعي ص ٧ - ٨.

(٣) النحل : ١٢٥.

فيكشف مدى كذب هؤلاء وافترائهم على الاسلام ، الا أن الأصل في دعوة الداعية هو قيامها على التوجيه والارشاد والدعوة باللين والرفق .

والقرآن الكريم حين وجه الدعاة الى هذا السلوك القويم فلأنه ادعى الى قبول الحق ولين الجانب ، ولهذا أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام أن يدعوا فرعون باللين والتلطف فقال :

" ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ " (١)

وإنما يلجأ الداعية الى الجدل واقامة الحجة والبرهان عند ظهور المعارضات والشبه لكي يلزم المجادل ويفحم المعاند المكابر ) (٢) .

٥ - تأتي أهميته كظاهرة انسانية لأن الله تعالى قد خلق الانسان ناطقا مفكرا تتوارد عليه أفكار ومعلومات يجد نفسه مدفوعا بالجبلة والطبع الى حب الافضاء بها والافصاح عنها وقد تشتد وتبرز أشد البروز في كثير من المواقف كظروف الحِجاج والنقاش ، وتبادل الأفكار واحتكاك بعضها ببعض موافقة أو مخالفة أو برهنة أو معارضة أو تعلما وتعليما وما شاكل ذلك مما هو مرتكز في الفطرة الانسانية وما تستدعيه طبيعة النوع البشرى من التعارف والمدنية ، فالجدال لا يمكن أن يخلو منه بشر عنده بيان ، لأنه يعبر عما يختلج في نفسه من بيان بصرف النظر عن طبيعة هذا البيان وبواعثه .

ان هذه النزعات البيانية تتفاعل مع بعضها مع تفاوت في العقول

---

(١) سورة طه ٤٣- ٤٤ .

(٢) انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم ص ١٨/ ١٠٦ .

واختلاف الآراء والأفكار والنحل والأذواق مما يكون ذا أثر فعال فيما يجرى بين الناس من مجادلات و مناظرات ،فالجدل ضرورة حتمية بمعناه العام لأنه طبيعة وجبلة فيالفطرة الانسانية :

" وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ " (١)

٦ - يحتاجه الداعية لمن يلح في الخطاب و يقوى في الشبه قال صاحب الكافية في الجدل ( فاذا رأى العالم مثله يزل ويخطئ في شيء من الأصول والفروع وجب عليه - من حيث وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - دعاؤه عن الباطل وطريقه الى الحق وطريق الرشد والصواب فيه ،فاذا ألح في خطابه وقوى على الحق شبهة وجب على المصيب دفعه عن باطله والكشف له عن خطئه بما أمكنه من طريق البرهان وحسن الجدل فتحصل - اذ ذاك - بينهما المجادلة من حيث لم يجد بدا فيه في تحقيق ما هو الحق و تمحيق ما هو الشبهة والباطل - الى أن قال - وصار(اذ ذاك بهذا المعنى الجدال من آكد الواجبات والنظر من أولى المهمات ) . (٢)

٧ - ولأنه جهاد في سبيل الله ، كيف لا ؟ وهو يهدف لاقامة الحجة على أهل الالحاد والبدع ، قال صلى الله عليه وسلم : " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم "(٣) وانما يكون الجهاد باللسان

---

(١) سورة الكهف آية ٥٤ .

(٢) الامام الجويني ص ٣٤ .

(٣) سنن النسائي : كتاب الجهاد ٦/ ١٧ ،سنن أبي داود / جهاد ٣/ ١٠ .

بتبيان الحق بالحجة والبرهان لا بالشغب والهذيان والسب والشتم لا سيما وأن الله سبحانه وتعالى يقول :

" وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ " (١)

ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة الصحيحة التي لا تغلب أبدا ،فهي أدعى الى الحق وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة ،وأفاضل الصحابة الذين لا نظير لهم انما أسلموا بقيام البراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فكانوا أفضل ممن أسلم بالغلبة بلا خلاف من أحد المسلمين ). (٢)

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٠.

(٢) الاحكام في أصول الأحكام ١/ ٢٥.

# الفصل الثانى

## أسلوب القصة

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف القصة لغة واصطلاحًا ( فى القرآن الكريم ) .

المبحث الثانى : عناصر القصة .

المبحث الثالث : القصص الذى اشتملت عليه السورة .

النتائج الخاصة بالفصل

## المبحث الأول :

## تعريف القصة لغة واصطلاحًا ( في القرآن الكريم ) .

جامعة أم القرى / مكتبة الملك عبدالله
١٩٤٢
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY

## المبحث الأول

## تعريف القصة وبيان أهميتها

### القصة في اللغة :

مادة ( ق ص ص ) وردت بمعان متعددة ، منها :

١ - ( البيان والاعلام ومنه قوله تعالى :
" نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ " (١)

أى نبين لك أحسن البيان ، يقال : قصصت الرؤيا على فلان اذا أخبرته بها ، والقص : البيان .

٢ - المتابعة ، وتتبع الأثر : يقال قصصت الشيء اذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء ومنه قوله تعالى :
" وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ " (٢)

أى اتبعي أثره ) (٣) ، فالقص : الأثر ، قال تعالى :
" فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا " (٤) (٥) )

ويؤكد ذلك صاحب اللسان حين قال : ( وقال الأزهرى : القص اتباع الأثر ، والقصيصة : البعير أو الدابة يتبع بها الأثر ) وقص آثارهم أى تتبعها بالليل ، وقيل : هو تتبع الأثر في أى وقت كان ) (٦) .

---

(١) سورة يوسف آية ٣ .
(٢) سورة القصص آية ١١ .
(٣) انظر لسان العرب / ابن منظور ٧ / ٧٣-٧٤ .
(٤) سورة الكهف آية ٦٤ .
(٥) انظر المفردات / الراغب الأصفهاني ص ٤٠٤ .
(٦) لسان العرب / ابن منظور / ٧/ ٧٥ .

٣ - ( والقصة : الأمر والحديث ، وقد اقتص الحديث رواه على وجهه )(١).

ومن هذه المعاني اللغوية نستطيع أن نقول ان القصص هو :
بيان واعلام عن طريق تتبع الأخبار والآثار الماضية شيئا بعد شيء.

*

## القصة في القـــرآن

والقصة في القرآن انما تتبع أحداثا ماضية واقعة ، وتعرض منهـــا ما ترى عرضه ، وللامام الرازى رأى فيها هو انها ( مجموع الكلام المشتمل على ما يهدى الى الدين ، ويرشد الى الحق ، ويأمر بطلب النجاة )(٢) مستمدا ذلك من قوله تعالى :

" نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣ "(٣)

وقوله تعالى : " إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ "(٤)

وبذلك نصل الى تعريف يكاد يصل الى الكمال من تعريف القصة في القرآن هو :
" تتبع الأحداث التي وقعـــــت لتعرض منها ما ترى عرضه للعبرة والعظة ".

---

وخاصة حين نرى الكتاب يجمعون على أنـها ( الأحداث والوقائـــــــع

---

(١) مختار الصحاح / الرازى ص ٥٣٨.
(٢) التفسير الكبير ٣ / ٧٠٣.
(٣) سورة يوسف آية ٣.
(٤) سورة آل عمران آية ٦٢.

والتي وردت في القرآن الكريم ،لتعد من أنباء الغيب ،التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن سبقوه من الرسل و أقوامهم أو بعض أفراد الأمم السابقة وجماعاتهم ،لتحمل من ورائها هدفا لكل من يقرأها ، فالمؤمن يأخذ منها العبرة والعظة ،والكافر المكذب ليرعوى ويرتدع ) (١) .

*

## أهمية القصة في القرآن الكريم :

قال تعالى : " فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ " (٢)

وعن أبي أمامة (٣) قال " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قاص يقص ،فأمسك ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - قص ،فلأن أقعد الى أن تشرق الشمس أحب الي من أن أعتق أربع رقاب ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس أحب الي من أن أعتق أربع رقاب " (٤) .

---

(١) انظر الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم / د . محمد حجازى ص ٢٨٩ " الهامش " ،القصص القرآني في منظومه ومفهومه / عبد الكريم الخطيب ص ٤٤ ،بحوث في قصص القرآن / عبد الحافظ عبد ربه ص ٤٤ ومابعدها .

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٦ .

(٣) هو الصحابي صدى بن عجلان بن الحارث ،أبو أمامة الباهلي ، مشهور بكنيته ،روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة ، وهو ممن بايع تحت الشجرة كان مع علي بصفين ،سكن مصر ثم انتقل الى حمص ،فسكنها ومات فيها ،وهو آخر من مات من الصحابة بالشام ، توفي سنة ٨٦ هـ ( انظر ترجمته في : الاصابة ١٨٢/٢ ،الاستيعاب ٤/٤ ،تهذيب الأسماء ١٧٦/٢ ) .

(٤) مسند الامام أحمد بن حنبل جـ٥ ( حديث أبي أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم ) ص ٢٦١ . وقال صاحب الفتح الرباني ( أورده الهيثمي وقال رواه أحمد والطبراني في الكبير الا أن ===

( وقد ورد عن أبي حنبل بن اسحق (١) قال : قلت لعمي (٢) في القصاص فقال : القصاص : الذين يذكرون الجنة والنار والتخويف ، ولهم نية وصدق الحديث ، فأما هؤلاء الذين أحدثوا وضع الأخبار والأحاديث الموضوعة فلا أراه ) (٣) .

وكما يقول ابن الجوزى (٤) : ( ان في ايراد أخبار السالفين عبرة لمعتبر ، وعظة لمزدجر ، واقتداء بصواب لمتبع ، وقد قال الله عز وجل : " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ " (٥)

---

=== لفظ الطبراني ( أقص فلان أقعد هذا المقعد من حين تصلى الغداة الى أن تشرق الشمس ) فذكر الحديث ورجاله موثقون الا أن فيه أبا الجعد أبي أمامة فان كان هو الغطفاني فهو من رجال الصحيح وان كان غيره فلم أعرفه أ.هـ ) ٢٠/١٤٩ .

(١) هو حنبل بن اسحاق بن حنبل ، أبو علي الشيباني ، ابن عم أحمد وتلميذه ، له تاريخ حسن ، كان ثقة ثبت ، سمع المسند كاملا من الامام أحمد توفي بواسط سنة ٢٧٣هـ .

( انظر ترجمته في شذرات الذهب ٢/١٦٣ ، طبقات الحنابلة ١/١٤٣ ، تذكرة الحفاظ ٢/٦٠٠ ) .

(٢) يريد به أحمد بن حنبل رحمه الله .

(٣) كتاب القصاص والمذكرين / ابن الجوزى ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٤) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد ، جمال الدين ، أبو الفرج ، المعروف بابن الجوزى ، شيخ وقته ، وامام عصره ، يتصل نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حفظ القرآن ، وكان محدثا حافظا مفسرا فقيها أصوليا واعظا أديبا اماما زاهدا قارئا ، له مؤلفات كثيرة ، توفى سنة ٥٩٧هـ .

( انظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/٣٢٩ ، وفيات الأعيان ٢/٣٢١ ، طبقات المفسرين ١/٢٧٠ ) .

(٥) سورة يوسف آية ٣ .

وقال : " إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ " (١) (٢)

ويقول الامام أحمد بن حنبل : ( ما أحوج الناس الى قاص صدوق ) (٣) وهذا موءشر هام على أهمية القصة ومدى تأثيرها .

كما استخدم الكثير من الدعاة الأوائل من الصحابة والتابعين أسلوب القصة في دعوتهم ،بل ان منهم من اقتصر عليها في دعوته ومنهم الصحابي : تميم الدارمي (٤) ،والتابعي : " محمد بن كعب القرظي " (٥) ،والامام

---

(١) سورة آل عمران آية ٦٢ .

(٢) كتاب القصاص والمذكرين ص١٥٧-١٥٨ .

(٣) تلبيس ابليس/ ابن الجوزى ص ١٣٥ ،كتاب القصاص والمذكرين / ابن الجوزى ص٣٥٧ .

(٤) هو تميم بن أوس بن خارجة ،الصحابي الجليل الذى اسلم سنة تسع ،كان من حفظة القرآن ومن العباد ،سكن بيت المقدس ، وتوفي سنة ٤٠ هـ (انظر ترجمته في الاصابة ١/ ١٨٦ ،الاستيعاب ١/ ١٨٦ ، صفة الصفوة ١/ ٧٣٧ ) .

(٥) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي ،أبو حمزة التابعي المدني ،كان ثقة عالما كثير الحديث ،قال عون بن عبد الله : " ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن منه " كان يقص في المسجد فسقط عليه وعلى أصحابه السقف فمات هو وجماعة تحت الهدم سنة ١١٨هـ .

( انظر ترجمته في صفة الصفوة ٢/ ١٣٢ ،تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢٠، شذرات الذهب ١/ ١٣٦ ) .

سعيد بن جبير (١) ، والامام الحسن البصرى (٢) ) (٣) .

ومن منطلق هذه الأهمية وفي ضوئها نقول :

ان أغراض القصة في القرآن تصب كلها مجتمعة في القلب الواحد لتعمل فيه الايمان وترسخ أصوله ، لذا وجدنا القصة مقترنة الخطى بالعبرة الجليلة والعظة الغالية .

فالقرآن كتاب دعوة أولا وقبل كل شيء وفي تضاعيف القصص لأخبار الأولين يزداد غرض الدعوة وضوحا ويتبين منهجها الذى تحدو البشرية اليه ، لا يختلف وان اختلفت العصور ، ومن هنا كانت أهمية القصة للداعية .

فتثبيت العقيدة ، وترسيخ قوائمها في أفئدة المؤمنين من خلال الأحداث القصصية الغابرة من أعظم أغراض القصة القرآنية ، والى هذا

---

(١) هو سعيد بن جبير الوالبي مولاهم ، الكوفي المقرئ الفقيه ، كان عابدا من أئمة العلم ، وكان لا يدع أحدا يغتاب عنده ، وكان أسود اللون ، قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ ، وقالوا : لقد مات سعيد وما على وجه الأرض أحد الا وهو محتاج الى علمه .
(انظر ترجمته في : صفة الصفوة ٣/٧٧ ، تذكرة الحفاظ ١/٧٦ ، البداية والنهاية ٩/٩٦ - ٩٩ ، طبقات المفسرين ١/ ١٨١) .

(٢) هو الحسن بن يسار البصرى ، أبو سعيد امام أهل البصرة ، المجمع على جلالته في كل فن ، وهو من سادات التابعين وفضلائهم جمع العلم والزهد والورع والعبادة ، توفى سنة ١١٠ هـ .
( انظر ترجمته في : طبقات المفسرين للداودى ١/١٤٧ ، وفيات الأعيان ١/ ٣٥٤ ، صفة الصفوة ٣/٢٣٣ ) .

(٣) كتاب القصاص والمذكرين / ابن الجوزى ص ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٤٨ .

يشير قوله تعالى : " وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ " (١) (٢)

فاذا كان الهدف الأول للداعية هو تثبيت العقيدة الصحيحة ونفي الخرافات والأفكار الفاسدة ، فان القصة أكبر معين له على ذلك (وهذا واضح في قصص القرآن ، وما تدور حوله قصص الأنبياء ، وغير الأنبياء ، وذلك بشرح العقيدة وتصويرها وحسن التصرف في عرضها ، قال تعالى مشيرا الى هذا الهدف :

" وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ " (٣)

ولقد كانت عاقبة المكذبين بعد محاولة الرسل في تبليغ الدعوة اليهم ، ومحاولة هدايتهم ، أن حل بهم عذاب الله وبطشه ، كما قال سبحانه :

" فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ " (٤)

ثم يقول الله تعالى معقبا :

" وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ " (٥)

---

(١) سورة هود آية ١٢٠ .

(٢) انظر روائع الاعجاز في القصص القرآني / محمود السيد حسن ص ٦١-٦٣ .

(٣) سورة النحل آية ٣٦ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٣٧-٤٠ .

(٥) سورة العنكبوت آية ٤٣ .

وفي هذا التعقيب ما يدل على هدف القرآن من أمثال هذه القصص وهو تبشير الصالحين وانذار المكذبين والمعاندين ،بل ان الدعوة الى العقيدة الحق وعلى رأسها توحيد الله وحده واخلاص العبادة له سبحانه هو هدف القرآن في قصصه ) (١) لذا كانت القصة من أساليب الدعوة التي يلجأ اليها الداعية في شرح وتثبيت تعاليمه ، بل وبعث الناس على التحقق بها عمليا .

ومن هنا فالقصة في القرآن ( وسيلة للارشاد والايمان والعظة ، وشرح الأوامر والنواهي الشرعية ، وشرح فكرة الحق والتعاون بين الناس كمنهاج قويم في حياتهم ، ومن هنا كانت القصة احدى وسائل القرآن الى غايته ). (٢) واذا نظرنا اليها من ناحية واقعها التطبيقي وجدناها من أفضل الوسائل التربوية التي ربت الجيل الأول معتمدة على قوة تأثيرها في النفوس والذى يقوم على واقعية أحداثها ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب " منهج القصة في القرآن" عن الجيل الأول : ( لقد كان القرآن معهم في العهد المكي ، يصوغ نفوسهم ، وينشيء تصوراتهم ويبني عقيدتهم ، وينقل خطواتهم ، ويخطط لحركتهم ، ويروضهم في محنتهم على الصبر والاحتمال والمغفرة ، ويسكب في قلوبهم الأمن والايمان والثقة ، كما كان معهم في العهد المدني ، كان معهم في الهجرة ، وفي تكوين المجتمع واقامة الدولة ، وكان معهم في كل مشاهد المسيرة في هذا العهد ،

---

(١) انظر بحوث في قصص القرآن /عبد الحافظ عبد ربه ص ٨٩-٩١ .

(٢) روائع الاعجاز في القصص القرآني / محمود السيد حسن ص ٦٣ .

يدلهم على مواضع الضعف والقوة ، ويضع أيديهم على أسباب النصر والهزيمة، ويكشف عن طوايا نفوسهم وخبايا صدورهم ويعالجها علاج العليم الخبير.

وكانت القصة هناك مع الجماعة المؤمنة في كل من العهدين ، تقوم بدورها كاملا كوسيلة من وسائل القرآن في التربية ، تعالج كل ما يتصل بالجماعة المؤمنة في عهديها علاجا فنيا ، ووجدت قلوبا متفتحة ، ونفوسا مقبلة فأدت دورها على أعظم ما يكون الأداء .

ومن هنا ندرك أن قصص القرآن الكريم تربوي في المقام الأول ) (١) بما يحتويه من أساليب للدعوة متعددة بين الترغيب والترهيب ، والبشارة والتخويف والتذكير والانذار ، ( لأنه يجد نفسه أمام أناس ليسوا سواء في ملكاتهم العقلية ، واستعداداتهم الفطرية ، ولا في تصوراتهم وأخلاقهم وطباعهم .

والنتيجة التي تحصل لهم منها هي من تأثير عامل معين فيهم ، وهذا العامل المؤثر يختلف باختلاف الأشخاص والأقوام ، بل يختلف في الشخص الواحد من وقت لآخر ومن هنا يتضح لنا السر في تنوع عوامل التأثير في قصص القرآن تبعا لتنوع الاستجابات في الانسان ، فهو يخاطب العاطفة عن طريق الشعور ، ويقنع العقل عن طريق الحس ، ويجلب الأسماع والقلوب بالتفسير الفني البديع ) . (٢)

ومن هنا تظهر أهمية القصص في الدعوة كوسيلة للتربية ، خاصة

---

(١) منهج القصة في القرآن / محمد شديد ص ٣٢ .

(٢) انظر سيكولوجية القصة في القرآن / د . التهامي نقره ص ٤٢٢ - ٤٢٤ .

وأن قصص القرآن متناسق في منهجه التربوى مع منهج القرآن نفسه ، فهو تطبيق بالمثال الحي لهذا المنهج المتكامل ، ذلك أن القرآن بقصصه ومواعظه وتوجيهاته العقائدية والتشريعية وحدة متناسقة وأن تنوعت طرقه في التبليغ والتعليم قصد الامعان في التأثير ،وتجديد نشاط النفس ، فيتجدد انتقاله في السورة الواحدة من غرض الى آخر ،مع ارتباط وثيق بالمحور العام الذى يجمع تلك الأغراض على اختلافها .

وقد جاءت هذه الأهمية من أن (التجربة التربوية دلت على أن أشد المواعظ الدينية نفاذا الى القلوب ما عرض في أسلوب قصصي يحمل على المشاركة الوجدانية للأشخاص ، والتأثر بالأحداث ، والانفعال بالمواقف.

ان الوسائل والأهداف ترتبط في مناهج التربية ارتباطا متينا فبحيوية العرض في القصة الموجهة وقوة التخييل والتصوير فيها ، وتهيئة اللحظة الحاسمة التي تبلغ فيها حرارة الانفعال النفسي درجة الانصهار.... مثلما يلاحظ ذلك في القصة القرآنية يحصل من التأثر بالتوجيه التربوى ما لا يحصل عند اقحام التوجيه على النفس وهي في راحتها واسترخائها ،أو في انطلاقها وتحررها ) (١) .

ففي قصص القرآن اذن تربية دينية لها أثر عميق في النفوس مصدرها (مصدرها عقيدة تربط الانسان بالخالق،(وتقوم على أساس أن كل خلق كريم هو في ذلك الشعور الباطني وهو الايمان بالله الذى جعل

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٥٤٣- ٥٤٤ .

الكون معرضا رائعا تتجلى فيه حقيقة الألوهية بآثارها وتملأ جوانب الانسانية بآياتها ).[1] ( إلا أنها تعالج مبادئ الاسلام علاجا فنيا )[2] فتؤدى دورها على ثلاث محاور :-

المحور الأول : من ناحية تصويرها للحياة تصويرا عمليا بما تحمله من أحداث هي عبارة عن حياة تبعث فتتفاعل وتتحرك ، وتلد عظات وعبرا فتجعل السامع كأنه يعيشها اللحظة )[3] فهي تعرض لـه - أي للسامع - ( الأشخاص وحركاتهم وأخلاقهم وأفكارهم واتجاهات نفوسهم وبيئتهم الطبيعية والزمنية ، تعرضها عليه بعرض أعمالهم وتصرفاتهم ونقاشهم )[4] في ابداع للتصوير والوصف الدقيق ، والمعاني المعبرة عن خلجات النفس ، والمظهرة للصراع المنسجم مع المغزى .

المحور الثاني : من ناحية أن (النفس تميل اليها ، فغريزة حب الاستطلاع تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق قصصي بارع ، استشرافا لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء ).[5]

المحور الثالث : من ناحية اثارتها للانفعالات الوجدانية في السامعين ، واشاعة اللذة بهذه الإثارة واستجاشة الحياة الكامنة بهذه الانفعالات[6] لما فيها من استهواء للنفوس ، ولما في أسلوبها من

---

(١) انظر بحوث في قصص القرآن ، عبد الحافظ عبد ربه ص٨٧ .

(٢) منهج القصة في القرآن ، محمد شديد ص ٣٢ .

(٣) التصوير الفني / سيد قطب ص١٨٩ .

(٤) انظر تذكرة الدعاء / البهي الخولي ص ٤٥ .

(٥) انظر المرجع السابق ص ٤٥ .

(٦) التصوير الفني / سيد قطب ص١٨٩ .

مسايرة للفطرة ،يستوجب الولوع بها ،والحرص على تحصيلها ، لذا كان لها هذه المكانة الرفيعة في نفوس البشر على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ومللهم ونحلهم.

وبهذه الميزات الثلاث والتي هي من خير الوسائل التي يتوسل بها الداعية لابلاغ تعاليمه الى أعماق القلوب ليصل الداعية الى النتيجة وهي : أن النفوس قد أصبحت أوعية مفتوحة يصب فيها ما يشاء من أفكار ،بعد أن مهد لها في ذلك القلب الذى هو مركز الأمر كله فيبلغ القرار .

وقد أدرك مشركوا مكة هذه الأهمية للقصص ، وفطنوا الى مافيها من تأثير فاستعملوه في مقاومة الدعوة لذلك يقول محقق كتاب " تحذير الخواص " ( القصة سلاح فعال ، اذا أحسن القاص استعماله استطاع أن يحقق كثيرا من الخير والاصلاح ،إلا أن من العجب أن القصة اليوم في الأدب قد أمسك بزمامها -في الغالب - كتاب منحلون معادون للفضيلة وكتاب زائغو العقيدة ،يساريون وشيوعيون وقوميون ووجوديون ،وبذلك أضحت القصة سيفا مسلطا فوق رؤوس أبنائنا ،ومن هنا كان واجبا على أصحاب الطاقات من المسلمين أن يجندوا طاقاتهم لخدمة العقيدة عن طريق القصة ) (١).

---

(١) كتاب تحذير الخواص / السيوطي / مقدمة للدكتور محمد لطفي الصباغ ص ٩ .

ولا بأس أن نستأنس هنا بما أورده ابن هشام (١) في سيرته وهي خير شاهد على الأثر العميق الذى تتركه القصة في النفس حين نجد أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقف موقفا مماثلا لموقف ذلك المؤمن - من آل فرعون - ويقول لطغاة قريش بعض كلماته (فقد روى ابن هشام في سيرته عن ابن اسحق (٢) أن الملأ من قريش وثبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول

---

(١) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى ، نشأ بالبصرة ثم نزل مصر ، ولا يذكر له الرواة حياة في غير هذين البلدين ، كان اماما في النحو واللغة العربية ، كما له أكثر من مؤلف في أكثر من فن ، يطلق عليه رجل السيرة الذى انتهت اليه سيرة ابن اسحاق ، وغلب اسمه عليها فعرفت به ، ففضله فيها لا يقل عن فضل ابن اسحق ، توفي سنة ٢١٨ وقيل ٢١٣ هـ .
(انظر ترجمته في وفيات الاعيان لابن خلكان ١/ ٣٦٥ ، شذرات الذهب لابن العماد ٢/ ٤٥ ، معجم المؤلفين ٦/ ١٩٢ ) .

(٢) هو محمد بن اسحق بن يسار بن خيار المدني القرشي ، مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف عاش حياته بين اغراق في النيل منه ، واسراف في مدحه ، فكما رمي بالتدليس والقدر والتشيع وغير ذلك فقد قال عنه ابن عدى (لم يتخلف في الرواية عنه الثقات والائمة ) اختلف في سنة وفاته الا أنها محصورة بين سنة ١٥٠ وبين سنة ١٥٣ هـ (انظر ترجمته في وفيات الاعيان لابن خلكان ١/ ٦١١ - ٦١٢ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ١٦٣ - ١٦٤ ) .

كذا وكذا ،لِما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ،فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ،أنا الذى أقول ذلك ،قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه . قال : فقام وهو يبكي ويقول :

" أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ " (١) (٢)

الا أنني أرى أنه من تتمة هذا البحث الوقوف أمام بعض ما يروى عن السابقين الذين يذمون القصص والقصاص،أمثال ابن القيم (٣) وابن الجوزى (٤) والمقريزى (٥) .

يقول الامام ابن الجوزى ( ان القصص مذموم والتذكير والوعظ محمودان ) (٦) كما يقول المقريزى (٧) ( ان قصص العامة هو الذى يجتمع فيه النفر من الناس للقاص ، يعظهم ويذكرهم ... قال ( وذلك مكروه لمن فعله ولمن استمعه ) (٨) .

---

(١) سورة غافر آية ٢٨ .

(٢) السيرة النبوية ١/ ٣١٠ .

(٣) ابن القيم في كتابه مفتاح دارالسعادة ٣ / ١٢ .

(٤) في كتابه القصاص والمذكرين .

(٥) في كتابه الخطط المقريزية ٢ / ٢٥٣ .

(٦) كتاب القصاص والمذكرين ص ٥٠ .

(٧) هو تقي الدين ،ابو العباس احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم المعروف بابن المقريزى ،ولد بالقاهرة ونشأ بها ،وتفقه على مذهب أبي حنيفة ،كان مؤرخا ومحدثا ،وناظما وناثرا ،الف كتباً كثيرة حتى قيل أنها زادت على مائتي مجلد ،توفي بالقاهرة سنة ٨٤٥ هـ . ( انظر ترجمته في : الضوء اللامع للسخاوى ٢ / ٢١-٢٥ ، شذرات الذهب لابن العماد ٧ / ٢٥٥ / معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة ٢ / ١١ ) .

(٨) الخطط المقريزية ٢ / ٢٥٣ .

الا أن الامام ابن الجوزى يستدرك على ذلك بقوله وهذا ( - أى القصص - لا يذم لنفسه والقصاص لا يذمون من حيث هذا الاسم لأن الله عز وجل ، قال : " فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ " (١)

وقال : " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ " (٢)

وقال : " إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ " (٣)

ولأن في ايراد أخبار السالفين عبرة لمعتبر ، وعظة لمزدجر ، واقتداء بصواب لمتبع ) فاذا كان القصص صدقا ويوجب وعظا فهو ممدوح ، وانما كره بعض السلف القصص لأن في القرآن والسنة من القصص ما يكفي عن غيره ، وفي ذلك يقول الامام ابن الجوزى : ( انما كان تذكير السلف ووعظهم بالقرآن والفقه ، والتخويف والتشويق ، وانما انكروا الميل الى القصص عن القرآن والفقه ، أو أن يقص من لا يعلم ، ولهذا قال علي - عليه السلام - للقاص : اتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : نعم ، قال : قص ، ولما كان القصص يُشغِل في الأغلب عما هو أهم منه من العلم ، كره ما يشغل عن العلم خلق من السلف ) (٤) وعلى هذا فالقصص المذموم هو:

الخارج عن قصص القرآن والسنة ، وهو ليس بعامة ، وانما الذى يعتمد منه على الكذب والمبالغة ، الشاغل عن قراءة القرآن ورواية الحديث والتفقه في الدين ، المفسد لقلوب العوام.

---

(١) سورة الاعراف آية ١٧٦.

(٢) سورة يوسف آية ٣.

(٣) سورة آل عمران آية ٦٢ .

(٤) انظر كتاب القصاص والمذكرين ص ١٥٧-١٥٨.

وقد أكد ذلك ما أورده صاحب كتاب مفتاح دار السعادة قائلا :

( وقد ورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص ،لأنهم لو اقتصروا على القصص في القرآن لأصابوا ،لكنهم غيروا ،وزادوا ،ونقصوا حتى أن منهم من سمح لنفسه وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ،ويزعم أن قصده منها دعوة الخلق الى الحق ،وهذه من نزغات الشيطان ،فان في الصدق مندوحة عن الكذب ).(١)

ونتفق في الرأى مع محقق كتاب القصاص والمذكرين في رده على الامام " المقريزى " عن قولته في القصص ( وذلك مكروه لمن فعله ولمن استمعه )(٢) والذى قال فيه ما نصه ( فذلك غير صحيح ، فلماذا يكون مكروها ان كان القاص عالما صادقا في قوله ،من أهل البصر والوعي والحماسة للخير ؟ ان هذا الحكم غير صحيح ولو قال : " ان القصص القائم على الدجل والخرافة قصص مؤذ ضار ،وهو مكروه لمن يقوم به ،ولمن يستمع اليه ، لكان كلامه صحيحا ).(٣) الا اني أخالفه الرأى في كونه مكروها بل هو محرم لمن يقوم به ولمن يستمع اليه .

---

(١) ابن قيم الجوزية ٣/١٢.

(٢) الخطط المقريزية ٢/٢٥٣.

(٣) مقدمة تحقيق كتاب القصاص والمذكرين لابن الجوزى / محمد بن لطفي الصباغ ص ٧٣.

# المبحث الثاني :

## عناصر القصة .

١ - الشخصية .
٢ - الأحداث .
٣ - الحوار .
٤ - الزمان والمكان .

## المبحث الثانـــي

## عناصـــر الـقـصـــة

تتكون القصة القرآنية من عناصر القصة بشكل عام ،الا أن القرآن الكريم يبرز عنصرا ما في موضع ما دون بقية العناصر ، لما لهـــذا العنصر من صلة في تحقيق الهدف المقصود من ايراد القصة القرآنية في ذلك الموضع .

ومن هنا لا وجود لكل العناصر في موضع واحد ،وان وجدت فانها لا تتساوى في البروز ولا تنال تركيزا متساويا .

وفي المبحث الذى بين أيدينا سوف نبين - بعون الله - أهـم عناصر القصة بصورة عامة ،وذلك قبل أن نتناول قصص سورة غافر بالدراسة وذلك فيما يلي :

### ا- الشخصية

والتي يقصد بها ( كل شخصية حقيقية أو اعتبارية ،وقعت منهـا أحداث ،وصدرت عنها عبارات وأفكار أدت دورا في القصة كالملائكة والجن والطيور كالهدهد والحشرات كالنملة ثم الأناسي من نساء ورجال ).(١)

والرجال منهم :

أ - رسل وأنبياء كآدم ونوح وهود وصالح .. الخ .

---

(١) انظر الفن القصصي في القرآن - محمد أحمد خلف الله ص ٢٦٥ .

ب - ومنهم أفراد عاديون كموءمن آل فرعون وأخوة يوسف أو ملوك ووزراء كفرعون وهامان.

ويشترك هوءلاء جميعا في أن القرآن لم يقم وزنا لصفاتهم ، وميزاتهم الحسية ولا طول ولا عرض ، ولا لون بشرة ولا ملامح ، ولا قسمات من كل تلك الصفات التي تميز شخصية عن أخرى . وانما الذى نلحظه أننـــا :

أولا : ( مرة نرى عنصر الشخصية يكاد يختفي تماما ويـبرز عنصر الحدث ، وحين يغفل هذا اللون - الشخصية - يغفل معها كـل مقومات التاريخ ،فلا اسم ولا صفات ولا زمان ولا مكان ، انما هو الحدث وحده الذى تسلط عليه جميع الأضواء في القصة ،ليكون التركيز كله في ادراك مغزى القصة ،والتأثر بايحاءات حدثها دون شاغل من شخصية ، ودون التفات الى مقومات تاريخية ،لأن المقصود هو تحقيق الهدف الديني )[(١)].

ولذا ( ينبغي أن لا يعاب على القرآن ذكره الأشخاص والأماكن فيما يقص ، ولا ترك الترتيب بين الحوادث ،فان هذا وذاك من شأن الموءرخ الذى يعنى بالقصص كتاريخ ، لا كعظات وعبر . أما القرآن فليس كتاب تاريخ وانما هو كتاب هداية وارشاد )[(٢)].

ثانيا : ( هناك قصص يهدف به القرآن الكريم الى التأثير بالشخصية ، فهي عنصره البارز فيقدم:

---

(١) منهج القصة في القرآن / محمد شديد ص٧٧-٧٨ .

(٢) انظر تفسير القرآن الكريم / الامام محمود شلتوت الاجزاء العشرة الأولى ص ٤٦ ومابعدها .

أ - نماذج للقدوة ، كما في قصص ابراهيم في سورة الأنبياء والانعام ومريم ، والذاريات ،

ب - أو لعرض مبادىء الدعوة ، وبيان خطوات حركتها وما يحدث في سبيلها من صراع بين القلة المستضعفة من المؤمنين والطغاة وابراز يد القدرة وهي تصنع الأحداث كما في قصة ( موسى ) في سورتي (طه والقصص ) . حيث نراها واضحة وضوحا كاملا بينة المعالم ، بارزة السمات ) . (١) بشخصها واسمها ، ويعلق على ذلك صاحب كتاب ( قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح) قائلا ( لقد شاء الله بذلك أن يبقى القرآن في تقنينه للحياة من خلال البشر والأحداث أفقا تطلع عليه وتظهر شموس ونجوم هؤلاء الأنبياء ، والذين تتمثل في حياتهم ومجاهداتهم سنن الله وقوانينه التي تحكم حياة المجتمعات ، وتتدافع بآثارها حركة التاريخ ، وهم من آدم حتى ، محمد ذرية بعضها من بعض ) . (٢)

الا أن السمة الغالبة على الشخصيات غير المرسلة هي عدم ذكر اسمائهم وقد ( اكتفى - أى القرآن - بالاشارة الى المؤمنين بأعمالهم التي حققوا بها قانون الاستجابة للدعوة الصحيحة ، لقد ذكرهم في جموعهم تحت اسم المؤمنين و ( الذين آمنوا ) كما ذكرهم بأعمالهم ، وأماناتهم وصفاتهم الزكية والتي منها : حبهم لله ، وطاعتهم له ولرسوله

---

( ١ ) انظر منهج القصة في القرآن / محمد شديد ص ٨٠/ ٨١ .
( ٢ ) انظر قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح / موسى سالم ص ٢١٨ .

ويعتهم الحياة والأموال يجاهدون بها في سبيل الله تصديقا بكتبه ورسله وبعثه وحسابه ).(١) وهذا يستوى بالنسبة للشخصيات الخيرة أو الشريرة ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب ( قصص القرآن ) ( لقد حمل قصص القرآن الكريم ذكر هؤلاء الأخيار الأبرار من الأنبياء والمرسلين الذين تكلموا وعلوا بالحق الذى يبقى ويخلد ووقفوا في وجه الباطل الذى يبطل ويتلاشى ، فكيف يكون لهؤلاء ( الاشرار ) الذين ليس لهم في هذه الحياة الا الظل المنحسر ، والوهم الزائل ... خلود بأسمائهم في كتاب الله الا هذه الاشارة اليهم ، وذلك لما اقترفوه من اثم ، وما تشبثوا به من وهم ؟ وهكذا لم نعرف اسم فرعون موسى الذى لم يحمل أكثر من لقب طغيانه ، ليبقى ( الفعل ) أو ( الحدث ) هو الايماءة لبقاء العظة والعبرة . وهكذا فقد ورد ذكر الكافرين الذين عادوا الله والرسل بذكر أعمالهم ، كما ذكرهم بنقائصهم ، وضعفهم ، وحرصهم على الحياة ، كما ورد ذكرهم بمصائرهم المحتومة التي انتهوا اليها في كل الدعوات وفي كل العصور ).(٢) لذا كان (مذهب القرآن في رسمها وتصويرها هو المذهب غير المباشر وهو الذى يذهب فيه القاص الى عرض الشخوص في تفكيرهم وأعمالهم وحركاتهم ، ويترك لنا نحن التعرف عليها من طريقة تفكيرها ونهج أعمالها وشبهات روحها ، حتى لكأنه الشخص الذى نعاشره منذ زمن ، فعرفنا خلقه ومزاجه ، وطوايا عقله وخبايا فؤاده ).(٣)

---

(١) قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح / أحمد موسى سالم ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢١٨ - ٢١٩ ، ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٣) من الوجهة الأدبية في دراسة القرآن الكريم / د. السيد تقي الدين ص ١٨٩.

الا أن صاحب كتاب ( الفن القصصي للقرآن ) أوجد لهذا الأمر - أمر الشخصية في القرآن - تعليلا عاما موحدا فقال : ( ونستطيع أن نذكر حكما عاما فنقول : ان القصص الذى يقصد منه الى التأثير بالأحداث تبرز فيه الحادثة ويختفي ما عداها ، ومما يختفي : الأسماء وصور الأشخاص.

وفي القصص التي يبرز فيها عنصر الحوار ، والتي يقصد منه القرآن الى بث الآراء والأفكار وتقرير الدعوة الاسلامية ثم هدم العقائد الباطلة ومحو أثرها من النفوس يسلك القرآن طريقين :

فهو حينا يهمل الأسماء اهمالا تاما ويكتفي ببعض الصفات العامة وعنصر الشخصية فيه يكاد يختفي لولا بعض الأسماء وبعض الصفات ، وان العنصر القوى الذى يسير جنبا الى جنب مع عنصر الحوار انما هو عنصر الأحداث ، وان يكون العنصر الثانوى ، أما في القصص التي يقصد منه الى التنفيس والافاضة تبرز الشخصية بروزا قويا ) (١).

ومن أجل هذا لم يذكر القرآن اسم ذلك المؤمن في القصة التي بين أيدينا ، لأن البطل فيها ليس مؤمن آل فرعون وحسب ، وانما هو الايمان في ذلك المؤمن ، والذى - ( اعطى برهان القانون التاريخي في قوله وعمله على أن الايمان هو الطريق الصحيح لمسيرة البشر نحو هدف جماعي ونصر محقق ) (٢).

---

( ١ ) انظر الفن القصصي في القرآن / محمد احمد خلف الله ص ٢٧٤-٢٧٧.

( ٢ ) قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح / أحمد موسى سالم ص ٢١٣.

ومن هنا ( فقد اعتمد القرآن في رسمه للشخصيات في القصة القرآنية كلون من ألوان التصوير ).(١) ( يرسل فيها النماذج الانسانية ، متجاوزا حدود الشخصية المعنية الى الشخصية النموذجية لأن وجهته الأولى هي الدعوة الدينية ).(٢)

ومن هذه الشخصيات : شخصية مؤمن آل فرعون ، والتي أشار اليها صاحب كتاب ( القصص في الحديث النبوى ) حين قال ( ان الشخصية لا تثبت وجودها الا من خلال ما تقوم به من أحداث أو ما تؤديه من أقوال ) (٣)

وعلى ضوء ذلك نرى أن مؤمن آل فرعون هو نموذج من المؤمن القوى الشجاع الذكي المتحفظ ، أما كونه مؤمنا فيكفيه في ذلك وصف القرآن له.

وأما كونه قويا شجاعا : فلا أدل على ذلك في وقوفه أمام طاغية زمانه فرعون.

وأما كونه ذكيا : فللأسلوب الذى انتهجه مع قومه ، وللبداية التي طرق بها باب الحوار معهم ، محاولا استدراجهم بخطابه لهم.

وأما كونه حليما صابرا : فظاهر من شفقته ورحمته بقومه ، رغم كل ما قوبل به . بل هو نموذج للمؤمن الحليم الذى نرى حلمه الغالب يستحوذ عليه ويصيره حنانا ورحمة على قومه فينصحهم قائلا : ( يا قوم ) ويكمن السر في تكرار هذا النداء ، المنبعث من أعماقه في

---

(١) انظر روائع الاعجاز في القصص القرآني / محمود السيد حسين ص ١١٩.
(٢) التصوير الفني في القرآن / سيد قطب / ص ٢٠٠.
(٣) القصص في الحديث النبوى / محمد حسن الزير ص ١٨٥.

الحرص الشديد على توجيه قومه الى وجهة التوحيد ، وهي خير وجهة وإذا تتبعنا هذه الشخصية بالفحص الدقيق رأيناها لا تلقى بالا الى ذلك الصد والجحود ، بل تظل محتفظة بحنانها واشفاقها الزائد الذى أهله لكي يكون صاحب سورة غافر كلها ، ثم هاهو يكل أمره ، وأمرهم الى الله ( وأن مردنا الى الله ) ، وقبلها يحذرهم من مثل يوم الأحزاب وانما دفعه الى هذا رحمة أكبر ، فعسى أن يؤمن قومه اذا تذكروا نهاية من مضوا وعلموا أنهم لا بد صائرون الى ما صاروا اليه ، لأن كلمة الله قد حقت عليهم:

" وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ " (١)

وهي نفس النهاية لنفس الحوادث في كل قصة في القرآن .

وهناك العديد من الشخصيات بجانب شخصية مؤمن آل فرعون والتي من خلالها برزت شخصية ذلك المؤمن ، تلك الشخصيات التي وردت بأسمائها الصريحة في سورة غافر التي تتمثل في :

## ( ١ ) فرعون :

وفرعون من تفرعن ، وهو ذو فرعنة أى دهاء ومكر (٢) . ويقال لكل عات جبار فرعون وهو لقب لكل من ملك ، منذ الفترة التي تلت سقوط حكم الهكسوس ، وحتى ولادة موسى عليه السلام ، ثم من بعد ميلاده حتى سقوط امبراطوريتهم في (١٠٥٨) ق.م .

-----------------

( ١ ) سورة غافر آية ٦.

( ٢ ) تاج العروس / الزبيدى ٩/ ٣٠١ .

يقول المسعودى :" سألت أهل مصر عن معنى " فرعون " فلم يخبروني عن معنى ذلك ولا تحصل لي في لغتهم ،فيمكن والله أعلم أن هذا الاسم كان سمة ملوك تلك الأعصار ) .(١)

أما بالنسبة لحقيقة شخصية فرعون الذى عاصر موسى عليه السلام، فقد ذهب فيه الكتاب والمؤرخون الى شعبتين :

تقول الشعبة الأولى ان اسمه الوليد بن مصعب بن السريان .. حتى نوح عليه السلام .(٢)

وتقول الشعبة الثانية : هما اثنان : رعمسيس الثاني (٣) ومنفتاح (٤) ،

---

(١) مروج الذهب ١/٣٦٦.

(٢) مروج الذهب / المسعودى ١/٤٨ ،فتح القدير / الشوكاني ١/٨٢ ،تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير / الرفاعي ١/٥٣ ،دراسات في تاريخ العرب القديم / محمد بيومي مهران ص ٥٧-٥٨.

(٣) وهو أحد حكام مصر والذى يقال انه فرعون الاضطهاد - سخر بني اسرائيل في بناء مدينتي رمسيس وبيتوم على حد زعم التوراة اليهودية.

(٤) وهو ابن رعمسيس الثاني وهو الذى يقال انه فرعون الخروج كان قد شارك أباه في الحكم ابان حياته ثم حكم منفردا لمدة قصيرة لم تزد على العشرين عاما على الأرجح .

لأنهم يعتبرون أن موسى قد عاصر الاثنين ،احدهما اضطهده ، والثاني طارده ففر منه .

وقد احتج كل فريق بمجموعة من الأدلة فيما ذهب اليه ،ولكنني الى هنا وأفضل الوقوف لأنه معلوم أن القرآن الكريم لم يعين في هذه المسألة أسماء ولا لهذه الحوادث زمانا وانما استعمل لفظة فرعون والتي يفهم منها أنها لقب لحاكم البلد وليس المقصود به اسماً معيناً بذاته . وان كنت ارى أنه يُقصد به حاكم معين ،ومما يدل على أنه نفس الحاكم الذى تربى موسى في قصره قوله لموسى ( ألم نربك فينا وليدا . . ) (١) وجواب موسى بقوله ( وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائل ) . (٢)

(٢) قارون :

(وهو قارون بن يصفد بن يصهر ،ابن عم موسى ، وقيل كان عم موسى ،والأول أصح ،فقد روى ابن أبي حاتم باسناد صحيح عن ابن عباس أنه كان ابن عم موسى . كان متكبرا حتى قيل إنه هو أول من أطال ثيابه حتى زادت على قامته شبرا ، طاغيا بكثرة ماله والتي قيل أنها لعظمها جعلت مفاتيح خزائنه من جلود تحمل على أربعين بغلا ،

حسد موسى عليه السلام على نبوته حين قال " ذهب موسى وهارون بالأمر فلم يبق لي شيء" فواطأ امرأة من البغايا أن تقذف موسى بنفسها فالهمها الله أن اعترفت بأنه هو الذى حملها على ذلك ،فخر موسى ساجدا يبكي ،فأوحى الله اليه اني أمرت الأرض أن تطيعك فَأمُرْهَا بما شئت ،فأمرها فخسفت بقارون ومن معه ) . (٣)

---

(١) سورة الشعراء آية ١٨ . (٢) سورة الشعراء آية ٢٢ .

(٣) انظر فتح البارى / العسقلاني الجزء ٦ / ٤٤٨ ،الموسوعة العربية الميسرة باشراف محمد غربال ،ص ١٣٦٠ .

## (٣) هامان :

هو وزير فرعون ومستشاره الأول وأكثر أتباعه قربا منه واطمئنانا اليه ، ويبدو أنه شارك فرعون في لعبة الاستخفاف بالجماهير مشاركة فعالة وقوية والا لما طلب منه ذلك الطلب السخيف في بناء البرج ليطلع الى اله موسى ، قال تعالى :

" وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا " (١)

فكان جزاؤه مشاركة العذاب في الاخرة كما شاركه العناد والكفر كما ورد في مسند الامام أحمد عن عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال ( من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها كان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف" ) (٢) (٣)

---

(١) سورة غافر آية ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) ٢/١٦٩ .

(٣) الموسوعة العربية الميسرة باشراف محمد غربال ٢/ ١٨٨٤ .

## ٢- الأحـــداث

الأحداث : هي الوقائع التي تجرى في القصة ، ويدور حولها عنصرا الحوار والأشخاص حيث الصلة بينهما ( أقوى من أن يدلل عليها ، أو يلفت الذهن اليها ،ذلك لأنهما العنصران الرئيسيان في كل قصة، فنحن لانستطيع أن نتصور شخصا من غير أحداث تلم به ، أو تقع عليه الا أن العنصر البارز في تكوينها هو عنصر الحوادث ، حتى أن الأشخاص قد تبهم ،وتجعل عامة غامضة لكن ذلك لا يدفع الى التسليم بخلو القصة من هذا العنصر مهما يبرز غيره من العناصر ).(١)

وطبيعة الأحداث في القصص القرآني مختلفة يوضحها (السبب الذى من أجله اختيرت هذه الأحداث بعينها دون غيرها ،والقرآن نفسه يدلنا على هذه الأسباب حين يقول :

" وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ "

وحين يقول : " فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ "

وحين يقول : " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ "(٢)

وعلى هذا ( فالقصص ليس الا مشاهد التاريخ في حركة وصور وأصوات ، ليست في حقيقتها - كما تصدر عن المتحركين والمتكلمين في هذا القصص - الا حركة القوانين التي تحكم البشر بمشيئة الله الى غايته ، انها حركـــة

---

(١) انظر الفن القصصي في القرآن / محمد أحمد خلف الله ص ٢٩٠.

(٢) انظر المرجع السابق ص ٣٢٤ ،والاية الاولى في النص من سورة هود آية ١٢٠ والثانية من سورة الاعراف آية ١٧٦ ،والثالثة من سورة يوسف آية ٣.

قوانين وسنن التاريخ المستمرة في البشر - كما أرادها الله بارزة وناطقة في مثال كامل تتحرك فيه الحياة من خلال أشخاص لا يمكن أن ننسى مواقفهم ، لأنهم في جميع كلماتهم وحركاتهم لا يتجاوزون التعبير عن هذه السنن والقوانين التي تنطق منهم الى التعبير عن مشاعرهم الخاصة أو التعرض للتفاصيل التي تنتقص من كمال دلالتهم على قانون بشرى عام يسرى به الزمان والمكان على جميع نوع الانسان ، ولذلك فقد عاشت هذه القصص الصادقة وهي تقتن سنن التاريخ الى اليوم دون أن يطرأ على تأثيرها والعظة بها أى تغيير ).(١)

( ومعنى كل هذا أن اختيار أحداث بعينها من تاريخ هؤلاء الرسل ، أو قصصهم ، كان مقصودا ، وأن هذا القصد لم يكن الا التنفيس عن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، والا خدمة الدعوة الاسلامية)(٢) ومن هنا رأينا اختلاف الأحداث :

١ - ( فهناك ذلك النوع من الأحداث التي يعتبر من الخوارق أو المعجزات ، وهي الأمور التي يجريها الله على يد رسوله أو يحدثها في الكون استجابة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم حين التحدى وطلب البينة .

٢ - وهناك ذلك النوع من الاحداث العادية أو المألوفة التي تقع للأشخاص باعتبارهم أفرادا من الناس يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق ).(٣)

---

(١) قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح / احمد موسى سالم ص ٢١٢ .

(٢) الفن القصصي في القرآن الكريم / محمد احمد خلف الله ص ٣٢٤ .

(٣) من الوجهة الأدبية في دراسة القرآن الكريم / د. السيد تقي الدين ص ١٩٠-١٩١ .

٣ - وهنالك ذلك النوع من الأحداث الذى يكون نتيجة تدخل عنصر القضاء والقدر وهذا واضح في قصة مؤمن آل فرعون ، التي اهتم القرآن بها من حيث تصويرها لتحدث أثرها في النفس وتستثير من الناس الانفعال .

فقد جاء موسى الى فرعون ، فكذبه قومه ، وطلبوا منه أن يأتي بالآيات البينات التي تدل على صدق دعوته وصحة رسالته ، وتأتيهم الآيات ، لكنهم ينصرفون عنها ويظلون عند موقفهم الأول من الكفر والعناد ، بل يصل بهم الأمر الى الحجاج في طلب الايات والمعجزات فتتعقد الأمور التي تصل بهم الى الاجتماع ليتآمروا على قتله ، وعندذلك تظهر يد القدرة التي تفضلت عليه بالاختيار ، فتتولاه بالحفظ على يد ذلك المؤمن الذى نافح ودافع .

وحيث أن الغرض من هذه القصة هو :

١ - تخفيف الضغط العاطفي وتثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، لذا جعل المحور الذى تدور حوله الأحداث هو شخص ذلك المؤمن ، وصورت الحادثة كما وقعت ، فلم تضعف نفسه ولم يوهن عزمه ، وانما مضى حتى كان النصر من عند الله .

٢ - كما أن الغرض من هذه القصة هو التخويف ، فجاءت الحادثة مصورة لتلقي الرعب في القلوب ، وتثبت الخشية في النفوس ، وخاصة ما ورد في نهايتها . ولذلك فقد استعان ذلك المؤمن بالعبارات التصويرية ، والصيغ الدالة على الانفعال ، معتمدا على الألفاظ السهلة اللينة المدعمة بضرب الأمثال .

## ٣- الحـــوار

ان الحوار في قصص القرآن - في ضوء الشمول الالهي ، وسنن الله الهادية - هو ( كلام اوحى الله به على ألسنة الانبياء ليكون في الاخبار عما وقع منهم في مراحل الدعوة السابقة وعصورها تقنينا شاملا للأحداث ودلالاتها في علم الانسان وعلم التاريخ ، حوارا لكل العصور ، ولكل الأجيال والشعوب ، وهو يعلو فوق حدود الزمان والمكان ، ليبقى في سمع الدهر بشيرا ونذيرا لكل من ألقى السمع وهو شهيد ، وهو بهذه الرؤيا العلمية ليس مجرد أحاديث افراد عن الهدى والضلال في نطاق رؤية الفرد كما هو في القصص التاريخي ، وليس هو الصناعة للمواقف وفن تخليق الكلمات كما هو في قصص الخيال ) .(١)

وعلى هذا فالحوار عنصر هام في القصص القرآني ، تأتي اهميته من كون القرآن ( جعل كل قضاياه سبيلها الحوار ، وجعل كل خلافه مع أعدائه ومخالفيه قائما على الحوار ، ولم يجعل من القوة سبيلا قط الى التعامل مع المخالفين ، وانما جعلها عقوبة للمصرين على الباطل بعد سطوع الحق لتكون أيضا وسيلة الى اعادتهم الى الحق ) .(٢)

لهذا نجد كثيرا من قصص القرآن كان الحوار فيه هو العنصر الهام ان لم يكن العنصر البارز وهو موجود على كل حال في كل قصة تعددت شخصياتها كقصة مؤمن آل فرعون التي بين أيدينا .

---

(١) انظر قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح / أحمد موسى سالم ص ٢٢٤- ٢٢٥.

(٢) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم / د. عبد الحليم حفني ص ٥.

( وطريقة القرآن في تصوير الحوار تقوم على أساس الرواية ، فيحكي القرآن أقوال الأشخاص ويصدرها بقوله قال أو قالا أو قالوا ). (١)

( وهذا التصدير يلفت الأذهان الى أمر خاص بالحوار في القصص القرآني هو : أنه ليس من اللازم أن يقوم الحوار بين اثنين فقط فقد يكون بين كثرة ). (٢)

وموضوعات الحوار في القصص القرآني هي موضوعات العقيدة في الغالب والتي قام بسببها الحوار بين النبي صلى الله عليه وسلم وقومه والذى يتحول أحيانا الى جدل عنيف وخاصة فيما يتعلق بأمر الوحدانية والبعث والتي تناولناها بالتفصيل في فصل الجدل من هذا البحث .

وفي حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ، وقد استغرق في أشكال المجاهدة والاصرار ، عرض لذلك الموقف الذى يوجز في أقوال مقننة ، تصادم موقف الدعوة بموقف الرفض ، أما الدعوة ففيها اشفاق وصدق النصح ورجاء الاستجابة وأما الرفض ففيه الاستكبار والباطل بل والتمادى فيه الى درجة الدعوة اليه ، حوار بين الداعية الناطق بقانون الدعوة المضيء ، المنبيء بالواجب حيال الدين الكريم ، وبين قومه الذين تجسد فيهم قانون الرفض المعتم ، أجمله القرآن في موقف واحد لم يتحدد له زمن بموعده أو بداية لموقفه ، هذا الحوار الذى يبدأ بمقدمة التنبيه العقلية الحياديه ، ثم أعقبها التنبيه بالاشارة الأولى

---

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم / د . احمد محمد خلف الله / ص ٣٠٣ .

(٢) من الوجهة الأدبية في دراسة القرآن الكريم / د/ السيد تقي الدين ص ١٩١ - ١٩٢ .

الى حركة التقويم والتصحيح في حياة المدعوين ،الذين كانوا يعرفون الله المنعم عليهم ،الا أنهم يغفلون عنه الى آلهة موضوعة ،وأهواء متبعة فكان هذا النداء " يا قوم " هو الشعاع الأول النافذ من شمس الدعوة لتبدأ الحقيقة الأساسية في شرعية الداعي :"

"يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾" (١)

أى انني أقول لكم هذا وأنا منكم ، فلا سلطان أدعيه عليكم وانما أنا ناصح أمين ، يريد لكم الخير كما يريده لنفسه ،وبناء على هذه الشرعية يلخص لهم ما هم حريصون عليه في كلمات قلائل :

"إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ" (٢)

أما الآخرة فهي دار القرار دار الانتباه والتذكر المتأخر لحق الله ، ثم يطمعهم بعدها بتصوير قيمة العمل الصالح في ميزان الله ،وخسران وأثر السيئة على النفوس لتصحو من غفلاتها .

لقد كان حواره معهم يمثل في المعادلة الدعوية ايمانا وعملا يحدد طبيعة الدعوة الا أن الطابع العام للحوار يظل كما هو في اختلاف العاطفة بين المتحاورين ،فقد بقي المستكبرون على ما عرف عنهم من قسوة وجبروت ومضى ذلك المؤمن يحمل في قلبه المحبة لعشيرته والعمل لنصرة دينه حتى كانت النهاية كما أرادها الله .

---

(١) سورة غافر آية ٣٨ .

(٢) سورة غافرآية ٣٩ .

٤- الزمان والمكان :

عنصر الزمن في القصة بشكل عام له مكانته ، حيث ( تقوم القصة الناجحة عليه ، فتطلع بذلك العنصر في الوقت الذى تستدعيه الأحوال ، كما تبعده عن مجال الرؤية في الوقت المناسب ) . (١)

ومن هنا كان العنصر الزمني في القصة القرآنية لا يجيء الا بحسب مقتضيات الحال ، فحينما يكون له أهمية في رسم الصورة المعطاة فالقصص يجيء به ، وحينما لا يكون له أهمية من ذكره ، أو أن ذكره وعدمه سواء ، فلا يذكر .

وحين نقول ان الزمن لم يجعل محورا دائما ترتبط به أحداث القصة القرآنية ( فليس معنى هذا أن الأحداث لا ترتبط برباط الزمن ، وانما معناه أن تسلسل الأحداث في القصة يخضع للغرض أو المقصد الذى من أجله نزلت القصة ) . (٢)

وكذلك المكان : فهو لا يقل أهمية عن غيره من العناصر ، الا أن الأمر - كما يقول الأستاذ الخطيب - ( لا يلتفت الى المكان ولا يجرى له ذكرا ، الا اذا كان للمكان وضع خاص يؤثر في سير الأحداث أو يبرز ملامحها ، أو يقيم شواهد العبرة والعظة منها ) . (٣)

---

(١) انظر القصص القرآني / عبد الكريم الخطيب ص ٨٢-٨٣ .
(٢) الفن القصصي في القرآن الكريم / محمد احمد خلف الله / ص ٢٩٤ .
(٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ص ٩٢ .

وفي ضوء ذلك وجدنا الحدث في قصة مؤمن آل فرعون - قد عرض مقرونا بالزمان والمكان اللذين وقعا فيهما لأن لهما مجالاً في سير الحادثة فتعلق الغرض بذكرهما كما في قوله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون :

" يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ " (١)

ففي قوله " ظاهرين في الأرض " اشارة الى أرض مصر التي يعيشون عليها ، والتي كانت وقتها ترفل بكل أنواع النعم والنعيم ، والتي تتضح من قول فرعون :

" قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ (٢)

وتحديده بـ" اليوم " فيه تهديد من طرف خفي بأن هذه النعم ، وهذا الملك لن يدوم ان استمروا في غيهم ، وبالفعل فمع ذهاب ذلك اليوم ذهبت النعم ، ثم ( أخذهم الله بنقص في الأموال والأنفس والثمرات فنضب معين النيل ، وغاض ماؤه ، وقصر عن ارواء أرضهم فنقصت ثمراتهم ثم أغرقهم الطوفان من مطر السماء فأضر بما بقي من الزرع والضرع ، ثم زحف عليهم جراد أكل الثمار والأزهار ، واستولى عليهم القمل فأقض مضاجعهم وأقلق رقادهم ، وابتلوا بالضفادع ، وسلط عليهم الرعاف من أنوفهم ثم محق الله أموالهم وأهلكها جزاء خطيئاتهم وكفرهم ).(٣)

---

(١) سورة غافر آية ٢٩.

(٢) سورة الزخرف آية ٥١-٥٣.

(٣) انظر قصص القرآن / محمد أحمد جاد المولى ومجموعه ص ١٤٨.

## المبحث الثالث :

# القصص الذى اشتملت عليه السورة .

وفيه مطلبان

**المطلب الأول** : قصة موسى عليه السلام مع فرعون (دراسة تحليلية) .

**المطلب الثاني** : قصة مؤمن آل فرعون مع فرعون .

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : التعريف بذلك المؤمن .

المسألة الثانية : ذكر منهجه في الدعوة .

المسألة الثالثة : دراسة تحليلية للقصة .

## المبحث الثالث

## القصص في سورة غافر

كان لسورة غافر نصيب من قصص القرآن الا أنه النصيب أو الجانب الذى يخدم المحور العام للسورة كلها ، فكان ذلك الجزء من قصة موسى عليه السلام ، وتلك الوقفة - أمام قصة موء من آل فرعون - ، لذلك نجدنا ونحن نتحدث عن منهج القصة في سورة غافر نتعرض لحقيقتين هامتين هما :

١ - سورة غافر كوحدة متكاملة ذات هدف واحد ، ووسائل متعددة وذات شخصية واضحة ، وسمات مميزة ، موضوعا وتعبيرا ، فهي تعالج موضوعا واحدا ، والقصة هي احدى وسائلها التي تعالج موضوعها علاجا دقيقا .

٢ - سورة غافر في ضوء أحداث السيرة النبوية : هي سورة مكية ، واذا نظرنا الى ذلك العهد - من الناحية الحركية - اذا جاز لنا التعبير وجدنا قريشا تقف من الدعوة في ذلك العهد موقفا عنيدا ، فكذبت النبي ، وقاومت دعوته ، وصدت عن سبيل سماعه ، وعذبت الموء منين ، الأمر الذى جعل الجماعة الموء منة تعيش محنة قاسية متصلة ، ذلك لأنها كانت قلة مستضعفة في مجتمع وثني عنيد ، وفي سبيل دينها لاقت من قريش شتى صنوف الأذى ، وهو أمر شاق عسير على النفوس ، يقتضي تربية عميقة وتثبيتا للقلوب على الدعوة وهذا ما قام به القرآن الكريم ، وكانت القصة أعظم وسائله .

ولقصة موسى في القرآن تاريخ ...

فقد وردت في مواضع شتى منه ، فهي من أكثر القصص تكرارا في القرآن حيث ( وردت في حوالي الثلاثين موضعا أو أكثر ، ومن الملاحظ فيها أن القصة سارت في عدة مراحل ، منها المفصل كما في سورة الأعراف وطه والشعراء ، ومنها ذو اشارة قصيرة كسورة الأعلى والفجر ويونس وفصلت وغافر )(١) ، ومن خلال ذلك قسمت قصة موسى في القرآن الى قسمين :

الأول : ما كان وهو في مصر ، يجاهد فرعون ويجالده .

الثاني : ما كان بعد الهجرة الى الطور ، حيث سار مع بني اسرائيل ، وقد خلصوا من فرعون وجنده ، وفي هذا القسم تلقى الألواح ، وعلم التوراة ولاقى المرارة فيها من بني اسرائيل وضعفهم وتقليدهم ، كما لاقى من قبل الجهاد من فرعون )(٢) .

وقصة موسى في سورة غافر تتناول جانبا من القسم الأول من قصة موسى في القرآن كله ، فاذا كانت سور القرآن قد سلكت سبيل الاطناب في تناولها لقصة موسى عليه السلام فان سورة غافر أوجزت ما أطنبت فيه السور الأخرى فذكرت بداية قصته ، وموقف قومه منه ، وموقفه منهم ، ثم النهاية ، معتمدة في طريقة عرضها وتنسيق حوادثها على تصوير أبرز المواقف في أربعة مشاهد تاركة بينها الكثير من التفصيلات يتصورها الخيال .

---

(١) انظر روائع الاعجاز في القصص القرآني / محمود السيد حسن ص ١٤٦ ومابعدها .

(٢) المعجزة الكبرى / ابو زهرة ص ١٨٠ .

فالمشهد الأول خاص ببداية الرسالة :

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ " (١)

فبداية القصة من حلقة الرسالة مباشرة ، دون ذكر لظروف بني اسرائيل في مصر ، وظروف مولد موسى ونشأته ، وظروف خروجه من مصر الى مدين . وبين هذا المشهد والذى يليه فجوة كبيرة ، اذ نفاجأ في أول المشهد الثاني بردة فعل فرعون ومن معه من اتهام وتآمر ، دون تفصيلات عن عودة موسى بأهله الى مصر ، دون ذكر شيء عن التقائه في مصر ببني اسرائيل ، وتبليغه الرسالة لأخيه هارون ..

وهي تفصيلات غير مذكورة ولكن يمكن تصورها دون اخلال ببناء القصة ، ودون أن ينقص ذلك شيئا من العظة والعبرة .

" فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ " (٢)

فهذا المشهد يمثل فرعون وقد خلص الى ملأ من قومه يأتمرون بموسى ليقتلوه ، فذلك أقرب طريق أمامهم ، وأدنى سبيل لبقاء ملكهم ، بعد أن أعيتهم الحيل ، وسدت أمامهم منافذ الخلاص .

ثم يأتي المشهد الثالث كرد فعل مباشر للمشهد السابق ، والذى يمثل فرعون ومن معه وهم جلوس يقلبون أوجه الرأى اذ دفعت المروءة والشجاعة رجلا أنار الله بصيرته ، وكشف له سبيل الرشد والايمان ،

---

(١) سورة غافر آية ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سورة غافر آية ٢٤ - ٢٦ .

فدافع عن موسى وناضل وجادل ، وبين لهم سوء أمرهم ، وعاقبة تدبيرهم ، وفند حججهم ، وزيف ضلالهم ، وطفق يضرب المثل ، ويتقوى بالحجج ، يقول تعالى : " وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا
أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم
بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا
مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ
يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ
يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ
قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ - - - -
- وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ
هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى
لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ
لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ " (١)

ثم يأتي المشهد الرابع والأخير كنهاية لموقفهم السفيه ، حيث لم يكتفوا بكفرهم بل دعوا ذلك المؤمن الى باطلهم ، فلما عاتبهم ضاقوا ذرعا فناوءوه ، وسفهوه ، وهموا به ليقتلوه :

" فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ
وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ " (٢)

---

(١) سورة غافر آية ٢٧-٤٣ .

(٢) سورة غافر آية ٤٥-٤٦ .

وبهذا المشهد الرهيب المذهل بنجاة المؤمن ، وهلاك الطاغية وجنده تنتهي القصة ، وهي خير نهاية من الناحية الفنية ومن الناحية التربوية سواء بسواء .

ومن هنا ندرك سر اختيار هذه الحلقة من قصة موسى في سورة غافر بالذات .

أولا : لأن هذه السورة سلطت الأضواء على التكذيب ، ومصارع المكذبين ، تحقيقا لهدفها من بث الرعب واشاعة القلق في نفوس طغاة قريش وخاصة ما كان من تعقيب القصة بشأن فرعون وجنده ، وهو تعقيب رهيب يركز الموضوع الرئيسي للسورة ، ويؤكد العبرة المقصودة ، مخاطبا مشركي مكة في وعيد مرعب يزلزل النفوس .

فاذا لاحظنا كما ذكرنا سابقا - أن سورة غافر قد نزلت في العهد المكي حيث كانت الجماعة المؤمنة تمر بمرحلة التكوين والتربية ، وتخوض معركة المجادلة مع طغاة قريش ، وان هذه السورة بما تضمنت من قصص قد جاءت لتصور نفسيات أولئك الطغاة فيمن هم أقوى وأعتى فتبث الرعب والفزع في نفوسهم ، وهم الذين تولوا كبرالمقاومة والجدل ، وتزلزل كيانهم ، وتهون من شأنهم ، ومن قوتهم في نظر المؤمنين و في نفوس أتباعهم ، لا سيما وأن الله قد أخذ من هم أشد منهم قوة اذا لاحظنا كل ذلك ظهر لنا التوافق ، وتوحد الهدف بين المقدمة والقصص ، والتعقيب .

ثانيا : كما جاءت لتثبت الجماعة المؤمنة ، وتسكب في قلوبهم الأمن والايمان والثقة في نصر الله وتأييده لعباده المؤمنين ، وذلك يتضح ضمنا من هذا الجزء من تاريخ الاصلاح في الأرض على يد موسى ومؤمن آل فرعون .

وفي ذلك يقول صاحب كتاب " منهج القصة في القرآن ":

( وترى الجماعة المؤمنة كما يرى طغاة مكة أنفسهم في هذه القصة كما يرون مصير المعركة ، فهي توحي فيما توحي أن طغاة مكة مهما بلغوا من القوة ، ومهما بطشوا بالمؤمنين ، ومهما بلغت مقاومتهم للدعوة فهم ليسوا أقوى من فرعون وملئه ، وأن موقف الجماعة المؤمنة ، ليس أكثر ضعفا وليسوا أكثر تعرضا للأذى من بني اسرائيل في مصر ، وتبرز يد القدرة وهي تصنع الأحداث ليوقن طغاة مكة وتوقن الجماعة المؤمنة أن نتيجة الصراع في القصة ، هي دائما نتيجة الصراع بين الطغيان والايمان ، فهي سنة من سنن الله الخالدة ، فالله تعالى مع المؤمنين ، يدبر لهم ، وينصرهم ، ويهلك أعداءهم في نهاية المطاف ).(١)

والقصة كما نرى لون متميز بما أوردته من تفصيلات جديدة حول قصة موسى بظهور ذلك المؤمن مع تلك الأحداث المختصرة المركزة ، مما جعل لها طعما ومذاقا وتأثيرا مختلفا عما نحسه نحو نفس القصة في مواضع أخرى من القرآن . الا أن حاجتنا الى بسط القول في هذه الجوانب من تلك القصص المذكورة في سورة غافر ماسة كل المساس بموضوع بحثنا في الدعوة ، لما فيها من أفكار غنية ثرة تكتب فيها الأسفار ، والسبيل الى هذا هو التأمل في جوانب القصص المذكورة ، مع اكتساب العبرة وانتهاج الأسوة والقدوة من خلال هذا الجزء من تاريخ الاصلاح في الأرض على يد هذا الرسول الحليم - موسى عليه السلام - وذاك المؤمن

---

(١) محمد شديد ص ٢٤٧

الكريم - مؤمن آل فرعون - اللذين يعلماننا كيف يكون الصبر والمثابرة ومطاولة الشدائد مهما اشتد عودها ، دون يأس ولا تراجع ، فان العبرة في الاستمساك بالأمر ، والتشبث به ، وقبل ذلك الاقتناع أولا بصحة المبدأ ، وأنه على الحق فيما يحاول .

وفي جو هذه الممارسة الدعوية كانت لنا دراسة تحليلية من خلال هذا القصص ، نلمس منها القبسات :

**المطلب الأول: قصة موسى في ضوء سورة غافر :**

قال تعالى :

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ...... "

أما قوله تعالى : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ "

فهذه هي البداية ( هذا هو موقف اللقاء الأول : موسى ومعه آيات الله ومعه الهيبة المستمدة من الحق ، وفرعون وهامان وقارون : ومعهم باطلهم الزائف وقوتهم الظاهرة ومراكزهم التي يخافون عليها من مواجهة الحق ذى السلطان ، عندئذ لجأوا الى الجدال بالباطل ليدحضوا به الحق فقالوا ساحر كذاب ) .(١)

---

(١) انظر الظلال / سيد قطب ٣٠٧٧/٥ .

وهذه الآية ليست هي الأولى التي يتهم فرعون وأعوانه موسى عليه السلام بالسحر والكذب ، فهذا الاتهام له وجود في كثير من المواقف التي سطرت فيها قصة موسى عليه السلام مع فرعون ، قال تعالى :

" قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ
قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ
وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾
فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ
وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ " (١)

هذه الآيات وغيرها كثير تفيد أن ( السحر ليس مجرد ظاهرة موجودة في المجتمع ، بل انه اتجاه يحكم هذا المجتمع ، وعندما يحكم السحر نفهم طبيعة الواقع المعاش في ذلك الوقت ، اذ أن السحر تخيل بتأثير عامل الخوف ، وباستغلال حالة الجهل - وأى منهج يتخيل الانسان أنه سليم بتأثير الارهاب الذى يفرض هذا المنهج من خلال الجهل والضعف يحقق نتائج السحر ). (٢) هذه واحدة .

أما الثانية التي تفيدها الآية : ان الطغاة وأتباعهم يحرصون على ابعاد الناس عن الدعاة الى الله تعالى بالطعن في أشخاصهم وأمانتهم وعقولهم ، وهذا ما فعله اسلافهم مع رسل الله تعالى ، فيعلم الداعية أن هذا شأن أصحاب الباطل اذا جيء لهم بالحجج والبراهين لجأوا الى أضعف الوسائل وأوهنها .. لجأوا الى المهاترات والاتهامات ، فسجلوا على أنفسهم الفرار من مواجهة الحق .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٠٩-١٢٢.
(٢) انظر أصحاب الاخدود / رفاعي سرور ص ١٦-١٩.

وان اولئك الطغاة لن يُخلّوا بينه وبين الناس فانهم يكرهون أن يسمع الناس له ، لا ضدا به ،بل مخافة أن يجد الناس في كلامه وحججه والحق الذى أتى به ما لم يجدوه عندهم ،فهم يؤمنون أنه داعية حق ،وأن داعي الحق لا بد أن يجد بين المحقين أعوانا وأنصارا وليس أمامهم الا اتهامه بالسحر والكذب ( وهي شنشنة قديمة متوارثة بين أهل الباطل ،فلا يستغرب منها الداعي ولا يضيق بها ،وهي في جوهرها لا تتغير ولا تتبدل ،وانما الذى يتغير فيها الأسلوب والكيفية ، قال تعالى : مخاطبا نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم :

" مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ " (١)

والذى قيل للرسل الكرام هو الباطل الذى كان في حق الناس شبهات وقال تعالى : " كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ " (٢)

وقال مشركوا العرب عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

" وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ " (٣)

فالأقوام كلها قبل قريش وبعدها اتهموا الرسل الكرام بالسحر والجنون والكذب ) .(٤)

---

(١) سورة فصلت آية ٤٣ .

(٢) سورة الذاريات آية ٥٣ .

(٣) سورة ص آية ٤ .

(٤) في ظلال القرآن / سيد قطب ج ٥ ص ٣٠٧٧

فاذا فقه الداعي هذه الحقيقة ، ووعاها جيدا ، وصبر على مرارتها حق الصبر ذاق من حلاوة العمل الى جانب الله ما تقطع دونه أعناق الرجال ، فالدعوة جنة حفت بالمكاره ، فان كان للداعية في جنة الدعوة أرب فليتحمل في سبيلها ما حمله الأنبياء والمرسلون والقائمون باصلاح المجتمع الانساني من ريب وشكوك مما قصه الله تعالى علينا في أخبارهم ، فهو ليس بأحسن حال منهم ولا أكثر تأييدا من الله تعالى منهم .

( فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ .... )

---

هذه الآية تجمل تفصيل ما حدث بعد الجدال الذى حدث بين موسى عليه السلام وفرعون وأعوانه ، جاءت بعد أن طوى موقف المباراة مع السحرة الذين آمنوا بالحق الذى غلب باطلهم ولقف ماكانوا يأفكون لتعرض الموقف الذى تلى هذه الأحداث :

( فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ " (١)

انه منطق الطغيان الغليظ الذى يتوسل بأنواع الحيل وصنوف الكيد كلما ظهر بصيص من نور الحق خوفا من أن يجد طريقه في ظلمات النفوس المتعطشة الى النور ، ويكفي النور اذا ظهر أنه نور لا بد أن تستجيب له الفطرة السليمة ، خاصة وانه قد خاض تجربة مع نفوس السحرة الذين أتى بهم فرعون ليحطموا موسى ومن معه فاذا بهم لم يملكوا الا أن يسيروا وراء نور الحق مولين ظهورهم لظلمة الباطل المتمثل في فرعون وأعوانه ، فكانت ردة الفعل كما يحكيها القرآن :

" اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ "

---

(١) سورة غافر آية ٢٥ .

( ولقد كان فرعون - في أيام مولد موسى - قد أصدر مثل هذا القرار وهناك أحد احتمالين فيما حدث بعد ذلك ..

الاحتمال الأول : أن فرعون الذى أصدر ذلك الأمر كان قد مات وخلفه ابنه أو ولي عهده ، ولم يكن الأمر منفذا في العهد الجديد ، حتى جاء موسى وواجه فرعون الجديد ، الذى كان يعرفه وهو ولي للعهد ، و يعرف تربيته في القصر ، ويعرف الأمر الأول بتذبيح الذكور و ترك الاناث من بني اسرائيل فحاشيته تشير الى هذا الأمر ، و توحي بتخصيصه بمن آمنوا بموسى سواء كانوا من السحرة أو من بني اسرائيل القلائل الذين استجابوا له على خوف من فرعون وملئه .

الاحتمال الثاني : أنه كان فرعون الأول الذى تبنى موسى ، ما يزال على عرشه و قد تراخى بتنفيذ الأمر الأول بعد فترة ، أو أوقف العمل به بعد زوال حدته ، فالحاشية تشير بتجديده ، وتخص به الذين آمنوا مع موسى وحدهم للارهاب والتخويف ) (١) .

واذا تساءلنا ما السر في ذلك كله ، وما وراء ما يحدث ؟

علمنا أن السر في ذلك : ( أن حقيقة دين الله الذى بعث به عامة أنبيائه ورسله انما هي الخروج عن سلطان الناس وحكمهم الى سلطان الله وحكمه وحده ، و هي حقيقة تخدش أول ما تخدش ألوهية المتألهين و حاكمية المتحكمين ، وسطوة المتزعمين ، فيكون رد الفعل أمام الدعوة الى الله وحده هو المكابرة والعناد من أولئك المتألهين والمتحكمين ) (٢) .

---

( ١ ) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب ٥/٣٠٧٧ - ٣٠٧٨ .
( ٢ ) فقه السيرة النبوية / البوطي ص ٧٨ .

وهذه الحقيقة هي التي أدركها الرجل العربي -بفطرته وسليقته - حين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله : ( هذا أمر تكرهه الملوك ) وقال له رجل آخر من العرب ( إذاً تحاربك العرب والعجم ) .

وهذا يؤكد لنا : ( أن أعداء الدين يعرفون مواقع القوة في طبيعة الدين وحركته ، وهم الذين يقول الله تعالى فيهم :

" ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ " (١)

لم يفتهم أن يدركوا أن التجمع على أساس العقيدة سر من أسرار قوة هذا الدين ، وقوة المجتمع الاسلامي الذى يقوم على هذا الأساس ، ولما كانوا بصدد هزم ذلك المجتمع أو إضعافه الى الحد الذى يسهل عليهم السيطرة عليه ) (٢) ، لما كانوا بصدد تلك المعركة مع هذا المجتمع ، لم يفتهم أن يوهنوا من القاعدة التي يقوم عليها ، أو يهدموا بالقتل والازهاق .

ومن هنا فعلى الدعاة أن يدركوا أنها لم تكن فلتة عابرة أن يهاجم فرعون وجنده موسى ومن معه تلك الهجمة الشرسة ، ولم تكن فلتة عابرة أن يقف منهم تلك الوقفة العنيدة ، ولا أن يحارب دعوتهم تلك الحرب الجائرة والتي تهدف لاستئصال شأفتها ، وانما هي طبائع الأشياء :

١ - من ناحية أولى هي طبيعة الاصرار على اقامة دين الله في الأرض واخراج الناس كافة من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، وتحطيم الحواجز المادية التي تحول بين الناس كافة وبين حرية الاختيار الحقيقية .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٤٦ .

(٢) طريق الدعوة في ظلال القرآن لأحمد فائز ١/ ٧٦ .

٢ - ومن الناحية الثانية هي طبيعة التعارض بين منهجين للحياة لا التقاء بينهما في كبيرة ولا صغيرة ،فأصحاب المناهج الارضية يحرصون على سحق المنهج الرباني الذى يتهدد وجودهم ومناهجهم قبل أن يسحقهم ،فهي حتمية لا اختيار فيها في الحقيقة لهؤلاء ولا هؤلاء وكانت هذه الحتمية تفعل فعلها على مدى الزمن ،وتتجلى في صور شتى تؤكد أصلها ، وهذه الظاهرة يقررها الله سبحانه :

"وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟" (١)

كما يقول سبحانه : "وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ" (٢)

قال تعالى : "وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾" (٣)

ومقابل اقتراح أعوان فرعون حول قتل أبناء الذين آمنوا واستحياء نسائهم ، فقد كان لفرعون فيما يبدو رأى آخر أو اقتراح اضافي أثناء ذلك التآمر ، هو أن يتخلص من موسى نفسه ليستريح منه ومن دعوته .

(ويبدو من قوله : "ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ"

أن رأيه هذا كان يجد ممانعة ومعارضة من ناحية الرأى ،وان كان لا يبعد أن هذه الكلمة الفاجرة من فرعون كانت تبجحا واستهتارا لقي جزاءه في نهاية المطاف كما نعلم .

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٧ .

(٢) سورة البقرة آية ١٠٩ .

(٣) سورة غافر آية ٢٦

ولعل من الطريف أن نقف أمام حجة فرعون في قتل موسى :
"إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ" (١)

فهل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال الوثني عن موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم " اني أخاف .." أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح ؟

أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل ؟

أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث لاثارة الخواطر في وجه الايمان الهادئ ؟

انه منطق واحد ، يتكرر كلما التقى الحق بالباطل ، والايمان والكفر ، والصلاح والطغيان على توالي الزمان واختلاف المكان ، والقصة قديمة مكررة تعرض بين الحين والحين ) (٢) فالطغاة وأعوانهم ( لا يكتفون بالقوة والبطش والتخويف لصد الجمهور عن دعوة الحق ، وانما يسلكون معهم سبيل الشبهات ، وهذه الشبهات أنواع كثيرة منها : أنهم يريدون حماية عقيدة الناس ومصالحهم ، ودفع الفساد عنهم ، قال تعالى "وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦" ومنها أن الداعي الى الله يريد تغيير عقائدهم وتقاليدهم الموروثة ، وأن ما جاء به بدعة مضرة ودعوة مفرقة ، ما سمعوا مثلها من قبل ، وأنها تؤدى الى الفساد في الأرض ، فيجب أن يقاوم الداعي ودعوته ، ويمنع

---

(١) سورة غافر آية ٢٦ .

(٢) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب ٥/٣٠٧٨ .

من الاستمرار فيها ، لأنّ أهل الباطل يقيسون أهل الحق بموازينهم المعوجة ويحسبون أن غرض الدعاة الى الله هو غرض أهل الباطل ،من طلب العلو في الأرض والتسلط على رقاب الناس ، كما قال فرعون وملؤه لموسى :

"قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ" (١)

وكما قال في قصة موسى عليه السلام :

"وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾" (٢)

وهذه الشبهات على بطلانها فانها تؤثر في الجمهور لأنّ من يسمع دون وعي وفهم يضل ،ولأنّ الطغاة وأعوانهم يلقونها بأسلوب ناعم مزخرف ليزيدوا من تضليلهم واغرائهم للجمهور اما بالمال أو اخافتهم لهم بالقوة ،والانسان بطبعه يحب الحياة والتمتع فيها ،ويخاف الأذى والحرمان فتجتمع هذه الشبهات مع هذه الغرائز الانسانية فيقع التأثير ولا ينجو الا من رحم الله ). (٣)

انه منطق الطغاة الذين يغيرون مسميات الأشياء ويقلبون الحقائق، لقد اصبحت الدعوة الى رب العالمين وحده افسادا في الأرض ، انها عبارة حاول فرعون بها أن يسرق ما كسبه موسى من تقدير في نفوس الناس (وهذا مايصنعه الذين لا يريدون الاعتراف بالحق فيفسرونه بأى شيء غير الحق ) (٤) انها نفس الحرب ( التي ابتدأت مع النبوة والرسالة منذ

---

( ١ ) سورة يونس آية ٧٨ .

( ٢ ) سورة الاعراف آية ١٢٧.

( ٣ ) انظر اصول الدعوة / عبد الكريم زيدان ص ٣٨٠- ٣٨١ .

( ٤ ) أصحاب الاخدود /رفاعي سرور ص ٥١ .

أقدم الأزمنة ، ما زلنا نعيش امتدادها ،فمنذ نوح عليه السلام نجد الحرب المسعورة ضد دعوة الله وهي ماضية مع الأيام ، وكأننا نرى اليوم أساليب الكفار القديمة ماثلة للعيان ، حية عاملة ،ولم تستطع الحضارات الكافرة بكل طلائها ومساحيقها وتمويهها أن تخفي معالم الشبه والتماثل ، ولم تستطع حضارة القرن العشرين كذلك أن تفعل ) .(١)

قال تعالى :(وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٢٧ )(٢)

من هنا يتجلى واضحا ما يجب أن يعول عليه كل مصلح وهو الاعتماد على الله وحده وعدم المبالاة بشيء غيره ز وهذه هي الاستعاذة التي وردت على لسان موسى عليه السلام وقال موسى :

" وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٢٧ "

هي الاستعاذة التي ( يلتجيء بها الى الركن الركين ، والحصن الحصين ،لائذا بالجناب الذى يجير المستجيرين .. قالها موسى واطمأن وسلم أمره الى المستعلي على كل متكبر ،القاهر لكل متجبر ، القادر على حماية العائذين به من المستكبرين ، مشيرا الى وحدانية الله ربه وربهم لم ينسها أو يتركها أمام التهديد والوعيد )(٣) وهذا هو التفويض الذى ورد على لسان مؤمن آل فرعون :

" وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٤٤ "(٤)

والاستعاذة والتفويض هما دعامتا الصبر وعماده وركيزته .. بها يرسم

---

(١) دور المنهاج الرباني في الدعوة الاسلامية /عدنان النحوى / ص ٢٤٣ .

(٢) سورة غافر آية ٢٧ .

(٣) في ظلال القرآن / سيد قطب ٥/ ٧٨ .

(٤) سورة غافر آية ٤٤ .

للمؤمن طريق النصر والغلب ، ناسيا كل عناء ووصب ، بهما يلجأ الى مأمن أمين ، فلا يبالي إذاً بما يلقى من عنت ، ومشقة ، وما يعترضه من شدة وقسوة ، لأنه يعلم أن الله يدبر أمره ، وأنه لا محالة محقق وعده ونصره ، وما كان الله ليذر نصيره أو يسلم عبده ورسوله مهما طال المدى وامتد الزمن ، وإنْ بَطَشَ فرعون وأعوانه وأتباعه وطغوا الا أن الله أخذهم أخذ عزيز مقتدر :

" فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ " (١)

وفي ذلك العبرة لكل مصلح مؤمن أن يعتز بالله ولا يبالي !!

ومن هنا نرى أن الآية توحي بثلاث نقاط :

١ - الاستعاذة والتفويض وهما أكبر ملجأ يعتصم به الداعية .

٢ - كلمة ربي وربكم معناها أن الداعية يعيش وفي حسه ووجدانه معنى وحدانية الله .

٣ - ان الكبر والبعد عن الحق يكون نتيجة عدم الايمان باليوم الآخر لأنه لو كان مؤمنا بها لهاب أن يتكبر .

( وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ )

هنا نجد نموذجا لبطانة السوء التي يهمها أن تبقى الأوضاع التي

---

(١) سورة غافر آية ٤٥ - ٤٦ .

يستفيدون منها وينعمون فيها ،ومثلهم الواضح هامان وسحرة فرعون يقودهم ( الشيطان القائم على أمر الجاهلية بأجيالها الممتدة حيث أن الشيطان يعرف تجربة الوجود الانساني كله من بدايته ،والتي يستطيع بها ربط الأجيال الجاهلية كلها جيلا بعد جيل ليستهلك تلك الأجيال كلها باستمرار الفساد وبقائه ، وبهذا يجب أن ندرك خطورة الوجود الجاهلي باعتباره وجودا ممتدا وخطورة التفسير الذى يعطيه الجاهليون لبقائهم في أجيال متعاقبة ).(١)

---

(١) أصحاب الأخدود / رفاعي سرور / ص ١٩.

## المطلب الثاني : قصة مؤمن آل فرعون مع فرعون .

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : التعريف بذلك المؤمن.

المسألة الثانية : ذكر منهجه في الدعوة .

المسألة الثالثة : دراسة تحليلية للقصة .

## المطلب الثاني : قصة موء من آل فرعون مع فرعو ن .

### المسألة الاولى : التعريف بذلك الموء من

هو شخصية برزت في طريق الدعوة الى الله لتكون ملء سمعها وبصرها وملء أرجائها وأجوائها ،لتجعل منها حياة نابضة مخضرة نضرة، لا تقاس بالزمان ولا عبرة بالمكان ، وانما وقوفنا أمام طود شامخ لا نرجو للأمة خيرا منه ،فالدعاة في الأمم كثيرون ولكن الرجال منهم قليل ،انما ينفع الأمة ويضطلع بخطوبها ويحمل أعباءها على عاتقه : الرجل الذى يشعر من نفسه بأنه ينزل منها منزلة المسئول ، ويسعى لها سعي الكادح المجد ، يحتمل مغارمها و يغتفر عبث عابثيها ،وجهل جاهليها من حيث لا يمن عليها بذلك ، ولا يطلب عندها جزاء ولا أجرا .

من هنا رأينا موئمن آل فرعون يعيش و حقيقة الايمان كامنة في سويداء قلبه ،وهي أعمق مكانا ،وأدق مسلكا من أن تتناولها تهديدات فرعون ، لأن ايمانه كان حالا قائمة بنفسه تمنعه من أن يسكت أو يكاتم ايمانه، لأن ايمان الروح أساس ايمان الجوارح ،فايمان الجوارح تابع لها وأثر من آثارها ،اذاً لا بد أن يجهر بايمانه مدافعا ،خاصة وهو يرى دينه فريسة في يد من يريد تمزيقه محاولا ايقاف تلك الأيدى الممتدة اليه ، واقفا بينهم ،جاعلا من حياته فداء لدينه ،فكان فتى الفتيان همة ونجدة، ونادرة الرجال عزة واباء.

وكشف بجهره لدعوته عن نجم تلألأ في سماء حياة الدعوة ،يُعلم الدعاة من بعده كيف تُفتَح بالكلمات أقفال القلوب ثم تنزل فيما تشاء منها المنزلة التي تريدها .

كشف بجهره لدعوته عن رجل كالشامة بين أناس قد فترت هممهم، ووهنت عزائمهم وماتت في نفوسهم الحفائظ والغير، حتى اذا رأوه قائما يدعو الى دينه انقسموا الى قسمين :

قسم يحرض عليه السلطان متنكرا له، وقسم ينظر عن كثب ماذا يفعل له السلطان، فاذا بنا أمام داعية يملك نفسا هادئة مطمئنة، قادرة على الروية والأناة والمقارنة والمقابلة، والوزن والتقدير بالرغم من تهديد فرعون الشديد بالصلب والتقطيع .

وبذلك قدم لنا القرآن مثالا مشرفا في الدعوة الى الله جاء من غير الرسل والأنبياء يجد فيه أولو الألباب مواطن للعبرة تملأ القلب يقينا بحيوية المثل التي يدعو اليها الدين، حيث لم تكن فكرا نظريا بعيدا عن الواقع المشاهد الملموس .

هذا هو مؤمن آل فرعون في عالم الدعوة الى الله .

فاذا أردنا أن نعرفه في عالم الأعلام والأنساب فيستدعينا المقام الحديث عن جانبين اسمه، ونسبته .

أولا - اسمه :

المشهور أنه قد اختلف في اسم هذا الرجل فلم يحدد له اسم (١)، ففي الوقت الذى يجزم فيه ابن التين أنه يوشع بن نون، نجد الامام العسقلاني يرد ذلك بقوله : وهو بعيد لأن يوشع بن نون كان من ذرية

---

(١) وردت معظم هذه الأسماء في فتح البارى / العسقلاني ج٦ كتاب ٦٠ "أحاديث الأنبياء" باب ٢٣ "وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه".

يوسف عليه السلام ولم يكن من آل فرعون " .

وقيل هو " حبيب النجار " وقد رد ذلك الامام العسقلاني أيضا بقوله " وهو غلط " .

وعن ابن عباس أن اسمه " حبيب " وهو ابن عم فرعون ، وذكر الوزير أبو القاسم المغربي في " أدب الخواص " أن اسم صاحب فرعون هو " حوتكه بن سور بن أسلم من قضاعه ، وعزاه لرواية أبي هريرة . وعن الطبرى أن اسمه حيزور ، وقال وهب بن منبه ان اسمه "حربيال" ، وقيل : حابوت ( وقد أورد الطبرى في تاريخه أن اسمه خبرك )(١) ( وقد ورد عن الزمخشرى أن اسمه : سمعان ، وقيل خربيل أو حزبيل ، وقيل حزقيل برحابا ، ذكره الثعلبي عن ابن عباس وأكثر العلماء )(٢) ، (وقيل هو جبريل )(٣) ، وذهب الدارقطني الى أن اسمه " شمعان " بالشين المعجمة ، حين قال في " المؤتلف " لا يعرف " شمعان " بالشين المعجمة الا هذا ، وصححه السهيلي حين قال : وهو أصح ما قيل فيه )(٤) .

الى من ينسب ؟؟

الاختلاف واقع ، هل كان هذا الرجل قبطيا من قوم فرعون أو اسرائيليا ؟؟

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ١/٣١٠ . (٢) الكشاف ٣/ ٤٢٤ .
(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ١٥/ ٣٠٦ .
(٤) انظر فتح البارى / العسقلاني جـ ٦/ ص ٤٢٨ ، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٠٦ .

أولا : قال الحسن و مقاتل والسدى : " كان قبطيا من قوم فرعون بل وهو ابن عم فرعون ( غير أنه كان قد آمن بموسى ، وكان يسر ايمانه من فرعون وقومه خوفا على نفسه )[١] وعلى هذا ف " من " في قوله تعالى : " وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ "[٢]

عندهم متعلقة بمحذوف صفة لرجل ، والتقدير : وقال رجل مؤمن منسوب من آل فرعون أى من أهله وأقاربه )[٣] يقول الامام الطبرى ( فمن قال هذا القول ، وتأول هذا التأويل ، كان صوابا الوقف اذا أراد القارئ الوقف على قوله " من آل فرعون " لأن ذلك خبر متناه قد تم )[٤].

وهو الذى نجا مع موسى ، وهو المراد بقوله تعالى :

" وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ "[٥]

وهذا ما أورده ابن كثير في تفسيره ، والقرطبي في جامعه ، والعسقلاني في فتح البارى وقد ردوه الى ابن جرير الذى زاد على ذلك ما نصه :

( عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون والذى قال :

" يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ "[٦]

رواه ابن أبي حاتم )[٧] وزاد القرطبي في جامعه أنه " روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الصديقون : حبيب النجار مؤمن آل يس ، ومؤمن آل فرعون الذى قال : اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، والثالث أبو بكر الصديق وهو أفضلهم ".[٨]

---

( ١ ) تفسير الطبرى ١٢/٥٧.
( ٢ ) سورة غافر آية ٢٨.
( ٣ ) فتح البارى / العسقلاني ٦/٣٠٦-٣٠٧.
( ٤ ) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ١٢/٥٨.
( ٥ ) سورة القصص آية ٢٠.
( ٦ ) سورة القصص آية ٢٠.
( ٧ ) تفسير القرآن العظيم ٤/٧٨ ، الجامع لأحكام القرآن ١٥/٣٠٦ ، فتح البارى ٦/٤٢٨.
( ٨ ) الجامع لأحكام القرآن ١٥/٣٠٦.

ثانيا : قيل أنه كان من بني اسرائيل ولم يكن من آل فرعون ، وحجة من قال ذلك : ان في الآية تقديما وتأخيرا ( فـ " من " متعلقة بـ " يكتم " في موضع المفعول الثاني لـ " يكتم " )[١] والتقدير : وقال رجل مؤمن من بني اسرائيل يكتم ايمانه ،يقول الامام الطبرى ( والصواب على هذا القول لمن أراد الوقف أن يجعل وقفه على قوله " يكتم ايمانه " لأن قوله " من آل فرعون " صلة لقوله " يكتم ايمانه " فتمامه قول " يكتم ايمانه )[٢].

وقد أورد ابن كثير في تفسيره والقرطبي في جامعه أن ابن جرير رد هذا القول ،كما قال الامام الشوكاني أنه خلاف لما في الآية ثم أوردوا قول القشيرى والذى نصه ( ومن جعله اسرائيليا ففيه بعد :

أ - لأنه يقال : كتمه أمر كذا ولا يقال كتم منه ،كما قال سبحانه : " وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ "[٣]

ب - وأيضا ما كان فرعون يحتمل من بني اسرائيل مثل هذا القول )[٤] خاصة ( وأن فرعون انفعل لكلامه واستمعه وكف عن قتل موسى عليه السلام ،ولو كان اسرائيليا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة لأنه منهم )[٥].

---

( ١ ) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ١٥/٣٠٧.

( ٢ ) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ١٢/٥٨.

( ٣ ) سورة النساء آية ٤٢.

( ٤ ) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٧٨ ،الجامع لأحكام القرآن ١٥/٣٠٧ فتح القدير ٤/٤٨٨-٤٨٩.

( ٥ ) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤/١٧٨ ،فتح البارى / العسقلاني ٦/٤٢٨.

يقول الامام الطبرى ( وأولى القولين في ذلك بالصواب عندى ، القول الذى قاله السدى من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون ، قد أصغى لكلامه ، واستمع منه ما قاله ، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله ، وقيله ما قال .. ولو كان اسرائيليا لكان حريا أن يعاجل هذا القائل له ، ولطئه ما قال بالعقوبة على قوله ، لأنه لم يكن يستنصح بني اسرائيل لاعتداده اياهم أعداء له فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد اليه سبيلا ، ولكنه لما كان من ملأ قومه استمع قوله ، وكف عما كان هم به في موسى ) .(١)

---

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ١٢/٥٨ .

المسألة الثانية : منهجه في دعوته لقومه

من منطلق أن على الداعية الالتقاء بالانسان في قواه المختلفة والتعامل معها جميعا، كانت هذه القصة من ذلك المؤمن، والتي توجهت الى كل منافذ التأثير في قومه، والتقت بكل قواهم المختلفة، مستمدة تأثيرها من روافد عدة تجمعت في ذلك الأسلوب الذى منحه القدرة على التأثير :

١ - تأثير باتجاهه الى العقل والتعامل معه لما له من قوة الادراك والتمييز .

٢ - تأثير باتجاهه الى العاطفة والتعامل مع الوجدان باعتباره وعاء الأحاسيس والمشاعر التي تنشأ من التأثير بما يسر و يؤلم وذلك بتصويره للمشاهد والحوادث، ورسمه للشخصيات وملامحها والتركيز على غريزة حب الاستطلاع في النفس البشرية حين تستحوذ على مشاعر السامعين .

٣ - تأثير بالاتجاه الى الارادة والتعامل معها باعتبار ما تتخذه من قرارات هي النتيجة النهائية لاستجابتها أو رفضها للدعوة .

وبتفصيل أكثر لذلك المنهج : نجد أن ذلك المؤمن اعتمد على العقل، الأمر الذى جعله واضحا في بدايته مع قومه متجها الى ابراز الحجة والمنطق العقلي، متابعا التسلسل المنطقي مهما بلغ من صور الافتراضات التي تتنافى مع ما يعتقد به . ثم اننا نجده يقول لهم :

" وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ " (١)

---

(١) سورة غافر آية ٢٨ .

والمفترض أن يصيبهم كل الذى يعدهم الا أن الغرض هو التجرد ونفي وجود أى مؤثر على جو المناقشة غير العقل ، وهذا يدل على ثقة ذلك المؤمن برسوخ مبادئه وموافقتها لكل العقول ، ويتضح ذلك من خلال اعلان المساواة بينه وبينهم حيث نلمس من خلال النقاش اشعاره لهم بمساواتهم له وهذا أبلغ في التأثير حين يشعر المدعو أنه مساو لمن يدعوه وأن من يدعوه هوالذى يشعره بذلك رغم أن كل الدلائل توحي بغيرهذه المساواة .

ومن هنا نلمس أن مؤمن آل فرعون خاطب العقل في البداية ليؤدى دوره المأمول منه ، فهو بعد تقسيم الأمر أمامهم ، ان عجزعن الوصول بهم الى اليقين من عدم قتل موسى بل والايمان به - فبها ونعم - والا فانه لن يعجز عن الوصول بهم في تلك البداية الى الظن المرجح والى ادخال المسألة في نطاق الممكن الذى لا يجب رفضه .

ثم عدل بهم من الخطاب العقلي الى الجانب الوجداني متنبها الى أنه يخاطب جماعة وليس فردا واحدا ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب أسلوب الدعوة القرآنية ( الفرد في جماعة يواجه واقعا يُحدث في طبيعته بعض التعديل ، حيث ينشط جانبه الوجداني بسبب تفاعله مع الجماعة واستهوائها له وسيطرة روحها العامة على ملكاته الخاصة ) .(١)

ومن هنا وجدناه ينتقل بهم من أسلوب الى آخر في إحكام واتصال مما لا تشعر معه عند قراءة الآيات بفرجة أو انتقال ، وهو من أظهر الخصائص في أسلوب الداعية ، فبعد أن علل طلبه بعدم قتل موسى نجده

---

(١) أسلوب الدعوة القرآنية / عبد الغني بركه ص ٣١ .

ينتقل من ذلك التعليل الى هذا النداء " يا قوم " ليصل بهم الى الايمان ، بروح الشفقة التي تظهر وكأنها خلق متكامل يمسك بعضه ببعض .

وبعد أن بدأ حديثه معهم بذلك التقسيم الذى يحكمه طابع الاستدراج والذى يحمل جو الاطماع والكسب الذى هو لغة التفاهم السائدة لديهم ، ذكرهم بنعم الله عليهم ، وقد يقال : أى ربط بين ذلك التقسيم : " وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ " (١)

وبين قوله : " يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ " (٢)

والواقع أنهم اذا لم يستجيبوا فالمانع هو الخوف على ماتحت أيديهم من جاه وعز ، خاصة وأن المخاطبين معظمهم من بطانة فرعون وجنوده ، لأن الشعب كما يظهر لا حول له ولا قوة ، فذكرهم بهذه النعم التي هم فيها ، وأن مالكها هو الله وليس فرعون ، وكما منحها لهم فسيحرمهم منها ، ثم ذكر بعدها قوله :

" وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ " (٣)

فاذا كان بذهنهم ذرة من استبعاد نسجها النعيم الذى يعيشون فيه فليس ببعيد عنهم ما صار للأقوام من قبلهم ، خاصة وأنهم وان لم يكونوا قد شاهدوا فقد سمعوا بهم .

-------------------

(١) سورة غافر آية ٢٨ .

(٢) سورة غافر آية ٢٩ .

(٣) سورة غافر آية ٣٠-٣١ .

ولم ينقطع بذلك حديثه لهم بل ذكرهم بأنه الآن يناديهم وغدا هم الذين ينادون فلا يستجاب لهم . فاذا عدنا الى قوله :

(١)
" ويَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ "

وجدنا استفهاما يفيد التعجب الانكارى من حالهم كيف يدعونه هذه الدعوة الصريحة الجريئة الى النار ، وقد تحرى ذلك المؤمن أسلوب الرحمة واللين : " وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ " (٢)

ذلك لأنه لما أراد الانتقال من بيان حالهم في دعوتهم له الى ذكر صفات الله تعالى قال :

(٣)
" تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ "

فانتقل بطريق جحد العلم عن نفسه لابطال دعوتهم ، ودحض صورة شركهم ، واثبات وحدانية الله تعالى .

وقد تدرج بهم من الحديث عن موقف الأمم السابقة المكذبة الى الأمم اللاحقة من دعوة أنبيائهم ورسالاتهم الى قصة يوسف عليه السلام ، الى موقفهم من موسى ، وهذا الأسلوب يعد من أساليب حسن التخلص ، وحيث قصد الى التخلص فلا بد من التوطئة له بقوله :

(٤)
" إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم "

ثم تناول بعد ذلك تفصيل الأمر الذى يخاف عليهم منه فهو :

(٥)
" مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ "

---

(١) سورة غافر آية ٤١ .

(٢) سورة غافر آية ٤٢ .

(٣) سورة غافر آية ٤٢ .

(٤) سورة غافر آية ٣٠ .

(٥) سورة غافر آية ٣٠ .

وهم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم.

والناظر الى أسلوب مؤمن آل فرعون في خطابه لقومه يجده أحيانا .

١ - يكون بالاستفهام ،والاستفهام أحيانا يكون للتقرير ،وأخرى للتوبيخ وثالثة للتنبيه .

٢ - وأحيانا يكون الكلام توجيها يدعو الى التأمل والتفكير .

٣ - وأحيانا يكون تهديدا تضطرب له القلوب وتفزع .

٤ - وأحيانا يكون ايجازا ليس فيه اخلال .

٥ - وأحيانا يكون اطنابا وتكرارا لا حشو فيه.

وكل ذلك في أسلوب مناسب بحيث يتكون من الجميع صورة للداعية في ألفاظه وسلوكه ،لا ينبو في لفظ أو سلوك .

المسألة الثالثة : دراسة تحليلية دعوية للقصــــة

( وَقَالَ ... )

١ - هذه اللفظة تدل على الشعور الذاتي بالمسئوليــة ، والاستعداد الكامل لتلبية حاجات هذه المسئولية ، سواء من الجهد ، أو من النفس ، تحت قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقول تعالى :
" لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ " (١)
ثم يقول مرغبا ومرهبا :
" فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ " (٢)
وفي ذلك عبرة لمن لا ينظر لأبعد من نفسه.

٢ - كما أنها ترسم الصعوبة الكبيرة التي يعانيها المسلم الحقيقي حين يواجه واقعا فاسدا ، فلقد كان بامكان ذلك المؤمـــن الاستمرار في ايمانه دون قلق واضطراب أوخــوف ، الا أن تأثره يشير الى الأصالة النفسية التي لابد وان تحرك المسلم لتحديد موقفه ، كما فعل ذلك المؤمن الذى أحسن اختياره ذلك الوقت ليقف في وجه فرعون ، اذ أن هذا الاختيار وما تم فيه يعتبر بحق تجربة كاملة للدعوة بكـــل أبعادها كما هو شأن القصة كلها ، فهناك طاغية يقف في وجه الناس ، ويتآمر على قتل نبيها ، ومعنى وتوف ذلك المؤمن أمام ذلك الطاغيـــــة

---

(١) سورة المائدة آية ٧٨ - ٧٩ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٦٥.

هو احياء لحياة الدعوة ، وهذا شأن كل داعية ، ينظر الى كل شيء من خلال دعوته ، ويفسر بها أي معنى أو حدث لأنها عقيدته وتصوره وواقعه .

٣ - وهي دليل على ( أن الايمان حقيقة ايجابية متحركة نحو العمل والدعوة والبناء والتعمير المتجه الى الله ، وليست انكماشا وسلبية وانزواء في مكنونات الضمير ، وهذه قاعدة أقرها القرآن :

" قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ " (١)

يقول صاحب كتاب " طريق الدعوة في ظلال القرآن : ( ان الدعوة ليست تطوعا يتقدم بها صاحب الدعوة ، انما هي التكليف الصارم الجازم ، الذى لا مفر من أدائه " فالله من ورائه ، وانها ليست اللذة الذاتية في حمل الخير والهدى للناس ، انما هي الأمر العلوى الذى لا يمكن التفلت منه ولا التردد فيه ، وهكذا يتبين أمر الدعوة ويتجدد . انها تكليف وواجب ، وراءه الجد ، ووراءه الكبير المتعال ) .(٢)

يظل ذلك قائما طالما هناك أناس ، وطالما هناك ضلالات وشبهات وشهوات ، وطالما هذه قوى عاتية طاغية تقوم دون الناس ودون الدعوة ، وتفتنهم سواء بالتضليل أم بالقوة ، فلا بد من بلاغ .

( رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ )

---

ان هذا اللقب يترك أثره في النفس ... نفس القارئ أو السامع ويكتفى بذلك حتى لا تفتر روعته ، ولكنه يمثل للقارئ أو السامع صورة حية ،

-------------------

(١) سورة الجن آية ٢٢- ٢٣ .

(٢) أحمد فائز ١/ ١٤٥ .

تهز مشاعره في دائرة بقية الأشخاص في القصة والذين كانوا أبعد مايكونون عن الايمان بطغيانهم ،فقد ورد في الآيات ذكر فرعون و هامان وهـؤلاء عاشوا حياتهم وتشلوها وتقلبوا في أعطافها/ بعيدا عن الايمان ،فكان هناك في المقابل مؤمن من آل فرعون ،ولهذا التأكيد أثره البالغ ،حيث نلمسه كوحدة تامة في شخصيته وعمله الذى يصدر عنه وقوله ،وحيث لا تلوح لعين الناظر من تلك الشخصية أى شيء فيما سبق ذكره الا الايمان ، فهذا السمو أوالصفة تترك أثرها في نفس القارئ أو المستمع ،وتلتصق بشعوره وخواطره ،ففي هذه الصفة يلقي القرآن ضوءه ويسلط أشعته على سر مواقفه الايمانية والتي ليس لها معنى الا الايمان .

وقبل ذلك لم يذكر القرآن اسمه واكتفى بلقبه ليقول للجميع ان هذا الرجل عام لجنسه كله ، في صلاحيته للقيام بهذا الدور ،وشموله لجميع الأفراد فيما ضرب له .

( مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ )

١ - اقتضت حكمة الله أن يكون داعية فرعون وقومه هو من آل فرعون ،ومن هنا أيضا تظهر حكمةالله في أن يبعث كل نبي في قومه وفي البيئة التي نشأ فيها ،لأنه يعرف ما لا يعرفه الغريب عنها فيكون تأثيره فيها قويا .

٢ - ثم اننا نلمس فيها مدى تفرد مؤمن آل فرعون بدعوته وهو يعيش وملكة الايمان في قلبه وحده ،بالرغم من أنه يعيش في وسط الجماعة الكافرة الطاغية ،وكما هو معلوم بأن الانسان محكوم عليه من فطرته العيش في جماعة من جنسه ليتأثر بها ويؤثر فيها ،ولكن في هذه القصة تختلف

تلك القاعدة ،فالقوم كفرة والرجل موءمن ،ومع ذلك لم تذب شخصيته ، ولم تضع ذاتيته في عباب ذلك المجتمع الآسن.

٣ - ثم انها وقفة على معلم واضح بارز في طبيعة هذه العقيدة وفي خطها الحركي ، وقفة يجب أن يقفها الدعاة على مفرق الدروب لتكشف لهم معالم الطريق .

ان العلاقة التي يجتمعحولها الناس في دين الله ليست علاقة نسب أو جنس أو قوم أو وطن أو عنصر ،ان هذه العلاقات تذوب وتذوى أمام رابطة الدين ،فهي الأصل ،وهي الحقيقة الوحيدة الثابتة وكل ما عداها وهم ،وهذا نوح يعيشها فيقول لربه :

"رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي" (١)

فيقول له ربه : "إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ" (٢)

وهذا ابراهيم لنا به أسوة : "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ" (٣)

ثم هذا كتاب الله يضعها لنا قاعدة :

"لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾" (٤)

وجاءت قصة موءمن آل فرعون لتوحي بهذه الحقيقة ،وتبرز حقيقة الصلة التي يجب أن تربط بين الموءمنين ، صلة الايمان ، فاذا انتفت هذه الصلة فقد انتفى ما سواها من صلات ،حتى ولو كانت صلة الدم والرحم .

---

(١) سورة هود آية ٤٥.
(٢) سورة هود آية ٤٦.
(٣) سورة الممتحنة آية ٤.
(٤) سورة المجادلة آية ٢٢.

## ( يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ )

ان الله تعالى حين يقص علينا خبر ذلك المؤمن الذى يكتم ايمانه دون انكار، يدل ذلك على جواز كتم الايمان عند الضرورة، وهذا له أهمية كبرى في الدعوة تستوجب أن نقف عندها، ذلك لأنه مرتبط بمرحلة تعتبر من أدق المراحل وأصعبها وهي مرحلة التربية التي تتكون فيها القاعدة الصلبة للدعوة، لذا وجدنا أن مرحلة السرية هي مرحلة مشتركة بين معظم الرسل، وأساس معتمد على مدار التاريخ، بدأت بنوح كما يحكي لنا القرآن على لسان نوح عليه السلام :

" ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ". (١)

وانتهت بمحمد صلى الله عليه وسلم ( فقد ورد في السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كتم أمره في بدء الدعوة عن عامة الناس، ولم يحدث بها الا من كان يثق به ويطمئن اليه من المقربين له، ومن أقربائه وأصفيائه، ولم يجهر بها الا بعد انقضاء ثلاث سنوات على سريتها ). (٢)

وفي هذا تعليم للدعاة وارشاد لهم الى مشروعية الأخذ بالحيطة والأسباب الظاهرة، وما يقرره التفكير والعقل السليم من الوسائل التي ينبغي أن تتخذ من أجل الوصول الى غايات الدعوة وأهدافها على أن لا يتغلب كل ذلك على الاعتماد والاتكال على الله وحده وعلى أن لا يذهب الانسان في التمسك بهذه الأسباب مذهبا يعطيها معنى التأثير والفعاليـــة

------------------

(١) سورة نوح آية ٨ - ٩.

(٢) انظر السيرة النبوية / ابن هشام ١/٢٤٩- ٢٦١.

في تصوره وتفكيره ،فهذا يخدش أصل الايمان بالله تعالى فضلا عن أنه يتنافى مع طبيعة الدعوة الى الله .

( وبناء على ذلك فانه يجوز لأصحاب الدعوة الاسلامية في كل عصر أن يستعملوا المرونة في كيفية الدعوة من حيث التكتم والجهر حسبما تقتضيه الظروف ،وحال العصر الذى يعيشون فيه ، وهي مرونة حددتها الشريعة الاسلامية ، اعتمادا على واقع سيرته عليه الصلاة والسلام ، على أن يكون النظر في كل ذلك الى مصلحة المسلمين و مصلحة الدعوة الاسلامية ) . (١)

واذا أردنا الوقوف امام السبب وراء هذه السرية في تكتم الأنبياء في دعواتهم عليهم السلام ، ومن بعدهم ، فلا نستطيع أن نقول انه الخوف على نفوسهم وانما طبيعة الناحية العملية تقتضي ذلك للأسباب التالية :

١ - يعطي به الدعاة لأنفسهم فرصة لتجميع الطاقات وحشد الامكانيات ، ( فوجود الكتمان في كل دعوة يشكل ضرورة من ضروراتها ، وأمرا أساسيا من لوازمها ، وخاصة في بدء نشأتها ، اذ أنها تنشأ في جو غير جوها ، ومجتمع غير مجتمعها ، ولذا فهي جديدة عليه ، وغريبة عنه ،ومن ثم فهو لا يقابلها مقابلة المرتاح لها أو المرحب بها ، بل يقف منها موقف الحذر ان لم يقف منها موقف العدو المتربص حتى يتبين

---

(١) انظر قواعد الاحكام في مصالح الأنام ١/ ٩٥ ، ضوابط المصلحة في الشريعة الاسلامية / محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٦١ ، فقه السيرة النبوية / البوطي ص ٧٦-٧٧ .

أغراضها وحقيقتها فيؤمن بها أو يحاربها ،بينما هي ليس لها من جند سوى أصحابها الذين يكونون في أول أمرهم قلة وليس لهم من سند سوى ايمانهم ، لذا كان من ضروريات دعوتهم أن يكتموا أمرهم في أول عهدهم تمكينا لدعوتهم وحماية لحركتهم ووجودهم ) .(١)

٢ - كما تبرز أهمية الكتمان من منطلق أن العقيدة الكافرة قد ملأت على الناس حياتهم ، فلا بد من تصحيح هذه العقيدة وبناء العقيدة السليمة ،ولكن بشكل هادئ حتى تشيع حقيقة الدعوة في صفوف المؤمنين بها أولا ، فاذا ما استقام أمرهم على النهج السليم وتجسدت في حياتهم معاني دعوتهم وأخلاقها ،انبثق لهم من ذلك لسان مبين يدعو من حولهم ،وتجلى من سلوكهم أمام أولئك الناس خط مضيء يشق سبيله وسط أمواج الظلمات ،وعكر المذاهب والأفكار المنحرفة ، وقد برزت أهمية تلك الفترة السرية في حياة الأولين الذين شكلوا قاعدة الدعوة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فكانوا مستعصين على الابادة ،وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم ) .(٢)

كما اتضحت أهمية تلك الفترة من قبل في حياة موسى عليه السلام ، حيث شكل قوة في ايمان ذلك المؤمن ،فلم يرتد عن دينه حين وقعت المحنة ولم يخش المواجهة أمام فرعون ، بل كان هو لسان تلك الدعوة المدافع عنها أمام طاغية عصره ، ولنا أن نؤكد قوة هذا الايمان

---

(١) الدعوة الى الاسلام /أدهم حسني جرار ص ١٥٢ .

(٢) انظر أصول الدعوة / عبد الكريم زيدان ص ٤٣٨ ،المنهج الحركي للسيرة النبوية / منير الغضبان ص ٣١٣٠ .

من خلال التوقيت الذى كشف فيه الرجل المؤمن ايمانه ، ويزداد ظهور تلك الأهمية حين نقترب أكثر من واقع فرعون فنكتشف ايمان زوجه ، وقوة ذلك الايمان المتمثل في كلماتها ، قال تعالى :

" وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ " (١)

وذلك دون خوف من فرعون رغم ما في العلاقة الزوجية من خطورة على الايمان .

٣ - والكتمان ( ضرورة تنشئها ظروف الدعوة ، وتتحدد ضرورتها بمنهجية الفكر القوى ، وواقعية الأسلوب ) (٢) فلا بد من بيان أن السرية ليست غاية ، وانما هي فترة مرحلية ووسيلة فقط ( لأن الافراط في السرية قد يجر الدعوة الى التقوقع والانعزال عن المحيط الذى جاءت لاصلاحه ، وعلى هذا ، فالسرية تعتبر قضية نسبية للدعوة ) (٣) فمثلا تحديد الفترة الزمنية للمرحلة السرية في دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاث سنوات لا يبنى عليها شيء في تاريخ الدعوات ، فالمهم في الأمر هو الحصيلة العملية للدعوة ، وقدرتها على المواجهة للمجتمع القائم من خلال أشخاصها ، ونجد ما يرجح هذا الفهم من قول الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

" فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ " (٤)

---

(١) سورة التحريم آية ١١ .

(٢) أصحاب الاخدود / رفاعي سرور ص ٣٣ .

(٣) الدعوة الاسلامية / ادهم حسني جرار ص ١٥٣ .

(٤) سورة الحجر آية ٩٤ .

حيث نجد بعد هذه الآية مباشرة قوله تعالى :

" إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ " (١) (٢)

( أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ .. ) (٤)

هذه العبارة جاءت ردا على فرعون الذى قال :

" ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ " (٣)

فلم يملك ذلك المؤمن الا أن يقف بهذه المقولة ذلك الموقف ...

" أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ "

هو موقف حدث في عهد فرعون و تكرر في عهد الرسول ، ويتكرر مع كل داعية الى الله .. فأحداث التاريخ تتجدد ، " فقد روى عن عروة بن الزبير قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : أخبرني بأشد ماصنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بينما رسول الله يصلي بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط ، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا ، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ، ودفعه عن رسول الله ، وقال : " أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم " (٥)

---

(١) سورة الحجر آية ٩٥ .

(٢) انظر المنهج الحركي للسيرة النبوية ، منير محمد الغضبان ص ٢٠ .

(٣) سورة غافر آية ٢٦ .

(٤) سورة غافر آية ٢٨ .

(٥) رواه البخارى في كتاب تفسير القرآن باب : ٤٠ ( المؤمن ) ٦/ ٣٤ .

لأن مصدر الخوف واحد ، فاذا لم يَقتل الطغاة الدعاة لأنهم يقولون "ربي الله" فلماذا يُقتلون اذاً ؟؟

هذه الكلمات هي التي تخيفهم ،لأنها اذا حلت في القلوب فلا يمكن الجمع بينها وبين الاعتراف بالعظمة لأحد من الناس ، حتى اذا أخذ هذا اليقين مكانه من قلوبهم ،لن تخفق القلوب خفق الرهبة والخشية الا لله رب العالمين ،وهذا ما لا يريده الطغاة.

( مِن رَّبِّكُمْ )

وهنا تظهر من هذه العبارة ملامح القول الحسن ،فالتعبير بلفظ الرب الذى يشعر بالتربية ، عسى أن يحرك فرعون ومن معه الى الانصياع لمن رباهم ،خاصة وأن فرعون يفهم هذا المعنى حين قال لموسى مطالبا بحقه :

"أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾" (١)

فكما يطالب هو بحق التربية ، عليه أن ينصاع لمن له حق التربية والطاعة.

( وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ )

هذه حكمة الداعية ،تقف أمام شبهة فرعون التي طرحها حول موسى متهما اياه بالسحر والكذب ، فهو يحدد موقفه أمام هذه الشبهات ويقف أمامها محاولا تفنيدها واظهار زيفها لأنها موانع تمنع من رؤية الحق في حق ضعاف البصر والبصيرة.

---

(١) سورة الشعراء آية ١٨.

والأسلوب الجيد في ازالة الشبهات يستطيع أن يتعلمه الداعية من كلمات مؤمن آل فرعون الذى كان ( مثلا في أناته وثباته ،بدأ يتكلم وكأنه محايد لا يعنيه من الأطراف المتنازعة الا أن يلزم الجادة ويدع التطرف !!

هكذا يستبعد بالمنطق الرزين أن يقتل نبي كريم ).(١)

وهذه هي الحكمة في الأسلوب ،والتي كان لها رصيد من أسلوب دعوة سيد الدعاة محمد صلى الله عليه وسلم والتي واجه بها قومه قائلا :

" وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ " (٢)

فالأمر لا يخلو من احتمالين ،اما أن أكون مهتديا فهذا دليل على أني على حق من عند الله ،واما أن أكون ضالا فلن يحمل النتيجة أحد سواى.

وهذا هو العرض النزيه في أعلى وأرفع المستويات وذلك لأسباب:

أ - ليبعد عن تصورهم فكرة التعالي عليهم بأن الحق معه وحده.

ب - وفيه من ناحية أخرى دعوة الى البحث عن الحق والاستمساك به أيا كان في غير تعصب أو هوى .

والنتيجة لا شك في جانب الحق الذى يدعو اليه ، والذى يؤيد الداعية .

---

(١) نظرات في القرآن / محمد الغزالي ص١١٨.
(٢) سورة سبأ آية ٢٤.

- أن دعوة الحق بما تملك من دعائم وقواعد المنطق وأسس الصدق مطمئنة الى نفسها ، ولا تخشى اذا عرضت عرضا محايدا ان يفوز عليها غيرها .

وهذه قمة النزاهة في العرض تأتي على لسان الداعية المؤمن الذى يدافع عن موسى لاعطاء الأمر مزيدا من الثقة والقبول عند أولى الألباب من الناس .

وكما قلنا فان من خلالها تظهر حكمته في تلك النصيحة ،صياغة ومضمونا وشكلا وموضوعا ومعنى وأسلوبا ،وقد وضحت بصورة أعمق وأكبر عندما جعل منها منهجا وأسلوبا له في دعوته الى ربه .

( يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ )

من المهم جدا أن يؤدى الداعية دعوته بالحجة والبرهان ،ولا بأس أن ينقض أدلة خصمه ويزيفها مما يعتقد أنه مبطل لها ،ولا ملامة عليه في أن يتذرع بكل ما يعرف من الوسائل الى نشر الحقيقة التي يعتقدها .

الا أن على رأس ذلك وسيلة هامة لا غنى للداعية عنها لما لها من أثر عظيم في قبول الحجة وحلول الكلام المحل الأعظم في القلوب والأفهام، وهي الوسيلة التي أطلق عليها صاحب كتاب مواقف الداعية التعبيرية " ، " النداءات الاستعطافية " " التي أرى أنها الوسيلة التي تشكل الى جانب الاخلاص جناحين عظيمين يطير بهما الداعية الى سماء المدعو ليظلل على قلبه بظل الايمان ، أما الاخلاص فكلنا يعرفه ،وأما استخدام ما يسمى بالنداءات الاستعطافية التي تشوق المدعو الى السماع والتفكير

رغبة واختيارا من حيث يعلم أو لا يعلم فهي كثيرة في جنبات القرآن كواحدة من أساليب تأثيره الكثيرة في دعوته .

فموءمن آل فرعون حينما يخاطب قومه قائلا لهم " يا قوم " يعلم أن هذا الخطاب أدعى الى استجابتهم ، وأحب الى أسماعهم ليشعرهم أنه منهم واليهم ، ولا يريد الا الخيرلهم جميعا ، كما أنه يساعد على ايقاف لجاجتهم بالباطل .

ومثلها ما قاله سبحانه وتعالى على لسان ابراهيم عليه السلام :

" إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ " (١)

فقول ابراهيم عليه السلام في خطابه لأبيه " يا أبت " تذكير له برابطة الأبوة التي من شأنها أن تجعل الابن حريصا على مصلحة الأب ، وتجعل الأب جديرا بأن يصغى الى خطاب ابنه .

كما قال تعالى :

" وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ " (٢)

ففي النداء " يا بني " استثارة لرابطة البنوة ، وتشويق لها لتقبل على الحق .

وقال سبحانه :

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ " (٣)

وفي مخاطبة الله تعالى للموءمنين بـ " يا أيها الذين آمنوا " تأكيد

---

(١) سورة مريم آية ٤٢ .

(٢) سورة لقمان آية ١٣ .

(٣) سورة الانفال آية ٢٤ .

لهم بأنهم أهل للايمان والتقوى ،وفي الوقت نفسه استثارة لهم لأن يستجيبوا لدعوة الحق لما في هذه الاستجابة من مقومات البقاء والحياة .

وما هو جدير بالذكر أن هذا التلطف بالقول من قبل الداعية لا يعني المداهنة والنفاق ولا اخفـــــاء الحـــــق أوتحسين الباطل والرضى به ،وانما هو تشويق للمدعو لقبول الحق ،واعانته على هذا القبول ) .(١)

( فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ )

١ - هذه من مظاهر حكمة الدعوة ،أن يعمد الداعي الى النوازع الانسانية في جماعته التي يدعوها ، فيذكرها بانتمائه اليهم ، وصلته الوثيقة بهم فهو واحد منهم حين يقول لـهم " فمن ينصرنا " ، وليس " فمن ينصركم " وبهذا فانه يثير فيهم مشاعر القرابة ، أو على الأقل تحريك الرابطة الانسانية ،ويستطيع من خلال اثارة هذه النوازع كلها أن يقنع الناس ،ويستثمر ذلك في خلق الثقة بينـه وبين من يدعوهم .

٢ - ثم انه يستخدم معهم هنا أسلوب الزجر النفسي غير المباشر، وهذا من الحكمة في أسلوب دعوة الناس أن نخاطبهم من حيث يستجيبون ، وبالأسلوب الذى به ينفعلون .

٣ - وفي هذه الآية تربية اجتماعية تقتضي الاحساس بالمسئولية من قبل الأفراد تجاه من حولهم ، وأن عليهم أن يتعهدوا كل من يبدو عليه الانحراف والانحلال ، لتجعل منه عضوا عاملا في حياة الناس ،

---

(١) انظر أصول الدعوة / عبد الكريم زيدان ٤٥٥ ، مواقف الداعيـة التعبيرية / عبدالله ناصح علوان ص ٢٥ ومابعدها .

قال تعالى :
" وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً " (١)

ومن هنا كان من التعاليم الالهية التي حث عليها الأنبياء ونفذوها التواصي بالحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، باعتبارها من المبادئ الأساسية التي يشاد عليها صرح الحياة الاجتماعية .

( قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ )

ان كان سبيل الرشاد هو سبيل فرعون فقد أخطأ علماء اللغة جميعا في وضع كلمة الرشاد في معاجمهم لأنها لا مس لها في عالم فرعون ، عالم الاثم والكبر والجبروت ، ولا يمكن أن يكون ، ولا أدل على ذلك من قولته نفسها حين يقول :
" مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ " (٢)

فلا أحد يعرف طريق الرشاد الا ذلك الطاغية ، والله سبحانه وتعالى يقول : " وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ " (٣)

ولكن لا عجب من موقف فرعون وملئه لأن الحق والباطل لا يجتمعان فاذا وصل الحق الى النفوس من حوله فانها أول ما تهدم ، ستهدم ألوهية ذلك المتأله وتطيح بعرشه اذا لا بد من حرب ( لا اله الا الله ) حتى تفقد هذه الكلمات مدلولها الحقيقي في أعين الجماهير ، وتبدأ هذه

---

( ١ ) سورة الأنفال آية ٢٥ .
( ٢ ) سورة غافر آية ٢٩ .
( ٣ ) سورة هود آية ٩٧ .

الحرب بالايهام بأن ( وراء الدعوة الجديدة خبيئا غير ظاهرها ، وأنهم هم الكبراء العليمون ببواطن الأمور ، مدركون لما وراء هذه الدعوة من خبيء ، قال تعالى :

" وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ " (١)

فليس هو الدين ، وليست هي العقيدة ، انما هو شيء آخر يراد من وراء هذه الدعوة ، شيء يجب أن تدعه الجماهير لأربابه ولمن يحسنون منهم المخبآت ، وادراك المناورات .. ولتنصرف هي الى عادتها الموروثة وآلهتها المعروفة ، ولتطمئن الجماهير ، فالكبراء ساهرون على مصالحهم وعقائدهم ، انها الطريقة المألوفة المكررة التي يصرف بها الطغاة جماهيرهم عن الاهتمام بالشئون العامة والبحث وراء الحقيقة ، ذلك لأن اشتغال الجماهير بمعرفة الحقائق بأنفسهم خطر على الطغاة ، وكشف للأباطيل التي يغررون بها الجماهير ، وهم لا يعيشون الا باغراق الجماهير بالاباطيل ) (٢) وهذه هي ضرورة الحكم الظالم.

ومن هذا المنطلق يجدر بنا أن نقف أمام ذلك الجمهور من قوم فرعون ، الذى كانت فرص الايمان أمامه كثيرة ، الا أنه لم يسلم من مكائد فرعون وأعوانه والسير وراء تضليلهم وأكاذيبهم فتابعوه على باطله ، وناصروه عليه ، قال تعالى :

" فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝٥٤ " (٣)

---

(١) سورة ص آية ٦.

(٢) انظر طريق الدعوة في ظلال القرآن / أحمد فائز ١/ ٣١-٣٢.

(٣) سورة الزخرف آية ٥٤.

وفي تفسير ابن كثير ( استخف عقولهم فدعاهم الى الضلالة فاستجابوا له )(١) ، والظاهر من الأحداث أن فتنة فرعون كانت عظيمة ، فقد جمع بين الملك والرئاسة والأعوان والأموال ، مع فراغ في قلوب قومه من العلم النافع والهدى العاصم ، فوقعوا في فتنته وأباطيله التي كان يحتج بها في رد دعوة موسى عليه السلام :

" فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ "(٢)

ولقد عرفنا لماذا يهرب الكبراء والرؤساء من الايمان ، لكن السؤال الذى يبعث على الحيرة ، لماذا يهرب العوام والجمهور عن الايمان مع وضوح الحق ؟

وقد أجاب عن ذلك صاحب كتاب " أصول الدعوة " قائلا ( ان ذلك يرجع الى جملة أسباب وهي :

١ - الخوف : فلا شك أن الملأ الكافر وبيده القوة والنفوذ والمال يستطيع أن يرهب الجمهور ويخوفهم ، ان خرجوا عن الكفر الذى هم فيه ، وهذا الخوف يثبط الهمم والعزائم عند أكثر الجمهور طلبا لسلامة أنفسهم من الأذى ، قال تعالى :

" فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ "(٣)

٢ - الاغراء بالمال وحطام الدنيا ، فان الطغاة وأعوانهم يملكون ذلك ويلوحون به الى الجمهور ان تابعوهم على باطلهم ورضوا بقيادتهم لهم .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٣١ .
(٢) سورة هود آية ٩٧ .
(٣) سورة يونس آية ٨٣ .

قال تعالى : حكاية عن فرعون :

" وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ " (١)

اشارة الى اغراء فرعون للجمهور ،لما يملكه من مال وأسباب الحياة المادية ، وأنه يعطيها لمن يوافقه على باطله ، وفي السيرة النبوية ( أن أشراف قريش عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المال الكثير ،يعطونه له اذا ترك دعوته ). (٢)

مما يدل على أنهم يغرون بالمال اعطاء أو منعا لصدهم عن الدعوة الى الله سبحانه وتعالى .

٣ - الشبهات : فالطغاة وأعوانهم لا يكتفون بالقوة والبطش والتخويف لصد الجمهور عن دعوة الحق " وانما يسلكون معهم سبيل الشبهات" (٣) وهذه الشبهات كثيرة تعرضنا لبعضها فيما سبق .

( وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ )

---

١ - هذه إحدى المنطلقات التي لا بد أن ينطلق منها الداعية، والتي تتمثل في ضرورة ألا تنبعث أعمال دعوته الا من شعور غامر بالشفقة والرحمة لعباد الله جميعا ،فعلى من جند نفسه داعيا الى الله عز وجل

---

(١) سورة الزخرف آية ٥١.

(٢) انظر السيرة النبوية / ابن هشام ١/٣١٣.

(٣) انظر اصول الدعوة / عبد الكريم زيدان ص ٣٧٩ ومابعدها .

أن يجعل في قلبه مصدر اشعاع يفيض بالرحمة لعباد الله كلهم على اختلاف اتجاهاتهم ،هذه الرحمة والشفقة بهم مصدرها علمه بعاقبتهم ان لم يستجيبوا بينما هم قوم يجهلون ولذلك هو لا يفتأ يدعوهم ويلح ويكرر ويقنع وهي قولة مؤ من آل فرعون :

"يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝٣٠" (١)

وهذه لا تصدر الا عن قلب رحيم ،وشفقة ظاهرة عليهم ،مشحونة باللطف في المخاطبة بعيدا عن الغضب منهم ،لأنهم قوم يجهلون ،وهكذا كان جميع الأنبياء ،رحماء بمن أرسلوا اليهم مشفقين عليهم من العذاب ، وكانت قولتهم واحدة :

"إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩" (٢)

٢ - وفي الآية لفت للنظر الى آثار من سبقوا ،وهذه خصائص العقلية العملية ذات النظر الواقعي لدى الداعية ،فكأنه يقول لهم :سيأتيكم يوم سبقكم اليه غيركم ،أصحابه مضوا الى غاياتهم وهم أشد ما يكونون تعلقا بالحياة ،وانكم كما سافروا لا محالة مسافرون ، فتزودوا ، وعودوا ،واستمعوا للحق ، واحذروا من لقاء الله وأيديكم صفر من كل خير.

بهذه الوقفة أراد -مؤ من آل فرعون- تذكيرهم بحقيقة وضعهم في هذا الكون الكبير العميق الخطير ، ويذكرهم بالله عزوجل ،وما يجرى من تصاريف القدر على خلقه في كونه العجيب ،وهذه احدى مهمات الداعية، وهي ايقاظ القلب ،واحياء مواته ،وأمثال هذه الوقفات قد تصل به الى غايته ، فتلين القلوب ،وتثير الفكر والعبر.

---

(١) سورة غافر آية ٣٠.

(٢) سورة الاعراف آية ٥٩.

( وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ )

ان الصراع بين الحق والباطل لا بد أن يبلغ مرحلة ينزع معها ثوب الحياد ، ولا بد أن يأتي دور المصارحة التي لا تبالي بجهر ، وهذا منعطف هام في حياة الداعية ، يعتمد عليه ، وعلى بعد نظرته لمن يخاطبهم فالتزام الحياد خطوة هامة وضرورية كبداية ، فان أدت دورها عالجت النفوس ، والا فلا بد من الخطوة التالية وهي الأقوى والتي يترتب عليها اطلاق الهويات ، فاما ايمان أو لا ايمان .

( وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ )

من هنا يتضح لنا الايمان العميق الذى هو أساس عدة الداعية ، لأن الداعية لا بد أن يتيقن بأن الايمان الذى هداه الله اليه ، وأمره بالدعوة اليه ، حق خالص لأنه هدى الله وما عداه باطل وضلال قطعا ، وأن هذا اليقين بأحقية الايمان بالله دون سواه أصبح لديه كالبدهية ومن ثم لا تقبل هذه البدهية أى نقاش أو جدال أو شك أو مراجعة ، وأن أى تحول عن هذا اليقين وميل الى غيره يعني كفراً بالله واشراكا به ، يعني دعوة الى النار ، قال تعالى : (١)

" قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ "

ومن هنا يأتي ثبات الداعية على دعوته ، وان كذب بها المبطلون الضالون ، فلا يتصور منه الميل الى باطلهم :

" قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ " (٢)

---

(١) الأنعام : ٥٦ .
(٢) الأنعام : ٥٧ .

( وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ).

ومن هذا الجزء من الآية ننطلق الى ركيزتين هامتين في حياة الداعية :

الركيزة الأولى : ما يجب أن يكون عليه الداعية من الاتصال الوثيق بالله الذى يعني تيقنه من أن الله هو المتفرد بالخلق والتدبير والضرر والنفع والعطاء والمنع ، وبالتالي فانه يكفي من يتوكل عليه ويفوض الأمور اليه ، فيترتب على ذلك ثقته الكاملة بأن الله يحفظه ، ويدافع عنه ، " إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ " (١)

وينصره : " وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ " (٢)

ومن هنا تهون على الداعية الصعاب ، وتخف عنه الالام ، ولا يبقى في قلبه الا الله :

" ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ " (٣)

الركيزة الثانية : ما يجب أن يدركه الداعية وينتهي اليه من أنه ليس من شأنه أن يخلق الهداية في قلوب الناس ، وليس اليه عهدة النتائج المرتقبة ، بل تنتهي مهمته عند حدود تلك النهايات التي تقف عندها قدراته التي منحها الله له ، من بيان باللسان ، وحكمة في معالجة الأمور ، وتضحية بالروح والدم اذا وصلت ضرورات الدعوة الى ذلك ، كل ذلك مع التزام القواعد التي من شأنها أن تضبط الداعية في أثناء سيره بدعوته ، فاذا أدى دوره ذاك فليدع بعد ذلك النتائج الى الله وليفوض الأمر اليه .

---

(١) سورة الحج آية ٣٨ .
(٢) سورة الصافات آية ١٧١ - ١٧٣ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٧٣ .

( فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ )

يتضح من هذه الآيات أن النصر لا بد آت :

" وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ " (١)

الا أنه لايجوز للداعية أن يحدد وقتا لله لانزال نصره واعانته على أعدائه ولا نوعا معينا ،أو كيفية معينة لهذا النصر أو العون ، وفي ذلك يقول تعالى :

" إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ " (٢)

وقد قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية ( المراد بالنصرة الانتصار لهم ممن آذاهم ،سواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم ،أو بعد موتهم ، كما فعل بقتلة يحيى وزكريا وشعيا ،سلط الله عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم ،وسلط على اليهود الذين أرادوا قتل عيسى عليه السلام ،سلط عليهم الروم فأهانوهم وأذلوهم وأظهرهم الله تعالى عليهم ،وقال السدي (٣) : لم يبعث الله عز وجل رسولا قط الى قوم فيقتلونه ،أو قوما من المؤمنين يدعون الى الحق فيقتلون ،فيذهب

-------------------

(١) سورة الصافات آية ١٧١ - ١٧٣ .

(٢) سورة غافر آية ٥١ .

(٣) محمد بن مروان بن عبد الله بن اسماعيل السدى ،كوفي ،من الطبقة الثامنة ،وهو صاحب التفسير ،توفي سنة ١٢٧ هـ

(انظر ترجمته في طبقات القراء لابن الجزرى ٢/ ٢٦١ ، التفسير والمفسرون للداودى ٢/ ٢٥٥ ،معجم المؤلفين ٢/ ٢٧٦) .

ذلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى من ينصرهم ،فيطلب بدمائهم من فعل ذلك بهم في الدنيا ، قال : فكان الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها ،وهكذا رسوله محمدا عليه السلام أمره بالهجرة ثم رجع اليها فاتحا منتصرا ) (١) .

ومن هنا على الداعية أن يتيقن أنه ما دام ينصر الله بنصرة دينه وبالدعوة اليه فان الله تعالى ناصره :

" وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ " (٢)

ومما تجدر الاشارة اليه أن القصص في سورة غافر لم يقتصر أمره عند ذكر قصة موسى مع فرعون وبطياتها قصة مؤمن آل فرعون ، بل كان هناك اشارات الى قصة كل من نوح مع قومه ،وهود مع قومه عاد وصالح مع قومه ثمود ،الا أن الأمر لا يعدوا كونها مجرد اشارات بسريعة لموضع العبرة ، دون عناية بالتفاصيل ،اشارات سريعة تكشف عن موقف القوم من الرسالة ،فالمحور الذى تدور حوله هو رفض الملأ لها ، والتخفيف من وقع ذلك على نفس الرسول ،ولكنها اشارات ذات مغزى تخدم أهداف القصة العامة ، أما مضمون القصص ذاته، وهيكله العام فلا يذكر هنا . وأما المغزى

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٨٣/٤ ، وقد ذكر القرطبي في تفسير هذه الآية قريبا مما ذكره ابن كثير ٣٢٢/٥ .

(٢) سورة الحج آية ٤٠

من هذه الاشارات السريعة فيتضح من خلال العبرة الأساسية في القصة، والتي كانت منقولة الى طغاة قريش الذين رفضوا دعوة محمد كبرا وعلوا، فيقول له ربه لا تبتئس، لقد كذبت أقوام سابقة قبلهم، ابتداء من قوم نوح عليه السلام الى نهاية الأحزاب بعدهم، والباعث واحد، الكبر والعناد والاغترار بالقوة والسلطة، فالقصة قديمة منذ بدايات الدعوة والرسالة مع قوم نوح، ثم بعدهم قوم هود الذين هم من أقدم الأمم وجودا وآثارا في الأرض، كما قال تعالى:

" وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ " (١)

وكان قوم ثمود يلون قوم عاد في الوجود والظهور بين الأمم، كما قال تعالى على لسان صالح عليه السلام:

" وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ " (٢)

وهذا ما أشارت اليه سورة غافر، قال تعالى: " أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ " (٣)

وهذا ما أراد أن يوصله مؤمن آل فرعون الى قومه حين قال لهم:

" إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ " (٤)

فمن قصة نوح وعاد وثمود وأحاديثهم مع أقوامهم، وقد استغرقوا من أشكال المجاهدة والاصرار سنوات وسنوات، عرضت سورة غافر لموقف يوجز في أقوال متقنة تصادم موقف الدعوة بموقف الرفض، أما الدعوة ففيها الاشفاق وصدق النصح ورجاء الاستجابة، وأما الرفض ففيه الاستكبار.

---

(١) سورة الأعراف آية ٦٩.
(٢) سورة الأعراف آية ٧٤.
(٣) سورة غافر آية ٢١-٢٢.
(٤) سورة غافر آية ٣٠-٣١.

من مجموع مشاهد بغير عدد ، وكلمات بغير حصر ، وألوان من الالقاء المباشر فوق الحساب في سنوات طويلة يبسطها أمامنا عمر نوح الطويل ، ومن بعده هود ، وصالح ، أجمل القرآن الكريم جملة هذه اللقاءات العديدة بينهم وبين أقوامهم ، والذى تجسد في أقوالهم وأفعالهم قانون الرفض المعتم ، أجملها القرآن في موقف واحد لم يتحدد له زمن بموعده في أحد هذه المواقف يقول نوح لقومه في حواره معهم كما يقص القرآن :

" إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ " (١)

ونفس هذا النص يظهر في حوار هود مع قومه ، عاد ، وذلك كما يقص القرآن عنه : " كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ " (٢)

ونفس هذا النص يرد في حوار صالح عليه السلام مع قومه ثمود حيث يقص القرآن من قصصهم قوله : " كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ " (٣)

فهذه الآيات بنصها الواحد تورد الموقف نفسه ، ورد الفعل بعينه ، من الرفض والاستكبار ، فهو نفس الكبر والاغترار الذى منع قوم نوح من الايمان ، والذى يقصه علينا القرآن في قوله تعالى :

" فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ " (٤)

---

(١) سورة الشعراء آية ١٠٥-١٠٨.

(٢) سورة الشعراء آية ١٢٣-١٢٦.

(٣) سورة الشعراء آية ١٤١-١٤٤.

(٤) سورة هود آية ٢٧.

وهو نفس الكبر والغرور الذى منع عادا من الايمان بالله :

" فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ
هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ
لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾ " (١)

وهو ما كان من ثمود الذين اغتروا بقوتهم وما هم فيه من النعيم ،

والذى ذكرهم به نبيهم صالح عليه السلام : " أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ
﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ
يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾
فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ " (٢)

كل تلك القصص جاءت هنا خالية من التفاصيل لتؤدى دورها بكل ايجاز ، ممثلة في النهاية التي تعبر عن الرفض ، في أخبارها ومصائر أقوامها ، فهم حزب واحد يمثل نهاية واحدة .

---

(١) سورة فصلت آية ١٥ - ١٦

(٢) سورة الشعراء آية ١٤٦ - ١٥٩ .

# النتائج الخاصة بالفصل

النتائـــــج :

لقد خضع القصص في سورة غافر لعدد من المقومات الهامـــة مثل :

١ - دقة الأسلوب، وجودة السبك .

٢ - إحكام دور الشخصيات ورسمها في الاطار الذى تعمل فيه .

٣ - كما برز من خلالها المعنى مع وضوح الوحدة الفنية .

٤ - مراعاة جانب التلميح دون التصريح ( وقال الذى آمن ياقوم .. )

٥ - استخدام عنصر التشويق من أجل حث السامع على متابعـــة الأحداث :

" يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ " (١)

ثم فصل لهم الأمر بعد ذلك .

٦ - اغفال القصة التصريح بذكر الشخصيات كزيادة في الايجاز ، لأن الشخصية ليست مقصودة بذاتها .

٧ - عمدت القصة الى التأثير عن طريق المضمون والسياق الذى تجرى فيه الأحداث ، كما هو شأن القرآن في قصصه لا يعمد الى جمع الحوادث والمواقف ليصورها كلها في تتابع يأتي عليها ، بـــل وجدنا الأمر مرتبطا بالغرض الديني في المقام الذى يقتضيها ، ومن ثم اختار من الحوادث والمواقف ما احتاج اليه المقام وأصاب به الهدف المقصود .

ومن هنا فقد أدى القصص غايته في أقصر وقت ، ومن أقرب طريق ، بايحائه السريع ، وتأثيره القوى .

---

(١) سورة غافر آية ٣٨ .

٨ - كما هدفت القصة الى تحقيق عدد من الأغراض السامية تتضح فيما يلي :

(أ) تلقين المؤمنين دروسا في الايمان ، وانشاء تصور حقيقة الصلة بالله في قلوبهم وهو درس خالد لجميع أجيال المؤمنين على طول الزمان بدأ بأبي بكر الصديق ، ولن ينتهي الا بنهاية الانسان .

(ب) صدق الايمان ويتمثل في النظرة الصحيحة الى الحياة الدنيا وما فيها ، وهي أنها مجرد معبر الى حياة الخير والبقاء في الآخرة ، كما نظر ذلك المؤمن هذه النظرة الصحيحة الى الحياتين فكان منه ذلك الموقف أمام طغيان فرعون ، وهذا ليس فضلا زائدا عن الواجب انما هو واجب وفضل المؤمن منه ، انه أداه في أكمل صور الأداء .

(جـ) إن وسائل الأنبياء والدعاة من بعدهم في الدعوة الى الله موحدة ، واستقبال قومهم لهم متشابه ، فما فعله ذلك المؤمن من مقاومة الطغيان ليس مثالا نادرا في القرآن وانما هو تطبيق عملي لدعوة القرآن الى مقاومة كل طغيان ، وكل ظلم وكل باطل ، ويكفي وضوحا في ذلك أن النهي عن المنكر واجب أساسي على كل مسلم كما هو معروف .

(د) إن القصص الذى عشناه يقدم للجماعة المؤمنة عامة ، وللدعاة خاصة ، تاريخا موغلا في القدم ، عتيداً من الماضي فيجعل من وحدة المبادئ في الدعوة للدعاة صفا واحدا ، تنضم اليه الجماعة المؤمنة بأحاسيسها ومشاعرها ، فلا تحس بالفراغ والغربة في عالم ينكر مبادئها وعقيدتها ، ويناصبها العداء ، ويقف لها بالمرصاد .

(هـ) ان الله ينصر دعاته في النهاية ، ويهلك المكذبين بتعجيل العقوبة الرادعة للقوم الفاسقين ، وفي أمثال هذه النهايات تثبيت للعقيدة والايمان في النفوس ، فقصة مؤمن من آل فرعون تسهم اسهاما كبيرا في ابراز يد القدرة وهي تتولى المعركة بين الايمان والطغيان ولم يكلف المؤمنون في هذه المعركة الا بالايمان والثبات على العقيدة ، وهو المنهج الذى يتفق تماما مع ظروف الدعوة وظروف الجماعة المؤمنة ، وخطة الحركة في العهد المكي الذى انزلت فيه القصة.

( و ) والقصة تقول للداعية إن عزته في ثباته على عقيدته ، ونصره في نصر دعوته مهما لاقى من محن وتحمل من آلام . وقد يكون تعذيبه أو قتله في سبيل دعوته - في مألوف الناس - لونا من ألوان الهزيمة والذل والهوان ، ولكنه في ميزان الدعوة عز ونصر ، لأنه قد يقال ماذا فعل ذلك المؤمن بمقاومته غير تعريض نفسه للموت ؟؟

والجواب : إن أصحاب هذه العقيدة الدينية في أى دين ، وأصحاب دعوات الاصلاح عامة ولو كانوا من غير المؤمنين لا ينظرون الى الحياة هذه النظرة السطحية القصيرة ، فحب الحياة وولع النفوس بحب النفع العاجل يجعلها ترى كثيرا من أمور الحياة أكبر من حقيقتها ؛ لشدة رغبتها في هذه الأمور وحرصها عليها ، أما المؤمنون وأصحاب الدعوات فهمهم الأول ، بل همهم كله ، هو المبادئ وهم يرون النصر كله في انتصار المبادئ ، ليس في أن تكون السيادة فهذا كمال النصر وغايته ، أما بداية الانتصار فهو الاصرار على

المبادئ والاستعداد للتضحية في سبيلها ،كما فعل ذلك المؤمن فان صموده واصراره كان نصرا أدبيا عاليا له ، كما كان هزيمة لفرعون ،أكرمه الله بعدها بأن جعل له ذكرا خالدا في الدنيا قبل جزاء الآخرة ، كما اتم اهلاك فرعون ومن معه غارقين في اليم.

( ز ) تدعو القصة الدعاة في كل زمان ومكان الى اليقين من أن النصر من عند الله ،وهو محقق وقريب سنة جارية من سنن الله لا تتخلف مهما بلغت قوة الباطل الذى يقف في وجه الايمان ، وفي سبيل الدعوة الى الله ، ومهما بلغ بطش الطغاة بالمؤمن ،ومهما ظهر الباطل في جدله ، ففي أوج المواقف ، وعند أمس الظروف ، وحين لا تبقى ذرة من حيلة أو أمل في أسباب النصر الظاهر يتحقق وعد الله ،وذلك ما تؤكده تعقيبات القصة .

(ح ) إن التمسك بالحق واعلانه في مواجهة الطغيان ، يؤدى الى المحافظة على كيان الحق وابرازه لينضم اليه الراغبون فيه ، ويهتدوا به ، بخلاف ما لو سكت أصحاب الحق حينئذ ،فان الحق سيختفي ولا يبقى الا كيان الباطل متمثلا في الطغيان .

# الفصل الثالث

## أسلوب الترغيب والترهيب .

وَيشتمل على المبحثين التاليين :

المبحث الأول : أسلوب الترغيب .

المبحث الثاني : أسلوب الترهيب .

# المبحث الأول :

# أسلوب الترغيب .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الترغيب لغة واصطلاحًا .

المطلب الثانى : أهمية الترغيب والترهيب .

المطلب الثالث : فى صور الترغيب فى السورة .

المطلب الرابع : أهمية أسلوب الترغيب للداعية .

النتائج الخاصة بالبحث .

# المبحث الأول

## أسلوب الترغيب

### المطلب الأول : تعريف الترغيب لغة واصطلاحا :

#### الترغيب لغة :

( رَغِبَ يرغب رغبة إذا حرص على الشيء وطمع فيه ، ورغّبه أعطاه ما رَغِب ، وأرغبني في الشيء ورغّبني بمعنى ، والرغيبة من العطاء الكثير .

ويقال : انه لوهوب لكل رغيبة : أي لكل مرغوب فيه .

وفي التنزيل العزيز : " وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ " (١)

ورَغِبَ في الشيء رَغْباً ورغبة ورَغَباً بالتحريك ، أراده فهو راغب ، وارتغب فيه مثله ) (٢) ( ويقال " رغّبه " فيه " ترغيبا " و " أرغبه " فيه أيضا ) (٣)

قال الكلابي (٤) : ما يرغب فيه من الثواب العظيم ، يقال : رغيبة ورغائب .

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٠ .

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٣) مختار الصحاح / الرازى ص ٢٤٨ .

(٤) هو يزيد بن عبدالله بن الحر بن همام الكلابي ، أبو زياد ، أديب وشاعر ، من سكان العراق قدم بغداد أيام المهدى فأقام بها أربعين سنة ، وتوفي بها نحو سنة ٢٠٠ هـ ( انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٩/ ٢٣٨ ، معجم المؤلفين ١٣/ ٢٣٨ ) .

وقال غيره : هي ما يرغب فيه ذو رغب النفس ، ورَغَب النفس : سعة الأمل وطلب الكثير . والرغيبة : الأمر المرغوب فيه ، وقد رغُب بالضم رُغباً فهو رغيب ) .(١) (ورغب اليه : ابتهل وضرع وطلب ويقال : رغب اليه في كذا وكذا ، سأله اياه ، ورغب عن الشيء تركه متعمدا وزهد فيه ) .(٢)
وخلاصة المعنى اللغوى للترغيب أنه :

١ - الضراعة والمسألة .

٢ - الترك للشيء زهدا وعمدا ، لعدم إرادته ، كما ذكره الزمخشري في أساس البلاغة .(٣)

٣ - ما يرغب فيه ذو رغب النفس من الثواب العظيم .

وما نختاره - وهو ما يلائم موضوعنا من هذه المعاني اللغوية هو :
الترغيب بما عند الله ، وهو أحد المعاني التي أوردها صاحب اللسان .(٤)

**الترغيب اصطلاحاً :**

في الحقيقة أنني حين تتبعت المعنى الاصطلاحي للترغيب في الكتب التي بين يديّ وجدت أنه لم يتعرض لمعناه في الاصطلاح الا قلة من العلماء الأفاضل ، منهم الشيخ الغزالي الذى قال فيه ( انه الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله ) .(٥)

---

(١) لسان العرب / لابن منظور جـ١ ص ٤٢٣ .
(٢) انظر المعجم الوسيط ١/ ٣٥٧ .
(٣) ص ١٦٨ .
(٤) انظر لسان العرب / لابن منظور ١/ ٤٢٢ .
(٥) مع الله ص ٣١١ .

ثم وجدت له معنى مشابها عند صاحب كتاب أصول الدعوة والذى قال فيه ( الترغيب : هو ما يشوق المدعو إلى الاستجابة و قبول الحق والثبات عليه ) (١).

وأمثال هذه المعاني تعرض لها شيخ الاسلام ابن تيميه ، وابن الجوزى الا أنها جاءت عندهم باسم الوعظ والتذكير أو تندرج تحته.

فالترغيب والترهيب هو الوعظ والتذكير من جهة المعنى ، يقول الإمام ابن الجوزى وهو يتحدث عن طباع الناس ( اعلم أن الطباع لما خلقت مائلة الى حب الشهوات المرديه ، والبطالة المؤذية ، افتقرت الى مقوم و مثقف ومحذر يرد ،... ولهذا بعث الأنبياء بالترغيب والترهيب، وأنزلت عليهم الكتب للتثقيف والتأديب ، فمازالوا مبشرين ومنذرين ) (٢).

وعلى هذا فالوعظ عنده : تخويف يرق له القلب ، والتذكير : تعريف الخَلْق نعم الله عز وجل ، وحثهم على شكره و تحذيرهم من مخالفته ) (٣).

وقد لحقه في هذا المعنى الامام ابن تيميه رحمه الله وهو يدعو الى الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة ، فيفسر الوعظ بقوله ( والوعظ في القرآن هو الأمر والنهي والترغيب والترهيب ) (٤).

---

(١) عبد الكريم زيدان ص ٤٢١.

(٢) كتاب القصاص والمذكرين ص ١٧٣.

(٣) المرجع السابق ١٥٩-١٦٠.

(٤) الرد على المنطقيين ص ٤٦٧.

وهذه احدى المعاني - كما أسلفنا - التي ذهب اليها صاحب اللسان وهو يترجم لكلمة الوعظ ،فقال ( الوعظ والعظة والموعظة : النصح والتذكير في العواقب ، قال ابن سيده : هو تذكيرك للانسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب ) .(١)

ومن هنا نرى أن المعنى الاصطلاحي بمعناه المطلوب لم يتطرق اليه العلماء الأُوَل بطريق مباشر ،وما ظهر الا لدى المحدثين وما أظن ذلك الا لحاجة أهل هذا الزمان الى التعريفات الدقيقة الواضحة ، بينما كان الاسلاف يفقهون هذه المعاني ،ويعونها في نفوسهم.

وعلى هذا فالترغيب -في رأيي المتواضع - من جهة الاصطلاح هو : كل ما يشوق المدعو الى الاستجابة وقبول الحق ،والثبات عليه مما يحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أوامر الله التي فيها وعد للطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظيم الخير ،وتبشيرهم بالمثوبة التي تعم نعم الدنيا والآخرة وسعادتهما في ظل منهج الله.

---

(١) لسان العرب / لابن منظور ٧/٤٦٦.

المطلب الثاني بأهمية الترغيب والترهيب :

ان المتأمل في فطرة الله التي فطر الناس عليها يقف أمام قوله تعالى في سورة الشمس : " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ⑩ " (١)

ففي هذه الآيات يقسم ربنا جل جلاله بالنفس التي أنشأها وهيأ لها بما أودع فيها من قوى واستعدادات أن تعرف الحسن من القبيح ، ومنحها القدرة على فعل ما تريد ، ومعنى ذلك أنها مفطورة على الخير والشر ولها أن تختار بينهما ، وقوله :
" وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ⑩ " (٢)

أي علمناه طريق الخير ليسلكه وطريق الشر ليتجنبه ، وهيأناه للاختيار بغير اجبار ، ومن هنا يظهر أن الانسان مفطور على/معرفة الخير والشر ، وله أن يعمل ما يشاء منهما ، وان الله هداه الى التمييز بينهما .

لذلك وجدنا نماذج شتى .. وجدنا الطائعين المؤمنين ، ووجدنا الكافرين المذنبين ، ومنذ خلق الله الانسان ، وحيث أنها واقعة لا محالة فقد اقتضت حكمة الله أن يكون هناك ترغيب وترهيب بدأ مع نبي الله آدم عليه السلام حين كان هو وزوجه في الجنة : " وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ㉟ " (٣)
فهذه واحدة .

---

(١) سورة الشمس آية ٧-١٠ .

(٢) سورة البلد آية ١٠ .

(٣) سورة البقرة آية ٣٥ .

وأما الثانية ،فقد قال تعالى ": إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ " (١)

هذا البشر الطيني الذى تحمل نفسه (قوتان ،قوة تفكير وقوة وجدان وحاجة كل واحد منهما غير حاجة أختها ، لأن احداها تنقب عن الحق لمعرفته وعن الخير لتعمل به ، وأما الأخرى فتسجل احساسها بما في الأشياء من لذة وألم ، والقرآن هو الذى يوفى هاتين الجارحتين ). (٢)

معا ، وفي ذلك يقول الشيخ محمد قطب ( ولأن الانسان هو هذان العنصران معا فهو ليس قبضة من طين خالصة تخضع للضرورات القاهرة من طعام وشراب وجنس ... الخ خضوعا لا تملك نفسها منه ولا تختار لنفسها سلوكا معينا إزاء هذه الضرورات ، وليس إشراقة روح خالصة طليقة من القيود ترفرف حيث تشاء ولا تخضع لضرورة ، ولا تتأثر بقيود الزمان والمكان والوجود والفناء وثقلة الجسم المنجذب إلى الطين ، ولكنه مزيج من الضرورة القاهرة والإشراقة الطليقة من القيود ، مزيج قد يغلب عليه في بعض الأحيان أحد عنصريه ،فتظهر الضرورة الغليظة وعتامة الطين ، أو تظهر النورانية الشفافة وخفة الشعاع ). (٣)

---

(١) سورة ص آية ٧١ - ٧٢ .

(٢) من الوجهة الأدبية في دراسة القرآن الكريم ،السيد تقي الدين ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٣) انظر منهج الفن الاسلامي ص ٤٨ ومابعدها .

ولأن الله يعلم أن للطين في الأرض ثقالته وعتامته ، وللواقع ضغطه وقوته ، وأنه سبحانه خلق الانسان ضعيفا :

" وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ " (١)

فمن منطلق نقطة الضعف في نفسه وهي حبه للشهوات :

" زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ " (٢)

والتي يخضع لها أحيانا فتركبه ولا يملك نفسه منها ويستعبد لهـــا ، يقول الامام ابن الجوزى : ( اعلم أن الطباع لما خلقت مائلة الى حب الشهوات المردية ، والبطالة المؤذية ، افتقرت الى مقوم ومثقف ومحذر يرد ، فهي في ضرب المثل ، كالماء يجرى بطبعه ، فاذا رد بسكر وقف عن جريانه ثم أخذ يعمل في فتح الطريق ، فكما ينبغي أن يتعاهد ذلك السّكر بالاحكام فكذلك ينبغي أن تتعاهد الطباع بالزواجر ، ولا ينبغي أن يطول أمد التعاهد ، فإن عمل الماء في باطن السكر دائم وإن خفي ، وكذلك الطباع في ميلها إلى ما يؤذيها ، ولهذا بعث الأنبياء بالترغيب والترهيب ، وأنزلت عليهم الكتب للتثقيف والتأديب ، فما زالوا مبشريـــن ومنذرين ) . (٣)

---

(١) سورة النساء آية ٢٨ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٤ .

(٣) كتاب القصاص والمذكرين ص ١٧٣ .

( بيد أن هذا الترهيب في حاجة الى دلائل ، وأن ذاك الترغيب في حاجة الى آيات ، أليس التحذير في حاجة الى موانع والاغراء في حاجة الى مقتضيات ، ان الحث والزجر في حاجة الى بيان ما بالشيء من مثالب، وكشف ما به من منفرات ، وفي الزجر حث وفي الحث منع ، كلاهما مرتبط بالآخر ، فما من زجر عن أمر الا عن ارتباط بالمنع من شيء آخر ، وكلاهما في حاجة الى دليل .. حجج ملجمة اللسان ترهيبا ، وبراهين مثلجة للصدور ترغيبا ، من شواهد سابقة أو ماثلة )[1].

وهذا عام عند عامة الناس ، يقول الامام ابن تيميه ( وعامة الناس يحتاجون الى الحكمة والموعظة الحسنة ، فان النفس لها أهواء تدعوها الى خلاف الحق وان عرفته ، فالناس يحتاجون الى الموعظة الحسنة والى الحكمة فلا بد من الدعوة بها )[2].

لذلك لا بد أن يدرك الداعية أن الترغيب والترهيب هما أساس الدعوة الى الله ، ولكن في بعض الأحوال والظروف يكون الترغيب وحده أنسب وأوقع وأعمق أثرا ، وفي بعضها الآخر يكون الترهيب وحده هو الأنسب والأعمق أثرا ، وأحيانا أخرى يتطلب الأمر استخدامهما معا بقصد التنشيط لاكتساب ما يزلف ، والتثبيط عن اقتراف ما يتلف ، قال الزمخشري :

---

(١) براعة الاستهلال / د. محمد بدري عبد الجليل ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٢) الرد على المنطقيين ص ٤٦٦ ( والذى يفسر الوعظ بأنه ترغيب وترهيب انظر ص ٤٦٧ ).

( من عادته سبحانه في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ، ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف ، فحين يذكر الكفار أعمالهم ويوعدهم بالعقاب يُقَفِّيه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة ، من فعل الطاعات وترك المعاصي وحمايتها من الاحباط والكفر والكبائر ).(١)

وخلاصة الأمر أن مسألة تقدير هذا الأمر متروك لحكمة الداعية وفطنته ،وكياسته للأمور . ومن هنا كان لزاما على الداعية أن يقدر للأمور قدرها ، ويعطي كل موقف حقه من الترغيب واللين أو الترهيب والشدة ،وان كان الترهيب أحيانا يكون من الترغيب والشفقة.

قال الشاعر :

فقسا ليزدجروا ومن يك راحما

فليقس أحيانا على من يرحم (٢)

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى :

" وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا " (٣)

( ان القول الحسن ليس هو عبارة عن القول الذى يشتهيه المدعو ويوافق هواه ويحبه ، بل القول الحسن هو الذى يحسن انتفاعه به سواء حصل عن طريق اللين والرفق أو الشدة والحزم ،وعلى هذا قد تكون الشدة من القول الحسن ).(٤)

---

(١) مع القرآن في آدابه ومعاملاته القسم الثاني /عبد الحبيب طه حميدة ص ١١٢.

(٢) شرح الحماسة /المرزوقي ٣/ ١١٢١.

(٣) سورة البقرة آية ٨٣.

(٤) مفاتيح الغيب / الرازى ٣/ ١٦٨.

ومن هنا لا بد أن نقف للرد على من حاولوا أن يقللوا من قيمة أسلوب الترغيب والترهيب كوسيلة تربية ، بل حاولوا الغاءه بذمه قائلين : ( ان التربية بالترغيب والترهيب هي أحط أنواع التربية وأبعدها عن القيم الانسانية ، لأنها تستغل غريزتين من غرائز الحيوان وهما غرائز الخوف من الألم والحرص على اللذة المادية ،فاستخدام وسائل التخويف من العقوبات والاغراء بالمكافآت في التربية تنزل بالانسان الى مرتبة الحيوان ).(١)

وللرد عليهم نقول :

أولا : ١ - ( اذا كان المراد هو افهام الناس الحسن والقبح في الأعمال حتى يكون الاقبال عليها أو النفور منها صادرا عن وعي دقيق : فذاك شيء لا بأس منه ،بل هو أحد دوافع الترغيب والترهيب(٢) وهذا ما يسمى بالتربية الخلقية التي تتعهد النفس الانسانية فتنمي فيها حب الخير وكراهية الشر حتى تصل الى عمل الخير حبا فيه ،دون نظر الى ما يترتب عليه من جزاء مادى ،بل يدفعها اليه ما يشعر به من الرضا والراحة عندما تفعله ،وتمتنع عن الشر لما يحسه من كراهية ونفور من التلبس به ، دون نظر الى ما يعقبه من عقاب ومأخذ )(٣) .

---

(١) انظر دراسات اسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية / محمد عبدالله دراز ص ٧١.

(٢) مع الله /الغزالي ص ٣٢٣.

(٣) أسلوب الدعوة القرآنية / عبدالغني بركة ص ٣٢٥.

الا أن ( الكلمة الرقيقة قد تجدى مع قوم ولا يجدى غيرها معهم )[1]

( فالمعرفة وحدها لا تكفي في الزام الانسان بالفضائل وكفه عن الرذائل ، بل لا بد معها من وسائل أخرى للتهذيب والتربية ، تحفز الارادة ، وتبعث الهمة على الالتزام في السلوك بما توجبه المعرفة من عمل الخير والبعد عن الشر ، وهذا ما يسمى بالثواب والعقاب )[2].

٢ - أما أن نقول إن التربية تكون بتعليم الناس فعل الخير للخير وترك الشر للشر وحده ، ( فان هذا القول فيه مثالية تتجاهل الواقع الواضح )[3] والذى معناه أننا نتخطى قوانين اللذة والألم ، ونستغني عن العقاب واعداد السجون ، الا أننا ( لا نعرف عهدا استغنت فيه الانسانية من انذار المجرمين بالنكال ، واعداد السجون لهم ، وعن استرضاء الأخيار بالجوائز المغرية ، وتوفير أسباب السعادة لهم ولأهليهم )[4].

والسبب في ذلك هو :

تفاوت النفوس في الاستعداد للتأثر فان كلا النوعين من الترغيب والترهيب ، من وسائل التربية يصلح لفريق من الناس وقد لا يصلح لغيرهم ، لقصور استعدادهم النفسي عن الاستجابة له والتأثر به ، وفي ذلك

---

(١) مع الله / الغزالي ص ٣٢٣.

(٢) أنظر اسلوب الدعوة القرآنية / عبد الغني بركة ص ٣٢٤ ، ٣٢٥.

(٣) المرجع السابق نفسه ص ٣٢٥.

(٤) مع الله / الغزالي ص ٣٢٧.

يقول الامام ابن تيميه ( ان الانسان له ثلاثة أحوال . اما أن يعرف الحق ويعمل به ، واما ان يعرفه ولا يعمل به ، واما أن يجحده فأفضلها أن يعرف الحق ويعمل به ، والثاني أن يعرفه لكن نفسه تخالفه فلا توافقه على العمل به ، والثالث من لا يعرفه بل يعارضه . فصاحب الحال الأول هو الذى يدعى بالحكمة فان الحكمة هي العلم بالحق والعمل به ، فالنوع الأكمل من الناس من يعرف الحق ويعمل به ، والثاني من يعرف الحق لكن تخالفه نفسه فهذا يوعظ بالموعظة الحسنة ، وعامة الناس يحتاجون الى هذا وهذا ، فان النفس لها أهواء تدعوها الى خلاف الحق وان عرفته ) (١) .

ويقول الامام ابن الجوزى ( اعلم أن الطباع لما خلقت مائلة الى حب الشهوات المردية ، والبطالة المؤذية افتقرت الى مقوم ومثقف ومحذر يرد ، فهي في ضرب المثل كالماء يجرى بطبعه ، فاذا رد بسكر وقف عن جريانه ، ثم أخذ يعمل في فتح طريق ، فكما ينبغي أن يتعاهد ذلك السكر بالاحكام فكذلك ينبغي أن تتعاهد الطباع بالزواجر ولا ينبغي أن يطول أمد التعاهد فان عمل الماء في باطن السكر دائم وان خفي ، وكذلك الطباع في ميلها الى ما يؤذيها ، ولهذا بعث الأنبياء بالترغيب والترهيب ، ، وأنزلت عليهم الكتب للتثقيف والتأديب فما زالوا مبشرين ومنذرين ) (٢) .

---

(١) الرد على المنطقيين ص ٤٦٨ .

(٢) كتاب القصاص والمذكرين ص ١٧٣ .

ثانيا : ان هذا الكلام جحود للدين وانكار للبعث لأن ( المؤمن يؤدي العمل لله وحده ، ثم يرتقب مع مرضاته جل شأنه أن يلقى لديه الرضا والنعمة ، وأن يصان من العنت والأذى ، وهذا الطمع في فضل الله لا ينقص قدره ، وهذا الوجل من عقابه لا ينزل به ، كيف والقرآن يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

" قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ " (١)

صحيح أن التعويل على الأجزية المادية وحدها هبوط بقيمة الانسان وتحقير لعقله وقلبه، بيد أن الدين لم يفعل ذلك ولا جنح اليه .

ان الاسلام أيقظ العقل الغافي أولا ، وتوجه اليه بالخطاب المبين ، وحرك القلب الانساني وعلقه بالسماء ، ولفته الى ما يجمل به من شكر الله وقيام بحقه .

والزعم بأن المرء يترك وشأنه اذا لم يستجب لحادي العقل والضمير ، زعم باطل ، فمن لم يزجره عن الايذاء الكلم الطيب لا حرج اذا قوبل بالعصا .

ومن أصم أذنيه عن صوت العفاف وقرر أن يسترسل مع نزعات العهر لم يبق بد من ترويض الحيوان الناجح من دمه بالجلد ) .(٢)

ومن هنا كان ( استعمال القرآن في هدايته للناس أسلوب الترغيب والترهيب ، كما يشير اليه قوله تعالى :

" إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ " (٣)

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥ .
(٢) انظر كتاب منع الله / الغزالي ص ٣٢٤ - ٣٢٧ .
(٣) سورة الاسراء آية ٩ - ١٠ .

فان قوله عز وجل " ويبشر المؤمنين " وما بعدها بيان لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ) .(١)

ثالثا : كما أنه جحود بما أتت به الرسالات / كلها ، لأن الديانات كلها قامت على معرفة الله وضرورة طاعته ، وعلى الاستعداد لليوم الآخر وضـــرورة التحرز من عذابه واحراز خيره وثوابه بدلالة استقراء حياة الرســـل في تاريخ دعواتها الطويل من عهد نوح عليه السلام الى محمد صلى اللـه عليه وسلم :

١ - فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه : مرغبا :

" أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ " (٢)

كما يقول لهم مرهبا :

" يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ " (٣)

٢ - وهذا ابراهيم عليه السلام يقول لهم مرغبا :

" اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ " (٤)

كما يقول لهم محذرا ومرهبا :

" إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ " (٥)

٣ - وهذا هود عليه السلام يخاطب قومه مرغبا :

" وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ " (٦)

---

(١) انظر هداية المرشدين / علي محفوظ ص ٢٨٠ .

(٢) سورة نوح آية ٢-٤ .

(٣) سورة نوح آية ٢ .

(٤) سورة العنكبوت آية ١٦ - ١٨ .

(٥) سورة العنكبوت آية ٢٥ .

(٦) سورة هود آية ٥٢ .

كما يخاطبهم مهددا : " فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ " (١)

٤ - كما استخدمه صالح عليه السلام في دعوته لقومه :

" أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ " (٢)

كما قال لهم محذرا :

" وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ " (٣)

٥ - كما خاطب به موسى عليه السلام قومه مرغبا :

" وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ " (٤)

ثم خاطبهم مرهبا : " قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ " (٥)

٦ - كما كان الأسلوب الذى استخدمه عيسى عليه السلام

في دعوته لقومه :

" وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ " (٦)

٧ - وأخيرا ومن الطبيعي أن يكون هو الأسلوب الذى استخدمه محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته لقومه فقال لهم مبشرا ومرغبا : " وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ " (٧)

---

(١) سورة هود آية ٥٧ .
(٢) سورة الشعراء آية ١٤٦-١٤٩ .
(٣) سورة هود آية ٦٤ .
(٤) سورة ابراهيم آية ٧ .
(٥) سورة طه آية ٨٦ .
(٦) سورة آل عمران آية ٥٠
(٧) سورة النور آية ٥٥ .

كما قال لهم مرهبا و متوعدا :

" فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ " (١)

وبذلك بقي وسيبقى المنهج القرآني في جمعه بين مختلف وسائل التأثير هو القمة في مناهج التربية واصلاح النفوس .

وسيبقى الانسان هو الانسان متفاوتا في هذا الشأن محتاجا لتعدد وسائل التربية مهما بلغ من الحضارة والرقي ، وفي ذلك اعتراف بطبيعة البشر واستقامة مع الحق ولا شيء فيه .

ومن منطلق هذه الأهمية وفي ضوئها نرى أن سورة غافر جعلت من أسلوب الترغيب والترهيب وسيلة لمعالجتها لأمر المشركين ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب النظم الفني في القرآن الكريم حين فرق بين سورة غافر والسورة التي قبلها - فصلت - ( ان المشركين أخذوا في السورة السابقة بطريق الدليل على فساد اعتقادهم في شفعائهم وان جاء فيه شيء من الترغيب والترهيب وأخذوا في هذه السورة بطريق الترغيب والترهيب وان جاء فيها شيء من الطريق الأول ) . (٢)

حيث كان التمهيد فيها بالترغيب والترهيب :

" حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ " (٣)

وختمها بالترغيب والترهيب حين ذكر أنه هو الذى جعل لهم الأنعام

---

(١) سورة فصلت آية ١٣ .

(٢) عبد المتعال الصعيدى ص ٢٦٨ .

(٣) سورة غافر آية ١ - ٣ .

لركوبهم وأكلهم الى غير هذا مما ذكره من نعمه عليهم ، ثم أمرهم أن يسيروا في الأرض فينظروا عاقبة الذين كفروا من قبلهم وقد اغتروا بقوتهم فاستهزؤا برسلهم وفرحوا بما عندهم من العلم فلما أخذهم الله بعذابه قالوا آمنا بالله ... وخسر هنالك الكافرون ، يتخلل هذا التمهيد وتلك الخاتمة الكثير من صور الترغيب والترهيب ، وسيأتي تفصيل وشرح هذه الصور في المطلب القادم ان شاء الله .

## المطلب الثالث

## صور الترغيب في سورة غافر

### الصورة الأولى :

قال تعالى : " حمٓ ① تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ② غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ " (١)

### الهدف منها :

تهدف هذه الآيات بطريق غير مباشر الى الحث لفعل المراد من تنزيل الكتاب وهو الايمان بالله - التوحيد - والايمان بالبعث مع الاخلاص لله في العمل والاقبال عليه وحده ، وتهدف بطريق مباشر الى الترغيب في التوبة والتي تحمل بداخلها الكثير من وسائل التأثير في ذلك الأسلوب من الدعوة والتي يفصلها مايلي :

---

(١) سورة غافر آية ١ - ٣ .

١ - كونهـا جاءت في صدر السورة مستهلا بها قوله تعالى :(١)

" حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِ " (١)

٢ - عطف بعض الصفات دون بعض كـ " غافر الذنب " ، و" قابل التوب " دون غيرها :

أ - زيادة في الترغيب ، وفي ذلك يقول الزملكاني (٢) معللا : (لأنّ " غافرا " و" قابلا " صفة تشعر بحدوث المغفرة والقبول ، فكان العطف للمغايرة بين المعنيين ، ولتنزلهما منزلة الجملتين فنبه العباد على أنه يفعل هذا ويفعل هذا ليرجوه ويأملوه ) (٣).

---

(١) سورة غافر آية ١ - ٣ .

(٢) هو محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني ، الدمشقي ، الشافعي ، كان فقيها أصوليا ، مناظرا ، وعرف عنه النظم والنثر ، تقلد العديد من المناصب ، وله الكثير من التصانيف . توفى سنة ٧٢٧ هـ ( انظر ترجمته في طبقات الشافعية ٥/ ٢٥١ وما بعدها ، البداية والنهاية ١٤/ ١٣١ ، معجم المؤلفين ١١/ ٢٥ ) .

(٣) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ص ٢٨٦ .

ب - كما أن فيها نكتة جليلة ينبه اليها الامام النسفي قائلا : ( ان فيها افادة الجمع للمذنب بين رحمتين ، بين أن تقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات ، وأن يجعلها محاة للذنوب كأن لم يذنب ، فكأنه قال : جامع المغفرة والقبول ).(١)

وروى (٢) أن عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له : تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه : اكتب من عمر الى فلان : سلام عليك وأنا أحمد الله اليك الذى لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم " حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب " الى قوله " اليه المصير " وختم الكتاب وقال لرسوله : لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ، ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة ، فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول : قد وعدني ، قد وعدني الله أن يغفر لي ، وحذرني عقابه ، فلم يبرح يرددها حتى بكى ، ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته ، فلما بلغ عمر أمره قال : هكذا فاصنعوا ، اذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه ، وادعو الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه ).

يقول صاحب كتاب " معترك الأقران " : ( لقد أخذ ذلك من حديث قصة الرجل الذى أمر صلى الله عليه وسلم برجمه ، فقالوا :

---

(١) تفسير النسفي ٣/٢٣٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ١٥/ ٢٩١.

أخزاه الله ، فقال صلى الله عليه وسلم "هلا قلتم اللهم اغفر له (١) لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم " )(٢).

( وهي احدى ثلاث آيات في كتاب الله تعالى عن قبول التوبة )(٣).

٣ - ( تقديم " غافر " على "قابل التوب " مع أنه مرتب عليه في الحصول للاهتمام بتعجيل الاعلام لمن استعد لتدارك أمره ، فوصف " غافر الذنب، و قابل التوب " تعريض بالترغيب . )(٤)

---

(١) صحيح البخارى جـ٨ كتاب الحدود وما يحذر من الحدود ، باب ٥ مايكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة ص ١٥ ، والذى نصه ( عن أبي هريرة قال : أتي النبي صلى الله عليه وسلم بسكران فأمر بضربه فمنا من يضربه بيده ، ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضربه بثوبه فلما انصرف قال رجل أخزاه الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم ).

(٢) انظر معترك الأقران / السيوطي ٤٧٦/١ - ٤٧٧.

(٣) قال صاحب كتاب معترك الأقران في ص ٤٥ من جـ٣ ( قد أخبرنا الله في أربع آيات من كتابه أنه يتوب على المؤمنين ، قال تعالى " لقد تاب الله على النبي .. الآية " التوبة : ١١٧ / " ويتوب الله على المؤمنين " الأحزاب : ٧٣ / " والله يريد أن يتوب عليكم " النساء ٢٧ / " انما التوبة على الله .. " النساء/١٧ ، وقد أخبرنا في ثلاث آيات أنه يقبل توبتهم ، قال تعالى : " ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده " التوبة ١٠٤ ، " وهو الذى يقبل التوبة عن عباده " الشورى : ٢٥/ و " قابل التوب " غافر : ٣.

(٤) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٧٩/٢٤ - ٨٠.

٤ - الجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد :

أ - ( لأن مطامع العقلاء محصورة في أمرين هما جلب النفع ودفع الضر ، ومن هنا كان هذا المعنى الذى تضمنته الآية الكريمة موضحا في آيات كثيرة من كتاب الله تعالى كقوله سبحانه : "نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾" (١) ) (٢)

ب - ( ولئلا ييأس الناس من الرحمة ولا يأمنوا مكر الله ) (٣).

*

الصورة الثانية :

قال تعالى " : الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ .... )

الهدف منها الترغيب في الايمان بكل وسائل التأثير ، والتي تتضح فيمايلي :

١ - في قوله تعالى : " يؤمنون به " والمقصود به الاطناب الذى يرغب في الايمان ، لاظهار شرفه وفضله ، لأن ايمان حملة العرش معلوم ، كما وصف سبحانه الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح كذلك ، وكما عقب أعمال الخير بقوله تعالى : " ثم كان من الذين آمنوا " فأبان بذلك فضل الايمان ) (٤).

---

(١) سورة الحجر آية ٤٩.

(٢) أضواء البيان / الشنقيطي ٧/٦٩.

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم / طنطاوى جوهرى ١٩/٧.

(٤) انظر تفسير الكشاف / الزمخشرى ٣/٤١٥-٤١٦ ، معترك الأقران / السيوطي ١/٣٣٣ ، ٣/٥٠٤ / تفسير النسفي ٣/٢٤٠.

يقول الامام القزويني :[1] ( فانه لولم يقصد الاطناب لم يذكر " ويؤمنون به " ، لأن ايمانهم ليس مما ينكره أحد من شبتيهم، وحسن ذكره اظهار شرف الايمان ترغيبا فيه ).[2]

كما يقول صاحب كتاب " الجواهر " ( قولــه : " ويؤمنون به " انما ذكر للدلالة على اظهار فضيلة الايمان ، وإلا فحمل العرش لا يكــون الا بكمال العلم ، ولا كمال للعلم الا بعد مبدأ الايمان ، وذلك لأن المقام مقام ابراز ، أمة ، وابرازها انما يكون أولا بالايمان )[3] ( وفي ذلــك تعريض بالمشركين لأنهم لم يكونوا مثل أشرف أجناس الناس ).[4]

٢ - ثم في قوله " ويستغفرون للذين آمنوا " ففيها أيضا ترغيب في الايمان عن طريق ( التنويه بشأن المؤمنين الذين تستغفـر لهم هذه الطائفة الشريفة من الملائكة - الذين أخبر عنهم ، بأنهــم يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به توطئة وتمهيد للاخبار عنهم بأنهــم يستغفرون للذين آمنوا ، فذلك هو المقصود من الخبر ، فقدم له ، فيــه

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر العجلي ، القزويني ، الشافعي ، جلال الدين ، أبو المعالي ، فقيه وأصولي ، محدث ، أديب وشاعر وعالم بالعربية والمعاني والبيان ، كان من القضاة والخطباء ، تنقل بين دمشق ومصر الا أنه توفي بدمشق سنة ٧٣٩ هـ .
( انظر ترجمته في : طبقات الشافعية ٥/ ٢٣٨ ، البداية والنهاية ١٤/ ١٨٥ ، معجم المؤلفين ١٠/ ١٤٦ ).

(٢) الايضاح ١/ ٣١٨.

(٣) طنطاوى جوهرى ٦/ ٨.

(٤) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ٩٠.

تحقيق استجابة استغفارهم لصدوره ممن دأبهم التسبيح وصفتهم الايمان ، والا فان الله قد أسند مثل هذا الاستغفار لعموم الملائكة في قولـــه تعالى :

" وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ " (١)

أى المؤمنين ) (٢) الا أن صاحب كتاب " معترك الأقران " قد أورد بأن هذه الآية منسوخة بما ورد في سورة غافر :

" وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ "

ثم يستخلص منها اشارات الترغيب عن الايمان قائلا ( ان في اطلاق لفظ الذين آمنوا على أهل الأرض ترغيبا وتكريما لهم ، وكأن ما على وجـــه الأرض الا الذين آمنوا ، ولا يعترف الا بالذين آمنوا ) (٣) ومـــن هنا نجد أنه :

أ - قد روعى التناسب في قوله : " وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ " كأنه قيل : ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم ) (٤) .

ب - أنه ثبت أن كمال السعادة مربوط بأمرين : التعظيم لأمر الله ، والشفقة على خلق الله ، ويجب أن يكون التعظيم لأمر الله مقدما على الشفقة على خلق الله ، فقوله :

" يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ "

---

( ١ ) سورة الشورى آية ٥ .

( ٢ ) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ٨٩-٩٠ .

( ٣ ) معترك الأقران / السيوطي ١/ ١٢٣ ، ٢٥١ .

( ٤ ) الكشاف / الزمخشرى ٣/ ٤١٦ .

مشعر بالتعظيم لأمر الله ، وقوله :

" وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا "

مشعر بالشفقة على خلق الله ).(١)

يقول صاحب كتاب "اعجاز القرآن" : ( وفي ذلك ترغيب عن طريق تعظيم شأن المؤمنين بما أخبر من استغفار الملائكة لهم وما وعدهم عليه من المغفرة ).(٢)

٣ - كما هي في قوله تعالى على لسان الملائكة :

" رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا "

أ - ( فقد كان افتتاح دعاء الملائكة للمؤمنين بالنداء ، لأنه أدخل في التضرع ، وأرجى للاجابة مما يطمع باستجابة الغفران )(٣) وهذا شأن الدعاء في أكثر الأمر ، فالملائكة هنا قالت ( ربنا ) وآدم عليه السلام قال :

" رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا "(٤)

وقال نوح عليه السلام :

" رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ "(٥)

وابراهيم عليه السلام قال :

" رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ "(٦)

وموسى عليه السلام قال :

" رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي "(٧)

---

(١) التفسير الكبير / الفخر الرازي ٢٧/ ٣٤.

(٢) الباقلاني ص ١٠.

(٣) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ٩٠.

(٤) سورة الأعراف آية ٢٣.

(٥) سورة هود آية ٤٧.

(٦) سورة ابراهيم آية ٤١.

(٧) سورة القصص آية ١٦.

وبهذا يثبت أن من أرضى الدعاء أن ينادى العبد ربه بقوله (يا رب) ،فكأن العبد يقول : ( كنت في كتم العدم المحض ، والنفي الصرف ،فأخرجتني الى الوجود ،وربيتني ،فاجعل تربيتك لي شفيعا اليك في أن لا تخليني طرفة عين عن تربيتك واحسانك وفضلك ، والتربية عبارة عن ابقاء الشيء على أكمل أحواله وأحسن صفاته ،وهذا يدل على أن هذه الممكنات كما أنها محتاجة حال حدوثها الى احداث الحق سبحانه وتعالى وايجاده فلذلك هي محتاجة حال بقائها الى ابقاء الله.

٢ - ان من السنة في الدعاء أن يبدأ بالثناء على الله تعالى ثم يذكر الدعاء عقيبه ،وهؤلاء الملائكة لما عزموا على الدعاء والاستغفار للمؤمنين ، بدأوا بالثناء فقالوا :

" رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا " (١)

وأيضا الخليل عليه السلام لما أراد أن يذكر الدعاء ذكر الثناء أولا فقال :

" ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ " (٢)

فكل هذا ثناء على الله تعالى ، ثم بعده ذكر الدعاء فقال :

" رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ " (٣) (٤)

---

(١) سورة غافر آية ٧

(٢) سورة الشعراء آية ٧٨ - ٨٢ .

(٣) سورة الشعراء آية ٨٣ .

(٤) التفسير الكبير / الفخر الرازى ٢٧ / ٣٥ .

٣ - بيان مدى سعة علم الله ورحمته حيث (جيء في وصفه تعالى بالرحمة الواسعة والعلم الواسع ،فالرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى ،والأصل وسعت كل شيء رحمتك وعلمك ،ولكن أزيل الكلام من أصله بأن أسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم ، كأن ذاته رحمة وعلما ويسعان كل شيء ، وهو مبالغة في وصفه سبحانه)(١). ثم ان تقديم ذكر الرحمة على ذكر العلم من قِبل الملائكة :(لأن مطلوبهم ايصال الرحمة ،وأن يتجاوز عما علمه منهم من أنواع الذنوب ، فحصول الرحمة على سبيل الكمال لا يحصل الا بالتجاوز عن الذنوب)(٢).

٤ - قوله تعالى : "فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ"

حيث تفرع عن هذه التوطئة بمناجاة الله تعالى ،ما هو المتوسل اليه منها وهو طلب المغفرة للذين تابوا ، لأنه اذا كان قد علم صدق توبة من تاب منهم وكانت رحمته وسعت كل شيء فقد استحقوا أن تشملهم رحمته لأنهم أحرياء بها)(٣) يقول صاحب كتاب "معترك الأقران" :( فان قلت : قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده ؟

فالجواب : فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك.

---

(١) انظر تفسير النسفي /أبي البركات عبدالله النسفي ٢٤٠/٣ ، الكشاف / الزمخشرى ٤١٧/٣ .

(٢) التفسير الكبير / الفخر الرازى ٣٦/٢٧ .

(٣) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٩١/٢٤ .

فان قلت : ما الفائدة من استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون بالمغفرة والله لا يخلف الميعاد ؟

قلت : ان فائدته زيادة الكرامة والثواب ). (١)

٥ - كما في قوله " وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ⑦ "

فبالرغم من أن الغفران يقتضي هذه الوقاية لأن غفران الذنب هو عدم المؤاخذة به الا أنهم عضدوا دلالة الالتزام (٢) بدلالة المطابقة (٣) اظهارا للحرص على المطلوب ). (٤) يقول صاحب التفسير الكبير ان (دلالة لفظ المغفرة على اسقاط عذاب الجحيم دلالة حاصلة على الرمز والاشارة فلما ذكروا هذا الدعاء على سبيل الرمز والاشارة أردفوه بذكره على سبيل التصريح لأجل التأكد والمبالغة). (٥)

٦ - وفي قولهم " رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ "

والذى يظهر فيه ( اعادة النداء خلال حمل الدعاء ، للتأكيد بزيادة التضرع مع أنهم موعودون بذلك أصلا الا أنه الأدب مع الله تعالى ). (٦) كما

---

(١) معترك الأقران / السيوطي ٣/٥٠٧-٥٠٨.

(٢) دلالة الالتزام هي : دلالة اللفظ على الخارج عن المعنى الموضوع له ، اللازم له.

(٣) دلالة المطابقة هي : دلالة اللفظ على تمام ما وضع له. (انظر: ايضاح المبهم من معاني السلم في المنطق /أحمد الدمنهورى الطبعة الأخيرة لعام ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) ص ٦.

(٤) التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/٩٢.

(٥) الفخر الرازى ٢٧/٣٧.

(٦) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/٩٢.

يظهر الاسجال (١) واضحا بالايتاء والادخال حيث وصفا بالوعد من الله الذى لا يخلف وعده ) (٢) حيث أنهم لما طلبوا من الله ازالة العذاب عنهم أردفوه بأن طلبوا من الله ايصال الثواب اليهم فقالوا ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ) (٣).

٧ - قوله تعالى : " وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ "

الترغيب عن طريق الدعاء للقرابات من أهل الايمان على حسب ترتيبهم الطبيعي ، فان الآباء أسبق علاقة بالأبناء ثم الأزواج ، ثم الذريات، بأن يجعلهم الله معهم في مساكن متقاربة ،كما في قوله تعالى : " هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ " (٤)

وقوله : " أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ " (٥)

( وذلك لأن الرجل اذا حضر معه في موضع عيشه وسروره أهله وعشيرته كان ابتهاجه أكمل ). (٦)

---

(١) وهو الاتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به ، نحو قوله تعالى " ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك " فان في ذلك إسجالاً بالايتاء والادخال حيث وصفا بالوعد من الله الذى لا يخلف وعده ( انظر معترك الأقران / السيوطي ١/ ٤٦٢).

(٢) انظر المرجع السابق ١/ ٤٦٢.

(٣) التفسير الكبير / الفخر الرازى ٢٧/ ٣٧.

(٤) سورة يس آية ٥٦.

(٥) سورة الطور آية ٢١.

(٦) التفسير الكبير / الفخر الرازى ٢٧/ ٣٧.

٨ - قوله تعالى : " إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ⑧ "

( وانما ذكروا في دعائهم هذين الوصفين لأنه لو لم يكن عزيزا بل كان بحيث يغلب ويمنع ، لما صح وقوع المطلوب منه ، ولو لم يكن حكيما لما حصل المطلوب على وفق الحكمة والمصلحة )(١) فقولهم :

" إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ⑧ "

أي ( الملك الذي لا يغلب ، فأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا الا بداعي الحكمة وموجب الحكمة أن تفي بوعدك )(٢).

٩ - ثم الترغيب عن طريق الدعاء للمؤمنين ببلوغ أعلى درجات الرضى والقبول يوم الجزاء بحيث لا ينالهم العذاب ، ويكونون في بحبوحة النعيم ، ولا يعتريهم ما يكدرهم من نحو التوبيخ والفضيحة )(٣).

١٠- وأخيرا تتضح هذه الصورة كاملة حين نعلم أنها جاءت بعد بيان الحال السيء الذي نال الكافرين في الدنيا بالأخذ الشديد ، ثم في الآخرة بالخلود في النار ، والتي يقصد بها تخويف المكذبين الضالين ، حيث ينتقل السياق القرآني من بيان ذلك الحال الى وصف حال المؤمنين ، وفي هذا :

---

(١) التفسير الكبير / الفخر الرازي ٢٧/٣٧.
(٢) الكشاف / الزمخشري ٣/٤١٧ .
(٣) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ٩٤.

أ - ترغيب للنفوس عامة بالفرار من عذاب الله وسخطه الى رحمته ورضاه.

ب - وترغيب لغير المؤمنين للاستجابة لما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم لينالوا نفس المنزلة من دعوات الملائكة وحبهم لهم، خاصة وأن الملائكة بعد ذلك تقف نفس الموقف الا أنه في الاتجاه المعاكس لأنها تقفه أمام الكافرين :

" وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) " (١)

*

الصورة الثالثة :

قال تعالى : " وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ....... )

تعد قصة مؤمن من آل فرعون بذاتها قصة ترغيب في الايمان اذ أنها تحمل في طياتها جوانب الترغيب عن طريق العديد من وسائل التأثير ، ويتمثل كل ذلك فيما يلي :

١ - الاكتفاء بتعريفه أنه رجل مؤمن فقط ، وهذا ترغيب في الايمان كأصل بعيد عن المسميات.

-----------------

(١) سورة غافر آية ٤٩- ٥٠.

٢ - الترغيب عن طريق تكرار نداءاته لقومه ، يقول صاحب التفسير الكبير : ( ان تكرير النداء فيه اظهار أن له بهذا المهم مزيد اهتمام ،وعلى أولئك الأقوام فرط شفقة ) (١) ،فهم قومه وعشيرته ،وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة ، فهو يتحزن بهم ويتلطف بهم و يستدعي ذلك أن لا يتهموه ،فان سرورهم سروره ،وغمهم غمه ، بل ينزلوا على تنصيحه لهم (٢) ،يقول ابن الأثير (٣) في ذلك ( انه أتى في كلامه تأكيدا له وتشييدا ،وانما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذى كررت فيه مبالغة في مدحه ) (٤) وهذا ما كان من ابراهيم عليه السلام/في نصيحة أبيه مكررا قوله " يا أبت " ، يقول صاحب كتاب " الايضاح " : ( وهذا إطناب زيادة في التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ) (٥).

---

(١) الفخر الرازى ٢٧/٧٠.

(٢) الكشاف / الزمخشرى ٣/٤٢٩.

(٣) هو نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزرى، ضياء الدين المعروف بابن الأثير كان من العلماء والكتاب اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين ،وولي الوزارة في دمشق ولم تحمد سياسته فخرج منها مستخفيا في صندوق مقفل إلى حلب ثم الموصل الى أن مات ببغداد كان قوى الحافظة كثير التأليف ،توفي سنة ٦٣٧هـ.

(٤) المثل السائر ٣/٨.

(٥) الخطيب القزويني ص ٣٠٤ ،وانظر معترك الأقران / السيوطي ١/٣٤٣.

٣ - كما هو واضح - الترغيب - من خلال استخدام (نا) في قوله (ينصرنا) و (جاءنا) لأنه كان يظهر من نفسه أنه منهم وأن الذى ينصحهم به هو مشارك لهم فيه ).(١)

٤ - الترغيب في الايمان عن طريق تذكيرهم بما هم فيه من نعمة عامة في الحياة (يعني أن لهم ملك مصر وقد علوا الناس ، فلا يفسدوا أمرهم على أنفسهم متعرضين لبأس الله وعذابه ).(٢)

يقول صاحب التحرير والتنوير : ومن شأن ذلك أن يدعوهم الى طاعة الله الذى أنعم عليهم بهذه النعم والتحذير من فقدهم لهما اذا امتنعوا عن الاستجابة وكفروا بالله ، ومع زوال النعم نزول العذاب ).(٣)

٥ - الترغيب بالموعظة عن طريق :

أ - العرض المجمل أولا : " وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) "

ولم يبين أى سبيل هو ، فهو على اجماله مما تتوق اليه النفوس، فربط حصوله باتباعهم اياه ،مما يقبل بهم على تلقي ما يفسر هذا السبيل ويسترعي أسماعهم الى ما يقوله اذ لعله يأتيهم بما ترغبه أنفسهم.

---

(١) انظر التفسير الكبير / الفخر الرازى ٢٧/ ٥٩ / تفسير النسفي / النسفي ٣/ ٢٤٨.

(٢) انظر تفسير النسفي /للنسفي ٣/ ٢٤٨.

(٣) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١٣٢.

ب - ثم التفصيل المفتتح بذم الدنيا ، وتصغير شأنها لأن الاخلاد اليها هو أصل الشركله ، ومنه يتشعب جميع ما يؤدى الى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة .

وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها ، وأنها هي الوطن والمستقر ، فكان الترغيب في النعيم الدائم عن طريق بيان حقارة حال الدنيا وكمال حال الآخرة ، يقول صاحب التفسير الكبير في ذلك ( أما حقارة الدنيا فهي قوله : " يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ " والمعنى أنه يستمتع بهذه الحياة الدنيا في أيام قليلة ثم تنقطع وتزول ، وأما الآخرة فهي دار القرار والبقاء والدوام ، وحاصل الكلام أن الآخرة باقية دائمة ، والدنيا منقطعة منقضية منقرضة ، والدائم خير من المنقضي )(١) ويقول صاحب كتاب " التحرير والتنوير " معللا ( لأنه علم أن أشد دفاعهم عن دينهم منبعث عن محبة السيادة والرفاهية ، وذلك متاع الدنيا الزائل ، وأن الخير لهم هو العمل للسعادة الأبدية )(٢).

والخلاصة لقوله : إن سبيل الرشاد هو الاعراض عن الدنيا ، والامتناع عن الأعمال السيئة خوف المقابلة عليها والمسارعة الى الأعمال الصالحة رجاء المجازاة عليها ، ولذلك قال ابن الأثير : ( اعلم أن هذا النوع - التفسير بعد الابهام - لا يعمد الى استعماله الا لضرب من المبالغة ، اذا جيء به في كلام فانما يفعل ذلك لتفخيم أمر المبهم واعظامه لأنه هو الذى يطرق السمع أولا فيذهب السامع كل مذهب )(٣).

---

(١) التفسير الكبير / الفخر الرازى ٢٧/ ٦٨.

(٢) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١٤٩.

(٣) المثل السائر / ابن الأثير ٢/ ٢١٩-٢٢١.

ثم يقول صاحب التفسير الكبير معقبا ( وان الترغيب في النعيم الدائم والترهيب من العذاب الدائم من أقوى وجوه الترغيب والترهيب ) .(١)

جـ - ثم كان الترغيب عن طريق بيان جانب الرحمة ، وأنه الغالب ليثبط عما يتلف ، وينشط لما يزلف ، يقول صاحب التفسير الكبير ( بينت الآية كيف تحصل المجازاة في الآخرة مشيرة الى أن جانب الرحمة غالب على جانب العقاب ، فجزاء السيئة مقصور على المثل بينما جزاء الحسنة غير مقصور وانما خارج عن الحساب ) .(٢)

د - قوله ( بغير حساب ) جاء ترغيبا واقعا ( في مقابلة بين جزاء السيئة الذى له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق ، فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب ، بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة ) وفي هذا وعد بخير آجل ونعيم مقيم ورضوان من الله .

هـ - ثم الموازنة بين الدعوتين ، دعوته الى دين الله الذى ثمرته النجاة لمن آمن وعمل صالحا ، ودعوتهم الى اتخاذ الأنداد والذى عاقبته النار ، فكأنه قال ( سبيل الرشاد هو الاعراض عن الدنيا والرغبة في الآخرة والامتناع عن الأعمال السيئة خوف المقابلة عليها ، والمسارعة الى الأعمال الصالحة رجاء المجازاة عليها ) .(٣)

---

(١) الفخر الرازى ٢٧/٦٩ .

(٢) انظر الكشاف / الزمخشرى ٣/ ٤٢٨ ، المثل السائر لابن الأثير ٢/ ٢٢١ .

(٣) انظر الكشاف / الزمخشرى ٣/ ٤٢٨ ، تفسير النسفي / النسفي ٣/ ٢٥٢ ، المثل السائر ابن الأثير ٢/ ٢٢١ .

٦ - الترغيب عن طريق ختمه ببعض صفات الله المؤملة فهو لم يقل ( العزيز ) الا ( اشارة الى كونه كامل القدرة وفيه تنبيه على أن الاله هو الذى يكون كامل القدرة ، وأما فرعون فهو في غاية العجز ، فكيف يكون الـها ؟ وقوله " الغفار " اشارة الى أنه لا يجب أن يكونوا آيسين من رحمة الله بسبب اصرارهم على الكفر مدة مديدة فان الله العالم وان كان عزيزا لا يغلب قادرا لا يغالب ، لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بايمان ساعدة واحدة ) . (١)

٧ - الترغيب في الايمان عن طريق ذكر نهاية ذلك المؤمن يقول صاحب التفسير الكبير ( اعلم أنه تعالى لما بين أن ذلك الرجل لم يقصر في تقرير الدين الحق وفي الذب عنه رد عنه كيد الكافرين وقصد القاصدين ) (٢) ، قال تعالى :

" إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ " (٣)

وفي هذا الترغيب بذكر سنته تعالى فيمن مضى من عباده المؤمنين ، لبيان أنها لا تتخلف في شأن جميع عباده فقد ذكر الله عز وجل هذه الصورة التي يتجلى فيها توليه سبحانه لعبده المؤمن ورعايته له ورحمته به حين اتجه اليه سبحانه مظهرا كمال العبودية له والافتقار اليه وهو في حالة من

---

(١) التفسير الكبير / الفخر الرازى ٢٧/ ٧٠ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) سورة غافر آية ٥١ .

الكرب والضيق والحاجة فأدركته عناية الله ورحمته سبحانه الذى لا يجيب المضطر سواه ولا يكشف السوء غيره سبحانه : " أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ "(١)

وفي هذه الصورة المعروضة :

أ - اطماع للعبيد لنيل مثلها اذا ما اتجهوا الى الله بقلوب صادقة.

ب - ترغيب للمؤمنين في دينه ليستجيبوا حتى يكونوا من الناجين.

---

(١) سورة النمل آية ٦٢.

## المطلب الرابـــــع : أهمية أسلوب ( الترغيب ) للداعية :

تكمن هذه الأهمية من كون الأساليب التي ينبغي للداعيـــة أن يسلكها في دعوته كثيرة جدا ، بل قد لا يمكن استقصاؤهـــا ، فانها تختلف باختلاف الأمراض الاجتماعية وتتنوع بتنوع الأحـــوال والدواعي ، ولكنها ترجع اجمالا الى طريقين : الترغيب والترهيب .

كما يشير اليه قوله تعالى : " إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ " (١)

فان قوله عز وجل " ويبشر المؤمنين " ومابعده بيان لهدايـة القرآن بالترغيب والترهيب .

فأسلوب الترغيب والحث على فعل الخير هو الطريق الذى يسلكه الداعية ليحبب الناس في خالقهم ويقرب القلوب من بارئها ، فالله هـــو المطعم من جوع ، الكاسي من عرى ، الساتر من فضح ، فلا بد مـــن المسارعة الى استجابة أمره ونهيه ، قال تعالى :

" ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ " (٢)

ومن هنا يستطيع الداعية أن يستفيد من هذا الأسلوب :

١ - لأن المرء بطبيعته يحب النفع العاجل فيستطيـــع الداعية أن يستغل ذلك ليذكر المدعو أنه يستطيع أن يجني ثمـــار استقامته رزقا وأمنا ومعرفة ، قال تعالى : " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ " (٣)

---

(١) سورة الاسراء آية ٩-١٠ .
(٢) سورة الشعراء آية ٧٨-٨٠ .
(٣) سورة الأنفال آية ٢٩ .

وهذا نوح يقول لقومه ": ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١
وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ " (١)

فالله سبحانه ( علم أن الخلق مجبولون على محبة الخيرات العاجلة ولذلك قال تعالى :

" ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ " (٢)

( فلا جرم أن يعلمهم الله أن ايمانهم به يجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة الخصب والغنى في الدنيا ) (٣).

وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اجتمع أشراف قومه عند أبي طالب فقال صلى الله عليه وسلم كلمة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات قال :تقولون ( لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه ، فصفقوا بأيديهم ثم قالوا : يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة الها واحدا ) (٤).

٢ - كما تكمن أهمية هذا الاسلوب في أنه يعين الداعي الى الله على حمل الناس للتشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى طمعا لنيل مرضاته في الدنيا والآخرة :

---

(١) سورة نوح آية ٩-١٢.
(٢) سورة الصف آية ١٣.
(٣) التفسير الكبير / الفخر الرازى ٣/ ١٣٨.
(٤) البداية والنهاية / ابن كثير ٢/ ١٢٣.

أ - فالمدعو بطبيعته كبشر يحب أن يعيش في عز وعلو ، وبالترغيب يستطيع الداعي أن يصب في نفسه أن هذا لا يكون وحده بل هو مرتبط بالايمان بالله ، قال تعالى :

" وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ " (١)

( والمقصود بيان أن الله تعالى انما تكفل باعلاء درجتهم لأجل تمسكهم بدين الاسلام ) (٢) .

ب - ولأن المدعو بطبيعته كبشر يحب أن يعيش في سعادة وفلاح فبالترغيب يستطيع الداعية أن يصب في نفسه أن هذا لا بد مرتبط بالعمل الصالح ، قال تعالى : " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ " (٣)

( فالعمل الصالح هو الذى يحدد شخصية المؤمن المكتوب له الفلاح بخصائص ذات أثر حاسم في تحديد الحياة الفاضلة اللائقة بالانسان الذى كرمه الله ، وأراد له التدرج في مدارج الكمال ) (٤) .

جـ - كما أن الداعية يستطيع أن يستغل حقيقة أن الانسان عامة يتشوق الى النصر في كل الميادين ، سواءًا أكان نصرا على عدوله أو كان نصرا معنويا على ما يصادفه من عقبات ، وأن هذا لا يتحقق الا بنصر الله

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٩ .

(٢) التفسير الكبير / الفخر الرازى ٩ / ١٣ .

(٣) سورة المؤمنون آية ١-٤ .

(٤) في ظلال القرآن / سيد قطب ٤/ ٢٤٥٧ .

أولا " إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ⑦ " (١)

( ونصر الله يكون بنصر دينه وكتابه في السعي والجهاد في أن تكون كلمة الله هي العليا ، وأن تقام حدوده في أرضه ، وتتمثل أوامره وتجتنب نواهيه ) . (٢)

د - كما أن الداعية يستطيع أن يستغل حقيقة أن الانسان عامة يطمع في الأمن والأمان ، والاطعام من الجوع ، والتنفس من عسر والتمكين في الأرض ليؤكد أن ذلك كله منوط بالايمان والصلاح ، قال تعالى : " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا " (٣)

( فهذا وعد من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض ، أى أئمة الناس والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد ، وتخضع لهم العباد ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا وحكما فيهم ) (٤) ان هم آمنوا به وحده دون شريك ، وقد كان واقعا عاشه الأوائل بايمانهم ولكل من شاء أن يعيشه فهو وعد الله الذى لا يخلف الميعاد .

وبهذا الأسلوب يرغب الداعية في تقوى الله عامة والتي هي ايمان وعمل فيضمن المدعو لنفسه الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ،

---

(١) سورة محمد آية ٧ .

(٢) أضواء البيان / الشنقيطي ٧ / ٤٢٣ .

(٣) سورة النور / آية ٥٥ .

(٤) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٣ / ٣٠٠ .

قال تعالى : " مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ " (١)

وقال تعالى : " وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ " (٢)

٣ - كما أن أسلوب الترغيب المتبع في القرآن فيه ( تنبيه للأمة الى ماضي أسلافها الصالحين الذين رفعوا منار العلم والدين ونشروا لواء العدل والمساواة لتعلم من هي فتستحي من أن تكون شر خلف لخير سلف ، أولعلها تندم على سوء حالها فتقلع عما هي عليه من شرور الأعمال وفساد الأخلاق حتى صارت في أخريات الأمم بعد أن كانت في مقدمتها فتذكيرها بشرفها السالف وتشخيص مجدها الرفيع وعزها المنيع أمام عيونها يدعوها بلا شك الى التأسي بهم فيما كان لهم من جلائل الأعمال وحميد الخصال ) . (٣)

٤ - كما أن أسلوب الترغيب والحث على فعل الخير هو الطريق الذى يسلكه الداعية ليحبب الناس في الله ويقرب القلوب من بارئها ،فالله هو المطعم من جوع ،الكاسي من عرى ،الساتر من فضح ، فلا بد من المسارعة الى استجابة أمره ونهيه قال تعالى :

" ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ " (٤)

---

(١) سورة النحل آية ٩٧ .

(٢) سورة الطلاق آية ٢-٣ .

(٣) انظر هداية المرشدين / علي محفوظ ص ١٩٩-٢٠٠ .

(٤) سورة الشعراء آية ٧٨-٨٠ .

٥ - وأخيرا تكمن أهمية هذا الأسلوب - الترغيب - من الاكثار منه في القرآن الكريم ،فلا تكاد تخلو سورة من سور القرآن عن صورة من صور الترغيب أيا كان نوعه ، خاصة في نعت القرآن للجنة التي هي أمنية المتقين ، قال تعالى :

" وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ " (١)

وصفات الجنة وما فيها من نعيم والذى ذكر في أغلب السور .

٦ - كما تكمن أهمية هذا الأسلوب من خلال ظهوره الواضح في سير الأنبياء عليهم السلام والسنة النبوية الشريفة كما تقدم معنا .

٧ - وأخيرا تكمن هذه الأهمية من كثرة صوره في القرآن عامة والسور المكية خاصة ،وهي التي يغلب عليها جو التربية والتأسيس ، وهذا مؤشر الى مدى أهميته كوسيلة للتربية خاصة أن الناس في مكة حديثو عهد بالحياة البعيدة عن القيود ( زنا - خمر - ربا - قمار.. ) فجاء القرآن يحد من ذلك ،ولا بد له من عوض أو مقابل يتناسب مع ذلك الحرمان فجاءت الآيات القرآنية في مكة تصف حال المؤمنين الصابرين الطائعين في الآخرة وما أعد الله لهم من نعيم مقيم ،خلاصته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

٨ - ثم ان على الداعية أن يدرك ما يلي في ضوء صور الترغيب في السورة :

---

(١) سورة الانسان آية ٢٠

أ - أن لا يتحامل على الناس بصور الترهيب حتى لا ييأسوا ولا يبالغ في صور الترغيب حتى لا يتكلوا ،بل يعلم أن هذا متروك لحصافته وفطنته في التفريق بينهما أوجمعهما معا ،مستغلا حاجة الانسان وميله الى جلب النفع ودفع الضر ، مستفيدا من منهج القرآن المربي .

ب - أن لا ينسى أن الاصل أن جانب الرحمة يتقدم على جانب العذاب ،فالله سبحانه يقدم كونه غافر الذنب على كونه شديد العقاب ، كما يجمع لعبده بين رحمتين رحمة المغفرة ورحمة القبول ، بينما العذاب واحد .

جـ - ثم يتعلم الداعية من الآيات كيف يكون أدب الدعاء فافتتاحه يكون بالنداء لانه أدخل في التضرع وأرجى للاجابة مما يطمع باستجابة الغفران ،فهذه الملائكة قالت " ربنا " وكان هذا شأن كل رسول وعليه لا بد للداعية أن يتعلم كيف يكون أرجى الدعاء وأرضاه بالنداء ثم بالثناء ، ثم بالتركيز على جانب الرحمة منه سبحانه والتي لا يعيش العباد الا بها .

د - أن لاينسى بشرية من يدعوهم ،مستغلا كل الاغراءات الممكنة متعلما من دعاء الملائكة لقرابات المدعو من آباء وأزواج وأبناء .

هـ - وليعلم الداعية كيف يخاطب مدعويه ،فهو ليس متآمرا عليهم ليوجههم يمنة ويسرة ،بل هو واحد منهم وهم أهله الذين يتمنى لهم الخير ،وحين ينصحهم ويدعوهم هو ينصح نفسه ويدعوها معهم .

و - التأكيد على أن جانب الرحمة يغلب غيره ،فجزاء السيئة بمثلها ، والحسنة بلاحساب ،ولكن على الداعية أن يعرف متى يستغلها حتى لا يصل

المدعو الى درجة الرجاء المفرط ، بل يعمل على أن يكون هذا عاملا معينا له في دعوته ، من منطلق أن دينا هذا شأنه لا بد أن يكون فيه كل الخير لمن يدعوهم .

ز - أن الاشتراك في الايمان يجب أن يكون أدعى شيء الى النصيحة وأبعثه على اظهار الشفقة وان تفاوتت الأجناس ، لأنه لما جمع الايمان بين الملائكة والانسان استغفر من حول العرش لمن في الأرض مع عظم قدرهم ومكانتهم .

ح - على الداعية أن لا يكل من مخاطبة مدعويه فتكرار الدعوة مع تكرار النداءات المشفقة ان لم تؤد دورها في المرة الأولى والثانية قد يكون لها تأثير في الثالثة خاصة وأنها تشير الى مدى عنايته واهتمام من يخاطبهم لهم .

ط - ان من أحد وسائل التأثير في الدعوة التذكير بنعم الله وخاصة في حق من يؤمن بالله ثم يتخذ معه شريكا أو يعصيه وهو يعترف بتوحده في اصدار النعم وقدرته على ازالتها .

ى - ولا بد أن يدرك الداعية أن صور الترغيب والترهيب في الدنيا لها أهميتها وقيمتها وأثرها الا أن الترغيب في النعيم الدائم والترهيب من العذاب الدائم عدت من أقوى وجوه الترغيب والترهيب .

ك - وليتعلم الداعية أن النصر لا بد آت ، وعليه أن لا يستبطئه لأنها سنة الله في خلقه الا أن المطلوب منه الصبر .

النتائـــج :

١ - ان صور الترغيب لم تكن مقتصرة على المؤمنين فقط ، ولا على المعرضين المكذبين ، بل كانت لهما معا ، وقد كانت هـــذه الصور :

أ - للمؤمنين : حتى يطمعوا في نيل أمثال تلك الصور مـــن الترغيب اذا ما اتجهوا الى الله عز وجل بقلوب صادقة .

ب - وللمعرضين المكذبين بالرسل : حتى يستجيبوا لله ورسلـــه فتدركهم رحمة الله .

٢ - ان صور الترغيب لم تقتصر على الدنيا فقط ، ولا على الآخرة فقط بل شملت :

أ - الدنيا :

(١) لأنّ الانسان جبل على حب الخير والسلامة والرغبة في الظفر بكل محبوب ، فجاءت آيات القرآن تعـــرض الكثير من صور تلك المغريات.

(٢) ولتذكره بما هو فيه من نعم كأسلوب للترغيب ، لأنّ من شأن ذلك أن يدعوه الى طاعة الله الذى أنعم عليه بهذه النعم.

ب - الآخرة : وفي هذا اطماع بالاستمرار في الطاعة ، ووعد لمن امتحن بالحرمان منها بالخير الكثير في الآخرة .

٣ - إن صور الترغيب تأخذ طابعا وجانبا حدث ويحدث في الدنيا كواقع عاشه أفراد وعاشته أمم ، وكانت له نهايات طيبة لمسهـا

ونالها أصحابها وليست مجرد وعود ،في الآخرة ،وهذا الأمر سنة جارية من قبل الله عز وجل فيمن سلف من العباد المؤمنين ،وسنة الله لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا ،وفي هذا شفاء للنفس الانسانية التي تركن الى الدنيا وملذاتها .

٤ - انها تأتي أحيانا مباشرة بعد صور الوعيد الذى يقصد به تخويف المكذبين الضالين ،حيث ينتقل الأسلوب القرآني من بيان الحال السيء التي يكون عليها الكافرون في الآخرة الى وصف حال المؤمنين ، وفي هذا ترغيب بالفرار بالنفس من عذاب الله وسخطه وأليم عقابه الى رحمته وحسن جزائه بالمؤمنين ونعمه الدائمة عليهم والتي يعجز دونها الوصف .

٥ - وأخيرا نتساءل لماذا هذا التعدد في الصور المعروضة للترغيب ؟

فنجد أن الأمر يستدعي ذلك ،لأن الدواعي مختلفة ،فهي تخاطب العقل والعاطفة ، والأمي والعالم ، والوجدان والروح ،مع مراعاة التطور في التوجيه والارشاد عن طريق الانتقال بهم من حال الى حال ، مرة في الدنيا وأخرى في الآخرة مرة في جنس العبادات عامة ، وثانية في أنواعها ، مدعما انتقالاته بالمشاهدات ، مبتعدا عن الشاكل والفلسفات ،مرة يرغبهم الى جنس العبادات عامة بأسلوب اجمالي ليس فيه تقنين ولا تفصيل ، ثم يكون له موقف آخر ليرغب في مبادىء وأنواع عبادات وحقوق ،ينتقل بهم في تربيتهم من طور الى طور ليبلغ بهم الغاية.

٦ - ان وسائل الدعوة كثيرة ،ووسائل التأثير بداخلها أكثر ،وعلى الداعية أن يتعلم ذلك من المنهج الرباني الذى يستخدم كل الوسائل الممكنة للتأثير :

١ - تفصيل بعد اجمال .

٢ - توكيد وتكرار .

٣ - قصة ... الخ

# المبحث الثاني :

# أسلوب الترهيب .

وفيه أربعة مطالب :

**المطلب الأول :** تعريف الترهيب لغة واصطلاحا .

**المطلب الثاني :** أهمية اسلوب الترهيب .

**المطلب الثالث :** صور الترهيب في السورة .

**المطلب الرابع :** أهمية أسلوب الترهيب للداعية .

النتائج الخاصة بالبحث .

## المبحث الثانـي

## في أسلوب الترهيـــب

المطلب الأول : في تعريف الترهيب لغة واصطلاحا :

أولا : في اللغـة :

" رَهِب ، بالكسر ، يَرهَب رَهبَة و رُهبا بالضم ، ورَهَبا بالتحريك ، أى خاف ". (١)

" وأرهبه واسترهبه " أخافه (٢) و" رهّبه واسترهبه ، أخافه وفزّعه ". (٣)

( وأرهبته ، ورهّبته واسترهبته ، أزعجت نفسه بالإخافه . (٤)

وفي حديث الدعـاء ، " رغبة و رهبة اليك " (٥) . ) (٦)

والخلاصة أن الترهيب في اللغة هو الخوف والفزع .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٣٦ .

(٢) مختار الصحاح / الرازى ص ٢٥٩ .

(٣) لسان العرب ١/ ٤٣٦ .

(٤) أساس البلاغة / الزمخشرى ص ١٨١ .

(٥) صحيح البخارى جـ١ كتاب الوضوء باب ٧٥ فضل من بات على الوضوء ص ٦٧ ، ونص الحديث : عن البراء بن عازب قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل : اللهم أسلمت وجهي اليك ، وفوضت أمرى اليك ، وألجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ منك الا اليك ، اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت ، فان مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به ، قال : فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت ، قلت : ورسولك . قال : لا ، ونبيك الذى أرسلت .

وأورد البخارى نحوه جـ٧ في كتاب الدعوات باب ٧ ما يقول

===

(٦) لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٣٦ .

ثانيا - التعريف اصطلاحا :

من معنى الترهيب في اللغة نجد أنه يحمل معنى الوعظ، فالوعظ يعتبر الترهيب أحد صوره، فقد قال صاحب معجم مقاييس اللغة "أن الوعظ هو التخويف والزجر".(١)

وقال صاحب الصحاح "انه التذكير بالعواقب".(٢)

وجاءت استعمالات القرآن لتؤكد هذا المعنى، وهذا ما ذهب اليه كل من :

١ - الامام ابن تيميه حين فسر الوعظ في قوله تعالى :

"ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ"(٣)

انه الأمر والنهي والترغيب والترهيب.(٤)

٢ - والامام ابن القيم وهو يفسر نفس الآية، فيرى أن الموعظة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.(٥)

٣ - والامام ابن الجوزى حين يعرف الوعظ بأنه تخويف يرق له القلب.(٦)

٤ - وأخيرا الامام الشافعي(٧) والطبرى(٨) والاصفهاني(٩) حين يفسرون الموعظة بالتخويف والزجر في قوله تعالى: "فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾"(١٠)

وقوله تعالى "وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾"(١١)

وقوله تعالى: "وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾"(١٢)

وعلى هذا فالترهيب هو : التخويف والزجر مع التذكير بالعواقب، والذى يشمل نقم الدنيا من خزى وذل وضنك في المعيشة وعذاب الآخرة بكل ما أعد فيها من دركات الجحيم.

---

== اذا نام ص ١٤٧، باب ٩ النوم على الشق الأيمن ص ١٤٧، كما أورد نحوه في جـ٨ كتاب التوحيد باب ٣٤ قول الله تعالى "أنزله بعلمه والملائكة يشهدون" ص ١٩٦.
وورد نحوه في صحيح مسلم جـ٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ١٧ ما يقول عند النوم وأخذ المضجع حديث ٥٦ ص ٢٠٨١ و نحوه حديث ٥٧ ص ٢٠٨٢.

(١) ابن فارس ٦/١٢٦.    (٢) الجوهرى ٣/١٨١.
(٣) سورة النحل آية ١٢٥.    (٤) الرد على المنطقيين ص ٤٦٧.
(٥) التفسير القيم / لابن القيم ص ٣٤٤.
(٦) كتاب القصاص والمذكرين / ابن الجوزى / تحقيق محمد بن لطفي الصباغ ص ١٦٥.
(٧) حاشية الشيخ زاده على البيضاوى ١/٣٢.
(٨) جامع البيان في تفسير آى القرآن / الطبرى ٣/١٠٤.
(٩) المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٥٢٧.
(١٠) سورة البقرة آية ٢٧٥.    (١١) سورة النور آية ١٦-١٧.    (١٢) سورة هود آية ١٢٠.

## المطلب الثاني : أهمية الترهيب :

يراعي القرآن الكريم في دعوته الطبيعة البشرية وما جبلت عليه من ميول ، ويتحرى أن يصل الى النفس البشرية من منافذ التأثير فيها ، فيتجه الى الوجدان باعتباره وعاء الشعور الانساني ومجمع غرائزه ونزعاته وحوافز ارادته ، فنراه يثير غريزة الخوف التي تدفع الانسان الى توقي الخطر والبعد عما يعرضه له ( فالخوف بقوته واختلاطه بالكيان البشرى كله يوجه في الواقع اتجاه الانسان في الحياة ويحدد أهدافه ، وسلوكه ومشاعره وأفكاره ، فعلى قدر ما يخاف ونوع ما يخاف يتخذ لنفسه منهج حياته ، ويوفق بين سلوكه وبين ما يخاف ) (١) .

ومن هنا عرض في القرآن كل ما سيترتب على عدم الاستجابة من ويل وبلاء في الدنيا والآخرة أيضا فيعرض عليه صور العذاب في الآخرة ، ويذكره بما أصاب الأمم السابقة في الدنيا عندما تولت عن دعوة الله في أساليب تجعله يرى مصارع القوم ويسمع أناتهم مما يهز القلوب ويزلزل النفوس لتنقاد وتلين .

( ومن هنا كانت بداية الدعوة بالتخويف والانذار قال تعالى : ( قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ) (٢) فكان الانذار بيوم القيامة هو نقطة البدء وكان هو الأسلوب الأمثل في الدعوة لأنه يضع كل عاقل مهما كانت عقيدته أو اتجاهه أمام وضع لا بد له من أن يشغل نفسه به ويوليه كل

---

(١) دراسات في النفس الانسانية / محمد قطب ص ٧٦-٧٧ .

(٢) سورة المدثر آية ٢ .

اهتمامه ولا يمكنه تجاهله وصرف النظر عنه ، ذلك لأن الانسان بفطرته لا يملك أمام الخطر ( ولو كان محتملا الا أن يأخذ ، بالأحوط ويسارع الى الأسباب التي تدفعه عنه )(١) ويقول الامام الغزالي ( فهو زمام يمنع النفس عن الخروج الى رعونتها ويقمع الشهوات ويؤدب الجوارح )(٢) فكان ( كالصدمة العنيفة تصيب الانسان على غفلة منه فلا تبقى فيه جارحة الا هي في ذروة يقظتها وكامل تهيئها للعمل )(٣) بعد أن قرع الخوف أبواب القلوب المغلقة وفتح سدودها وقمع شهواتها . يقول الامام الغزالي ( ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف ، فالخوف هو النار المحرقة للشهوات ، فان فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات بقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات )(٤) وفي ذلك هدى ورحمة ، قال تعالى : " هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ "(٥)

والأمر يتعلق ( بطائفة من الناس شديدة الالف بالمحسات تدور حياتهم في اطار ما توارثوه من عادات وما نشأوا فيه من تقاليد وقيم ، لا تنزع نفوسهم الى البحث عما هو حق أو باطل ولا تتطلع الى أفضل مما هم عليه ، ولكن ذلك ليس عن عناد فيهم أو مكابرة للبرهان فانهم قاصرون من ادراك أي برهان ، وهؤلاء لهم الموعظة التي ترقق القلوب وتعظ

---

(١) انظر أسلوب الدعوة القرآنية لعبد الغني بركة ص ١٠٤.

(٢) احياء علوم الدين / الغزالي ٥/٢٣٣٩، ٢٣٤٠.

(٣) أسلوب الدعوة القرآنية عبد الغني بركة ص ١٠٤.

(٤) احياء علوم الدين ٥/٢٣٤٨.

(٥) سورة الأعراف آية ١٥٤.

النفوس وتنفذ الى الوجدان ويختلط فيها الترغيب بالترهيب )(١).

ويقول الامام ابن تيميه ( وعامة الناس يحتاجون الى الحكمة والموعظة الحسنة فان النفس لها أهواء تدعوها الى خلاف الحق وان عرفته ، فالناس يحتاجون الى الموعظة الحسنة والى الحكمة فلا بد من الدعوة بهما )(٢).

الا أن من المهم جدا أن نذكر أن الترهيب الذى نتحدث عنه ( ليس شعورا بالقلق تهتز به النفس ويذهب فيه اتزانها ، ويُكَوِّنُ مايسمى الان عقدة، كلا ، انه احساس فطرى يؤدى نتائجه في سهولة بعد أن يقود النفس ليكفها عن الرذيلة وجلا مما يعقبها من منغصات ، فتنقمع سورتها في نفسه بعد أن كشف عما فيها من رذيلة ، لتكون في حياته كمالا نفسيا وليس مرضا ولا شبه مرض )(٣).

ومن هنا كانت صور الترهيب في القرآن كثيرة جدا ، وعلى الداعية أن لا يتركها تذهب سدى دون استخلاص عبرة وسوق توجيه ، بل يستغلها الداعية لتربية النفوس ( لأن هذه الصور المتعددة تترك في النفس حالة خاصة هي الانفعال الذى كثيرا ما يصهرها صهرا يمحص معدنها ويهز حقيقتها ، فينبغي الافادة من هذه الصور في دعم اليقين وبناء الخلق وصقل الفكر ، لأن لها قوة مفروضة على النفس من الخارج )(٤)

---

(١) أسلوب الدعوة القرآنية / عبد الغني بركة ص ١١٠.

(٢) انظر الرد على المنطقيين ص ٤٦٨.

(٣) انظر مع الله / الغزالي ص ٣١٥- ٣١٦.

(٤) انظر منهج التربية الاسلامية / محمد قطب ١/ ٢٠٧-٢٠٨.

تسخن حتى الطباع الحديدية ، والداعية المربي يطبع النفس في حالة انصهارها على ما يريد ، فلقد ربت الدعوة في منشئها الاتباع بمثل هذه الصور ، وعلى الداعية أن يحسن التصرف في استخدامها حتى يصل الى التوازن المطلوب فيجعل منها نماء في ايمان من يدعوهم ، فالنبي -الداعية الأكبر- عرف كيف يربى أتباعه بها في مكة حتى ذاقوا طعم الايمان ،فاذا بهم يدخلون مرحلة أخرى في المدينة لتعلو نفوسهم بالايمان وترتفع فوق الأهواء والشهوات . ومن هنا كانت هذه الصور هي موضوع بحثنا القادم الا أنها في ضوء سورة غافر .

المطلب الثالث : صور الترهيب في ضوء سورة غافر

## الصورة الاولى

قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ۚ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ " (١)

هذه الصورة تتحدث ( عن الكفار أنهم ينادون يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتلظون وذلك عندما باشروا مر عذاب الله تعالى وهو ما لا قبل لأحد به ، فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة التي كانت هي سبب دخولهم النار ) (٢) ، يقول صاحب " معترك الأقران " : ( انهم كانوا في الدنيا يكفرون بالبعث ، فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك فأقروا به حينئذ ليرى الله اقرارهم بقولهم : " رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ " اقرارا بالبعث على أكمل الوجوه ، طمعا منهم أن يخرجوا عن المقت الذى مقتهم الله ، اذ كانوا يدعون الى الايمان فيكفرون) (٣) لتخبرهم الملائكة عند ذلك إخبارا عالياً بأن مقت الله تعالى لهم في الدنيا حين كان يعرض عليهم الايمان فيكفرون ، أشد من مقتهم لأنفسهم اليوم في هذه الحالة ، والمقصود كما قال ابن كثير وفصله القرطبي في كتابه

---

(١) سورة غافر آية ١٠-١٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤/ ٧٢ .

(٣) السيوطي ١/ ٥٤٢ .

" التذكرة " قائلا : ( لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في أربع ، فاذا كان في الخامسة لا يتكلمون بعدها أبدا ، يقولون :

( ١ )

" رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ "

قال : فيجيبهم الله تعالى :

( ٢ )

" ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ "

ثم يقولون :

( ٣ )

" رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ "

فيجيبهم الله تعالى :

( ٤ )

" فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ "

ثم يقولون :

( ٥ )

" رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ "

فيجيبهم الله تعالى :

( ٦ )

" أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ "

ثم يقولون :

( ٧ )

" رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ "

فيجيبهم :

( ٨ )

" أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ "

---

( ١ ) سورة غافر آية ١١ .
( ٢ ) سورة غافر آية ١٢ .
( ٣ ) سورة السجدة آية ١٢ .
( ٤ ) سورة السجدة آية ١٤ .
( ٥ ) سورة ابراهيم آية ٤٤ .
( ٦ ) سورة ابراهيم آية ٤٤ .
( ٧ ) سورة غافر آية ٣٧ .
( ٨ ) سورة فاطر آية ٣٧ .

ثم يقولون : " رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ ". (١)

فيجيبهم : " ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ " (٢)

فلا يتكلمون بعدها أبدا). (٣)

والملاحظ أن القرآن في هذه الصورة من العذاب عمد الى جملة ألوان من أساليب التأثير ليزداد الأمر رهبة ويصل هداها الى أعماق النفوس فتثوب الى بارئها .

١ - هذه الصورة جاءت بعد عرض صورة المؤمنين وما يلاقونه من كرم الملائكة والأمر زيادة للترهيب فهناك : الملائكة تسأل الله للمؤمنين النعيم الخالص يوم القيامة ،وهنا : توبيخ وتنديم ، يقول صاحب " التحرير والتنوير " ( والانتقال منه الى بيان ما سيحل بالمشركين يومئذ ضرب من الأسلوب الحكيم ،لأن قوله :

" إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ "

مستأنف استئنافا بيانيا ،كأن سائلا يسأل عن تقبل دعاء الملائكة للمؤمنين ، فأجيب بأن الأهم أن يسأل عن ضد ذلك وفي هذا الأسلوب ايماء ورمز الى أن المهم من هذه الآيات كلها هو موعظة أهل الشرك ) . (٤)

٢ - أسلوب النداء فيه زيادة عذاب ،لأن النداء الموجه اليهم من قبل الله أوهمهم أن فيه اقبالا عليهم .

٣ - تصوير حالهم في صورة من غلب عليه اليأس والقنوط ، والذى يظهر من جوابهم واعترافهم بذنوبهم والذى فيه طمع أن يكون هو سبيله الى منحهم خروجا من العذاب خروجا ما ليستريحوا ولو لبعض الزمن ، مستعطين كل وسائل الاستعطاف وهي هنا :

---

( ١ ) سورة المؤمنون آية ١٠٦ .

( ٢ ) سورة المؤمنون آية ١٠٨ .

( ٣ ) القرطبي ص ٤٨٨-٤٨٩ .

( ٤ ) محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ٩٥ .

أ - هل : فالاستفهام هنا مستعمل في العرض والاستعطاف .

ب - تنكير كلمة ( خروج ) تلطفا في السؤال أى الى شيء من الخروج قليل أو كثير ، لأن كل خروج ينتفعون به راحة من العذاب ، كقولهم : " ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ " (١)

جـ - تنكير كلمة ( سبيل ) أى ( من وسيلة كيف كانت بحق أو بعفو أو تخفيف أو غير ذلك ، قال صاحب " الكشاف " ( وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط ) (٢) يريد أن في اقتناعهم بخروج ما دلالة على أنهم يستبعدون الخروج ) . (٣)

٤ - استخدام المضارع في :

أ - " (تدعون ) و ( تكفرون ) " للدلالة على تكرر دعوتهم الى الايمان ، وتكرر كفرهم .

ب - وفي قوله " : وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ " دلالة أيضا على تكرر ذلك في الحياة الدنيا ، فان لتكرره أثراً في مضاعفة العذاب لهم .

جـ - في قوله " فتكفرون " ( استخدام المضارع بالفاء يفيد تجديد كفرهم السابق واعلانه دون أن يتمهلوا مهلة النظر والتدبر فيما دعوا اليه ) . (٤)

---

(١) سورة غافر آية ٤٩ .

(٢) الزمخشري ٣/١٤٨ .

(٣) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/٩٩ .

(٤) المرجع السابق نفسه ص٩٦ .

٥ - اختيار اللفظ الذى يزيد الصورة رهبة ، ويلقى ظلال الخوف على النفوس : "لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ"

فالمراد بالآية الكريمة بيان أن الدافع لعدم ايمانهم هو حب أنفسهم والخوف على مراكزهم ومكانتهم ، ولكن القرآن الكريم يعبر عن ذلك بقوله " مقتكم أنفسكم " ولفظ المقت يوحي بأنه لا يريد لنفسه الخير ، كما يدعي ، وهذا الايحاء الذى تضمنه اللفظ الذى اختاره القرآن في التعبير هو المناسب للمقام ، لأنه ينبه الانسان على الخطر ، ويدفعه الى التفكير في نفسه ووقايتها من المهالك بالايمان ( فالمقت مستعار لقلة التدبر فيما يضر ، وقد أشار الى وجه هذه الاستعارة قوله : (١)

"إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ١٠"

٦ - ثم هناك مصادر للتأكيد تضمنها النظم واقتضاها المقام مثل :

أ - اسناد المقت الى الله للاشارة الى مدى قوته ورهبته وفي هذا زيادة توبيخ وتنديم .

ب - ومنه بأنه أكبر ، لأنه ( لما كان مقتهم أنفسهم حرمهم من الايمان الذى هو سبب النجاة والعلاج ، وكان غضب الله عليهم أوقعهم في العذاب ، كان مقت الله اياهم أشد وأنكى من مقتهم أنفسهم ، لأن شدة الايلام أقوى من الحرمان من الخير ) . (٢)

---

(١) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ٩٥ .

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ص ٩٥ .

جـ - ( التوكيد بالتعبير عن المستقبل بصيغة الحاضر وهو مجيء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، بقصد الاشارة الى تيقن حدوثه وتأكيد وقوعه ) .(١)

" إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ... " الآيات

حيث نرى أن هذه المشاهد لم يأت زمانها بعد ولكن عبرعنها بصيغة الماضي ليدل على تحقق الوقوع .

٧ - التعقيب على تلك المعاني بذكر صفات الله التي تزيد الموقف رهبة ، والتي تلقى بإيحائها القادر على بعث مشاعر الخوف من كل ما يحدث ( بايثار صفتي " العلي ، الكبير " بالذكر هنا ، لأن معناها مناسب لحرمانهم من الخروج من النار ، فالعلي بمعنى شرف القدر وكماله ، ومن جملة ما يقتضيه ذلك تمام العلم ، وتمام العدل فلذلك لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة والعدل ، والكبير : يقتضي منه الغنى عن الجور ) .(٢)

٨ - تصوير استدامة العذاب ، فهو لم يرد على سؤالهم واستعطافهم وانما ذكر سبب وقوعهم في العذاب ، بالرغم من أنهم كانوا عالمين به حين قالوا " فاعترفنا بذنوبنا " زيادة في المهانة .

٩ - وأخيرا استخدام القرآن الكريم عنصر الحوار في رسم المشهد ليزيده تأثيرا بما يمنحه من حركة ، ويضفي عليه من حيوية تزيد في تمثله ووضوحه ، وتجعل المستمع يحس أنه حاضر بين القوم يرى حالهم ويتابع حركتهم ويسمع حوارهم ، وهكذا يتم للتصوير كل عوامل التخييل ، فالعين ترى ، والأذن تسمع ، والخيال يتابع ، والنفس تنفعل وتخاف ما يوحي به المشهد الحي الماثل .

---

( ١ ) انظر أسلوب الدعوة القرآنية / عبد الغني بركة ص ٣٢١ .

( ٢ ) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١٠٢ .

## الصورة الثانيـــة

قال تعالى : " رَفِيعُ الدَّرَجَٰتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَٰحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ " (١)

( يقول تعالى مخبرا عن عظمته وكبريائه أنه " يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر بيوم القيامة ، اليوم الذى يظهر الخلائق جميعا وهم بارزون كلهم ، لا شيء يكنهم ولا يظلهم ولا يسترهم ، فالجميع في علمه على السواء ، يومها يقف الجبار بعد أن يقبض أرواح جميع خلقه ولم يبق سواه وحده لا شريك له ، حينئذ يقول : لمن الملك اليوم ؟ ثلاث مرات ، ثم يجيب نفسه قائلا : لله وحده ، قاهر كل شيء وغالبه ، في اليوم الذى لا ظلم فيه ليحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفسا واحدة ، وفي ذلك يقول سبحانه :

" مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ " (٢) (٣) )

فهذه صورة من صور القيامة ، وهي كأخواتها تعرض في مشاهد زاخرة بالحركة والحوار الموحي للنفوس بالانفعالات والمشاعر ، لتصل الى النفس البشرية فتزيل عن بصيرتها بالترهيب ما يدفعها الى نور الحقيقة والتي تتمثل فيما يلي :

---

(١) سورة غافر آية ١٥-١٧ .

(٢) سورة لقمان آية ٢٨ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤/ ٧٥- ٧٦ .

١ - تصدير الصورة بالانذار يخلق جوا من الرهبة ، لأن أصل ( الانذار هو تحذير مما يسوء ).(١)

٢ - اختيار الأسماء والصفات التي تزيد الصورة رهبة ، فهو لم يقل يوم القيامة بل عبر عنه بمشاهده وما يقع فيه ، ابرازا للحقائق مرة باللقاء ، ومرة بالجزاء ، ليوحي بالخوف من ذلك اليوم ، وينبه الغافلين عنه .

أ - أما يوم التلاق : فقد قال فيه ابن كثير ( انه اسم من أسماء يوم القيامة حذر منه عباده ، وسمي بذلك لأنه :

(١) يلتقي فيه آدم عليه الصلاة والسلام وآخر ولده .

(٢) أو لأنه يلتقي فيه العباد .

(٣) يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض ، والخالق بالخلق .

(٤) يلتقي فيه الظالم والمظلوم ).(٢)

وقد زاد صاحب " التذكرة " على ذلك أنه سمي يوم التلاق :

(٥) للقاء الانسان بعمله )(٣)

الا أن ابن كثير رحمه الله قال معلقا : ( ان يوم التلاق قد يشمل هذا كله ، ويشمل أن كل عامل سيلقى ما عمله من خير وشر ).(٤)

---

(١) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/١٠٨ .
(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤/ ٧٥ .
(٣) انظر التذكرة / القرطبي ص ٢٦١ - ٢٦٢ ، معترك الأقران / السيوطي ٢/٢٦ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧٥ .

ب - وأما يوم الجزاء لقوله تعالى :

" ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ " (١)

ولا بأس أن نستأنس هنا بما ذكره الامام القرطبي في كتابه "التذكرة" قائلا : ( تذكر بينما أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا في تلابيبك أيديهم ، وأنت مبهوت متحير ، من كثرتهم ، حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أوجالسته في مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أوجناية أو نظر بعين استحقار ، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار :

" ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ "

فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة ، وتوقن نفسك بالبوار ، وتتذكر ما أنذرك الله به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال : " وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ " (٢)
الى قوله : " لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ " (٣) (٤)
)

---

(١) سورة غافر آية ١٧

(٢) سورة ابراهيم آية ٤٢ .

(٣) سورة ابراهيم آية ٤٣ .

(٤) التذكرة ص ٣١٢ .

٣ - قوله : " لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ "

حيث المفاجأة التي تنقطع عندها كل أسباب النجاة ،فلم يبق لهم ما يعتذرون به وهم أمام من لا يخفى عليه شيء ( وقد أوثر لفظ " شيء " ولم يقل لا يخفى على الله منهم أحد ،لتوغله في العموم ،فلا يخفى على الله شيء من أحوالهم ظاهرها وباطنها )[(١)] ويظهر ما حسبوه سرا لا سبيل الى فضحه .

٤ - ثم تأتي الكلمات لتضعهم أمام الحقيقة - حقيقة البعث الذى أنكروه الا أنها لا تسوق لهم ذلك بالطريق الاخبارى ،بل تسوقه في أسلوب الاستفهام التقريرى الذى يتضمن من الخصائص الزائدة على المعنى المراد الاخبار به ما يجعله أشد اثارة للاهتمام وتأثيرا في النفوس ،متضمنا في نفس الوقت الالزام بالحجة التي لا تدفع )[(٢)] لمن الملك اليوم ؟؟ يقول صاحب التحرير والتنوير : ( والاستفهام اما تقريرى ليشهد الطغاة من أهل المحشر على أنفسهم أنهم كانوا في الدنيا مخطئين فيما يزعمونه لأنفسهم من ملك لأصنامهم حين يضيفون اليها التصرف في ممالك الأرض والسماء ،وكذلك ما يزعمونه لأنفسهم من سلطان على الناس لا يشاركهم فيه غيرهم ،ويفسر هذا المعنى ما في الحديث في صفة يوم الحشر " ثم يقول الله أنا الملك ، أين ملوك الأرض"[(٣)]

---

( ١ ) التحرير والتنوير / محمد الطاهر عاشور ٢٤/ ١١٠ .

( ٢ ) أسلوب الدعوة القرآنية / عبد الغني بركه ص ٧٢ .

( ٣ ) صحيح البخارى جـ٨ كتاب التوحيد باب ٦ قوله تعالى " ملك الناس" ص ١٦٦ كما أخرج البخارى نحوه في صحيحه جـ٧ كتاب الرقاق باب ٤٤ " يقبض الله الأرواح " ص ١٩٤ ،كما أخرجه مسلم في صحيحه جـ٤ كتاب ٥ صفات المنافقين وأحكامهم كتاب صفة القيامة والجنة والنار حديث رقم ٢٣ ص ٢١٤٨ .

استفهاما مرادا منه تخويفهم من الظهور يومئذ ،أى أين هم اليوم ؟ لماذا لم يظهروا بعظمتهم وخيلائهم الآنه يجوز أن يكون الاستفهام كناية عن التشويق الى ما يرد بعده من الجواب ، لأن الشأن : أن الذى يسمع استفهاما يترقب جوابه فيتمكن من نفسه الجواب عند سماعه أفضل تمكين على أن حصول التشويق لا يفوت على اعتبار الاستفهام للتقرير ).(١)

٥ - قوله تعالى : " لله الواحد القهار ".

أ - ( يجوز أن تكون من بقية القول المقدر الصادر من جانب اللـــه ، لأنه لما كان الاستفهام مستعملا في التقرير والتشويق كان من الشأن أن يتولى الناطق الجواب عنه .

ب - ويجوز أن يكون مقولة المسؤلين اقرارا منهم بذلك ،والتقدير : فيقول البارزون لله الواحد القهار )(٢) وفي ذلك يقول صاحب كتاب " التذكرة " بعد حديث طويل لأبي هريرة ( .. ثم قال سبحانه : " أنا الجبار" " لمن الملك اليوم " فلم يجبه أحد ، فيقول جل ثناؤه وتقدست أسماؤه لله الواحد القهار ،

وهذا يكون بعد أن يفني الله سبحانه وتعالى جميع خلقه . وقيل : ان المنادى ينادى بعد حشر الخلق على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عليها " لمن الملك اليوم " فيجيبه العباد " لله الواحد القهار " . يقول الامام القرطبي : والقول الأول أشهر ،لأن المقصود اظهار انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعوى المدعين وانتساب المنتسبين ،اذ قد ذهب

---

(١) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١١٠.

(٢) المرجع السابق ص١١٠-١١١.

كل ملك وملكه ، وكل جبار وجبروته و متكبر وملكه ، وانقطعت نسبتهم ودعاويهم ، وهذا أظهر وهو مقتضى قوله الحق : " أنا المالك ، أين ملوك الأرض ؟ ". (١)

٦ - ثم التعقيب على تلك المعاني بذكر صفات الله المناسبة للموقف " الواحد القهار " ( لأن لمعنييهما مزيد مناسبة بقوله " لمن الملك اليوم " حيث شوهدت دلائل الوحدانية لله ، وقهره جميع الطغاة والجبارين .

٧ - ثم لما تقرر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عددت آثار التصرف بذلك وهي :

أ - الحكم على العباد بنتائج أعمالهم.

ب - وأنه حكم عادل لا يشوبه ظلم.

جـ - وأنه عاجل لا يبطيء ، لأن الله لا يشغله عن اقامة الحق شاغل ، ولا هو بحاجة الى التدبر والتأمل في طرق قضائه ). (٢)

٨ - وأخيرا نلمس ظاهرة التكرار على جوانب الصورة في قوله : " لمن الملك اليوم ؟ " " لا ظلم اليوم " " اليوم تجزى كل نفس بما كسبت " توكيدا للأمر الذى كانوا ينكرونه وهو هذا اليوم ، لأن الحديث موجه لأناس ينكرون البعث فكانت وسيلة من القرآن ( لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه ، واقراره في أفئدتهم حتى يصبح عقيدة من عقائدهم ). (٣)

---

(١) القرطبي ص ١٩٤.

(٢) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١١١.

(٣) انظر بلاغة القرآن / أحمد بدوى ص ١٤٣- ١٤٤.

## الصورة الثالثة

قال تعالى : " وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ " (١)

ان هذه الصورة واضحة جاءت فيها الكلمات ماضية لتقرع كل واحدة منها بابا من أبواب الرهبة :

١ - فقد بدأت بالانذار من يوم القيامة ، إلا أنه لم يصرح عنه هنا ( بل عبر عنه بما يؤذن بمقربه ) (٢) تخويفا ( فالآزفة مشتق من فعل أزف اذا قرب ، وهي قريبة جدا لأن كل آت قريب وان بعد مداه ، قال تعالى :

" وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ " (٣) ) (٤)

يقول صاحب كتاب الاعجاز البلاغي ( وفي التعبير عن القيامة بالآزفة شيء من التخويف والاثارة والازعاج لأن اللفظ مؤذن بأنه قد بدت هواديها ) (٥) .

٢ - الترهيب من خلال الصورة المعروضة والتي ترسم القلوب المضطربة والتي ( يشتد اضطراب حركتها من فرط الجزع مما يشاهده

---

(١) سورة غافر آية ١٧-٢٠ .

(٢) انظر معترك الأقران / السيوطي ١/ ٥٤٥ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٦٣ .

(٤) انظر التذكرة / القرطبي ص ٢٦٢ .

(٥) د . أبو موسى ص ٢٤٤ .

أهلها من بوارق الأهوال حتى تتجاوز القلوب مواضعها صاعدة الى الحناجر ثم هم كاظمون (١) حناجرهم اشفاقا من أن تخرج منها قلوبهم من شدة الاضطراب ) (٢).

وقد سماه صاحب كتاب " التصوير الفني في القرآن " أسلوب التجسيم (٣) الذى يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ،ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة فاذا المعنى الذهني قد تحول الى حركة يحدث عن حالة نفسية ومعنوية هي حالة التضايق والضجر فيجسمها كحركة جثمانية ..... القلوب فيها تضيق بهم كأنما تفارق مواضعها وتبلغ الحناجر حقا من شدة الضيق ) (٤).

---

(١) الكظم مخرج النفس ،وكظم فلان حبس نفسه ( انظر المفردات ص ٤٣٢ ).

(٢) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١١٤.

(٣) يقول سيد قطب -رحمه الله - (الذى نعنيه هنا بالتجسيم ، ليس هو التشبيه بمحسوس ،فهذا كثير معتاد ،انما نعني لونا جديدا هو تجسيم المعنويات لا على وجه التشبيه والتمثيل بل على وجه التعبير والتحويل وهي هنا بمعناها الفني لا بمعناها الديني بطبيعة الحال ،اذ الاسلام هو دين التجريد والتنزيه ، ص٧٩ ، ٢٢٩ ).

(٤) التصوير الفني في القرآن / سيد قطب ص ٨٠ ، ٨١ .

٣ - الترهيب من خلال الجملة الحاسمة في قوله تعالى :

" مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ "

أ - وصفهم بالظالمين لبيان علة ما يحيق بهم من ألوان العذاب، وهل هناك جريمة أبشع من أن يظلم الانسان نفسه ، وهذا وصف يبين أن هذا مصير كل الظالمين .

ب - ( اطلاقها في الوقت الذى كان فيه أصحاب ذلك الموقف في حالة يستشرفون فيها الى شفاعة من اتخذوهم ليشفعوا لهم عند الله ، فانطلق قوله تعالى : " مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ "
أى لا يلقون صديقا ولا شفيعا ) .(١)

( وهذه الصورة تعرض جانبا من اليوم الذى أزف واقترب ، والذى ستقف فيه القلوب في الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود الى أماكنها والجميع ساكتين باكين لا يتكلم أحد الا بإذن وليس لهم في ذلك الوقت قريب ينفع ولا شفيع يشفع ، بل تقطعت بهم الأسباب من كل خير ) (٢) وفي ذلك وصف عجيب لأحوال الخلق ، لأنه :

(١) كناية عن الشدة البالغة التي يعانون منها .

(٢) وصف حالة بالغة من الضيق الثابت المستمر الذى لا ينفرج ) .(٣)

جـ - وصف الشفيع بالطاعة ، لأن ( الشفيع اذا لم يطع فليس بشفيع ،

---

(١) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١١٤ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧٥ .

(٣) الاعجاز البلاغي / محمد ابو موسى ص ٢٤٥ .

والله لا يجترئ أحد على الشفاعة عنده الا باذنه ، فلا يشفع عنده الا من يطاع )(١) و " في ذلك توكيد مصحوب بشيء من السخرية "(٢).

يقول الامام المودودي ( وهو أمر قد عني القرآن بارساخه في ذهن الانسان والقائه في روعه )(٣).

٤ - الزيادة في الترهيب ، والمبالغة في الانذار في قوله تعالى : " يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ "

لأنهم اذا ذكروا بأن الله يعلم الخفايا كان انذارا بالغا يقتضي الحذر من كل اعتقاد أو عمل نهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عنه ، فبعد أن أيأسهم من شفيع يسعى لهم في عدم المؤاخذة بذنوبهم أيأسهم من أن يتوهموا أنهم يستطيعون اخفاء شيء من نواياهم أو أدنى حركات أعمالهم على ربهم وذلك :

أ - بوصف العين بالخيانة على طريقة الاستعارة المكنية تعظيما له .

ب - اطلاق الصدر على ما يكنّ الأعضاء الرئيسية من النوايا والعزائم التي يضمرها صاحبها في نفسه )(٤).

---

(١) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١١٥.

(٢) الاعجاز البلاغي / محمد أبو موسى ص ١١٥.

(٣) الايمان ص ٢٧٨.

(٤) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١١٦.

٥ - استخدام أسلوب الالتفات من الغيبة الى الخطاب في الختم النهائي للصورة ،لقرع أسماع المشركين بها ،ولفت أنظارهم الى كل ما فيها من تأكيدات في قوله :

أ - " والله يقضي بالحق " حين حكم بأنه ما للظالمين من حميم ولا شفيع .

ب - وفي الترهيب عن طريق اثبات صفات الله ثم التعقيب عليها باظهار نقيضه ، فالذين تدعون من دونه لا يقضون بشيء ، فبعد أن نفى عن أصنامهم الشفاعة ( نفى عنها القضاء بشيء ما بالحق أو بالباطل ،وذلك اظهار وتذكير بعجز الذين يدعونهم وأنهم غير أهل للإلهية .

جـ - ثم الاثبات بالمبالغة في السمع والبصر لله تعالى كتقرير للجملة السابقة " يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور" وفي ذلك تعريض بأن آلهتهم لا تسمع ولا تبصر فكيف ينسبون اليها الإلهيه ).(١)

ثم يعلق صاحب كتاب أسلوب الدعوة القرآنية قائلا : ( أى شعور برقابة الله واطلاعه على البواطن يوقظه هذا التعبير الكريم في نفس المؤمن ،أنه دائما تحت رقابة الله وفي دائرة علمه ،لا سبيل الى ستر شيء عنه ،ان المؤمن الذى يستشعر دائما هذا المعنى و يعيش في ظله سيجد نفسه بعيدا عن كل موطن لا يحب أن يراه الله فيه ،وهذا هو جوهر السلوك الفاضل (ألا يراك حيث ينهاك ، وألا يفتقدك حيث

---

(١) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١١٧-١١٨.

أمرك ، ومن هنا جاء النص على أولئك الذين :

" يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ " (١) (٢)

وأخيرا يلخص الامام " سيد قطب " - رحمه الله - المشهد كله

قائلا ( ان المشهد للآزفة وهي القيامة مصورة بصورة الواقعة السريعة ، وقد ضاقت الصدور ، وزهقت النفوس وبلغ الضيق ، كأن القلوب تغادر مكانها فتحشر في الحناجر ، وتكرب النفس ، وتكظم الأنفاس ، وفي وسط هذا الضيق كله ليس للظالمين من صديق يبثون له ، وينفسون عن صدورهم بالبث ما تضيق به ، وليس لهم من شفيع ذى كلمة مسموعة ، يسعى لهم في تفريج الكرب ورفع الحرج ، وهم هنالك بين الضيق والانفراد والاهمال ، وكل ذلك يتمثل في كلمات قلائل مشحونة بالصور حافلة بالظلال ) • (٣)

---

(١) سورة النساء آية ١٠٨ •

(٢) عبد الغني بركة ص ١٣٢ •

(٣) مشاهد القيامة في القرآن ص ١٦٥ •

## الصورة الرابعـــة

قال تعالى " : أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ " (١)

قبل أن نتحدث عن جوانب التأثير والترهيب في هذه الصورة ، لا بد أن نشير الى أن هناك صورة مشابهة لها تماما ان لم تكن نفس الصورة تتكرر بنفس الألفاظ في آية ٨٢ ، قال تعالى :

" أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ " (٢)

وهذه الآيات نجد شرحها في صورة أخرى من صور سورة غافر ، يقول تعالى فيها " : مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ " (٣)

وهي نفس الصورة تقريبا التي استخدمها مؤمن آل فرعون لترهيب قومه : " وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ " (٤)

ومن هنا نجد أن كل هذه الآيات تمثل صورة واحدة في سورة غافر، تحمل

---

(١) سورة غافر آية ٢١- ٢٢ .

(٢) سورة غافر آية ٨٢ .

(٣) سورة غافر آية ٤ - ٦ .

(٤) سورة غافر آية ٣٠ - ٣١ .

جوانب ترهيب ذات أثر متكامل ، يقول عنه الامام ابن كثير :

( ان الله يخبر عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر وماذا حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما أثروه في الأرض وجمعوه من الأموال ، فيقول : أولم يسر هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم من الأمم المكذبة بالأنبياء عليهم السلام في قديم الدهر ومخالفتهم اياه ، ومنهم قوم نوح والأحزاب من كل أمة ، بل حرصوا على قتلهم بكل ممكن ومنهم من قتل رسوله فأهلكهم الله على ما صنعوا من الآثام والذنوب العظام ، مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة ، وأثروا في الأرض من البنايات والمعالم والديارات ، وجمعوا من الأموال ما لا يقدر هؤلاء عليه كما قال عز وجل : " وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ " (١)
وقال : " وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا " (٢)

أي مع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد الا إنه لم يرد عنهم ذرة من بأس بكفرهم برسلهم ، وما دفع عنهم عذاب الله أحد ، ولا رده عنهم راد ، ولا وقاهم واق ، وعلة الأخذ هي الذنوب التي ارتكبوها واجترحوها ، مع أن هذه الرسل كانت تأتيهم بالدلائل الواضحات ، والبراهين القاطعات ، الا أنهم كفروا وجحدوا فأهلكهم الله ودمر عليهم وللكافرين أمثالها ) . (٣)

---

(١) سورة الأحقاف آية ٢٦ .
(٢) سورة الروم آية ٩ .
(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧١ - ٩٠ .

لذا جاء الحديث حول تكذيب الرسل في البداية يخاطب الذهن والوعي ويصل اليهما مجردا ، ثم أعيد مرة أخرى ليخاطب الحس والوجدان ويصل الى النفس من منافذ شتى من الحواس بالتخييل للوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء ، ويكون الذهن منفذا واحدا من منافذه الكثيرة الى النفس لا منفذها الوحيد .

وقد استخدمت الآيات الكثير من وسائل التأثير التي تبعث الرهبة في النفس وتزيد الخوف في القلب وتضاعف من قدرة التصوير على التأثير .

أولا : تصدير الآيات بهذه الكلمات القوية والتي تقتضي :

أ - ( أن كون القرآن منزلا من عند الله أمر لا ريب فيه ، لينشأ بعد ذلك في نفوس السامعين أن يقولوا : فما بال هؤلاء المجادلين في صدق نسبة القرآن الى الله لم تقنعهم دلائل نزول القرآن من الله ؟ ثم ليجيب بأنه ما يجادل في صدق القرآن الا الذين كفروا بالله .

ب - التأكيد بالأخبار على أن أولئك المجادلين كافرون بالله مع أن كفر المكذبين بالقرآن أمر معلوم الا أن الأمر كان زيادة للترهيب عما أقدموا عليه ، والمعنى : لا عجب في جدالهم بآيات الله فانهم أتوا بما هو أعظم وهو الاشراك .

ج - الترهيب من الجدال بالباطل بأنواعه دون تحديد :

١ - بدلالة وجود ( في ) الظرفية والتي تحوى جميع أصناف الجدال والتي جعل فيها مجرور الحرف نفس الآيات دون تعيين نحو صدقها أو وقوعها ، أو صنفها ليكون الأمر جامعا للجدل بأنواعه .

٢ - اظهار اسم الجلالة في قوله " مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ "
دون أن يقول في آياته لتعظيم أمرها بالصريح لأن ذكر اسم الجلالة مؤذن بتقطيع جدالهم وكفرهم )(١).

ثانيا : استخدام أسلوب الطلب الذى يثير ما يثيره في المخاطب من انفعالات ،ونجد منه هنا الاستفهام التقريرى الذى يحمل المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ( والذى حقيقته استفهام انكار والانكار نفي ،وقد دخل على النفي ،ونفي النفي اثبات(٢) ومن هنا نراه ( أكثر ما يكون استخداما في الأغراض الوثيقة الصلة بالمشاعر النفسية ، كما في الدعوة الى العقائد من ايمان بالله وبرسوله والتنفير من عبادة الأصنام ،وهي الأغراض الأساسية في القرآن المكي حيث المخاطبون به من المشركين الذين تمتلئ قلوبهم بمشاعر العداء له ، ويواجهونه بالسخرية والتعجب والعناد ،مصورا القرآن مشاعرهم تلك ويواجهها بما يطابقها ،فيذكر عليهم ويتعجب منهم ويوجه اليهم القول متوعدا وموبخا ومحقرا )(٣). والاستفهام التقريرى هنا ( موجه للذين ساروا من قريش ونظروا آثار الأمم الذين أبادهم الله جزاء تكذيبهم رسلهم ، فهم شاهدوا ذلك في رحلتيهم ، رحلة الشتاء ورحلة الصيف ، بل وحدثوا بما شاهدوا من تضمهم نواديهم ومجالسهم فقد صار أمرهم معلوما لدى الجميع )(٤).

---

(١) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ٨١-٨٢.
(٢) انظر معترك الأقران ١/ ٤٣٤.
(٣) أسلوب الدعوة القرآنية / عبد الغني بركة ص ٢٣٦.
(٤) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١١٩.

ثالثا : استخدام أسلوب التوكيد .

( فالقرآن باعتباره كتاب دعوة في المقام الأول يركز على استخدام هذا الأسلوب المؤثر ، لتثبيت معانيه في النفس وتقرير قضاياه في الأفئدة )[1] فهو هنا يؤكد وهو يدعو للايمان ويتوعد من يخالف ، وتزيد تأكيداته لأن هذا الأمر محل انكار وشك وهو معهم ، وكلما توغلوا في الشك زاد ألوان التأكيد لانتزاع الشك من جذوره وأرى في هذه الصورة جملة من التأكيدات خاصة وأن الآيات تتوعد المكذبين الكافرين ومن سار على دربهم ، فكان لزاما أن يؤكدها الوعيد -لتتمكن الرهبة منه في النفوس وتحاول الفرار منه ومن مثله - بما يلي :

أ - توكيد الحكم وتقويته ( بالضمير المنفصل في قوله " كانوا هم " ليتعظ الظالمون وهم كفار قريش .

ب - حين قال لهم انه ليس لهم من الله من مدافع ولا ناصر الا أنه بعد ( ما ) أكدها بـ( من ) زيادة لتأكيد النفي ، فلا بد أن يأخذهم الله بذنوبهم .

جـ - اسناد الأخذ الى الله " فأخذهم الله ".[2]

د - التعبير عمن يتعلق بهم الوعيد باسم الموصول "عاقبة الذين من قبلهم " ليفيد أنه شامل لكل من تتحقق فيه الصفات التي

---

(١) أسلوب الدعوة القرآنية /عبد الغني بركه ص ٣١٤.

(٢) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١٢٠-١٢١.

تنص عليها الصلة ، وهذا يجعل الوعيد سنة مطردة في كل زمان ومكان ، وذلك يعطي الوعيد تأيدا وامتدادا ، ويوحي للنفوس بالخوف والرهبة منه ، بل والعمل على ما يبعد عنه .

هـ - التنظير الذى تبرزه الآية في قوله :

١ - " اني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب " ، وهذا التنظير يؤكد الوعيد ، لأنه تحقق لمن قبلهم من الكافرين .

٢ - كما تبرزه الآية حين تصف من قبلهم بأنهم كانوا أشد منهم قوة وأكثر عددا وآثارا في الأرض ، والذى فيه تأكيد من أنهم لا بد صائرون الى ما صاروا اليه لو استمروا على التكذيب ، فاذا ذهب من هم أشد منهم قوة فانهم من باب أولى والله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

و - الاشارة التي يحدثها تقديم " أفلم يسيروا في الأرض " ، " أولم يسيروا في الأرض " ثم المسارعة الى بيان أن المتوعد به يحدث رهبة وخوفا من الوقوع في نفس الظروف والنهاية .

ز - اختيار قوم عاد وثمود لكونهم يرون بآثارهم ، ولقربهم من ديارهم ، فهم ان لم يروا آثارهم فهم يسمعون عنهم ، وهذا زيادة في التأكيد .

وهكذا يستخدم القرآن مختلف أساليب التأكيد ، ويضيف اليها وسائل أخرى للتأثير تمنح المعنى قوة ورهبة .

رابعا : التفصيل بعد الاجمال .

أ - الاجمال في قوله : " كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ "

والتفصيل : " كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً "

( والقوة هنا معنوية أى كثرة الأمة ووفرة وسائل الاستغناء عن غيرهم كما قال تعالى : " فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً " (١) (٢) ) الا أن الله أخذهم بذنوبهم .

ب - كما جاء التفصيل بعد الاجمال في قوله تعالى :

" فأخذهم الله " ، والتي جاءت هنا مجملة لتفصل بعد ذلك مبدوءة بالباء التي هي للسببية أى بسبب تحقق مجيء الرسل اليهم وكفرهم بهم .

ج - قوله : " وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۞ "

فجاء الكلام تعميماً بعد تخصيص ، فهناك الأحزاب من الأمم المعهودة التي ذكرت قصصها وهنا كل الذين كفروا حق عليهم أن يكونوا أصحاب النار ، وفي ذلك يقول الباقلاني (٣) ( اعرف وجه الخلوص من شيء الى

---

(١) سورة فصلت آية ١٥ .

(٢) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١٢٠ .

(٣) هو محمد بن الطيب بن محمد ، القاضي أبوبكر الباقلاني ، البصرى المالكي الأشعرى ، الأصولي المتكلم ، صاحب المصنفات الكثيرة في علم الكلام وغيره ، قال ابن تيميه " وهو أفضل المتكلمين المنتسبين الى الأشعرى ، ليس فيهم مثله ، لا قبله ولا بعده ، توفي سنة ٤٠٣ هـ ( انظر ترجمته في شذرات الذهب ٣/ ١٦٨ ، وفيات الأعيان ٣/ ٤٠٠ ) .

شيء من احتجاج الى وعيد ومن انذار الى انذار ) (١) ثم يعقب عليها صاحب كتاب "معترك الأقران" قائلا ( أخرج ابن أبي حاتم (٢) قال : آيتان في كتاب الله ما أشدهما على من يجادل في الله :

" مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ " (٣) ، " وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾ " (٤) ) (٥)

خامسا : استخدام أسلوب الالتفات .

أ - الالتفات من الخطاب:

" وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ "

( لتعظيم شأن المخاطب ) (٦).

ب - إلى الغيبة : " أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡ "

ليزيد الأمر رهبة للفت أنظارهم للأمر وترك القياس ، وفي ذلك يقول

-------------------------

(١) اعجاز القرآن ص ١٧٩.

(٢) ابن أبي حاتم هو عبد الرحمن بن محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي ،أبو محمد الرازى ،الامام الحافظ الناقد ، أخذ علم أبيه وابي زرعة الرازى ،وكان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال ، وكان ثقة زاهدا ثبتا ،له الكثير من المؤلفات ،توفى سنة ٣٢٧ هـ ( انظر ترجمته في : طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٣٢٤ ، طبقات المفسرين ١/ ٢٧٩ ،تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٣٩ ، البداية والنهاية ١١/ ١٩١ ).

(٣) سورة غافر آية ٤.

(٤) سورة البقرة آية ١٧٦.

(٥) السيوطي ١/ ٤٨٠.

(٦) انظر المثل السائر / ابن الاثير ٢/ ١٨٣.

الامام السكاكي (١) : ( انه أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وأملا باستدرار اصغائه ) (٢) وخاصة حين يثار في نفس من يراهم في متعة ونعمة كيف يتركهم الله على ذلك ويظن أنهم أمنوا من عذاب الله ، ففرع عليه الجواب :

١ - قوله تعالى : " فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ "

أي انما هو استدراج ومقدار من حلم الله ورحمته بهم وقتا ما ( أي لا ينبغي أن تغتر بأني أمهلهم وأتركهم سالمين في أبدانهم وأموالهم يتقلبون في البلاد ، أي ينصرفون للتجارات وطلب المعاش ) (٣) وفي معنى هذه قوله تعالى : " لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ " (٤)

وقوله : " وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ " (٥)

وفي ذلك يقول كعب بن زهير (٦) :

---

(١) هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي ، السكاكي الخوارزمي الحنفي ، أبو يعقوب ، سراج الدين ، قال السيوطي : " كان علامة بارعا في فنون شتى ، خصوصا المعاني والبيان ، وله كتاب " مفتاح العلوم " فيه اثنا عشر علما من علوم العربية " توفى سنة ٦٢٦ هـ ( انظر ترجمته في : بغية الوعاة ٢ / ٣٦٤ ، شذرات الذهب ٥ / ١٢٢ ) .

(٢) مفتاح العلوم ص ٩٥ .

(٣) التفسير الكبير / الفخر الرازى ٢٧ / ٢٩ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٩٧ .

(٥) سورة ابراهيم آية ٤٢ .

(٦) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني ، أبو المضرب : شاعر عالي الطبقة من أهل نجد ، كان ممن اشتهر في الجاهلية ، ولما ظهر

===

فلا يغرنك ما منت وما وعـــدت

ان الأماني والأحلام تضليل (١)

٢ - ثم اني وان أمهلتهم فاني سآخذهم وانتقم منهم ،كما فعلت بأشكالهم من الأمم الماضية ،كقوم نوح والأحزاب من بعدهم ،أى الأمم المستمرة على الكفر ،كما قال تعالى : « كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ » (٢)

فأنزلت بهم من الهلاك ما هموا بانزاله بالرسل ، وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ،ولهم الأموال الكثيرة يتجرون فيها ويربحون فأنا أفعل بهم كما فعلت بهؤلاء ان أصروا على الكفر والجدال في آيات الله والتكذيب بمحمد ،لأن من كذبه فلا شوق له بتصديق غيره ، فقد حقت عليهم كلمة الله ليكونوا هم أصحاب النار ) . (٣)

سادسا : كما عمد القرآن في تحقيق ما يريده من ترهيب الى ايثار صيغة المضارع التي تجعل المشهد كأنه حاضر شاهد تراه العين في قوله ( ليأخذوه ) وكأن ما يقع منهم حاضر شاهد ،وهذا يفيد تجدد الحكم من الله بالأخذ الشديد كلما تجدد منهم التكذيب والكفر .

---

== الاسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم وأقام يشبب بنساء المسلمين ، فهدر النبي دمه ،فجاء كعب مستأمنا ،وقد أسلم ،فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم وخلع عليه بردته ،توفى سنة ٢٦ هـ . (انظر ترجمته في خزانة الأدب ٤/ ١١ ، الأعلام ٥/ ٢٢٦) .

(١) شرح ديوان كعب بن زهير لأبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكرى ، ص ٩ .

(٢) سورة ص آية ١٢-١٣ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٧٠-٧١ ،التفسير الكبير الفخر الرازى ٢٧/ ٣٠ .

سابعا : أسلوب التكرار .

١ - ( تكرار الانكار الذى في قوله تعالى :

( أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا .... ) ( أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ..... )

فكان الأول انتقالا عقب آيات الانذار والتهديد ، وكان الثاني انتقالا عقب آيات الامتنان والاستدلال ، وفي كلا الانتقالين تذكير وتهديد ووعيد ، وهو اشارة الى :

أ - ان لم يكونوا ممن تزعهم النعم ، عن كفران سديها كشأن أهل النفوس الكريمة .

ب - فليكونوا ممن يردعهم الخوف من البطش كشأن أهل النفوس اللئيمة.

فليضعوا أنفسهم حيث يختارون من احدى الخطتين ).(١)

٢ - تكرار كلمة الأخذ في قوله: ( وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ) ( فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ... ) ( فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ ... )

لتصوير بشاعة ما قاموا به حيث لا يسد مسدها ،أى كلمة أخرى ، ( فلو وضع موضع ذلك (ليقتلوه ) أو ( ليرجموه ) أو ( لينفوه ) أو(ليطردوه) أو (ليهلكوه ) أو (ليذلوه ) ونحو هذا(٢):

أ - فما كان ذلك بالغا في تصوير المعنى الأعم من كل تلك الألفاظ

---

(١) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ٢١٩ .

(٢) اعجاز القرآن / الباقلاني ص١٩٧ .

( والذى فيه معنى الطرد والهلاك والاذلال والقهر والتنكيل وكل ما يرد على الخاطر عندما يهم قوم وصفهم الحق بأنهم معاندون مجادلون بالباطل لرسولهم الذى يدعوهم الى ربهم ليأخذوه )(١).

ب - جاء الأخذ من الله نظير أن كل أمة منهم همت برسولها ليأخذوه فلا مجال للمقابلة ، لأنه شتان بين أخذ وأخذ ، والذى يظهر من ذلك التساؤل في قوله " فكيف كان عقاب " ؟:

١ - ( فهو تعجيب يقتضي أن المخاطبين بالاستفهام قد شاهدوا ذلك الأخذ عن طريق مشاهدة آثاره عند مرور الكثير على ديارهم في الأسفار أوفي سماع الأخبار عن نزول العقاب بهم وتوصيفهم .

٢ - أو هو تعريض بتهديد المشركين من قريش بتنبيههم على ما حل بالأمم قبلهم ، لأنهم أمثالهم في الاشراك والتكذيب )(٢).

يقول الامام الرازى في ذلك ( أى فأنزلت بهم من الهلاك ما هموا بانزاله بالرسل وأرادوا أن يأخذوهم فأخذتهم أنا ، فكيف كان عقابي اياهم ، أليس كان مهلكا مستأصلا مهيبا في الذكر والسماع ؟ )(٣).

والملاحظ أن هذا التكرار بالاطناب كان :

أ - لتقرير أخذ الله اياهم بكفرهم برسلهم .

---

(١) الاعجاز البلاغي / محمد أبو موسى ص ٢٤٢.
(٢) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/٨٧.
(٣) التفسير الكبير ٢٧/٣٠.

ب - تهويلا على المنذرين بهم أن يساووهم في عاقبتهم كما ساووهم في أسبابها ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب أسلوب الدعوة القرآنية :

( وقد تشترك كلمتان أو أكثر في الدلالة على أصل المعنى اللغوى ،ولكن تكون احداهما أقدر على ابراز المعنى وتوضيحه بما تمتاز به عن أخواتها من قدرة على التصوير واثارة الخيال ليشارك الذهن في الاحساس به وبما تلقيه في النفس من ايحاءات بمعناها أو صورتها في الخيال وتلك الايحاءات تثير في النفس مشاعر يعمد الى اثارتها ليصل الى الغرض من تمكين المعنى ودفع النفس الى الاستجابة خوفا ) . (١)

وهكذا يستفيد الداعية من أثر التصوير بالكلمات في تقوية المعاني وزيادة تأثيرها في النفوس تحقيقا لما يرمي اليه من ترهيب .

٣ - تكرار المشهد كله في الآية ٢٢ ثم الآية ٨٢ ، ثم شرحها في الآيات : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٣٠ ، ٣١ لأنه يريد أن يعمق انطباعاته في النفوس ليكون أقوى في التأثير والرهبة ، يقول صاحب كتاب معجم المصطلحات البلاغية ( ويأتي الاطناب بالتكرير لنكتة كتأكيد انذار ) (٢)

ونستأنس هنا بما ذكره الزمخشرى (٣) حول فائدة التثنية والتكرار فقال :

---

(١) عبد الغني بركه ص ٢٨٧ .

(٢) أحمد مطلوب ص ٢٣٧ .

(٣) هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشرى جار الله أبو القاسم ، علامة التفسير والحديث والنحو واللغة والبيان ، صاحب المصنفات الحسان في الفنون المختلفة ، والتي منها الكشاف و" أساس البلاغة " توفي سنة ٥٣٨ هـ ( انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٤/ ٥٤ ، طبقات المفسرين للداودى ٢/ ٣١٤ ، معجم الأدباء ١٩/ ١٢٦ ) .

النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا من بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ، ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم )[١] كما يقول صاحب " البرهان " ( وعلى ذلك يحمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد لأن الانسان مجبول من الطبائع المختلفة ، وكلها داعية الى الشهوات ، ولا يقمع ذلك الا تكرار المواعظ والقوادح )[٢] ومن هنا كان التكرار في اللفظ والمعنى والذى يهدف الى التوكيد الذى يحمل :

أ - الوعيد والتهديد .

ب - التقرير والتوبيخ .

يقول صاحب اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ( والتكرار لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ).[٣]

ثامنا : التعقيب على تلك المعاني بذكر صفات الله المناسبة للموقف ، والتي تلقي ايحاءاتها القادرة على ترهيب النفوس وتخويفها ( وهو ما يسمى بالتمكين عند أهل البيان )[٤] ومن هنا جاء التذييل بقوله تعالى :

" إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ "

---

( ١ ) الكشاف ٣/٣٩٥.

( ٢ ) البرهان في علوم القرآن / الزركشي ٣/٩.

( ٣ ) الرافعي ص ١٩٣.

( ٤ ) انظر الاتقان في علوم القرآن / السيوطي ٣/٣٤٥.

جاء مناسبا لما سبق من أخذ الله اياهم ، وكيفية وسرعة أخذه ، مستفادة من فاء التعقيب / ( فأخذتهم فكيف كان عقاب ) ( فالقوى لا يعجزه شيء ، فلا يعطل مراده ولا يتريث " الشديد العقاب " بيان لذلك الأخذ على حد قوله تعالى :
" فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ " (١) (٢) )

تاسعا : أسلوب ضرب المثل لما له من قدرة على التأثير بالوصول الى القلوب وتغيير النفوس ، يقول الامام ابن وهب (٣) ( تضرب الأمثال ليبين للناس تصرف الأحوال بالنظائر والأشباه والأشكال ، وهو نوع من القول أنجح مطلبا وأقرب مذهبا ) (٤) والمثل في الآيات ظاهر ومصرح به في قوله تعالى :
" أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ " (٥)

---

(١) سورة القمر آية ٤٢.

(٢) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١٢١.

(٣) هو عبد الله بن وهب بن مسلم المصري ، الفهري مولاهم ، أبو محمد ، أحد الأعلام قال ابن عدي ، من جلة الناس وثقاتهم ، وقال ابن يونس : جمع ابن وهب بين الفقه والرواية والعبادة ، وكان مالك يكتب اليه في المسائل ويقول : ابن وهب عالم ، توفي سنة ١٩٧ هـ ( انظر ترجمته في طبقات الحفاظ ص ١٢٦ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٤ ، وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٠ ).

(٤) البرهان في وجوه البيان ص ١٤٥.

(٥) سورة غافر آية ٢١ ، ٨٢ .

ثم توضح الآية الأخرى من هم الذين كانوا من قبلهم ، فهم قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، والذين من بعدهم - يضرب الله بهم المثل والذى فيه قياس حالهم ، وهم يجادلون في آيات الله ويكذبون بها على حال من سبقهم ممن كانوا قبلهم ، والذين فصلت الآيات ذكر بعضهم مثل قوم نوح وعاد وثمود ، ثم قالت " والذين من بعدهم " ومن ثم لزم التسوية فيها في الحكم والأخذ ، وجعلت أيامهم جميعا يوما واحدا بالرغم من أنهم يفضلونهم في القوة والعدد ، فأخذ هؤلاء من باب أولى ، لأن الله لايعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

ويريد القرآن بضرب هذا المثل ادخال الرهبة في النفوس والتذكير والوعظ )[1] والتأثيرفي السامعين عن طريق ترهيبهم من العقاب ، لأنهم بذلك ينفعلون وجدانيا ويندفعون الى الايمان بالدعوة وتطبيق تعاليمها ، ( وقد لجأ المثل هنا الى الترهيب عن طريق استعراضه لطوائف من الأمم وبيان مآلها ، وهو منهج علي يجعل المستمع يتمنى أن يبتعد عن هذه الطوائف الخاسرة )[2].

لذا كان مسه أوجع ، وأدعى الى الفكر وأبلغ في التنبيه والزجر ، ومن ذلك يقول صاحب كتاب " الايضاح " : ( ان تعقيب المعاني بأسلوب التشبيه له قدر كبير من التأثير ، ولا سيما قسم التمثيل منه ،

---

(١) الاتقان في علوم القرآن / السيوطي ٢/ ١٣١.
(٢) انظر الدعوة الاسلامية / احمد غلوش ص ٣٧٦.

فهو يضاعف القول في تحريك النفوس الى المقصود بها مدحا كان أو ذما )[١] ، يقول الامام الزمخشري : ( ولاستحضار المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في ابراز خبيئات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه شاهد ، وفيه تبكيت للخصم الألد ، وقمع لسورة الجامح الأبي )[٢].

---

(١) القزويني ص ١٥١-١٥٢.

(٢) الكشاف ١/ ١٩٥.

صور الترهيب في قصة مؤمن آل فرعون :

١ - قال تعالى على لسانه : " يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ " (١)

٢ - وقال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون أيضا : " يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ " (٢)

٣ - وقال أيضا : " وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ " (٣)

٤ - كما قال : " وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ " (٤)

٥ - وقال : " لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ " (٥)

٦ - وقال تعالى : " فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ " (٦)

---

(١) سورة غافر آية ٢٩.
(٢) سورة غافر آية ٣٠- ٣١.
(٣) سورة غافر آية ٣٢- ٣٣.
(٤) سورة غافر آية ٣٤- ٣٥.
(٥) سورة غافر آية ٤٣ - ٤٤.
(٦) سورة غافر آية ٤٥- ٤٦.

١ - بدأ مؤمن آل فرعون بموعظة قومه بعد تلك المقدمة (١) والتي بدأها باستخدام أسلوب النداء في الخطاب ، وذلك :

أ - ليستهويهم الى تعضيده أمام فرعون فلا يجد فرعون بدا من الانصياع الى اتفاقهم وتظاهرهم .

ب - ولأنه أدخل في باب النصيحة .

ثم وجه النصيحة للحاضرين من قومه يحذرهم من مصائب تصيبهم من جراء امتثالهم أمر فرعون بقتل موسى فكان أن بدأها بالتذكير بنعم الله عليهم وذلك تمهيدا لتخويفهم ، من غضب الله ، أى كأنه قال لهم : ( قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض فراعوا هذه النعمة بشكر الله تعالى وتصديق رسول الله واحذروا نقمة الله ان كذبتم رسله ) (٢) وهو بذلك/كما يقول صاحب " الظلال " ( يهجم عليهم مخوفا بعقاب الله محذرا من بأسه الذى لا ينجيهم منه ما هم فيه من ملك وسلطان ، مذكرا اياهم بهذه النعمة التي تستحق الشكران لا الكفران ) (٣) .

والمقصود : تخويف فرعون من زوال ملكه ولكنه جعل الملك لقومه لتجنب مواجهة فرعون بغرض زوال ملكه .

---

(١) والتي سبق الحديث عنها في فصل الجدل .

(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤/٧٩ .

(٣) في ظلال القرآن / سيد قطب ٥/٣٠٧٩ .

وفرع على هذا التمهيد :

" فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا "

( أى لا تغني عنا هذه الجنود وهذه العساكر ،ولا ترد عنا شيئا من بأس الله ان أرادنا بسوء ) (١) وبذلك نراه :

١ - استخدم أسلوب الاستفهام التحذيرى والذى ذكره الزركشي في برهانه زيادة في التأثير فيهم. (٢)

٢ - أدمج نفسه مع قومه في ( ينصرنا ) و (جاءنا ) ، ليريهم أنه يأبى لقومه ما يأباه لنفسه للتأثير فيهم.

٣ - استخدم أسلوب الترهيب غير المباشر ففي كلامه اشارة الى أن المصيبة ان حلت لا تصيب بعضهم دون بعض ،فان كانوا قادرين على قتل موسى فالله قادر على هلاكهم جميعا الا أن فرعون تفطن الى أنه المعرض في خطاب الرجل المؤمن فقاطع كلامه وبين سبب عزمه على قتل موسى عليه السلام بأنه ما عرض عليهم ذلك الا لأنه لا يرى نفعا الا في قتل موسى ولا يستصوب غير ذلك ، ويرى ذلك هو سبيل الرشاد ، وكأنه أراد :

أ - أن لا يترك لنصيحة مؤمنهم مدخلا الى نفوس ملئه/خوفا أن يتأثروا بنصيحة فلا يساعدوا فرعون على قتل موسى .

ب - كما أنه يعرض بأن كلام مؤمنهم ما هو الا سفاهة رأى .

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٧٥٧/٤ .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن ٣٣٩/٢ .

الا أن مؤمن آل فرعون يحاول اتمام موعظته ( بتحذير قومه من بأس الله في الدنيا أولا )[١] دون محاولته التصدى لمقالة فرعون حذرا من المواجهة ، محذرا لهم من مثل يوم الأحزاب ، وهو ليس يوما معينا ، بدلالة اضافته الى جميع تلك الأزمان المتباعدة ، والتقدير : يقال في مثل أيام الأحزاب ، الا أنه لما كانت مواقفهم واحدة ونهاياتهم واحدة ، وكان ذلك رأيهم الذى اعتادوه ولازمهم متكررا كانت أيامهم كلها كأنها يوم واحد ، وفي هذا غاية الترهيب من نفس السلوك الذى دأبوا عليه وهو الاشراك بالله ومواجهة نفس المصير والجزاء الذى لقيه قوم نوح وعاد وثمود ، وقد كان الترهيب من شيء يعرفونه ويعلمونه ويمرون عليه ، فأما قوم نوح فكان طوفانهم مشهودا ، وأما عاد وثمود فبلادهم قريبة من البلاد المصرية وكان عظيما لا يخفى على مجاورهم .

( وقد ضرب لهم المثل لما له من قدرة على التأثير ، فهو عدة الداعية في الوصول الى القلوب وتغيير النفوس )[٢] فمؤمن آل فرعون حين أورد المثل انما هو في الحقيقة يقيس لهم النهاية التي يدعيها على نهاية معروفة عندهم حتى يخافوا بالتالي من تلك النهاية ، ثم يقول صاحب كتاب " معالم الدعوة في قصص القرآن " : ( فلا شك أن وصف حال الكفار وهم يتلقون أنواعا من العذاب الأليم الذى تعرضه الآيات مما يثير الخوف والفزع في النفس ويحملها على أن تلوذ بربها فتتخلص

---

( ١ ) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٧٩/٤ .

( ٢ ) انظر اسلوب الدعوة القرآنية / عبد الغني بركه ص ٣٠٠ .

له العبودية لتنجو من أليم عذابه ما لم يكتب عليها الشقاء )[١]. ثم
تذييل الآية بقوله : " وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ "

أ - أي أن الله لا يريد أن يظلمهم ، بل غيره يريدونه لهم ،
وهم قادة الشرك وأئمته ، اذ يدعونهم اليه ويزعمون أن الله أمرهم به
قال تعالى : " وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ "[٢]

ب - ويجوز أن يكون المعنى : ما الله يريد أن يظلم عباده ،
ولكنهم يظلمون أنفسهم باتباع أئمتهم على غير بصيرة ، كقوله تعالى :
" إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ "[٣]
وهذا ما ذهب اليه الامام ابن كثير في تفسيره فقال ( انما أهلكهم الله
بذنوبهم ، وتكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره فأنفذ فيهم قدره )[٤].

( فالله تعالى لا يترك عقاب أهل الشرك لأنه عدل ، ولأن التوعد
بالعقاب على الشرك والظلم أقوى الأسباب في اقلاع الناس عنه ، وصدق
الوعيد من متمات ذلك مع كونه مقتضى الحكمة لاقامة العدل )[٥].

ثم نجده يحاول تحذير قومه من بأس الله في الآخرة ، بعد
أن تهددهم على قدرته في الدنيا " : وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ "[٦]

---

( ١ ) عبد الوهاب الديلمي ١/ ٥٢١.
( ٢ ) سورة الأعراف آية ٢٨.
( ٣ ) سورة يونس آية ٤٤.
( ٤ ) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٨.
( ٥ ) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١٣٥.
( ٦ ) سورة غافر آية ٣٢- ٣٣.

وقد أورد صاحب كتاب " التذكرة " حديثا طويلا لأبي هريرة حين ذكر هذه الآية فقال : ( ان يوم التناد هو حين تكون الأرض كالسفينة في البحر ، تضربها الأمواج فيميد الناس على ظهرها ، وتذهل المراضع ، وتضع الحوامل ما في بطونها ، وتشيب الولدان ، وتتطاير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار فتتلقاها الملائكة هاربة فتضرب بها وجوهها ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهي التي يقول الله عز وجل :

" يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ " (١)

أ - ملامح الترهيب تظهر واضحة من تسميته بيوم التناد فهو : ( تذكير بيوم الحساب والحشر ، يوم يتنادون فمن مستشفع ومن متضرع ومن موبخ ومن معتذر ) (٢).

( وقد جاء بيانه في الأعراف في قوله تعالى :

" وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا " (٣)

وقوله : " وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ " (٤)

وقوله : " وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ " (٥) ) (٦)

---

(١) القرطبي ص ٢١٩.

(٢) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/١٣٦.

(٣) سورة الأعراف آية ٤٤.

(٤) سورة الأعراف آية ٤٨.

(٥) سورة الأعراف آية ٥٠.

(٦) براعة الاستهلال / محمد بدرى عبد الجليل ص ٢٤٩.

ب - ثم ان هذه الصورة جاءت من مؤمن آل فرعون ترهيبا لقومه من اليوم الذى ينادى فيه الكافرون بأعمالهم فيولون هاربين كما هربوا منه في الدنيا ( يوم ناداهم بـ " يا قوم " ناصحا ومريدا خلاصهم من كل نداء مفزع يوم القيامة يوم التولي والادبار وتأهيلهم لكل نداء سار فيه ) (١) فلم يستجيبوا ( واليوم ليس لهم مهرب ولا مانع يمنعهم من بأس الله وعذابه ) (٢).

٢ - تصوير مشهد الفرار :

أ - ( وهو مشهد فريد بين مشاهد القيامة جميعا ، فللمرة الأولى تشهد جماعة من المبعوثين يولون الأدبار عند النداء ، يحاولون الفرار ، والمشهد الوحيد الذى يمت اليه بصلة جاء في سورة سبأ :

" وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ " (٣)

ولكنه مجرد فزع يتلوه الأخذ ، أما هنا فقد ولوا الأدبار فعلا ثم أخذوا بعد الفرار ) (٤).

ب - ومن هذا يظهر مدى هول ما يجدونه حتى فروا هذا الفرار ، وعادوا هربا بعد أن وجدوا ما يكرهون .

---

(١) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١٣٦.
(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤/ ٧٩.
(٣) سورة سبأ آية ٥١.
(٤) مشاهد القيامة في القرآن / سيد قطب ص ١٦٥.

٣ - قوله : " وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ "

مقتصرا عليها دون قوله : " وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ " (١)

( لأنه أحس منهم الاعراض ولم يتوسم منهم مخائل الانتفاع بنصيحته وموعظته ) (٢).

وعندما توسم فيهم قلة جدوى النصح لهم وأنهم مصممون على تكذيب موسى ارتقى في موعظتهم وترهيبهم بالرجوع الى مامضى ، وذلك :

أ - بتذكيرهم أنهم من ذرية قوم كذبوا يوسف لما جاءهم بالبينات ، مؤكدا كلامه بـ ( قد ) ولام القسم مظنة أن ينكروه لبعد عهدهم به ، فتكذيب المرشدين الى الحق شنشنة ، معروفة في أسلافهم فتكون سجية فيهم . وأرى أن في ذلك أسلوب استفزازى قد يدفعهم الى مخالفة ذلك الديدن وخاصة أنه معروف النهايات ، ومحاولة انقاذ أنفسهم معتمدا على أن كل انسان لا يحب أن يورد نفسه موارد الهلاك بل كل همه أن ينجو بها ، الا أن القرآن قد سجل عليهم بأن التكذيب للناصحين ، واضطراب عقولهم في الانتفاع بدلائل الصدق قد ورثوه عن أسلافهم في جبلتهم وتقرر في نفوسهم ، فانتقاله اليهم جيلا بعد جيل كما جاء في خطاب بني اسرائيل مقررا في سورة البقرة .

وهنا يقف القرآن عند هذا الجزء من القصة وقفة صغيرة القصد منها أخذ العبرة بحال المكذبين بموسى تعريضا بمشركي قريش

---

(١) الزمر آية ٣٧ .
(٢) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١٣٨ .

أى كضلال قوم فرعون يضل الله من هو مسرف مرتاب أمثالكم يجادل بغير حجة وانما باللجاج والاستهزاء .

ثم يضع لنا خاتمة تلك القصة :

" فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ " (١)

( أى سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ، ونهيتكم عنه ، ووضحت لكم ، وتتذكرونه وتندمون حيث لا ينفعكم الندم ) (٢) فكان هذا الكلام متاركة القوم وتنهية لخطابه اياهم ، ولعله استشعر من ملامحهم أو من مقاطعتهم لكلامه بعبارات الانكار ما أيأسه من تأثرهم بكلامه ، فكان آخر وقفة ترهيب بتذكيرهم بأنهم سيندمون على كل ذلك حين يرون العذاب ، وذلك :

أ - اما في الدنيا كما اقتضاه تهديده لهم بقوله :

" إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ " (٣)

ب - أو في الآخرة كما اقتضاه قوله :

" إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ " (٤)

---

(١) سورة غافر آية ٤٤

(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤/ ٨١ .

(٣) سورة غافر آية ٣٠ .

(٤) سورة غافر آية ٣٢ .

وبالفعل كان عذاب في قبورهم قبل القيامة :

" ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا " (١)

وقبلها ( الغرق في اليم ثم النقلة منه الى الجحيم في القبر ، فان أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء الى قيام الساعة فاذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار لتلقى أشد أنواع العذاب ألما وأعظمه نكالا ) (٢) وبذلك نرى أن مؤمن آل فرعون ( حذر وأنذر واجتهد في ذلك واحتشد ولا جرم أن الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين ) (٣).

---

(١) سورة غافر آية ٤٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤/ ٨٢.

(٣) الكشاف / الزمخشرى ٣/ ٤٢٨.

## الصورة السادسة

هذه الصورة ترسم تحاج أهل النار في النار و تخاصمهم وفرعون وقومه من جملتهم ، يقول تعالى : " وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ...... ) (١)

ونلمس من خلالها الكثير من جوانب التأثير ، والتي تتضح من خلال مايلي :

١ - استخدام أسلوب التعريض ، حيث لا يقتصر الأمر على فرعون فقط ( بل هو تعريض بوعيد المشركين كما هو مقتضى المماثلة وكل من جاءهم رسول بالبينات فكذبوه ، بدلالة قوله تعالى :

" أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ " (٢)

ولم يأت آل فرعون إلا موسى وأخاه هارون ومن قبلهما يوسف عليهم السلام ومن هنا فالسؤال لكل أهل النار ) (٣).

٢ - التأكيد على أن السادة والكبراء ليس لهم سبيل وانما السبيل هو سبيل الله وهذا يظهر حين ( يندمون على عصيان الله ورسوله و يتمنون أن لو كانوا قد أطاعوهم ، ولكنهم أطاعوا السادة والكبراء وحينها يتجهون اليهم ) (٤) ( طالبين من الأقوياء أن يؤدوا اليهم دينهم فيحملوا عنهم نصيبا من العذاب ) (٥) قائلين لهم ( إنا أطعناكم فيما دعوتمونا اليه في الدنيا من الكفر والضلال فهل تتحملون قسطا من العذاب عنا ) (٦) ؛

---

(١) سورة غافر آية ٤٧ - ٤٨ .
(٢) سورة غافر آية ٥٠ .
(٣) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤ / ١٦٠ .
(٤) من بلاغة القرآن / أحمد بدوى ص ٣٠٩ .
(٥) مشاهد القيامة في القرآن / سيد قطب ص ١٦٥ .
(٦) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤ / ٨٣ .

يقول صاحب التحرير والتنوير في قوله تعالى : " إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا "
أنها جاءت مؤكدة للاهتمام بالخبر :

أ - على طلب التخفيف عنهم من النار كمقدمة للطلب قصد توجيهه وتعليله وتذكيرهم بالولاء الذى بينهم في الدنيا ، يلهمهم الله هذا القول لافتضاح عجز المستكبرين أن ينفعوا أتباعهم تحقيرا لهم جزاء على تعاظمهم الذى كانوا يتعاظمون به في الدنيا .

ب - أو أن قول الضعفاء ليس مستعملا في حقيقة الحث على التخفيف عنهم ولكنه مستعمل في التوبيخ ، أى كنتم تدعوننا الى دين الشرك فكانت عاقبة ذلك أنا صرنا في هذا العذاب فهل تستطيعون الدفع عنا : " فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا "
جاء أسلوبا للاستفهام للحث واللوم على خذلانهم و ترك الاهتمام بما هم فيه من عذاب .

٣ - ثم بيان مدى ما يعانون من عذاب ويأس غير طامعين في الخروج منها الا أنهم قانعون بكل ما يخفف عنهم من شدة حرها ) .(١)

٤ - ثم كان رد الكبراء بعد أن ضاقوا صدرا بهذا الاستفهام المنطوى على التأنيب ويرون أنفسهم يحتلون من العذاب أقصاه ، فلا مجال لاحتمال قسط آخر من نصيب الضعفاء فيطلقونها كلمة تضيق بها الصدور قائلين ( انا لا نتحمل عنكم شيئا ، وكفى أيضا ما عندنا من العذاب والنكال ) .(٢)

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١٦٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤/ ٨٣.

يقول الامام ابن رجب (١) ( وهذا نوع من عـذاب أهل النار ، فيها تلاعنهم ، وتبرؤ بعضهم من بعض و دعاء بعضهم على بعض بمضاعفة العذاب ، كما قال تعالى " كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ " (٢) ) (٣)

٥ - ( ويعقبونها بتسليم الأمر كله لله ، والتخلي عن الصفة التي يطالبهم على أساسها الضعفاء بالاحتمال صفة العلو والاستكبار ، فان هم الا عبيد كالعباد ) (٤) : " إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ "

وفي هذا منتهى اليأس من التخلص مما هم فيه أوحتى التخفيف عنه.

٦ - ثم زيادة اليأس والذل حين يصور الله أولئك المستضعفين يتوجهون الى خزنة جهنم في منتهى الذل ، يقولون لهم ( ادعوا ربكم ) هكذا باضافة كلمة " رب " الى ضمير المخاطبين ، والذى فيه ضرب من الاغراء بالدعاء ، أى : لأنكم أقرب الى استجابته لكم ، يقول صاحب التحرير والتنوير ( ولذلك لما ظنوهم أرجى للاستجابة سألوا التخفيف يوما من أزمنة العذاب وهو أنفع لهم من تخفيف قوة النار التي سألوه من مستكبريهم ) (٥)

---

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب زين الدين ، أبو الفرج ، الحنبلي و البغدادى ثم الدمشقي ، الحافظ الامام المحدث الفقيه الواعظ ، قال ابن العماد " واشتغل بسماع الحديث ، وكانت مجالس تذكيره للقلوب صارعه ، وللناس عامة مباركة نافعة ، وله مصنفات مفيدة ومؤلفات عديدة " ، وكان زاهدا في الدنيا ، توفي بدمشق سنة ٧٩٥ هـ ( انظر ترجمته في : طبقات الحفاظ ص ٥٣٦ / شذرات الذهب ٦/٣٣٩ ) .

(٢) سورة الأعراف آية ٣٨ .

(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ص ١٠٧ .

(٤) مشاهد القيامة في القرآن / سيد قطب ص ١٦٦ .

(٥) محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/١٦٢ .

ألا أنه لا تخفيف ،يقول الامام ابن كثير ( فقالت لهم الخزنة رادين عليهم : أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ أى : أوماقامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل ؟ قالوا : بلى ، قالوا : اذا فادعوا أنتم لأنفسكم فنحن لا ندعولكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم ،ونحن منكم براء ) (١) ثم يتم الامام ابن رجب قائلا ( وعذاب الكفار بالنار لا يفتر عنهم ولا ينقطع ولا يخفف ،بل هو متواصل أبدا ، قال تعالى : " وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا " (٢) (٣) )

٧ - الترهيب بذكر جهنم وأن لها خزنة وهم الملائكة الموكلون بما تحويه من النار ووقودها والمعذبين فيها وموكلون بتسيير ما تحتوى عليه دار العذاب وأهلها ،كل ذلك يظهر من قوله ( خزنة جهنم ).

٨ - استخدام أسلوب الاستفهام التقريرى لحملهم على الاقرار والاعتراف بالأمر الذى استقرعندهم والذى حقيقته استفهام انكار ،يقول صاحب البرهان في علوم القرآن ( والانكار نفى ،وقد دخل على النفي ،ونفى النفي اثبات ) (٤) وهوسؤال للتقريع والتذكير باظهار سوء صنيعهم على ما أضاعوه في حياتهم الدنيا من وسائل النجاة من العقاب .

٩ - زيادة الخزى باعترافهم بمجيء الرسل اليهم بالبينات بقولهم ( بلى ) الا أن هذا الاعتراف لا ينفعهم الآن انما هو زيادة في التيئيس ( فادعوا ) في زراية وتهكم ،ويدعونهم ليتولوا أمرهم بأنفسهم على

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٨٣.

(٢) سورة فاطر آية ٣٦.

(٣) التخويف من النار ص ١٥١.

(٤) الزركشي ٢/ ٣٣١.

يأس من جدوى المحاولة والدعاء . يقول سيد قطب معقبا ( ثم نسمع تعليقا على هذا الدعاء :

" وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ " وذلك حق وهو الذى يتفق مع العدالة . (١)

ويقول الامام ابن كثير : ( وليس لهم الا الابعاد والطرد من الرحمة، والنار هي المنزل والمقيل ) . (٢)

١٠- ولقد أثار الامام القرطبي هذا التساؤل ، وأوردته لأنه يزيد الموقف رهبة وخوفا ، والسؤال هو : " الله تعالى يتحدث عن الحوار والمجادلة بين الكفار في النار وخزنة جهنم في الوقت الذى نعرف آيات أخرى في القرآن منها قوله :

" وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا " (٣)

والسؤال لا يكون الا بالاسماع ؟

والجواب : أن حال الاقامة في النار تنقسم الى بدو ومآل فبدوها أنهم اذا قطعوا المسافة التي بين موقف الحساب وشفير جهنم عميا وبكما وصما اذلالا لهم وتمييزا عن غيرهم ،ثم ردت الحواس اليهم ليشاهدوا النار، وما أعد الله لهم فيها من العذاب ، ويعاينوا ملائكة العذاب وكل ما كانوا به مكذبين فيستقرون في النار ناطقين سامعين ،مبصرين ، ولهذا قال تعالى : " وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ " (٤)

وأنهم يقولون لخزنة جهنم ( ادعوا ربكم يخفف عنا ) . (٥)

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن ص ١٦٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٨٣ .

(٣) سورة الاسراء آية ٩٧ .

(٤) سورة الشورى آية ٤٥ .

(٥) التذكرة ص ٢٣٢ - ٢٣٥ .

## الصورة السابعـــة

قال تعالى : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ
وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ
فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن
نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا
كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ " (١)

( هذه الصورة تحمل تهديدا شديدا ووعيدا أكيدا من الرب جل جلاله للمكذبين بآيات الله ، كما قال تعالى :

" وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ " (٢)

فالزبانية تنتظرهم لتسحبهم بالأغلال المتصلة بأيديها على وجوههم ، تارة الى الحميم و تارة الى الجحيم ، وهذا كما ورد في قوله تعالى :

" هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ " (٣)

ثم يسألون : أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله ، هل ينصرونكم اليوم ؟ قالوا : ذهبوا فلم ينفعونا بل جحدوا عبادتهم لها ، كما قال تعالى :

" ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ " (٤)

فتقول لهم الملائكة : هذا الذى أنتم فيه ، جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم و اشركم وبطركم ، فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها و هي بئس المنزل والمقيل الذى فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله و حججه ) (٥) و من هنا كانت جوانب التأثير واضحة فيما يلي :

---

(١) سورة غافر آية ٦٩ - ٧٦ .
(٢) سورة المرسلات آية ١٩ .
(٣) سورة الرحمن آية ٤٤ .
(٤) سورة الأنعام آية ٢٣ .
(٥) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٨٩/٤ .

١ - الترهيب عن طريق ذم الذين جادلوا في آيات الله ودفعوها وكذبوا بها ، والتعجب من أمرهم بهذا الاستفهام التقريري من حال انصرافهم عن التصديق بعد كل الدلائل البينة ، يقول صاحب كتاب " ظاهرة التكرار في القرآن " : ( وقد كان سر تكرار الآيات المتعددة للمجادلين تحذيرا للمؤمنين عن اللجاجة بالباطل والخوض في آيات الله لأقل بادرة أو أدنى شبهة ) .(١)

٢ - الترهيب عن طريق التهديد والانذار ، كما في قوله تعالى : ( فسوف يعلمون ) ( أى سيجدون العذاب الذى كانوا يجادلون فيه فيعلمونه وعبر عن وجدانهم العذاب بالعلم به بمناسبة استمرارهم على جهلهم بالبعث ، وتظاهرهم بعدم فهم ما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فأنذروا بأن ما جهلوه سيتحققونه يومئذ كقول الناس : ستعرف منه ما تجهل ) .(٢)

٣ - الترهيب عن طريق وصف كيفية عقابهم والتي تتمثل فيمايلي :

أ - وضع الأغلال في الأعناق والسلاسل في الأقدام ، وقد ورد فيهما عن ابن عمرو قال : " تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال : لو أن رصاصة مثل هذه - وأشار الى جمجمة - أرسلت من السماء الى الأرض و هي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لصارت أربعين

---

(١) د . عبد المنعم السيد حسن ص ٢١٣ .

(٢) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ٢٠٢ .

خريفا الليل والنهار قبل أن يبلغ أصلها أو قال مقرها )[(١)] وقد أورد ابن رجب الحنبلي في كتابه ( أن الأغلال لم تجعل في أعناق أهل النار لأنهم اعجزوا الرب عزوجل ، ولكنها اذا أطفي بهم اللهب أرستهم )[(٢)] يقول الامام القرطبي " ان الله عذبهم بنوع ما كانوا يعذبون به في الدنيا قال الشعبي : أترون أن الله جعل الأنكال في الرجل خشية أن يهربوا ، لا والله ، ولكنهم اذا أرادوا أن يرتفعوا استثقلت بهم )[(٣)] ٠

ب - ثم السحب بتلك السلاسل في الحميم ، ( وقد قصد السحب ليجمع فيه بين الايلام والمهانة )[(٤)] ٠ ( والحميم ماء يغلي من يوم خلق الله السموات والأرض الى يوم يسقونه ويصب على رؤوسهم )[(٥)] قال ابن عباس: ( يسحبون في الحميم وينسلخ كل شيء عليهم من جلد ولحم و عروق وأعصاب، وقال القرطبي : ان الحميم دون النار ،فيؤخذ العبد بناصيته فيجر في ذلك

---

(١) سنن الترمذى جـ٤ ،أبواب صفة جهنم ،باب ما جاء في صفة طعام أهل النار حديث رقم ٢٧١٤ ص١٠٩ ،وقال الترمذى : هذا حديث اسناده صحيح /مسند الامام أحمد بن حنبل ٢/١٩٧٠

(٢) التخويف من النار ص٩٩-١٠٠٠

(٣) التذكرة ص ٥٥٤٠

(٤) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/٢٠٣٠

(٥) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ) ابن رجب الحنبلي ص ١١٨٠

الحميم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس )[1] وقرأ ابن عباس ( والسلاسل يسحبون ) بنصب السلاسل وفتح ياء يسحبون قال : هو أشد عليهم ، هم يسحبون السلاسل )[2].

جـ - ثم في النار يسجرون.

( والسجر : تهييج النار )[3] ، (ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم ، ويقرب منه قوله تعالى : "نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧" )[4][5]

وزيادة في الترهيب ( أسند فعل يسجرون ) الى ضمير (هم ) اسنادا مجازيا لأن الذى يسجر هو مكانهم من جهنم ولكن أريد المبالغة في تعلق السجر بهم فكانت هذه الاستعارة التبعية بتشبيههم بالتنور في استقرار النار بباطنهم ، كما قال تعالى : "يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠" )[6][7]

( قال قتادة : "يسحبون في النار مرة وفي الحميم مرة )[8] ، وفي ذلك يقول الامام ابن كثير : ( انها صورة المكذبين والأغلال في أعناقهم والسلاسل متصلة بالأغلال في أيدى الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة الى الحميم وتارة الى الجحيم/كما قال تعالى : "هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝٤٤" )[9][10]

---

(١) التخويف من النار / ابن رجب ص ١١٥.
(٢) المصدر السابق ص ٩٩.
(٣) المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني ص ٢٢٥.
(٤) سورة الهمزة آية ٦ - ٧.
(٥) الكشاف / الزمخشرى ٣ / ٤٣٦.
(٦) سورة الحج آية ٢٠.
(٧) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤ / ٢٠٣.
(٨) التخويف من النار / ابن رجب ص ١٤٦.
(٩) سورة الرحمن آية ٤٣-٤٤.
(١٠) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٨٨.

٤ - الترهيب ،بتصوير ذلك التقريع عن طريق سؤالهم :

" أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ "

يقول صاحب التحرير والتنوير : ( ان هذا القيل ارتقاء في تقريعهم عن طريق :

أ - الاستفهام ب ( أين ) والتي تستعمل للاستفهام عن الشيء المجهول المكان ،فهو هنا مستعمل في التنبيه على الغلط والفضيحة في الموقف فانهم كانوا يزعمون أنهم يعبدون الأصنام ليكونوا شفعاء لهم من غضب الله ،فلما حق عليهم العذاب فلم يجدوا شفعاء ذكروا بما كانوا يزعمونه فقيل لهم ( أين ما كنتم تشركون من دون الله ) (١) يقول الامام ابن كثير : ( وفي كل ذلك زيادة العذاب ) (٢).

ب - ( اعلان خطل آرائهم بين أهل المحشر وهو أشد على النفس من ألم الجسم .

جـ - ولأن هذا القول مقدمة لتسليط العذاب عليهم ،لاشتماله على بيان سبب العذاب وهو عبادة الأصنام ،وازدهاؤهم في الأرض بكفرهم ومرحهم.

د - وهو أيضا ارتقاء في وصف أحوالهم الدالة على نكالهم ،اذ ارتقى من صفة جزائهم على اشراكهم ، وهو شيء غير مستغرب ترتّبه على الشرك الى وصف تحقيرهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها وذلك غريب من أحوالهم وأشد دلالة على بطلان إلهية أصنامهم الذى هو المقصد المهم من القوارع التي سلطت عليهم في هذه السورة ) (٣).

---

(١) انظر محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ٢٠٣ ، ٢٠٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٨٨.

(٣) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ٢٠٤.

٥ - ثم الترهيب في تصوير تلك الاجابة النادمة المعتذرة "قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا" أي غابوا عنا ( فهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم ) (١) ( ثم عرض لهم فعلموا أن الأصنام لا تفيدهم فأضربوا عن قولهم " ضلوا عنا " وقالوا : "بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا" ومعنى ذلك :

أ - أي لم نكن في الدنيا ندعو شيئا يغني عنا ، فنفى دعاء شيء هنا راجع الى نفي دعاء شيء يعتد به ، اذ ليس المعنى على انكار أن يكونوا عبدوا شيئا لمنافاته لقولهم ( ضلوا عنا ) المقتضي الاعتراف الضمني لعبادتهم ). (٢)

ب - ( وفسر كثير من المفسرين قولهم " بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا" أنه انكار وجحد لعبادة الأصنام ، بعد الاعتراف بها لاضطرابهم من الرعب فيكون من نحو قوله تعالى :
"ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾" (٣) ) (٤)

٦ - الترهيب عن طريق ذلك التذييل المعترض بين أجزاء القول الذى يقال فيهم ، وذلك :

أ - (باستخدام اسم الاشارة كتعجب من ضلالهم ، أى مثل ضلالهم ذلك يضل الله الكافرين .

---

(١) الكشاف / الزمخشرى ٣/٤٣٦.
(٢) انظر الكشاف للزمخشرى ٣/٤٣٧ ، التحرير والتنوير / محمد الطاهر ابن عاشور ٢٤/ ٢٠٤ ، ٢٠٥.
(٣) سورة الأنعام آية ٢٣.
(٤) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤/٨٨ ، التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ٢٠٥.

ب - باستخدام التشبيه في قوله " كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ " أى مثل اضلال هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله يضل الله جميع الكافرين ، فيكون اضلال هؤلاء الذين يجادلون مشبها به اضلال الكافرين كلهم ، والتشبيه كناية عن :

١ : كون اضلال الذين يجادلون في آيات الله بلغ قوة نوعه ، بحيث ينظَّر به كل ما خفي من أصناف الضلال .

٢ : وهو كناية عن كون مجادلة هؤلاء في آيات الله أشد الكفر ) .(١)

٧ - الترهيب عن طريق الاشارة الى سبب ما هم فيه من العذاب "ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾" باستخدام اسلوب الجناس كوسيلة من وسائل التأثير للفت الأنظار الى تلك الصورة الرهيبة .

يقول صاحب كتاب معترك الاقران ( والجناس هو تشابه اللفظين في اللفظ ، وقال في كنز البراعة وفائدته : الميل الى الاصغاء اليه ، فان مناسبة الألفاظ تجد ميلا واصغاء اليها ، ولأن اللفظ المشترك اذا حمل على معنى ثم جاء المراد به آخر كان للنفس تشوق اليه ) (٢) والمعنى : ( هذا الذى أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق واشركم وبطركم فليس لكم الا بئس المنزل والمقيل الذى فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه ) .(٣)

٨ - ثم الترهيب عن طريق تلك الدعوة المخيفة المترقبة ( فانهم لما سمعوا التقريع والتوبيخ ، وأيقنوا بانتفاء الشفيع ترقبوا ماذا سيؤمر به

-------------------

(١) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ٢٠٥ .

(٢) معترك الأقران / السيوطي ١/ ٣٩٩-٤٠١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤/ ٨٨ .

في حقهم فقيل لهم " ادْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا )(١)
وهي السبعة المقسومة لهم كما قال تعالى " لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ )(٢)(٣)

٩ - ثم التذييل الذى يحمل اللمسة الأخيرة :

( فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ) حيث ( أوثر لفظ ( مثوى ) دون (مدخل ) المناسب لكلمة ( ادخلوا ) لأن المثوى أدل على الخلود فهو أولى بمساءتهم .

وقد نعتهم بالكبر ، لأنهم ما جادلوا في آيات الله الا عن كبر في صدورهم ، ولأن تكبرهم من فرحهم ، وفيها ترهيب لكل موصوف بالكبر ، والذى سيكون له حظ من استحقاق العقاب اذا لم يتب )(٤).

وبذلك نرى أن المشهد كله يحمل ملامح الترهيب في كل جملة ( مشهد الأغلال في الأعناق ، والسلاسل في الأقدام ، ومشهد السحب الى جهنم ، والسجر في النار ، ثم التأنيب والتقريع :(أين ما كنتم تشركون من دون الله ؟ والجواب ( ضلوا عنا ) وغابوا ، بل الأطرف من ذلك قولهم " بل لم نكن ندعو من قبل شيئا " ثم التعليق ( كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ))(٥).

---

(١) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ٢٠٦ .
(٢) سورة الحجر آية ٤٤ .
(٣) الكشاف / الزمخشرى ٣/ ٤٣٧ .
(٤) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ٢٠٧ .
(٥) مشاهد القيامة في القرآن / سيد قطب ص ١٦٦-١٦٧ .

## الصورة الثامنـــة

قال تعالى " : فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ
إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ "

هذه الصورة تحمل في بدايتها ملامح التحذير لتنتهي بأشد ملامح الترهيب على النفس .

تبدأ محذرة من الفرح (١) بما يملك الانسان من علم ، والتي توقف عندها الامام السيوطي ليذكر لها تخريجات عدة اخترت منها مايلي :

أ - كانوا يفرحون بما عندهم من العلم في ظنهم ومعتقدهم من أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون ، واغتروا بعلمهم في الدنيا والمعاش وظنوا أنه ينفعهم ، يقول الامام ابن كثير ( ظنوا أنه ينفعهم عما جاءتهم به الرسل ، فقالوا نحن أعلم منهم فلن نُبعث ولن نعذب ) (٢) وهذا لقول بعضهم " وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً " (٣)

ب - وقيل فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به ؛ كأنه قال : استهزؤوا بالبينات وبما جاؤوا به من علم الوحي ، يدل عليه قوله : " وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ " (٤)
جزاء جهلهم واستهزائهم ) (٥) .

---

(١) انظر فصل الأخلاق ، مبحث الفرح بغير الحق .
(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٨٩ .
(٣) سورة الكهف آية ٣٦ .
(٤) سورة الزمر آية ٤٨ .
(٥) معترك الأقران ٣/ ١٢١-١٢٢ .

ثم نجدها كما ذكرنا تشير الى الترهيب من مثل نتائج هذا الفرح ، فقد كذبوا واستهزءوا ، والنتيجة ( وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ) .

( والقرآن هنا :

أ - يستخدم كلمة ( حاق ) التي تستعمل في نزول الشر ، ومعناه نزل بهم وثبت ) . (١) ( وأحاط بهم من بأس الله ما لا قبل لهم به ) . (٢)

ب - يعمد الى ترادف الفاءات ، لسرعة المشاهد التي يجد الانسان نفسه أمامها مكتوم الأنفاس ، (والتي تظهر في قوله تعالى :

" فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ " (٣)

فجرى مجرى البيان ، ولا لتفسير لقوله سبحانه : ( فما أغنى عنهم ) ، كما تظهر في قوله : ( فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ..... ) ،

" فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ " (٤)

- ( فلما عاينوا العذاب وحّدوا الله عزوجل وكفروا بالطاغوت ، ولكن حيث لا تقال العثرات ولا تنفع المعذرة .

وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق :

" ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ " (٥)

فقال له تبارك وتعالى :

" ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ " (٦)

---

(١) معترك الأقران ٣/١٢٢ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٨٩ .
(٣) سورة غافر آية ٨٣ .
(٤) انظر معترك الأقران / السيوطي ٣/١٢٢-١٢٣ .
(٥) سورة يونس آية ٩٠ .
(٦) سورة يونس آية ٩١ .

فلم يقبل الله منه ، لأنه استجاب لنبيه موسى عليه السلام دعاءه حين قال : " وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ " (١)

وهكذا قال تعالى ها هنا " فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا "

وهذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب أنه لا يقبل منه (٢)

يقول صاحب " التذكرة " : ( ان التوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض الأرواح وذلك عند غرغرة الروح ، وانما يغرغر به اذا قطع الوتين فشخص من الصدر الى الحلقوم " فعندها المعاينة ، وعندها حضور الموت وفي الحديث ( ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ) (٣) أي عند الغرغرة وبلوغ الروح الحلقوم يعاين ما يصير اليه من رحمة أو هوان ، ولا تنفع حينئذ توبة ولا ايمان ( فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ) (٤) )

---

(١) سورة يونس آية ٨٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤/ ٩٠ .

(٣) اخرجه الترمذى جـ٥ باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب رقم ١٣ حديث رقم ٣٦٠٣ ص ٢٠٦-٢٠٧ كما أخرجه ابن ماجه جـ٢ كتاب الزهد باب ٣٠ ذكر التوبة حديث رقم ٤٢٥٣ ص ١٤٢ وقد قال معلقا في الزوائد ( وفي اسناده الوليد ابن مسلم وهو مدلس وقد عنعنه وكذلك مكحول الدمشقي ) ، وقد أخرجه أيضا الامام أحمد بن حنبل في مسنده بلفظه ٢/ ١٥٣ ، ٣/ ٤٢٥ قريبا منه .

(٤) انظر التذكرة / القرطبي ص ٥٢ .

وهنا نستأنس بما قاله السيوطي في " معترك الأقران " : ( حق لمن سمع ذلك أن يبادر الى الطاعة ولا يتأنى ، قتلنا أنفسنا بالمعاصي بئس ما اخترنا ، كم وعظنا الشيب ولا قبلنا ، علمنا أن للدنيا ثلاثة أنفاس : نفس مضى علمنا فيه ما عملنا ، ونفس لا ندرى أنملكه أم لا ؟ فليس لنا الا النفس الذى نحن فيه ، حرصنا على درهم لا ندرى لمن يبقى ، ومزقنا ثوب المعاصي ولم نكفه بتوبة ، فما أسرع الملتقى ، أليس هذا من العمى ) (١) .

وأخيرا أقف عند هذه الآيات لأجد القرآن وهو يضاعف قدرة تصوير المشهد على التأثير فيعمد الى تحقيق هذا الهدف الى استحضار الصورة بايثار صيغة المضارع ( ينفعهم ) وكأن مشهدها حاضر تراه العين وتسمعه الاذن فمن ذا الذى لا تحدثه نفسه وهو ينظر الى هذا التصوير الغاص بالرهبة ، الحافل بالخوف العميق ، من أن يهرب منه حتى لا يقف نفس الموقف ؟

ب ـ كما لاحظت أن المشهد هنا فيه جزء من حوار لا رد عليه ، يقولون آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ، ولا يرد عليهم أحد ، زيادة في التنكيل والعذاب وانافتتة الآية كانت لأهل الدنيا بذلك التكرار الرهيب ( فلما رأوا بأسنا ) ( لما رأوا بأسنا ) فيهرب الانسان بنفسه من مثل هذا المشهد ، ولا ينتظر حتى يرى بأس الله لأنه في حينها سيندم ، وعندها لا ينفع الندم .

---

(١) ١٢٣/٣ .

المطلب الرابع : أهمية أسلوب الترهيب للداعية .:

ان أبواب المعاصي لها خطر كبير على الايمان ،فهي بريد الكفر والفجور تميت القلب ،ومن هنا كثرت الآيات بشأنها ، وكذلك نصوص السنة وكتابات السلف تفصل في بيان العقوبات للمعاصي وبيان صورها . ومن هنا كان الترغيب والترهيب أساس العبادة ، يقول الامام ابن تيمية ( كل عابد له فهو راغب وراهب ،يرجو رحمته ويخاف عذابه ، والعابد الذى يريد وجه الله والنظر اليه هو أيضا راج خائف ، راغب راهب ،يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته ، قال تعالى :

"إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا" (١)

وقوله : "تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا" (٢)

ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة أو دعاء مسألة من الرغب والرهب والخوف والطمع ) (٣) . ومن هنا كان على الداعية أن يدرك أن الانسان اذا استبد به الخوف فان انزعاجه يظهر في سلوكه ويهيجه الى ترك ما يحذر ،فالتخويف يهز النفس لتكف عن الرذيلة ،وكثيرا ما يترك المرء الآثام وجلا من عقاب الله ،فهو وسيلة ناجحة للتربية ، ويؤيد ذلك ما رواه يوسف بن ماهك قال : اني عند عائشة أم المؤمنين اذ جاءها عراقي فقال : يا أم المؤمنين أريني مصحفك ،قالت : لم ؟ قال : لعلي اؤلف القرآن

---

( ١ ) سورة الأنبياء آية ٩٠ .

( ٢ ) سورة السجدة آية ١٦ .

( ٣ ) أنظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله ١٠/٢٣٩-٢٤٠ .

عليه ، فانه يقرأ غير موءلف ، قالت : وما يضرك أى آية قرأت قبل ، انما أنزل أول ما نزل من سوره من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى اذا تاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل : لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنا أبدا ، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم واني لجارية ألعب :

" بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ " (١)

وما نزلت سورة البقرة والنساء الا وأنا عنده ، قال : فأخرجت له المصحف فأملت عليه آى السور ) (٢) .

الا أنه لا بد أن يدرك :

- أن الترهيب الأفضل هو الترهيب غير المباشر ، والذى أحد صوره أن يدرج المخاطب نفسه مع من يخاطبهم ، فانه أقوى للتأثير ، وأظهر للاخلاص ، وأبعد عن المصلحة .

---

(١) سورة القمر آية ٤٦ .

(٢) صحيح البخارى جـ٦ كتاب فضائل القرآن باب ٦ تأليف القرآن ص ١٠١ (بلفظه ) كما ورد في كتاب الحسبة في الاسلام لابن تيميه ص ٧٧ .

النتائـج :

١ - ان صور الترهيب لم تكن مقتصرة على الكافرين فقط ، بل على المؤمنين أيضا :

أ - المؤمنين أصحاب النفوس الضعيفة حتى لا ينحدروا .

ب - والكافرين المعرضين حتى يستجيبوا لله ورسله فينجو من عذاب الله .

٢ - ان صور الترهيب لم تقتصر على الدنيا فقط ، ولا على الآخرة فقط ،بل:

أ - شملت الدنيا ،لأن هناك صنفا لا يستجيب الا اذا ذاق لسع العصا على ظهره .

ب - والآخرة لمن أمهله الله في الدنيا .

٣ - ان صور الترهيب تأخذ طابعا وجانبا حدث ويحدث في الدنيا كواقع عاشه أفراد وعاشته أمم ،وكانت له نهايات طيبة لمسها ونالها أصحابها ،وليست مجرد وعود في الآخرة ،حتى يظهر الأمر كسنة جارية من قبل الله عز وجل فيمن سلف من العباد العاصين الكافرين ،وسنة الله لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا ،وفي هذا شفاء للنفس الانسانية التي تركن الى الدنيا وملذاتها .

٤ - انها تأتي أحيانا مباشرة بعد صور الوعد الذى يقصد به ترغيب المؤمنين : حيث ينتقل الأسلوب القرآني من بيان الحال الطيب التي يكون عليها الطائعون في الآخرة الى وصف حال العصاة الكافرين المكذبين ،وفي هذا ترهيب بالفرار بالنفس من عذاب الله وسخطه وأليم عقابه ،الى رحمته وحسن جزائه بالمؤمنين ونعمه الدائمة عليهم والتي يعجز دونها الوصف .

٥ - والملاحظ أن آيات الترهيب في سورة غافر عامة حوالي تسعة وأربعين آية ،أى أن أكثر من نصف الآيات فيها تهديد مباشر أحيانا وغير مباشر أحيانا أخرى ،في الدنيا حينا ،وفي الآخرة أحيانا ،وعلى هذا فالجو العام للسورة كله يغلب عليه الترهيب ،وقد يفسر لنا هذا الجو محور السورة العام المبني على ابطال جدل الذين يجادلون في آيات الله جدال التكذيب والتورك ،وهم صورة للنفس البشرية الموغلة في الكبر والعناد ،وهؤلاء لا يكفي في حقهم اشارات الترهيب العامة فقام القرآن برسم صور حقيقية خاصة استغرقت كل تلك الآيات والتي تتمثل في :

١ - فرعون :

الذى كان شديد القسوة ،متحجر القلب ،لا يعطف على بائس ولا يحنو على ضعيف ، كان وحشا ضاريا أعيا من حوله ،قضى أيام حياته يسفك الدماء ويمزق الأشلاء ،ويغتال حقوق الضعفاء سعيا وراء أغراضه ومطامعه فكان كمن يتربص وقوع الضائقة بشعبه الفقير ليدخل عليهم مدخل الشيطان من قلب الانسان يلوح لهم بما تملكه خزائنه معتقدا أن ما يملك في يديه هو منتهى الكمال له كانسان ،ومن هنا ساور عقله الخيلاء ،وطاول بعنقه السماء ،يريد من الناس أن يسجدوا لمشيته ،قال تعالى : " إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ " (١)

ومن هنا وصف بالفساد ،قال تعالى :

" وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ " (٢)

---

(١) سورة القصص آية ٠٤

(٢) سورة يونس آية ٠٨٣

ومثل هذه النفس ان كان هناك أمل في توبتها فلا بد من ترهيب يوقظ فيها مكامن الحس ، وقسوة لتقتلع منها الرذائل المستأصلة ، وتخويف من ذى الجبروت الذى اذا سخط عليه خسف به كما حصل للأمم من قبله ومن هنا كان تركيز ذلك المؤمن في خطابه لفرعون على صور الترهيب خاصة وأن فرعون يملك معظم صور الترغيب من مال وعز وسلطان فاذا حدثه وحدثهم ذلك المؤمن عن صور المغريات في الدنيا أو في الآخرة فان لفرعون شأنا في ذلك ( فهو يمني الناس بالأماني حتى انه ليصور لهم أنه سيجعل لهم الأرض نعيما ، وخيراتها لبنا وعسلا ) (١) ومن هنا غلبت صور الترهيب ليكون لها الأثر الفعال.

## ٢ - الملأ من قوم فرعون :

والملأ في الحقيقة تتمة للشعب المستعبد فهو مختار ظاهرا الا أنه مجبور باطنا ، أما الظاهر فهم أصحاب كلمة ومستشارون وأمناء وأما الباطن فانهم مفلسون من كل خير ، وما كانوا من خاصة ذلك الطاغية الا بمقدار ما قدموا من شرور وزلفى لديه بالباطل ، فهم قوم لا يريدون الا رضاء الحاكم والتودد اليه ، وموافاة رغباته لاستكمال أسباب الغنى مرة وقضاء المآرب والحاجات أخرى ، وقد رأوا أن ذلك المؤمن بدعوتهم للايمان سيفسد عليهم حياتهم التي تعودوها ، وهم بذلك يعرفون الحق ولكنهم يتنكرون له كأنهم لا يعرفونه ، ويمدون أيديهم الى الصواب حتى يكادوا أن يلمسوه لكنهم يهربون عنه خوفا على تلك النعمة التي يتمرغون بها أن تتوارى انتقاما من صاحب النعمة ، فلم يجدوا بدا من أن يدافعوا عن ذلك الطاغية ، بل ويحاولوا القضاء على ذلك البصيص من النور الذى يحاول أن ينشر ضوءه عبر المكان وأمثال هؤلاء بحاجة الى صور من الترهيب توقظ مكامن الحس فيهم خاصة وأنهم غارقون في النعيم.

---

(١) انظر المعجزة الكبرى / محمد أبو زهرة ص ١٤٧.

٣ - الشعب :

وهو شعب عاش أفراده في ظل الخوف حتى ملأ نفوسهم وأصبحوا غريبين في نفوسهم وعقولهم ونزعات أفكارهم وأساليب تفكيرهم ، ينظرون الى الاشياء بعين غير عيونهم ويسمعون بآذان غير آذانهم ، ويمشون في طريق غير مختارين تعيش في صدورهم التبعية لذلك الطاغية وتدور في رؤوسهم سكرة الذلة ، فأبوا الا أن يعيشوا في ظل الظلم الموغل الذى يعلم ان باب الحياة لا يفتح الا بين يدى تلك الفرعنة متجردين من أثواب الكرامة والحرية والاختيار ملقينها وراء هم وكأن حياة العزة أعظم من أن يصلوا اليها فما خلقت لهم - كل ذلك في ظلال من الخوف ... الخوف من الطغيان أن يستبد بأعراض البيوت وحركاتها ، حتى رأيناهم لشدة خوفهم يرون أنه حق على الناس أجمعين أن ينزلوا على حكم ذلك الحاكم ويترسموا مواقع أقدامه ، وشعب هذا أمره لا ينفع معه الأسلوب اللطيف المقنع الهادىء والا لكانت قد أثرت فيه دعوة موسى التي اقنعت السحرة فآمنوا ولم يؤ من الشعب ، لأنه لم يكن ليؤ من بدون تعبئة تقوم على خلق جو من الخوف في نفوسهم ليفرقوا بين عذاب الظلم لأنفسهم في الدنيا والآخرة وعذاب الظلم الذى يهددهم به فرعون .

هذه الصورة الحقيقية تمثل الذين جادلوا بالباطل لتكون أمعن في الترهيب وأوقع على النفس ، تصورهم وهم يُحذرون يوما مثل يوم الأحزاب كما حذروا بيوم القيامة الذى عرضت مشاهده في مطلع السورة فلم يستجيبوا لنراهم بعد ذلك في صور من العذاب تتناسب مع تلك الفرعنة فكان عذابا بأنواعه :

أ - عذاب في الدنيا ، قال تعالى :

" فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ " (١)

ب - عذاب في القبر ، قال تعالى :

" النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا " (٢)

جـ - عذاب في الآخرة ، قال تعالى :

" وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ " (٣)

ولكن قد يعن لسائل أن يسأل ، لماذا كل هذا الجو من الترهيب ؟ وهذه الانذارات ؟ وسياق السورة ومطلعها يحكم عليهم - على أولئك المجادلين - انهم كافرون مختوم على قلوبهم لنراهم يرفضون الايمان والانذار ؟؟

وسبب ذلك والباعث عليه مايلي :

أ - لتقوم الحجة الكاملة عليهم بعد هذا التخويف والانذار.

ب - ثم ان الكافرين الذين ختم الله على قلوبهم هم الذين لم يعد ينفع معهم انذار ، الا أن هناك احتمال وجود كافرين لم يصلوا الى هذا الحد ، فان على الرسول صلى الله عليه وسلم الانذار لعل أحدا يهتدى ، يقول صاحب الأساس في التفسير ( ان السورة مع تباينها عدم استفادة الكافرين من الانذار فان الله عز وجل يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانذار لأن الكافرين الذين حكم الله عليهم بالموت على الكفر لا يعلمهم الا الله ، ومن أعلمه الله بشأنهم ، واذا كان الأمر غيبا فان على الرسول الانذار ، ثم انه مع كفر الكافرين لا بد من اقامة الحجة عليهم ) (٤) وفي هذا

---

(١) سورة غافر آية ٤٥ .
(٢) سورة غافر آية ٤٦ .
(٣) سورة غافر آية ٤٦ .
(٤) سعيد حوى ٤٩٥٣/٩ .

درس لتلاميذ الداعية الأكبر محمد صلى الله عليه وسلم في طريق دعوتهم بأن لا يتركوا لليأس سبيلا الى نفوسهم أثناء مسيرتهم ، بل عليهم أن يتزودوا من أمثال هذه الآيات ، وأن لا يستبطئوا الاجابة ، ولا ينقطعوا عن الانذار ، لعل أحدا يهتدى ، كما لهم أسوة في مؤمن آل فرعون الذى كان يقف لانذار أولئك الكافرين وهو يدرك أن أمثالهم لا ينفعهم الحديث بحيث يؤمنون الا أن الكلام معهم قد ( أثر في صرف فرعون عن قتل موسى عليه السلام ، ومن ثم فلا بد من انذار ، فانه ان لم ينفع في تحقيق قضية الايمان فانه ينفع في شؤون أخرى ، فلا يقولن انسان لا ينفع الانذار أبدا فليس هنالك طاغية كفرعون ، ومع ذلك تزحزح عن موقف من مواقفه بسبب هذا الانذار ) (١).

---

(١) الأساس في التفسير / سعيد حوى ٩/ ٤٩٦٠.

# الخاتمة

## الخاتمـــــة

أحمد الله العلي القدير الذى غمرني بفضله وأعانني بتوفيقه على معايشة موضوعات البحث والوقوف امامها بالتحليل والاستنتاج موضوعا موضوعا ، وقد أجملت في كل موضوع نتائج مركزة عقب كل مبحث مما يغني عن تكرارها في هذه الخاتمة وانما أكتفي بأهم النتائج التي استخلصتها من تلك الموضوعات والتي كان أمرى معها كصائغ الذهب وثاقب اللؤلؤ نظمت ما لا أملك ،فلا أدعى أنني أتيت بما لم أسبق له ،وعليه أقول وبالله التوفيق :

ان سورة غافر هي سورة الدعوة في عقيدتها وأخلاقها وأسلوبها ، وبيان ذلك :

**أولا - فيما يتعلق بالعقيدة :**

اشتملت سورة غافر على كل أسس العقيدة :

١ - بينت معنى الايمان مستخدمة في ذلك لفظة الايمان بكل مشتقاتها (آمن ،آمنا ،يؤمن ،مؤمن ،يؤمنون ) ،وسلكت سبلا شتى لاثبات لا اله الا الله ،ومعالجة قضية الايمان والكفر منبهة الى الدلائل الكثيرة المشيرة الى تفرده سبحانه بالألوهية.

٢ - عالجت السورة قضية التوحيد ،مستخدمة عدة طرق للاستدلال منها المنطقي ومنها الواقعي ،على أن أغلبها يمتزج فيها المنطق بالواقع المحسى كما ظهر ذلك في موضعه من البحث .

٣ - تضمنت السورة كل أنواع التوحيد وحقوقه وجزاء من خرج عن

حكمه ،ففيها الخبر عن أسماء الله وصفاته ، وفيها الدعوة الى عبادته وحده دون شريك له وخلع ما يعبد من دونه ،وفيها أمر ونهي والزام بطاعته ، وفيها خبر عن أهل الشرك والكفر وما فُعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب .

٤ - أشارت السورة الى عقيدة الايمان بالملائكة ،إشارة لاتهدف الى الحديث عن الملائكة بل لتؤدى غرضا معينا ،هذا الغرض يتلخص في نقطتين والله أعلم.

النقطة الأولى : ان ذكر الملائكة جاء مطمئنا لأصحاب الحق بأنهم ليسوا وحدهم بل معهم ملائكة السماء يشاركونهم بالدعاء .

النقطة الثانية : ان رابطة الايمان هي أقوى رابطة ،وبحكم هذه الرابطة كان الدعاء للمؤمنين من قبلهم والاستغفار لهم واستنجاز وعد الله اياهم .

٥ - تطرقت السورة لعقيدة الايمان بالرسل ،وكان هذا من باب تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من رفض قومه وصدهم عنه ، فلئن كذبه قومه فقد كذبت رسل من قبله فلا يبتئس ولا يحزن فالنصر له في النهاية كما كان النصر لهم ،وقد اكتفت السورة بذكر خمسة منهم لأسباب أوضحتها في مكانها من البحث .

٦ - تحدثت السورة عن عقيدة الايمان باليوم الآخر ، فهي سورة مكية ،ولا تكاد سورة مكية تخلو من الحديث عن ذلك اليوم ولو في اشارة أو تلميح ،الا أن سورة غافر كان لها خط موفور من هذه العقيدة وذلك يتضح فيما يلي :

أ - حفلت السورة بالعديد من أسماء ذلك اليوم .

ب - استعرضت الكثير من المشاهد التي تصف هول ذلك اليوم فترسمه كواقع محسوس متحرك يعيشه السامع و يتأثر به .

جـ - أكدت عقيدة هامة فيما يتعلق بحياة البرزخ -عذاب القبر- نعم ، هي لم تنفرد بالاشارة اليها لأن ذلك مذكور في غير موضع من القرآن الكريم ،لكنها انفردت بكونها تحمل أدل دليل على عذاب القبر كما أشرت الى ذلك في موضعه ،كما انفردت باثبات تخصيص آل فرعون بالعذاب دون غيرهم مؤكدة ما جاء في السنة النبوية المطهرة .

د - كان لها جانب في الرد على منكري البعث وذلك بعرضها نوعا من أنواع الأدلة الحسية المشاهدة والدالة على كمال قدرته والمتمثل :

(١) فيما يسمى بقياس الأولى ،فخلق السموات والأرض أكبر من خلق الانسان فمن خلقها قادر على خلق الانسان مرة أخرى .

(٢) وفي عرض الآيات الكونية العلوية والسفلية والتي تهدى المتفكر الى أنها أوجدت وأحكمت بتدبير حكيم تقتضي حكمته رجوع الخلائق اليه وملاقاتهم له .

٧ - ان هذه الأدلة و هي تُعرض ،لم تعرض أدلة عقلية فقط بل جمعت بين كونها عقلية ووجدانية ، يتكيء القرآن الكريم فيها على العاطفة الانسانية ليثيرها فتدفع صاحبها عن طريق الاعجاب حينا والاعتراف بالجميل حينا آخر الى الايمان بالله وحده واجلاله و تقديسه .

٨ - ان هذه الأدلة وهي تعرض تتسم بتنوع الأسلوب للوصول الى موضع الاستدلال كما هي عادة القرآن ،ويختلف الأسلوب حسب أهمية الأمر ومكانه ،فنراه مثلا :

أ - في قضية الوحدانية ،يستخدم أسلوب التوكيد الذى هو من أهم العوامل لبث الفكرة .

ب - في قضية البعث يعتمد على البدهيات المشاهدة ،مدخلا لحجته.

ثانيا - أما كونها سورة الأخلاق :

فقد أوردت سورة غافر مجموعة من الأخلاق الحسنة والسيئة.

فالسورة - كما نعلم - مكية تعالج القضايا العقدية ،وهي في نفس الوقت تؤسس القضية الأخلاقية فالايمان يقود صاحبه الى التحلي بحسن الخلق ويأمره بها فلا ايمان لمن لا خلق له ، ومن هنا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالشجاعة والصبر .

والكفر يقود صاحبه الى الأخلاق السيئة فهو مصحوب دائما بالكبر والاسراف والفرح بغير الحق وما الى ذلك .

ثالثا - أما كونها سورة الدعوة في أسلوبها :

فيتضح ذلك من فصولها الثلاثة على النحو التالي :

١ - أثبتت السورة أن الجدل ليس هو المناظرة كما ذهب الى ذلك الامام أبو زهرة وانما الجدل أمر غير المناظرة كما هو موضح في مكانه من البحث .

٢ - ان الجدل سلاح ذو حدين :

أ - وسيلة هامة من وسائل الدعوة الى الله تعالى ،كما كان هو حرفة الأنبياء عليهم السلام ،بل هو الجهاد الواجب كما قال بذلك صاحب فتح البارى ،ولكن لا بد من توفر الشرطين التاليين :

(١) أن يكون جدالا ممن علم وأيقن .

(٢) أن لا يبدأ به في الدعوة وانما يكون من باب دفع الصائل الذى يأتي بعد الحكمة والموعظة الحسنة كما هو موضح في مكانه من البحث .

ب - وهو وسيلة هدامة يذمها الله تعالى كما نصت على ذلك سورة غافر ، والتي اختصت بالجدل المذموم فقط ،وذلك :

(١) عندما يكون ظاهره للجحود والشك الذى يؤدى الى الكفر ، وهو الجدال لنصرة الباطل بعد ظهور الحق وخاصة فيما يتعلق بالعقائد .

(٢) وعندما يكون جدالا بغير علم ،والذى توقفت عنده سورة غافر كثيرا حيث بينت معالم حقائق المشركين وما تنطوى عليه نفوسهم من فساد ،وقد لاحظت أن آيات سورة غافر في جدلها مع المشركين تنتهج الخطوات التالية :

أ - اعتمدت على اعتراف المشركين بأن الله هو الخالق ،ومن هذا المدخل أقامت عليهم الحجة وأثبتت الوحدانية لله تعالى .

ب - بينت الآيات في مقدمتها أن المشركين ليس لهم قاعدة صلبة تقوم عليها ركيزة الشرك عندهم سوى الكبر ،والكبر وحده ،ومن كان كذلك كان كالأعمى أمام البصير .

( ٣ ) تركزت صور المجادلة في قضيتين هامتين :

القضية الأولى : خاصة بتوحيد الألوهية ،والتي هي مناط الايمان بالله وحده ،واخلاص العبادة له ،ولذا وجدنا سورة غافر تفصح عن هذا النوع من التوحيد كل الافصاح ،وتبدى فيه وتعيد وتضرب لذلك الأمثلة المحسوسة والمشاهدة والتي يعيشها المخاطب بعقله ومشاعره ، والمنحصرة فيما يسمى بدليل العناية ودليل الاختراع أودليلي العناية والاختراع معا ،كما هو مبين في موضعه من البحث .

القضية الثانية : خاصة بالبعث والتي انحصر الرد فيها عن طريق قياس الأولى ،والذى اتسم بتنوع أساليبه الموصلة الى موضع الاستدلال كعادة القرآن الكريم وكما نصت عليه السورة الكريمة .

( ٤ ) في السورة تعليم للمسلم عامة والداعية خاصة كيف يعرض عن الجدل حين يُبتلى بمن لا يقصد الا الطعن في الكلام بقصد الاهانة والتحقير ،أو بُمجادل لا يريد الا أن يعاجز في الحق ويساند الباطل بقصد العلو والكبرياء .

( ٥ ) ان القصة في سورة غافر جاءت لتثبت العقيدة وترسيخ قوائمها في نفوس المؤمنين .

( ٦ ) كما جاءت وسيلة للتربية معتمدة على قوة تأثيرها في النفوس القائم على واقعية أحداثها .

( ٧ ) لقد استكملت قصص سورة غافر جميع عناصر القصة على تفاوت بين عنصر وآخر : فعنصر الشخصية ظهر واضحا وبارزا في السورة يحمل اسمها وعنوانها دون الاهتمام باسمه الحقيقي اذ يكفي أن يكون نموذجا للمؤمن القوى الشجاع الذكي المتحفظ .

والحدث بدا معتمدا على عنصر القضاء والقدر المتفضل على نبيه بالاختيار ليتولاه بالحفظ على يد ذلك المؤمن الذى ناصح ودافع.

والحوار كان من العناصر البارزة في القصص الذى بين أيدينا لتعدد الشخصيات فيها ،والتي تمثل الدعوة الصادقة و هي تتصادم بموقف الرفض المستكبر .

وعنصرا الزمان والمكان جاءا اشارات سريعة في القصة تحمل وراءها الكثير لتخدم غرض القصة.

( ٨ ) اقتصرت سورة غافر على قصة موسى متضمنة قصة مؤمن آل فرعون ،والسبب كما أرى والله أعلم.

أن سورة غافر من السور التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مكة ، يعيش مع صحابته ، محنة قاسية ومتصلة ،ذلك لأنهم كانوا قلة مستضعفة في مجتمع وثنى عنيد فكان يقص سبحانه و تعالى عليهم القصص ليثبت قلوبهم فجاء ذكر نوح وقومه وهود وقومه وثمود،،الا ان التركيز على قصة موسى بالذات لأنها تمثل جهادا عظيما ليس مع من هم أمثال قومه من قريش بل مع من هو أطغى/ من قريش ،ومع ذلك فلم يخذله ربه بل نصره وأعزه ،وما على رسوله صلى الله عليه وسلم و صحابته الا الصبر والاستمرار على نفس الطريق فالنهاية معروفة.

( ٩ ) ان الترغيب والترهيب هما أساس في الدعوة الى الله سبحانه و تعالى الا أن الترغيب وحده في بعض الأحوال يكون أنسب وأوقع وأعمق أثرا كما يكون الترهيب وحده في أحوال أخرى هو الأنسب والأعمق أثرا ،وقد يتطلب الأمر استخدامهما معا بقصد التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف ،و تقدير الأمر متروك لحكمة الداعية و فطنته.

( ١٠ ) - ان أسلوب الترغيب والترهيب من أعظم وسائل التربية ، وفي ذلك رد على من حاول التقليل من قيمته كوسيلة للتربية بل حاول الغاءه بذمه .

( ١١ ) - حفلت سورة غافر بالكثير من صور الترغيب يفسر ذلك كون السورة مكية ، والتي يغلب عليها جو التأسيس ، بيد أن أكثر من نصف آيات السورة فيها تهديد مباشر أحيانا وغير مباشر أحيانا أخرى في الدنيا حينا وفي الآخرة أخرى ، وعلى هذا فالاطار العام للسورة يغلب عليه الترهيب ، ويفسر ذلك الاطار محور السورة العام المبني على ابطال جدل الذين يجادلون في آيات الله تعالى جدال تكذيب وتورك ، وهم صورة للنفس البشرية الموغلة في الكبـر والعناد والتي لا تكفي في حقها اشارات الترهيب العامة ، فقامت السورة برسم صور حقيقية خاصة استغرقت كل تلك الآيات .

( ١٢ ) - تؤكد السورة أن جانب الرحمة مقدم على جانب العذاب ، كما أن جانب الرحمة يغلب غيره فجزاء السيئة بمثلها والحسنة بلا حساب .

( ١٣ ) - ان الترغيب في النعيم الدائم ، والترهيب من العذاب الدائم من أقوى وجوه الترغيب والترهيب .

( ١٤ ) - ان سورة غافر بأساليبها العملية ، وهي توصل أساسها العقدى قد استخدمت الكثير من وسائل التأثير في عرض ما لديها لتلهب بها النفوس وتثير كوامنها ، من هذه الوسائل :

أ - التوكيد والتكرار :

فهو من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات واقرارها في قلوبهم اقرارا ينتهي بهم الى الايمان بها وفائدته : ازالة الشكوك واماطة الشبهات عما أنت بصدده ، وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد ، وانما يحتاج استعماله في الأمور المهمة التي تعظم العناية بها .

ب - التعريض :

وفائدته : الالهاب والتهييج واثارة الشعور والوجدان لتكون النفس أحسن تلقيا وأكثر تمسكا بما هو كائن ،وقد استعمله القرآن في المواضع الهامة التي هي من أصول الدين .

ج - الاسجال :

وهو الاتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به ،وفيه -أي الاسجال - اثارة لوجدان المتشككين والمنكرين ،واثارة الخوف في أنفسهم حين يسمعون اعتراف من على شاكلتهم فيدفعهم الخوف الى التأمل عساهم يهتدون .

د - أسلوب الاستدراج :

وهو استمالة المخاطب بما يؤثر فيه ويأنس اليه ، أو بما يخوفه ويرغبه قبل أن يفاجئه المخاطِب بما يطلب منه .

هـ - أسلوب الالتفات :

وهو الانتقال من صيغة الى أخرى لتطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حب المتنقلات ، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد .

و - أسلوب التخلص :

وهو الانتقال مما ابتدئ به الكلام الى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا ،دقيق المعنى ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول الا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما .

وعليه يقرر البحث أنه اذا كانت الدعوة تقوم معتمدة على عقيدة وداعية مؤمن بهذه العقيدة فان رأس الأمر كله هو الأسلوب القادر على التأثير في النفوس واستهوائها لتثبيت تلك العقيدة ،وهذه تكون في ذروتها حين يلتقي الداعية بالمدعو في كل جوانبه الوجدانية والعقلية والارادية لأنها تمثل منافذ التأثير في النفس ،وعلى الداعية أن يلج منها ويصل الى ما يريد واضعا نصب عينيه أن مجال التأثير على المشاعر أعظم من التأثير على العقل . وهنا يأتي دور وسائل التأثير وهي كثيرة وفي متناول الجميع، الا أنها ،مع الأسف الشديد لم تحظ بعناية كتاب الدعوة ، فهي مبعثرة في جنبات كتب البلاغة تحتاج الى من يخرجها كوسائل مرتبة مندرجة تحت أساليب الدعوة الكثيرة بعد أن تقنن وتوجه في خدمة الدعوة بطريقة يضاف بها الكثير الى مناهج الدعوة .

وبعد :

فلا أدعي أنني قد بلغت الغاية التي ينبغي أن يصل اليها البحث ولكنني أقول : لقد بذلت ما في وسعي ، بعد أن حرصت على أن لا أكون كحاطب ليل أسير على غير هدى .

فاذا كان بعد ذلك في هذه المباحث زلة من قصور أو غفلة،فأنا عائدة الى الحق عندما يتبدى لي -بحول الله وقوته - مع الشكر والاعتراف بالجميل ،وآخر دعواى أن الحمد لله رب العالمين ،،،

# التوصيات والمقترحات

## التوصيات والمقترحات

من منطلق الأهمية التي تحيط بجوانب التأثير والتي لها كبير اتصال بوسائل الدعوة كما اتضح مما سبق ،فانني أقترح أن تدرس هذه الوسائل لطلاب وطالبات الدعوة الذين لا يدرسون الا مستوىً واحداً من البلاغة تحت رقم ١٤١ والذى تتناول موضوعاته الكثير من علم البيان فقط بعيداً عن هذه الوسائل .

وقد يُعترض على ذلك بكثرة الساعات المعتمدة المطالب بها طلاب وطالبات قسم الدعوة مما لا يتحمل أى اضافات جديدة ، فهنا اقترح أن يضاف ذلك في خطوات منهج التدريس في مستويات تفسير آيات الدعوة ومادة التدريبات العملية في الدعوة ، لتعم بذلك الفائدة ،والله من وراء القصد .

الباحثة

# الفهارس

# فهرس الآيات القرآنية

## فهرس الآيـــــــات


| الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة البقرة** | | |
| "واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا . ." | ١٣ | ١٧٣ |
| " الذى جعل لكم الأرض فراشا " | ٢٢ | ٥٣ |
| " ونحن نسبح بحمدك . ." | ٣٠ | ٩٩ |
| " أبى واستكبر " | ٣٤ | ١٩٢ |
| " وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة . . " | ٣٥ | ٤٣٣ |
| " ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى . ." | ٦٢ | ١٤١ |
| " وقولوا للناس حسنا " | ٨٣ | ٤٣٧ |
| " ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا.. | ١٠٩ | ٣٨١ |
| " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.." | ١٤٦ | ٣٨٠ |
| " والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم" | ١٦٣ | ٧٧ |
| " ومن الناس من يتخذ من دون الله . ." | ١٦٥-١٦٧ | ٧٧ |
| "وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد " | ١٧٦ | ٥٠٨ |
| " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . ." | ١٧٧ | ١٤١/١٧٨ |
| " ولا جدال في الحج " | ١٩٧ | ٢٢٢ |
| " كان الناس أمة واحدة . ." | ٢١٣ | ١٠٧ |
| " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا" | ٢١٧ | ٣٨١ |
| " الله لا اله الا هو الحي القيوم . ." | ٢٥٥ | ٧٧ |
| " آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون . ." | ٢٨٥ | ٩٤/١١٦/ ١٤١ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة آل عمران** | | |
| والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا | ٧ | ٨٣ |
| فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه | ٧ | ٨٣ |
| زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ...،، | ١٤ | ٤٣٥ |
| شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة ..،، | ١٨-١٩ | ٣٩ |
| ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق | ٢١ | ٣ |
| ان الله اصطفى آدم ..،، | ٣٣ | ١٢٠ |
| ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ...،، | ٥٠ | ٤٤٣ |
| ان هذا لهو القصص الحق ،، | ٦٢ | ٣٣٦/٣٣٩/٣٤٩ |
| قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ...،، | ٦٤ | ٣٧ |
| هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون ...،، | ٦٦ | ٢٢٩ |
| وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها ،، | ٨٣ | ٣١ |
| قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم ...،، | ٨٤ | ١١٦ |
| ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ،، | ٨٥ | ٣٢ |
| ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ..،، | ١٠٤ | ٥/٦/٧ |
| كنتم خير أمة أخرجت للناس ...،، | ١١٠ | ٥/٦ |
| بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا ...،، | ١٢٥ | ١٧٨ |
| ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ،، | ١٣٩ | ٤٦٨ |
| الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ..،، | ١٧٣ | ٤١٩ |
| لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم ...،، | ١٩٧ | ٥٠٩ |

| الآيـة | رقمها | الصفـحة |
| --- | --- | --- |
| **سورة النساء** | | |
| ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده.» | ١٤ | ١٣٥ |
| وخلق الانسان ضعيفا -» | ٢٨ | ٤٣٥ |
| و لا يكتمون الله حديثا » | ٤٢ | ٣٩٢ |
| يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم -» | ١٠٨ | ٥٠٠ |
| وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة » | ١١٣ | ١٥٧ |
| ان يدعون من دونه الا اناثا ...» | ١١٧ | ٢٤٢ |
| يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله ...» | ١٣٦ | ١٨ |
| ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ...» | ١٣٦ | ٩٤ |
| ان الذين يكفرون بالله ورسله ...» | ١٥٠-١٥١ | ١١٧ |
| ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ...» | ١٦٤ | ١١٩ |
| رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس ...» | ١٦٥ | ١٣٧ |
| **سورة المائدة** | | |
| فاذهب أنت وربك فقاتلا ...» | ٢٤ | ١٢٧ |
| انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون ...» | ٤٤ | ١٠٦/١١٣/١١٤ |
| وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور » | ٤٦ | ١١٣ |
| وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه | ٤٨ | ١٠٧ |
| لعن الذين كفروا من بني اسرائيل ...» | ٧٨-٧٩ | ٣٩٩/٣ |
| ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى» | ٨٢ | ١٧٣ |

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الأنعام** | | |
| ولا تكونن من المشركين ...» | ١٤ | ٢٥٩ |
| قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم» | ١٥ | ٤٤١ |
| ثملم تكن فتنتهم الان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين» | ٢٣ | ٧٧ / ٥٣٣ / ٥٣٨ |
| قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك | ٣٣ | ١٩٥ |
| قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ...» | ٥٦ | ٤١٨ |
| قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندى ماتستعجلون به | ٥٧ | ٤١٨ |
| و تلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ...» | ٨٣-٨٦ | ١٢٠ |
| وما قدروا الله حق قدره ...» | ٩١ | ١١٠ |
| ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت ...» | ٩١ | ١١٠ |
| **سورة الأعراف** | | |
| ربنا ظلمنا أنفسنا ...» | ٢٣ | ٤٥٣ |
| و اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا ...» | ٢٨ | ٥٢٢ |
| كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم» | ٣٨ | ٥٣ |
| ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا. | ٤٤ | ٥٢٣ |
| ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم ...» | ٤٨ | ٥٢٣ |
| ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء» | ٥٠ | ٥٢٣ |
| لقد أرسلنا نوحا الى قومه» | ٥٩ | ١٣٣ |
| .. اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم» | ٥٩ | ٤١٧ |
| و الى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ...» | | |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح | ٦٩ | ٤٢٢ |
| واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد | ٧٤ | ٤٢٢ |
| وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين | ١٠٤-١٠٥ | ٣١٥/ ٢٨١/ ٢٨٣/ ٢٨٤/ ٤٨٤ |
| ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين | ١٠٦ | ٢٨٤ |
| فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين | ١٠٧-١٠٨ | ٢٨٤ |
| قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم | ١٠٩-١٢٢ | ٣٧٦ |
| فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ،فغلبوا هنالك | ١١٨-١١٩ | ٢٩١ |
| فقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا | ١٢٧ | ٣٨٣ |
| أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا | ١٢٩ | ٢٩٢ |
| وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بموءمنين | ١٣٢ | ٢٩١ |
| فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين | ١٣٣ | ١٩٣ |
| سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض | ١٤٦ | ١٩٣ |
| هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون | ١٥٤ | ٤٨٠ |
| فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء | ١٦٥ | ٣٩٩ |
| فاقصص القصص | ١٧٦ | ٣٣٧/ ٣٤٩/ ٣٦١ |
| أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون | ١٩١-١٩٥ | ٧٠ |
| ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته | ٢٠٦ | ١٠٢ |


## سورة الأنفال


| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| انما الموءمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم | ٢-٣ | ١٢ |
| يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم | ٢٤ | ٤١١ |
| واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة | ٢٥ | ٨٠،٤١٣ |
| يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا | ٢٩ | ٤٦٦ |

| الآيـــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة التوبة** | | |
| ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو | ١٢٠ | ٣٣٠ |
| ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون | ٤٤ | ٥٢٢ |
| وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة | ٦١ | ٢٦٨ |
| قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا | ٧٨ | ٣٨٣ |
| فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون | ٨٣-٨٧ | ١٢٦/٤١٥/٤٨ |
| واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم | ٨٨ | ٥٤٣ |
| آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل | ٩٠-٩١ | ٥٤٢ |
| **سورة هود** | | |
| فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا | ٢٧ | ٤٢٣ |
| يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا | ٣٢ | ٢٢٨ |
| حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور | ٤٠ | ١٢١ |
| رب ان ابني من أهلي | ٤٥-٤٦ | ٤٠٢ |
| رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم | ٤٧ | ٤٥٣ |
| قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك | ٤٨ | ١٢١ |
| والى عاد أخاهم هودا | ٥٠ | ١٢٠ |
| ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا | ٥٢ | ٤٤٢ |
| فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربي | ٥٧ | ٤٤٣ |
| والى ثمود أخاهم صالحا | ٦١ | ١٢٠ |
| ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله | ٦٤ | ٤٤٣ |
| والى مدين أخاهم شعيبا | ٨٤ | ١٢٠ |
| وما أمر فرعون برشيد | ٩٧ | ٤١٣/٤١٥ |
| وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك | ١٢٠ | ٣٤١/٣٦١ |

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة يوسف** | | |
| نحن نقص عليك أحسن القصص | ٣ | /٣٣٨/٣٣٦/٣٣٥ ٣٦١ /٣٤٩ |
| وما أنت بمؤ من لنا ولو كنا صادقين | ١٧ | ٣١ /٢٥ |
| اني تركت ملة قوم لا يؤ منون بالله | ٣٧-٤٠ | ١٢٤ |
| قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة | ١٠٨ | ٦،٥ |
| ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه | ١١١ | ١١٣ |
| **سورة الرعد** | | |
| الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها | ٢-٣ | ١٦٥،٤٩ |
| أاذا كنا ترابا أءنا لفي خلق جديد | ٥ | ٢٧٠ |
| ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته | ١٣ | ١٠٢ |
| له دعوة الحق والذين يدعون من دونه | ١٤ | ٧٣ |
| **سورة ابراهيم** | | |
| واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم | ٧ | ٤٤٣ |
| وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار | ٣٣-٣٤ | ٥٦ |
| ربنا اغفر لي ولوالدى وللمؤ منين يوم يقوم الحساب | ٤١ | ٤٥٣ |
| ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون | ٤٢-٤٣ | ٥٠٩/٤٩١ |
| ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل | ٤٤ | ٤٨٤ |
| ويدعوننا رغبا ورهبا | ٩٠ | ٤٢٩ |

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|

## سورة الحجر

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي | ١٩ | ١٦٤ |
| لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم | ٤٤ | ٥٤٠ |
| نبئ عبادى أني أنا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الأليم | ٤٩ | ٤٥٠ |
| فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين | ٩٤ | ٤٠٦ |
| إنا كفيناك المستهزئين | ٩٥ | ٤٠٧ |

## سورة النحل

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون | ١٧ | ٢٤٠/٧١ |
| والذين يدعون من دون الله | ٢٠ | ٢٤٧ |
| أموات غير أحياء وما يشعرون ايان يبعثون | ٢١ | ٢٤٧ |
| ولقد بعثنا في كل أمة رسولا | ٣٦ | ٢٤١/١٣٣/٦٨ |
| من عمل صالحا من ذكر أوأنثى وهو مؤمن | ٩٧ | ٤٧٠/١٣٥ |
| ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم | ١٢٥ | ٢٢٤/٢٢٦/٢٢٧/ ٢٢٨/٢٣٠/٣٢٣/ ٣٢٧/٤٧٨ |

## سورة الاسراء

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم | ٩-١٠ | ٤٤١/٤٦٦ |
| وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا | ١٥ | ١٣٦/١٣٧/١٣٨ |
| ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض | ٥٥ | ١٠٦ |
| و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم/ عمياو بكما | ٩٧ | ٥٣٢ |
| اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن | ٩٨ | ٢٧٢ |

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الكهف** | | |
| ومن الناس من يجادل في الله بغير علم | ٣ | ٢٣٥ |
| وما أظن الساعة قائمة | ٣٦ | ٥٤١ |
| وكان الانسان أكثر شيء جدلا | ٥٤ | ٣٢٩ |
| ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق | ٥٦ | ٣١١ |
| وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين | ٥٦ | ١٣٤ |
| فارتدا على آثارهما قصصا | ٦٤ | ٣٣٥ |
| ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات | ١٠٧ | ٢٨ |
| **سورة مريم** | | |
| اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا | ٤٢ | ٤١١/٧١ |
| واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا | ٥١-٥٣ | ١٢٦ |
| **سورة طه** | | |
| اذهبا الى فرعون انه طغى | ٤٣-٤٤ | ٣٢٨/٣١٧/٣١٥ |
| أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى | ٥٧ | ٢٨٧/٢٨٥ |
| فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا | ٥٨ | ٢٨٦/٢٨٥ |
| موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى | ٥٩ | ٢٨٦ |
| قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم | ٦٣-٦٤ | ٢٨٧ |
| قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى | ٦٥-٧٠ | ٢٨٨ |
| آمنتم له قبل أن آذن لكم | ٧١ | ٢٩٨ |
| قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال | ٨٦ | ٤٤٣ |

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى | ١٢٣ | ١٣٥ |
| ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا | ١٢٤ | ١٣٥/ ١٥٤ |
| ولو أنا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا | ١٣٤ | ١٣٨ |

## سورة الأنبيـاء

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة | ١١-١٥ | ١٣٩ |
| يسبحون الليل والنهار لا يفترون | ٢٠ | ٩٩/١٠٢ |
| لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا | ٢٢ | ٢٣٩ |
| وما أرسلنا من قبلك من رسول | ٢٥ | ٦٨ |
| واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين | ٨٥ | ١٢٠ |
| انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا | ٩٠ | ٥٤٥ |
| كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين | ١٠٤ | ٢٦٨ |

## سورة الحج

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ومن الناس من يجادل في الله بغير علم | ٣ | ٢٣٢/٢٣٥ |
| يُصهر ما في بطونهم والجلود | ٢٠ | |
| والصابرين على ما أصابهم | ٣٥ | ١٧٨ |
| ان الله يدافع عن الذين آمنوا | ٣٨ | ٤١٩ |
| ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز | ٤٠ | ٤٢١ |
| ولا يزال الذين كفروا في مرية منه | ٥٥ | ٢٣١ |
| ان الانسان لكفور | ٦٦ | ٢٥٦ |
| يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له | ٧٣-٧٤ | ٧١، ٢٤٠ |

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة المؤمنون** | | |
| قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون» | ١-٤ | ٤٦٨ |
| ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين» | ١٢ | ٥٨ |
| بل قالوا مثل ما قال الأولون ...» | ٨١-٨٣ | ٢٦٦ |
| ربنا أخرجنا منها ....» | ١٠٧ | ١٤٧ |
| **سورة النور** | | |
| يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم...» | ٢٤ | ١٤٧ |
| وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات..» | ٥٥ | ١٣٥/٢٦٩/٤٣ |
| **سورة الفرقان** | | |
| لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة | ٣٢ | ١٠٨ |
| وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا | ٤٧ | ٥٤ |
| وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا | ٥٤ | ٥٨ |
| **سورة الشعراء** | | |
| ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين | ١٨ | ٤٠٨ |
| الذى خلقني فهو يهدين ،والذى هو يطعمني ويسقين ،واذا مرضت ...» | ٧٨-٨٢ | ٤٥٤/٤٧٠/ |
| رب هب لي حكما والحقني بالصالحين | ٨٣ | ٤٥٤ |
| اذ قال لهم أخوهم نوح الا تتقون اني لكم رسول | ١٠٥-١٠٨ | ٤٢٣ |
| كذبت عاد المرسلين ،اذ قال لهم أخوهم هود | ١٢٣-١٣٧ | ١٧٥/٤٢٣ |
| أتبنون بكل ريع آية تعبثون | ١٢٨-١٣٤ | ١٢٢ |
| كذبت ثمود المرسلين ،اذ قال لهم أخوهم صالح | ١٤١-١٥٩ | ١٢٣/٤٢٣/ ٤٤٣/ ٤٢٤ |

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة النمل** | | |
| "أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء..." | ٦٢ | ٤٦٥ |
| **سورة القصص** | | |
| " ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا..." | ٤ | |
| "وقالت لاخته قصيه ..." | ١١ | ٣٣٥ |
| " رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ..." | ١٦ | ٤٥٣ |
| "وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى..." | ٢٠ | ٣٩١ |
| " قل أرأيتم إن جعل/ الله عليكم الليل سرمدا ..." | ٧١-٧٣ | ٥٦ |
| **سورة العنكبوت** | | |
| " اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون" | ١٦-١٧ | ٤٤٢ |
| "انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم..." | ٢٥ | ٤٤٢ |
| " فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين" وعادا وثمود ..." | ٣٧-٤٠ | ٣٤١ |
| " مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل..." | ٤١ | ٢٤٠ |
| " وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون" | ٤٣ | ٣٤١ |
| " ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن..." | ٤٦ | ٢٢٤/٢٢٧ |
| " وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون.." | ٦٤ | ١٤٨ |
| **سورة الروم** | | |
| " وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها..." | ٩ | ٥٠٢ |
| " ومن آياته أن خلقكم من تراب ..." | ٢٠ | ٥٨ |
| " ومن آياته ان تقوم السماء والأرض بأمره..." | ٢٥ | ٢٧٤ |
| " وهو الذى يبدوء الخلق ثم يعيده ..." | ٢٧ | ٢٦٩/ ٢٧٤ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة لقمان** | | |
| "و اذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم» | ١٣ | ٤١١ |
| "ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة» | ٢٨ | ٤٨٩ |
| "و اذا غشيهم موج كالظلل ...» | ٣٢ | ٦٤ |
| "ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ....» | ١٢٥ | ٢٦٠/٢٦٧ |
| **سورة السجدة** | | |
| "ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا ....» | ١٢ | ٤٨٤ |
| "فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ..» | ١٤ | ٤٨٤ |
| "تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا» | ١٦ | ٥٤٥ |
| **سورة الأحزاب** | | |
| "ولا تطع الكافرين والمنافقين ..» | ١ | ٢٥٩ |
| "وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا» | ٦٣ | ٤٩٥ |
| **سورة سبأ** | | |
| "يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل ....» | ٢ | ٢٦٨ |
| "وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم ....» | ٧-٨ | ٢٧٠ |
| "وقليل من عبادى الشكور» | ١٣ | ٢٥٥ |
| "و إنا أو اياكم لعلى هدى أوفي ضلال مبين» | ٢٤ | ٤٠٩ |
| "ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ..» | ٥١ | ٥٢٤ |

| الآيــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة فاطر** | | |
| "وان من أمة الا خلا فيها نذير" | ٢٤ | ١١٩ |
| "والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ..." | ٣٦ | ٥٣١ |
| "أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير" | ٣٧ | ٤٨٤ |
| "ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا . . ." | ٤١ | ٥٠ |
| **سورة يس** | | |
| "هم وأزواجهم في ظلال ..." | ٥٦ | ٤٥٧ |
| "أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم . ." | ٨١ | ٢٧٢ |
| **سورة الصافات** | | |
| "وانا لنحن الصافون" | ١٦٥-١٦٦ | ٩٨/٩٩ |
| "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون" | ١٧١-١٧٣ | ٤١٩/٤٢٠ |
| "سبحان ربك رب العزة عما يصفون" | ١٨٠-١٨٢ | ٨٢ |
| **سورة ص** | | |
| "وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر..." | ٤ | ٣٧٧ |
| "وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم ..." | ٦ | ٤١٤ |
| "كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد..." | ١٢-١٣ | ٥١٠ |
| "اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين..." | ٧١-٧٢ | ٤٣٤ |
| **سورة الزمر** | | |
| "فاعبد الله مخلصا له الدين" | ٢ | ٢٥٩ |
| "ومن يهد الله فما له من مضل" | ٣٧ | ٥٢٥ |

| الآيــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| " واذا ذكرالله وحده اشمأزت قلوب الذين..." | ٤٥ | ٣٦ |
| " وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون " | ٤٨ | ٥٤١ |
| " قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم..." | ٥٣ | ١٦ |
| " وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة..." | ٦٧ | ٥٠ |
| " وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا..." | ٧١ | ١٤٠ |
| " وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم | ٧٥ | ٩٩ |

سورة غافر

| الآيــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| " حم ،تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم " | ١-٣ | ٤٤٤/٤٤٦ |
| " ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا..." | ٤ | ٢٣٤/٢٦٣/٥٠١/ ٥٠٧/٥٠٨/٥٠٩ |
| " .. وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق..." | ٥ | ٢٢٦/٢٣٤/٢٣٥/ ٢٦٣/٢٦٤/ ٥٠١/٥٠٧/٥٠٨/٥٠٩ |
| " وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا..." | ٦ | ٣٥٧/٥٠١/٥٠٧/ ٥٠٨/٥٠٩ |
| | ٧ | ٩٩/٤٥٠/٤٥٤/٤٥٥/ ٤٥٦/٤٥٧/٤٥٨ |
| " ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم..." | ١٠ | ٢٦٤/٣٨٣/٣٨٤/ ٤٨٧/٤٨٨ |
| " قالوا ربنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين..." | ١١ | ٢٦٤/٣٨٣/٣٨٤/ ٤٨٧/٤٨٨ |
| " ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به..." | ١٢ | ٢٦٤/٣٨٣/ ٣٨٤ ٤٨٧/٤٨٨ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| "هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا..." | ١٣ | ٢٤٨/٢٤٣ |
| "يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء..." | ١٦ | ١٦٦/١٤٨ |
| "اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم..." | ١٧ | /٤٩٧/٤٩٥/١٦٦ |
| "وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر..." | ١٨ | ٤٩٧/٤٩٥ |
| "يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور..." | ١٩ | ٤٩٨/٤٩٧/٤٩٥ |
| "والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء" | ٢٠ | ٤٩٧/٤٩٥ |
| "اولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة..." | ٢١ | /٥٠٨/٥٠١/٤٢٢ ٥١٥/٥١١ |
| "ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات..." | ٢٤ | /٥٠٨/٥٠١/٤٢٢ ٥١٥/٥١١ |
| "ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين..." | ٢٣ | ٧٥/٣٣١/٢٨٥/٢٨١ |
| "..فقالوا ساحركذاب،فلما جاءهم بالحق..." | ٢٤ | ٧٥/٣٧١/٢٨٥/٢٨١ |
| "فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا..." | ٢٥ | /٣٧١/٣١٦/٢٩٢ ٣٧٨/٣٧٥ |
| "وقال فرعون ذروني أقتل موسى..." | ٢٦ | /٣٧٥/٣١٢/٢٩٢ ٤٠٧/٣٨٢/٣٨١ |
| "وقال موسى اني عذت بربي وربكم..." | ٢٧ | /٣١٧/٢٩٥/٢٩٤ ٣٨٤/٣٧٥/٣٧٢ |
| "وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله..." | ٢٨ | /٣٠١/٢٩٧/١٨٧ /٣١٨/٣٠٤/٣٠٣ /٣٩١/٣٧٢/٣٤٨/ ٥٩/٤٠٧/٣٩٦/٣٩٤ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| "يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض..." | ٢٩ | ٣٠٥/٣٠٦/٣٦٨/ ٣٧٢/٣٩٦/٤١٣/ ٥٢٠ |
| "وقال الذى آمن يا قوم اني اخاف عليكم..." | ٣٠ | ٣٠٥/٣٧٢/٣٩٦/ ٣٩٧/٤١٧/٤٢٢/٠١ ٥١٨/٥٢٢/٥٢٦ |
| "مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم.." | ٣١ | ٣٧٢/٣٩٦/٤٢٢/٠١ ٥١٨/٥٢٢/٥٢٦ |
| "ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد" | ٣٢ | ٣٧٢/٥١٨/٥٢٢/٣ ٥٢٥/٥٢٦/٥٥١ |
| "يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم.." | ٣٣ | ٣٧٢/٥١٨/٥٢٢/ ٥٢٣/٥٢٥/٥٢٦/ ٥٥١/ |
| "ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم في شك..." | ٣٤ | ٣٢١/ ٣٧٢/٥١٨ |
| "الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان..." | ٣٥ | ٩٩/١٩٢/١٩٣/٢١١ ٣٧٢ |
| "... يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب" | ٣٦-٣٧ | ٣٢١/٣٦٠/٣٧٢ |
| "... وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل" | ٣٧ | ٣١١/٣١٦/٣٧٢ ٤٨٤ |
| "... يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد" | ٣٨ | ١٨٨/٣٠٦/٣٧٢/٢٥ |
| "يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع .." | ٣٩ | ١٤٨/٣٠٧/٣٦٦/٧٢ |
| "من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها .." | ٤٠ | ٣٠٧/٣٧٢ |
| "ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار" | ٤١ | ١٨٩/٣٥٧/٣٢١/٧٢ ٣٩٧ |
| "... وأشرك به ما ليس لي به علم..." | ٤٢ | ١٨٩/٣٠٨/٣١٩/ ٣٧٢/٣٩٧ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| "لاجرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا..." | ٤٣ | ١٤٨/١٨٩/٣٠٩/ ٣٧٢/٥١٨ |
| "... وأفوض أمري الى الله ،ان الله بصير بالعباد" | ٤٤ | ٣٢٢/ ٣٨٤/٥١٨/ ٥٢٦ |
| "فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب" | ٤٥ | ١٥١/١٥٨/٣١١ ٥١٨ |
| "النار يعرضون عليها غدوا وعشيا..." | ٤٦ | ١٤٦/١٥١/١٥٨/ ١٥٩/٣١٣/٥١٨/ ٥٢٧/٥٢٨ |
| "واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء..." | ٤٧ | ١٥٠/١٩٣/٣١٣/ ٥٢٨ |
| "قال الذين أستكبروا انا كل فيها أن الله ..." | ٤٨ | ١٥٠/٣١٣/٥٢٨ |
| "وقال الذين في النار لخزنة جهنم ..." | ٤٩ | ١٥٠/٣١٣/٤٥٩/ ٤٨٦/ ٥٢٨ |
| "قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات..." | ٥٠ | ١٥٠/ ٣١٣/٤٥٩/ ٤٨٦/٥٢٨ |
| "انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا..." | ٥١ | ١٤٦/٤٢٠/ ٤٦٤/ ٥٢٨ |
| "يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم..." | ٥٢ | ١٤٧/ ١٨١/ ٣٧١/٨ |
| "فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك..." | ٥٥ | ١٧٩/١٨٠ |
| "... ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه..." | ٥٦ | ١٩٠/١٩٥/٢٦٩/٠ |
| "لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس ..." | ٥٧ | ١٦٣/٢٦٩/٢٧٠/ ٢٧٦. |
| "وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا ..." | ٥٨ | ٢٦٩/ ٢٧١/٢٧٦ |

| الآيــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| "ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس..." | ٥٩ | ٢٦٩/١٤٦ |
| "وقال ربكم ادعوني استجب لكم ..." | ٦٠ | ٢٤٥/٢٤٢/٢٤١ |
| "الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه..." | ٦١ | ٢٥٥/٢٤٤ |
| "ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو ..." | ٦٢ | ٢٥٤/٢٤٥/٢٤٤ |
| "كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون" | ٦٣ | ٢٤٤ |
| "الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء..." | ٦٤ | ٢٥٨/٢٥٦/٢٤٤ |
| "... الحمد لله رب العالمين" | ٦٥ | ٢٥٧/٢٤٤ |
| "قل اني نهيت أن اعبد الذين تدعون من دون الله..." | ٦٦ | /٧٨٢/٢٦٢/٢٥٨ ٢٨٠ |
| "هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة..." | ٦٧ | ٢٤٨/٢٤٤ |
| "ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون..." | ٦٩ | ٣٣٥ |
| "الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا..." | ٧٠ | ٣٣٥/١٨٤ |
| "اذ الأغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون" | ٧١ | ٣٣٥/١٨٤/١٥٠ |
| "في الحميم ثم في النار يسجرون" | ٧٢ | ٣٣٥/١٨٤/١٥٠ |
| "ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون..." | ٧٣ | ٣٣٥/٢٦٤ |
| "من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو..." | ٧٤ | ٣٣٥/٢٦٤ |
| "ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق..." | ٧٥ | ٣٣٥ |
| "... فبئس مثوى المتكبرين" | ٧٦ | ٣٣٥/١٩٢ |
| "فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم..." | ٧٧ | ١٨٠/١٧٩ |
| "الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها..." | ٧٩ | ٢٤٤ |
| "ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم..." | ٨٠ | ٢٤٤ |
| "ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون" | ٨١ | ٢٥٤/٢٤٨/٢٤٤ |

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| " أفلم يسيروا في الأرض فينظروا ..." | ٨٢ | ٥٠١ / ٥٠٧ / ٥١١ ٥١٥ |
| " فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم ..." | ٨٣ | ٥٤٢ |
| " فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده ..." | ٨٤ | ٢٦٤ |
| " فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ..." | ٨٥ | ٢٦٤ |
| **سورة فصلت** | | |
| " فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود" | ١٣ | ٤٤٤ |
| " ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات ..." | ١٣ | ١٣٥ |
| " فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة " | ١٥-١٦ | ١٢٢ / ٤٢٤ |
| " ومن آياته الليل والنهار ..." | ٣٧ | ٥٤ |
| " وانه لكتاب عزيز " | ٤١ | ١٠٩ |
| " ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ..." | ٤٣ | ٣٧٧ |
| " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ..." | ٥٣ | ٤٦ |
| **سورة الشورى** | | |
| " والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في ..." | ٥ | ٩٩ / ١٠٣ / ٤٥٢ |
| " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " | ١١ | ٨٢ / ٨٤ |
| " وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون ..." | ٤٥ | ٥٣٢ |
| **سورة الزخرف** | | |
| " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ..." | ٩ | ٢٣٨ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| "وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" | ٣١ | ١٩٦/١٠٩ |
| "ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر.." | ٥١-٥٣ | ٤١٦/٣٦٨ |
| "فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين" | ٥٤ | ٤١٤ |
| "ما ضربوه لك الا جدلا ..." | ٥٨ | ٢٣٤/٢٢٦ |
| "ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله" | ٨٧ | ٢٣٩/٦٤ |
| **سورة الأحقاف** | | |
| "ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه" | ٢٦ | ٥٠٢ |
| "أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض" | ٣٣ | ٢٧٢/١٦٥ |
| **سورة محمد** | | |
| "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم" | ٧ | ٤٦٩ |
| **سورة الفتح** | | |
| "محمد رسول الله ...." | ٢٩ | ١٢٠ |
| **سورة الحجرات** | | |
| "انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا..." | ١٥ | ٣٢ |
| **سورة ق** | | |
| "قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ" | ٤ | ٢٦٨ |
| "بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج" | ٥ | ١٦٦ |
| "أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها..." | ٦ | ١٦٤ |
| "ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات ..." | ٩-١١ | ١٦٤ |
| "كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود" | ١٢-١٥ | ٢٦٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الذاريات** | | |
| "والأرض فرشناها فنعم الماهدون" | ٤٨ | ٥٣ |
| "كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون" | ٥٢-٥٣ | ٣٧٧ |
| "وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين" | ٥٥ | ٧ |
| "وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون" | ٥٦ | ١٣٢ |
| **سورة الطور** | | |
| "والبيت المعمور" | ٤ | ٩٨ |
| "الحقنا بهم ذريتهم..." | ٢١ | ٤٥٧ |
| "فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون" | ٤٥-٤٧ | ١٥٣ |
| **سورة النجم** | | |
| "أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة" | ٥٧-٥٨ | ١٤٣ |
| **سورة القمر** | | |
| "ولقد جاء آل فرعون النذر" | ٤١-٤٢ | ١٢٧-٥١٥ |
| "بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر" | ٤٦ | ٥٤٥ |
| **سورة الرحمن** | | |
| "هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون، يطوفون بينها..." | ٤٤ | ٥٢٣/٥٣٦ |

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| **سورة الحديد** | | |
| "لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب.." | ٢٥ | ١٠٧ |
| "ثم قفينا على آثارهم برسلنا.." | ٢٧ | ١٠٧ |
| **سورة المجادلة** | | |
| "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ..." | ١ | ٢٢٦/٢٢٧ |
| "لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله" | ٢٢ | ٤٠٢ |
| **سورة الحشر** | | |
| "هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة.." | ٢٢-٢٣ | ٧٨/١٩٢ |
| **سورة الممتحنة** | | |
| "قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم ..." | ٤ | ٤٠٢ |
| **سورة الصف** | | |
| "وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب" | ١٣ | ٤٦٧ |
| **سورة الجمعة** | | |
| "هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم...." | ٢ | ١٥٧ |
| **سورة الطلاق** | | |
| "ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب" | ٢-٣ | ٤٧٠ |

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة التحريم** | | |
| "لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" | ٦ | ١٠٢ |
| "وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي ..." | ١١ | ٤٠٦ |
| **سورة القلم** | | |
| "وانك لعلى خلق عظيم" | ٤ | ١٧٤/١٧٥/١٦٨ |
| **سورة الحاقة** | | |
| "والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ .." | ١٧ | ٩٦/٩٧ |
| **سورة نوح** | | |
| "انا ارسلنا نوحا الى قومه ..." | ١-٤ | ١٢٠/٤٤٢ |
| "ثم اني دعوتهم جهارا ، ثم اني اعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا" | ٨-٩ | ٤٠٢ |
| "استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء..." | ٩-١٢ | ٤٦٧ |
| **سورة الجن** | | |
| "وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا" | ٧ | ١٦٦ |
| "قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا ، الا بلاغا من الله ..." | ٢٢-٢٣ | ٤٠٠ |
| **سورة المزمل** | | |
| "ياأيها المزمل قم الليل الا قليلا ..." | ١-٤ | ١٨٠ |
| "واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا" | ١٠ | ١٨٠ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| **سورة المدثر** | | |
| "قم فأنذر" | ٢ | ٤٧٩ |
| **سورة الانسان** | | |
| "وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا" | ٢٠ | ٤٧١ |
| **سورة المرسلات** | | |
| "ويل يومئذ للمكذبين" | ١٥ | ٥٣٣ |
| **سورة النازعات** | | |
| "انا ربكم الأعلى" | ٢٤ | ٢٨١ |
| "أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ،فرفع سمكها فسواها" | ٢٧-٣٢ | ٢٧٣ |
| **سورة عبس** | | |
| "يوم يفر المرء من أخيه" | ٣٤ | ١٤٥ |
| **سورة الطارق** | | |
| "فلينظر الانسان مم خلق" | ٥ | ٦٠ |
| **سورة الأعلى** | | |
| "إن هذا لفي الصحف الأولى ،صحف ابراهيم وموسى" | ١٨-١٩ | ١٠٦ |
| **سورة البلد** | | |
| "وهديناه النجدين" | ١٠ | ٤٣٢ |
| **سورة الشمس** | | |
| "ونفس ما سواها فألهمها فجورها وتقواها" | ٧-١٠ | ٤٣٣ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة التين** | | |
| "و هذا البلد الأمين ..." | ٣ | ٢٤ |
| "لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم" | ٤ | ٥٧ |
| **سورة العلق** | | |
| "خلق الانسا ن من علق" | ٢ | ٦١ |
| **سورة البينة** | | |
| "وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ..." | ٥ | ٢٣٨ |
| **سورة العاديات** | | |
| "إن الانسان لربه لكنود" | ٦ | ٢٥٦ |
| **سورة الهمزة** | | |
| "نار الله الموقدة ،التي تطلع على الأفئدة" | ٦-٧ | |
| **سورة قريش** | | |
| "وآمنهم من خوف" | ٤ | ٢٥ |
| **سورة الكافرون** | | |
| "قل يا أيها الكافرون" | ١-٣ | ٢٥٨ |
| **سورة النصر** | | |
| "إذا جاء نصر الله والفتح ،ورأيت الناس ..." | ١-٣ | ١٨٢ |

# فهرس الأحاديث النبوية

## فهرس الأحاديث

| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| **( الألف )** | |
| " ادعوك بداعية الاسلام » | ٢ |
| " ادعوك بدعاية الاسلام » | ٢ |
| " أكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقهم » | ١٧٤ |
| " ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ، يتمون الصفوف...» | ١٠٢ |
| " الايمان بضع وستون شعبة ...» | ٣٢ |
| " العقيقة تقطع جدولا » | ٢٢١ |
| " المؤمن في روضة ويرحب له قبره سبعون ذراعا...» | ١٥٤ |
| " المراء في القرآن كفر » | ٢٣٣ |
| " ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر..» | ٥٤٣ |
| " اني عند عائشة أم المؤمنين اذ جاءها...» | ٥٤٥ |
| " ان يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة رضي الله عنها...» | ١٥٢ |
| " اللهم لك اسلمت وبك آمنت ....» | ٢٨ |
| " ان الدعاء هو العبادة » | ٢٤٢ |
| " إن الله ينزل الى السماء الدنيا...» | ٨٣ |
| " إن الله يُرى يوم القيامة ..» | ٨٣ |
| " ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال ....» | ١٥٥ |
| " أنه اتاه رجل أنكر ولده فقال ...» | ٢٣٠ |
| " اني أوتيت الكتاب ومثله معه » | ١٥٨ |
| " ان جدالا في القرآن كفر » | ٢٣٤ |

| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| "أنا خاتم النبيين في أم الكتاب ..." | ٢٢١ |
| "ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما بارزا للناس ..." | ٢٦ / ٩٤ |
| "أى الكلام أحب الى الله عز وجل ؟ قال صلى الله عليه وسلم ..." | ١٠١ |
| "أى الاعمال أفضل ..." | ١٧٢ |
| ( الباء ) | |
| "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار ..." | ١٥٦ |
| ( التاء ) | |
| "تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ..." | ٥٣٤ |
| ( الثاء ) | |
| "ثم رفع بي الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم ..." | ٩٨ |
| "ثم يقول الله أنا الملك ، أين ملوك الأرض ..." | ٤٩٢ |
| ( الخاء ) | |
| "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قاص يقص ..." | ٣٣٧ |
| ( الراء ) | |
| "رغبة ورهبة اليك ..." | ٤٧٧ |
| ( الزاى ) | |
| "زار رجل أخا له في قرية أخرى ..." | ١٠٤ |
| ( العين ) | |
| "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ..." | ٨٥ |
| ( القاف ) | |
| "قال سليمان بن داود عليهما السلام ، لأطوفن الليلة ..." | ١٠٥ |
| "قلت يا رسول الله ، كم المرسلون ..." | ١١٩ |
| "قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء ..." | ١١٩ |

| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| (ك) | |
| " كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي ، فمر رجل ..." | ١٠٠ |
| " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ..." | ١٠١ |
| " كنا في جنازة في بقيع الفرقد ..." | ١٥٥ |
| " كنت اترجم بين يدى ابن عباس و بين الناس ..." | ٢٧ |
| (اللام) | |
| " لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ..." | ١٣٩ |
| " لا تدع ركعتي الفجر فان فيهما الرغائب ..." | ٤٢٩ |
| " لا تدعو على أنفسكم الا بخير فان الملائكة ..." | ١٠٤ |
| " لا تماروا في القرآن فان المراء فيه كفر ..." | ٢٣٣ |
| " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مقدار ذرة من كبر ..." | ١٩٤ |
| " لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في ديوان الجبارين" | ١٩٣ |
| " لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم ..." | ١٦٢ |
| " ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها ..." | ٢٤١ |
| (الميم) | |
| " ما بعث الله من نبي الا قد أنذر أمته ..." | ١٣٤ |
| " ما أدرى أتبع نبيا أم لا ..." | ١١٨ |
| " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي ..." | ٤ |
| " ما أوتي ألجدل قوم الا ضلوا." | ٢٢٣/٢٢٦، |
| " من سأل القضاء وكل الى نفسه ..." | ١٠٤ |
| " من قرأ حم المؤمن الى اليه المصير ..." | ١٠،١٥ |
| ( الهاء ) | |
| " هلا قلتم اللهم اغفر له .." | ٤٤٩ |

| الحديث | الصفحة |
| --- | --- |
| ( الياء ) | |
| « يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي ...» | ١٩٠ |
| « يا عبادى اني حرمت الظلم على نفسي ...» | ٦٨ |
| « يا نوح أنت أول الرسل في الأرض ...» | ١٢١ |

# فهرس الأعلام

# فهرس الأعـــــلام

## ( الألف )


| | الصفحة |
|---|---|
| ابراهيم بن هشام بن الحسين البغوى | ١٤٥ |
| ابراهيم بن السرى بن سهل الزجاج | ١٩٦ |
| أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه | ١٦٩ |
| أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني | ٢٩ |
| البراء بن عازب بن الحارث الأنصارى | ١٥٤ |
| الحسن بن يسار البصرى | ٣٤٠ |
| النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف | ٢٣٢ |
| ( الباء ) | |
| بوذا ( سدهارثا ). | ٢٤٦ |
| ( التاء ) | |
| تقي الدين ،ابو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المعروف بابن المقريزى | ٣٤٨ |
| تميم بن أوس بن خارجة | ٣٣٩ |
| ( الجيم ) | |
| جندب بن جنادة بن سفيان الغفارى الحجازى | ٦٨ |
| ( الحاء ) | |
| حماد بن زيد بن درهم الأزدى الجهضمي | ٢٩ |
| حنبل بن اسحق بن حنبل ،أبوعلي الشيباني | ٣٣٨ |
| ( الراء ) | |
| رعمسيس الثاني | ٣٥٨ |

الصفحة

( الزاى )


زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى ١٥٦

زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوى ٤٧


( السين )


سعد بن مالك بن سنان الخدرى الأنصارى الخزرجي ١٥٩

سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي ٢٣٣

سعيد بن جبير بن هشام الكوفي الأسدى ٩٧

أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدني ٢٣٣

سمرة بن جنادة بن جندب بن حجير السوائي ١٢


( الصاد )


صدى بن عجلان بن الحارث أبو أمامة الباهلي ٣٢٧


( الطاء )


طلحة بن عبيد الله ابن عثمان بن عمرو بن كعب القرشي المالكي ٢٢٢


( العين )


عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ٥٣٠

علي بن اسماعيل ابو الحسن الاندلسي المعروف بابن سيده ٢٢٠

عبد الرحمن بن نجم بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي ١٥١

عبد الرحمن بن علي بن محمد ، جمال الدين أبو الفرج المعروف
بابن الجوزى ٣٢٨

عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي ١٥٩

عبد الرحمن بن محمد بن ادريس التيمي الحنظلي ، أبو محمد الرازى ٥٠٨

عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الأنصارى الخزرجي
المعروف بابن الحنبلي ٢٥١

عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ٨٢
عبدالله بن عباس بن عبد المطلب ١٢
عبد الملك بن هشام بن أيوب أبو محمد الحميرى ٣٤٧
عمرو بن عبيد البكائي الكوفي ٨٨
عبدالله بن مسعود ٤
عبدالله بن وهب بن مسلم المصرى ،الفهرى ٥١٥
عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام السلمي ٧٢
( القاف )
قتادة بن دعامة أبو الخطاب ،السدوسي البصرى ٨٨
( الكاف )
كعب بن زهير بن أبي مسلم المازني ٥٠٩
( الميم )
محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصارى القرطبي ١٤١
محمد بن أحمد أبو زهرة ٢٢٥
محمد بن احمد بن رشد ابو الوليد ٢٥٢
محمد بن ادريس بن العباس بن شافع القرشي ٨٤
محمد بن اسحاق بن محمد بن زكريا بن يحي بن مندة ٣٠
محمد بن اسحق بن يسار بن خيار المدني القرشي ٢٥٨
محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي النجارى ٩
محمد بن الحجاج بن عبد العزيز، أبو بكر المروزى ٣٠
محمد بن الطيب بن محمد ،القاضي ابو بكر الباقلاني ٥٠٧
محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن دعامة بن الأنبارى ٢٩٩
محمد عبده ،ابن خير الله ( مفتي الديار المصرية عليه رحمة الله ) ١٣١

| | الصفحة |
|---|---|
| محمد بن عبد الرحمن بن عمر العجلي القزويني الشافعي | ٤٥١ |
| محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبوالفتح الشهرستاني | ٣٠٢ |
| محمد بن عيسى ابن سورة السلمي | ١٠ |
| محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني | ٤٤٧ |
| محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي أبو حمزة المدني | ٣٣٩ |
| محمد بن مروان بن عبدالله بن اسماعيل السدى | ٤٢٠ |
| محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهرى | ٣٠ |
| محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشرى | ٢٢١ |
| مجاهد بن جبر المكي المخزومي | ٧٤ |
| معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الانصارى الخزرجي | ٧٢ |
| مقاتل بن سليمان ابن كثير الأزدى الخراساني | ٣١٠ |
| منفتاح | ٣٥٨ |
| **( ن )** | |
| نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزرى المعروف بابن الأثير | ٤٦٠ |
| **( الهاء )** | |
| هارون بن موسى بن شريك التغلبي المعروف بالأخفش | ٢٤ |
| **( الواو )** | |
| ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن الحسن المعروف بابن خلدون | ٢٢٥ |

الصفحة

( الياء )

يزيد بن عبدالله بن الحر بن همام الكلابي ٤٢٩
يوسف بن أبي بكر/ بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي ٥٠٩
يوسف بن الشيخ أبي الفرج عبد الرحمن التيمي البكرى القرشي
أبو محمد الجوزى ٣٢٥

# فهرس المصادر والمراجع

# فهرس المصادر والمراجع


- القرآن الكريم.

(أ)

- اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء / محمد الخضرى
المكتبة التجارية الكبرى (مصر).
- أحاديث القصاص / تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية
تحقيق : محمد بن لطفي الصباغ
- احياء علوم الدين / أبي حامد الغزالي
تخريج : الحافظ العراقي
دار الفكر / الطبعة الأولى لعام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م
- ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول / محمد بن علي بن محمد
الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥هـ
دارالمعرفة ( بيروت -لبنان ).
- أسرار ترتيب القرآن /جلال الدين السيوطي
دراسة وتحقيق : عبد القادر أحمد عطا
دار الاعتصام.
- أساس البلاغة / جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨هـ
تحقيق : عبد الرحيم محمود
دارالمعرفة ( بيروت -لبنان )
- استخراج الجدال من القرآن الكريم / ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم
المعروف بابن الحنبلي المتوفى سنة ٦٣٤ هـ
تحقيق : زاهر بن عواض الألمعي - الطبعة الثانية لعام ١٤٠١هـ

- أسباب النزول / أبي الحسين علي بن أحمد الواحدى النيسابورى المتوفى سنة ٤٦٨هـ
دار الفكر
- أسلوب المحاورة في القرآن الكريم / عبد الحليم حفني
الهيئة المصرية العامة للكتاب / الطبعة الثانية لعام ١٩٨٥م
- أسلوب الدعوة القرآنية / عبد الغني محمد سعد بركة
دار غريب للطباعة ( القاهرة ) / مكتبة وهبة / الطبعة الأولى
لعام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- أصول الدعوة / عبد الكريم زيدان
مكتبة المنار الاسلامية / الطبعة الثالثة لعام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م
- أصحاب الأخدود / رفاعي سرور
دار التراث العربي للطباعة
- أضواء البيان / محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي
عالم الكتب ( بيروت )
- اعجاز القرآن / أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتوفي سنة ٤٠٣هـ
تحقيق : السيد أحمد صقر
دار المعارف / الطبعة الرابعة
- اعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي
طبعة القاهرة لعام ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م
- اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان / أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير
بابن قيم الجوزية المتوفي سنة ٧٥١هـ
تحقيق د. محمد حامد الفقي
دار المعرفة ( بيروت - لبنان )

- الاتقان في علوم القرآن / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم
دار التراث القاهرة
- الايمان / تقي الدين أحمد بن تيمية
المكتب الاسلامي ( دمشق - بيروت ) / الطبعة الثالثة لعام ١٣٩٩هـ
- الايمان / محمد بن اسحق بن يحيى بن منده المتوفى سنة ٣٩٥هـ
تحقيق : علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
مؤسسة الرسالة / الطبعة الثانية لعام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م
- الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية / عبد العزيز المحمد السلمان
الطبعة الثانية عشر لعام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
- الأنبياء في القرآن / سعد صادق محمد
دار اللواء ( الرياض ) / الطبعة الأولى لعام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- الاكليل في استنباط التنزيل / جلال الدين السيوطي الشافعي
دار الكتب العلمية ( بيروت - لبنان )
- الاحكام في أصول الأحكام / أبي محمد علي بن أحمد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ
تحقيق : أحمد محمد شاكر
دار الآفاق الجديدة (بيروت ) / الطبعة الأولى لعام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان / ترتيب الأمير علاء الدين علي ابن بلبان
الفارسي المتوفى سنة ٧٣٩هـ
تقديم وضبط : كمال يوسف الحوت
مركز الخدمات والأبحاث الثقافية / دار الكتب العلمية (بيروت ) /
الطبعة الأولى لعام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

- الأخلاق النظرية / عبد الرحمن بدوى
وكالة المطبوعات ( الكويت ) طبعة عام ١٩٧٥م
- الأخلاق الاسلامية وأسسها / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
دارالقلم (دمشق - بيروت ) الطبعة الأولى لعام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
- الأخلاق / أحمد أمين
دارالكتاب العربي ( بيروت - لبنان ) الطبعة الثالثة لعام ١٩٢٥م
- الأساس في التفسير / سعيد حوى
دارالسلام للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة الأولى لعام ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب / أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمرى
القرطبي المعروف بابن عبد البر ، المتوفي سنة ٤٦٣هـ
مطبعة السعادة ( القاهرة ) / الطبعة الأولى لعام ١٣٢٨هـ
( بهامش الاصابة )
- أسد الغابة في معرفة الصحابة / عزالدين أبي الحسن علي بن محمد
المعروف بابن الأثير الجزرى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ
دارالشعب ( القاهرة ) لعام ١٩٧٠م
- الاصابة في تمييز الصحابة / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ
مطبعة السعادة ( القاهرة ) / الطبعة الأولى لعام ١٣٢٨هـ
- الأعلام / خير الدين الزركلي
الطبعة الثالثة لعام ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م
- الاعجاز البلاغي / محمد محمد أبو موسى
مطابع المختار الاسلامي ( مصر )/ نشر : مكتبة وهبة / الطبعة الأولى
لعام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

- الأقصى القريب في علم البيان / أبي عبدالله محمد بن محمد بن عمر التنوخي
مطبعة السعادة بالقاهرة لعام ١٣٢٧ هـ
- الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال "بهامش الكشاف" / ناصر الدين
أحمد بن المنير الاسكندرى
المطبعة البهية المصرية لعام ١٣٤٣هـ
- الايضاح / جلال الدين أبي عبدالله محمد بن سعد الدين أبي محمد
القزويني سنة ٧٣٩ هـ
مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة لعام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م
- الايمان / أبو الأعلى المودودى
دار الخلافة للطباعة والنشر
- الله يتجلى في عصر العلم / نخبة من العلماء الأمريكيين
ترجمة : الدمرداش عبد المجيد سرحان / مراجعة وتعليق : محمد
جمال الدين الفندى - مؤسسة الحلبي وشركاه ( القاهرة ).
- الله في العقيدة الاسلامية / أحمد بهجت
المختار الاسلامي للطباعة والنشر ( القاهرة )
- ايثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق / أبي عبدالله
محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير المتوفي سنة ٨٤٠هـ
تصحيح : جماعة من العلماء
دار الكتب العلمية ( بيروت - لبنان )
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير / أبي بكر جابر الجزائرى
الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
- ايضاح المبهم من معاني السلم / أحمد الدمنهورى
الطبعة الأخيرة لعام ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م

(ب)

- بحوث في قصص القرآن / عبد الحافظ عبد ربه

دارالكتاب اللبناني ( بيروت ) / الطبعة الأولى لعام ١٩٧٢م

- البداية والنهاية / عماد الدين أبوالفداء اسماعيل بن كثير

مكتبة المعارف ( بيروت ) / الطبعة الثانية لعام ١٩٧٧م

- براعة الاستهلال / محمد بدرى عبد الجليل

المكتب الاسلامي ( بيروت - دمشق )/ الطبعة الثانية لعام ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

- البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن / كمال الدين عبد الواحد بن عبدالكريم

الزملكاني المتوفي سنة ٦٥١هـ

تحقيق : د. خديجة الحديثي ،أحمد مطلوب

مطبعة العاني ( بغداد ) / الطبعة الأولى لعام ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م

- البرهان في علوم القرآن / بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي المتوفى

سنة ٧٩٤ هـ

تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم

الطبعة الثانية ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م

- بصائر ذوى التمييز / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى المتوفى سنة ٨١٧هـ

تحقيق : محمد علي النجار

المكتبة العلمية ( بيروت - لبنان ).

- بيان اعجاز القرآن / الخطابي " ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز "

تحقيق : د. زغلول سلام

دارالمعارف / القاهرة لعام ١٩٦٨م.

(التاء)

- تاريخ الجدل / محمد أبو زهرة

دارالفكر العربي / الطبعة الثانية لعام ١٩٨٠م

- تاريخ العرب قبل الاسلام/ جواد علي
مطبعة المجتمع العلمي العراقي / لعام ١٩٧٥م
- تاريخ بغداد / أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣هـ
مطبعة الخانجي ( القاهرة ) لعام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
- تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن والسنة / محمد الطيب النجار
دار الاعتصام / الطبعة الثالثة لعام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م
- تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الزبيدى
المطبعة الوهبية لعام ١٢٨٦هـ
- تاريخ الأمم والملوك / أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى
دار المعارف ( مصر ) الطبعة الثانية
- تأملات في كتاب مدارج السالكين / صلاح شادى
شركة الشعاع للنشر والتوزيع ( الكويت ) طبعة عام ١٤٠٠هـ
- تحذير الخواص من أكاذيب القصاص / جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ
تحقيق : محمد لطفي الصباغ
المكتب الاسلامي ( بيروت ) / الطبعة الثانية لعام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
- تحرير التحبير / أبي محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد المصرى
المعروف بابن الأصبع المتوفى سنة ٦٥٤ هـ
تحقيق : حنفي محمد شرف
نشره : المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ( مصر ) لعام ١٩٦٣م.
- التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور
الدار التونسية للنشر والتوزيع
- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار / أبي الفرج زين الدين عبد الرحمن
ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥هـ
دار الكتب العلمية ( بيروت - لبنان ) / الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- تذكرة الدعاة / البهي الخولي

مكتبة الفلاح ( الكويت ) / الطبعة السادسة لعام ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م

- تذكرة الحفاظ / أبي عبدالله شمس الدين محمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ

داراحياء التراث العربي

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الاخرة / شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ

دارالريان للتراث ( القاهرة ) / الطبعة الأولى لعام ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م

- التربية الأخلاقية الاسلامية / مقداد يالجن

مكتبة الخانجي ( مصر ) الطبعة الأولى لعام ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م

- التصوير الفني في القرآن / سيد قطب

دارالشروق ( بيروت - القاهرة ) الطبعة السابعة لعام ١٤٠٢هـ-١٩٨٢

- تفسير البحر المحيط / محمد بن يوسف الشهير بابن حبان الأندلسي المتوفى سنة ٧٥٤هـ

دارالفكر / الطبعة الثانية لعام ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م

- تفسيرالقرآن الكريم / محمد شلتوت

دارالقلم / الطبعة الرابعة

- تفسيرالقرآن العظيم / عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ

دار احياء التراث العربي ( بيروت ) طبعة عام ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م

- تفسير المنار / محمد رشيد رضا

الطبعة الثانية "بالأوفست"

- تفسير الطبرى / أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ

دارالفكر ( بيروت ) للعام ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

- تهذيب الأسماء واللغات / أبي زكريا محي الدين بن شرف النووى ،
المتوفى سنة ٦٧٦هـ
دارالكتب العلمية ( بيروت )

- تهذيب التهذيب / شهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى
سنة ٨٥٢ هـ الطبعة الأولى لعام ١٣٢٦هـ

- تهذيب الاخلاق و تطهير الأعراق / أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب
الرازى "مسكويه" المتوفى سنة ٤٢١هـ
دار مكتبة الحياة (بيروت - لبنان ) الطبعة الثانية

- التوحيد / عبدالمجيد الزنداني
دار السلام للطباعة والنشر / مكتبة دارالمجتمع (جده )/الطبعة
الأولى لعام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- التوحيد / محمد بن عبد الوهاب
المكتبة السلفية ( المدينة المنورة )

- توحيد الخالق / عبد المجيد عزيز الزنداني
مطبعة دارالسلام / مكتبة دارالمجتمع (جدة ) / الطبعة الأولى
لعام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- توجيهات اسلامية / محمد زينو

- تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير
اختصار : محمد نسيب الرفاعي
الطبعة الأولى ( بيروت )

( الجيم )

- جامع بيان العلم وفضله / أبي عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبي الأندلسي
المتوفى سنة ٤٦٣ هـ
طبع وتصحيح : ادارة الطباعة المنيرية ، دارالكتب العلمية ( بيروت -
لبنان ) لعام ١٣٩٨هـ

- جامع البيان في تفسير القرآن / أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى

المتوفى سنة ٣١٠ هـ دارالمعرفة ( بيروت -لبنان )

الطبعة الأولى لعام ١٣٢٣هـ

- الجامع لأحكام القرآن / أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي

المتوفى سنة ٦٧١ هـ

داراحياء التراث العربي (بيروت ) .

- الجواهر في تفسير القرآن الكريم / طنطاوى جوهرى

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ( مصر ) طبعة عام ١٣٤٦هـ

( الحاء )

- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوى

أحمد بن محمد شهاب الدين الخفاجي

دارالطباعة العامرة القاهرة ،لعام ١٢٨٣هـ.

- حاشية الشيخ زاده على البيضاوى / محي الدين شيخ زاده

المكتب الاسلامي / ديار بكر " تركيا "

- الحبائك في أخبار الملائك / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

تحقيق : أبوهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول .

دار الكتب العلمية (بيروت لبنان )/ الطبعة الأولى لعام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

- حد الاسلام وحقيقة الايمان / عبد المجيد الشاذلي

كلية الشريعة والدراسات الاسلامية / مركز البحث العلمي واحياء التراث

الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

- الحسبة في الاسلام " وظيفة الحكومة الاسلامية " / تقي الدين أحمد بن تيميه

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ دار الكاتب العربي

- الحسنة والسيئة / تقي الدين أحمد بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

داراالكتب العلمية ( بيروت ، لبنان ) .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ مطبعة السعادة ( مصر ) لعام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

- حياة الصحابة / محمد يوسف الكاندهلوى
تحقيق وتعليق : نايف العباس ومحمد علي دولة
دار القلم ( دمشق ) دار المنار (جدة )/ الطبعة الثالثة لعام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

- الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية / محمود حسب الله .
مطبعة الحلبي ( القاهرة ) / الطبعة الأولى

( الخاء )

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب / عبد القادر بن عمر البغدادى المتوفى سنة ١٠٩٣هـ طبعة القاهرة لعام ١٢٩٩هـ

( الدال )

- درء تعارض العقل والنقل رأى العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم
تحقيق محمد رشاد سالم.
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية / الطبعة الاولى لعام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

- دراسات اسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية / محمد عبد الله دراز
دار القلم ( الكويت ) طبعة عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

- دراسات في النفس الانسانية / محمد قطب
دار الشروق / الطبعة السادسة لعام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة / أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ - مطبعة المدني ( القاهرة ) لعام ١٣٧٨ هـ/ ١٩٦٧م

- الدعوة في الاسلام / حسنى أدهم جرار
دار الضياء للنشر والتوزيع ( الاردن - عمان ) / الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

- الدعوة الاسلامية / د . أحمد أحمد غلوش
دار الكتاب المصرى ( القاهرة ) دار الكتاب اللبناني (بيروت ) / طبعة عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.

- دعوة التوحيد / محمد خليل هراس .
مكتبة الصحابة ( القاهرة )
- الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج / السيد رزق الطويل
ادارة الصحابة والنشر ( رابطة العالم الاسلامي )/سلسلة دعوة الحق
السنة الثالثة العدد ٣٢ لعام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- دور المنهاج الرباني في الدعوة الاسلامية / عدنان النحوى
مكتبة الاعتصام / القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- ديوان كعب بن زهير
الدار القومية .

( الذال )

- ذيل طبقات الحنابلة / ابن رجب زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن البغدادى
الدمشقي الحلبي المتوفى سنة ٧٩٥هـ تصحيح محمد حامد الفقي
مطبعة السنة المحمدية لعام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.

( الراء )

- رسالة التوحيد / الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ
تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد
مطبعة محمد علي صبيح وأولاده / طبعة عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م
- الرسل والرسالات / عمر سليمان الأشقر
مكتبة الفلاح ( الكويت ) الطبعة الثانية لعام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
- الرد على المنطقيين / تقي الدين أبي العباس احمد بن تيمية الحراني المتوفى
سنة ٧٢٨ هـ دار المعرفة ( بيروت لبنان ) توزيع دار الباز للنشر
والتوزيع
- الروح / أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية
المتوفى سنة ٧٥١هـ - تحقيق ودراسة : السيد الجميلي
دار الكتاب العربي ( بيروت ) / الطبعة الثانية لعام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

- روائع الاعجاز في القصص القرآني / محمود السيد حسن
المكتب الجامعي الحديث "اسكندرية"
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / أبي الفضل شهاب الدين
الآلوسي البغدادى المتوفى سنة ١٢٧٠هـ
ادارة الطباعة المنيرية / دار احياء التراث العربي ( بيروت - لبنان )
- روح الاجتماع / د. جوستاف لوبون
ترجمة : أحمد فتحى زغلول باشا
المطبعة الرحمانية
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات / محمد الخوانسارى المتوفى
سنة ١٣١٣هـ/ طبعة عام ١٩٢٥م

( الزاى )

- زاد المعاد في هدية خير العباد / محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية المتوفى
سنة ٧٥١هـ - المكتبة العلمية ( بيروت لبنان ).

( السين )

- سنن أبي داود / سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفي سنة ٢٧٥هـ
مطبعة مصطفى البابي الحلبي (مصر) لعام ١٩٥٢م
- سنن ابن ماجه / أبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه المتوفى سنة ٢٧٥ هـ
تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي
دار الفكر للطباعة والنشر
- سنن الترمذى / أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩هـ
تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف
دار الفكر ( بيروت ) طبعة عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- سنن الدارمي / أبي محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي
المتوفى سنة ٢٥٥هـ - دارالفكر ( القاهرة ) لعام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م
- سنن النسائي / أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ
دارالفكر ( بيروت ) /الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م
- السنن الكبرى وبذيله "الجوهر النقي" لأبي بكر أحمد بن الحسين بن
علي البيهقي دارالفكر ( بيروت ).
- سير أعلام النبلاء / شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى
سنة ١٣٧٤هـ تحقيق نذير حمدان / اشراف وتخريج شعيب الأرنؤوط
مؤسسة الرسالة ( بيروت ) / الطبعة الأولى لعام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م
- سيرة نبي الهدى والرحمة / عبد السلام هاشم حافظ
رابطة العالم الاسلامي ( مكة المكرمة ) ،الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/
- سيكولوجية القصة في القرآن / التهامي نقرة
الشركة التونسية للتوزيع العام ١٩٧١م.

( الشين )

- شذرات الذهب في اخبار من ذهب / عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى
سنة ١٠٨٩هـ طبعة القاهرة لعام ١٣٥٠هـ
- شرح الحماسة / المزروعي
لجنة التأليف العام ١٣٧١هـ
- شرح العقيدة الطحاوى / ابن أبي العز الحنفي
تحقيق "جماعة من العلماء".
- المكتب الاسلامي ( بيروت - دمشق ) / الطبعة السادسة لعام ١٤٠٠هـ
- شرح لمعة الاعتقاد الهادى الى سبيل الرشاد / محمد صالح العثيمين
مؤسسة الرسالة (بيروت ) مكتبة الراشد ( الرياض ) /الطبعة الثانية
لعام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

- شرح العقيدة الواسطية / محمد خليل هراس
مراجعة : عبد الرزاق عفيفي
المكتبة السلفية ( المدينة المنورة ) الطبعة الثالثة
- شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير / محمد بن أحمد بن عبد العزيز
ابن علي الفتوحي الحنبلي ، المعروف بابن النجار ، المتوفى سنة ٩٧٢هـ.
تحقيق : محمد الزحيلي وآخر.
طبع دار الفكر بدمشق لعام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- الشعر والشعراء / ابن قتيبة عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ
تحقيق : احمد محمد شاكر
مطبعة عيسى البابي الحلبي ( القاهرة ) لعام ١٣٩٤هـ
( الصاد )
- الصحاح / اسماعيل بن حماد الجوهرى
تحقيق / احمد عبد الغفور عطار
طبعة عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م
- صفة الصفوة / جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزى المتوفى
سنة ٥٩٧هـ - تحقيق : محمد فاخورى ، محمد رواس قلعه جي
دار الوعي ( حلب ) الطبعة الاولى لعام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م
- صحيح البخارى - محمد بن اسماعيل البخارى المتوفى سنة ٢٥٦هـ
المكتبة الاسلامية استانبول " تركيا " لعام ١٩٧٩م.
- صحيح مسلم / أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى المتوفي سنة
٢٦١هـ - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي
دار احياء التراث العربي ( بيروت ).

( الضاد )

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع / شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى المتوفى سنة ٩٢٠هـ مطبعة القاهرة لعام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م.
- ضوابط المصلحة في الشريعة الاسلامية /محمد سعيد رمضان البوطي مؤسسة الرسالة ( بيروت ) الطبعة الثالثة لعام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(الطاء )

- الطب محراب الايمان / خالص جلبي مؤسسة الرسالة ( بيروت ) طبعة عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م
- طبقات الحفاظ / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفي سنة ٩١١هـ تحقيق : علي محمد عمر . مكتبة وهبة ( القاهرة ) / الطبعة الأولى لعام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- طبقات الحنابلة / أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء الحنبلي المتوفى سنة ٥٢٦هـ تحقيق : محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية ( القاهرة ) لعام ١٣٧١هـ/١٩٥٢م
- طبقات الشافعية الكبرى / تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ - تحقيق : عبد الفتاح الحلو ،محمود الطناحي مطبعة عيسى الحلبي ( القاهرة ) لعام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م
- طبقات المفسرين / شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودى ، المتوفى سنة ٩٤٥ هـ - تحقيق : على محمد عمر ، مطبعة الاستقلال الكبرى ( القاهرة ) لعام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- الطراز / يحي بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوى اليمني اشراف وضبط / جماعة من العلماء دارالكتب العلمية ( بيروت لبنان )/ طبعة عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- طريق الدعوة في ظلال القرآن / أحمد فائز

الشركة المتحدة للتوزيع ( بيروت ) / الطبعة السادسة لعام ١٩٧٨م.

( الظاء )

- ظاهرة التكرار في القرآن / عبد المنعم السيد حسن

دار المطبوعات الدولية ( القاهرة ) / الطبعة الأولى لعام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

- ظهر الاسلام / أحمد أمين

دار الكتاب العربي ( بيروت - لبنان ) الطبعة العاشرة لعام ١٩٦٩م

( العين )

- عقيدة البعث في الاسلام / التهامي نقره

الدار التونسية للنشر والتوزيع

- عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين / صالح بن ابراهيم البليهي

المطابع الأهلية ( الرياض ) / الطبعة الثانية لعام ١٤٠٤هـ

- العقيدة الواسطية / تقي الدين أحمد بن تيميه

تقديم : مصطفى العالم

دار المجتمع ( جدة الخبر ) / الطبعة السابعة لعام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

- العقيدة والأخلاق / محمد عبد الرحمن بيصار

مكتبة الأنجلو المصرية ( القاهرة ) الطبعة الرابعة لعام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- العلم يدعو للايمان / كريسبي موريسون

ترجمة : محمود صالح الفلكي

مكتبة النهضة المصرية ( القاهرة ) / الطبعة الخامسة لعام ١٩٦٥م

- عون المعبود شرح سنن أبي داود / أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آباد

تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان .

دار الفكر / المكتبة السلفية / الطبعة الثالثة لعام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

( الغين )

- غرائب القرآن ورغائب الفرقان / نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابورى المتوفى سنة ٧٢٨ هـ
تحقيق : ابراهيم عطوه عوض
مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م

( الفاء )

- فتح الباري بشرح صحيح الامام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ
ترقيم واستقصاء : محمد فؤاد عبد الباقي ، تصحيح : محب الدين الخطيب - المكتبة السلفية .
- فتح البيان في مقاصد القرآن / صديق حسن خان
مطبعة العاصمة / نشر : عبد المحى على محفوظ ( القاهرة ) لعام ١٩٦٥م
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / محمد بن علي الشوكاني المتوفي سنة ١٢٥٠هـ
دار المعرفة ( بيروت - لبنان ) .
- فقه السيرة النبوية / محمد سعيد رمضان البوطي
دار الفكر / الطبعة السابعة لعام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م
- فلسفة ابن رشد / محمد بن احمد بن محمد ابن رشد الاندلسي المتوفي سنة ٥٩٥هـ
تصحيح ومراجعة : عبد الجواد عمران
المكتبة المحمودية التجارية ( مصر ، الازهر ) / الطبعة الثالثة لعام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .
- في ظلال القرآن / سيد قطب
دارالشروق / الطبعة العاشرة لعام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

- الفن القصصي في القرآن / محمد أحمد خلف الله

مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة) / الطبعة الرابعة لعام ١٩٧٢م

- الفوائد البهية في تراجم الحنفية / أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوى

المتوفى سنة ١٣٠٤هـ - دار المعرفة (بيروت).

( القاف )

- القاموس المحيط / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى الشيرازى

دار الفكر (بيروت).

- القرآن والعلم الحديث / عبد الرزاق نوفل

دار الكتاب العربي (بيروت - لبنان)

- قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن / نديم الجسر

منشورات المكتب الاسلامي (توزيع دار العربية) الطبعة الثالثة

لعام ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

- قصص الأنبياء / عبد الوهاب النجار

مطبعة النصر بالقاهرة

- قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس / أبي اسحاق أحمد بن محمد بن

ابراهيم النيسابورى المعروف بالثعلبي / المتوفى سنة ٤٢٧هـ

دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان) الطبعة الرابعة لعام

١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- القصص في الحديث النبوى / محمد حسن الزير

الطبعة الأولى لعام ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٨م

- قصص القرآن / محمد أحمد جاد المولى وآخرون

مكتبة دار التراث (القاهرة) / الطبعة الثالثة عشر لعام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه / عبد الكريم الخطيب

طبعة دار الفكر العربي

- قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح / أحمد موسى سالم
دارالجيل ( بيروت ) طبعة عام ١٩٧٨م.

- قواعد الأحكام في مصالح الأنام / أبو محمد عزالدين عبد السلام
المكتبة الأزهرية لعام ١٩٦٨م.

( الكاف )

- الكافية في الجدول / أبي المعالي عبد الملك بن عبدالله الجويني
المتوفى سنة ٤٧٨ هـ
تقديم وتحقيق و تعليق : فوقيه حسين محمود
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ( القاهرة ) لعام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

- كتاب القصاص والمذكرين / أبي الفرج عبد الرحمن علي ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧هـ
تقديم و تحقيق و تعليق : محمد بن لطفي الصباغ .
المكتب الاسلامي ( بيروت ) / الطبعة الاولى لعام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

- الكشاف / أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارمي المتوفي سنة ٥٣٨هـ
دارالفكر / الطبعة الاولى لعام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة / محمد بن أحمد ابن رشد الأندلسي
المتوفى سنة ٥٩٥هـ
تصحيح ومراجعة و ضبط : مصطفى عبد الجواد عمران .
المكتبة المحمودية التجارية (مصر ) / الطبعة الثالثة لعام ١٣٨٨هـ.

- الكليات / أبي البقاء الكفوى
تحقيق : عدنان درويش و محمد المصرى
مطبوعات وزارة الثقافة ( دمشق ) لعام ١٩٨٢م

( اللام )

- لسان العرب / أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصرى
المتوفى سنة ٧١١ هـ دار صادر ( بيروت ) / الطبعة الأولى لعام ١٣٠٠هـ

- لمعة الاعتقاد / ابن قدامة المقدسي

- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية / محمد بن أحمد السفاريني
الأثرى الحنبلي مطبعة المدني ( المؤسسة السعودية بمصر )
( المبم )

- المثل السائر / ضياء الدين بن الأثير
تحقيق : احمد الحوفي وآخر
دارالرفاعي ( الرياض ) / الطبعة الثانية لعام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

- مجموع فتاوى ابن تيميه
جمع و ترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدى
الحنبلي وابنه - الطبعةالأولى لعام ١٣٩٨هـ

- محاضرات في الأخلاق الاسلامية والانسانية / علي معين فرغلي
مراجعة : عبد العزيزعبدالله عبيد
مكتبة الكليات الازهرية ( القاهرة ) لعام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

- مختار الصحاح /محمد بن أبي بكربن عبد القادر الرازى
دارالكتب العلمية ( بيروت -لبنان ) طبعة عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

- مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين / ابن قيم الجوزية
المتوفى سنة ٧٥١ هـ
تحقيق : محمد حامد الفقي
دارالكتاب العربي ( بيروت -لبنان ) طبعة عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر
طبعة عام ١٢٨٣ ( مصر ).

- مسند الامام أحمد بن حنبل
دارالباز للنشر والتوزيع / مكة المكرمة

- مشاهد القيامة في القرآن / سيد قطب

دارالشروق / الطبعة السابعة لعام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

- المصباح المنير / احمد بن محمد بن علي المقرى الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠هـ

المطبعة الأميرية بالقاهرة لعام ١٢٩٤هـ

- معالم الدعوة في قصص القرآن / عبد الوهاب بن لطف الديلمي

دارالمجتمع للنشر والتوزيع / الطبعة الاولى لعام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

- معترك الأقران في اعجاز القرآن / جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

تحقيق علي محمد البجاوى

دار الفكر العربي

- معجم مقاييس اللغة / أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا

مطبعة الحلبي / ( مصر ) / الطبعة الثانية لعام ١٣٩٠هـ

- معجم المصطلحات البلاغية / أحمد مطلوب

مطبعة المجمع العراقي لعام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

- معجم الأدباء / ياقوت بن عبد الله الحموى المتوفى سنة ٦٢٦هـ

مطبعة المأمون ( القاهرة ) لعام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م

- معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة

داراحياء التراث العربي ( بيروت )

- المعجزة الكبرى ( القرآن ) / محمد أبو زهرة

دار الفكر العربي

- مع الطب في القرآن الكريم / د . عبد الحميد دياب وآخر

مؤسسة علوم القرآن ( دمشق ) الطبعة الاولى لعام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- مع القرآن في آدابه و معاملاته / د . عبد الحبيب طه حميده

الطبعة الثانية لعام ١٣٨٨هـ

- مع الله / محمد الغزالي

مطبعة حسان ( القاهرة ) الطبعة الخامسة لعام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

- مفتاح دارالسعادة / ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ

دارالكتب العلمية ( بيروت لبنان )

- مفتاح العلوم / أبي يعقوب السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ

المطبعة الأدبية ( القاهرة )لعام ١٣١٧ هـ

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة /احمد بن لطفي الشهير بطاش كبرى زادة

المتوفى سنة ٩٦٨هـ

مطبعة الاستقلال الكبرى ( القاهرة ) لعام ١٩٦٨م

- المفردات في غريب القرآن / أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب

الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٣هـ

تحقيق د. محمد سيد كيلاني

دارالمعرفة ( بيروت -لبنان ).

- مقدمة في علم الأخلاق / محمود حمدى زقزوق

دارالقلم ( الكويت ) / الطبعة الثانية لعام ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م

- من أسرار البلاغة في القرآن /محمود السيد شيخون

مكتبة الكليات الازهرية ( القاهرة ) الطبعةالأولى لعام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

- من أسرار التعبير في القرآن / محمد شديد

شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع / الطبعة الأولى لعام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- مناهج الجدل في القرآن الكريم / زاهر عوض الألمعي

الطبعة الثالثة لعام ١٤٠٤هـ

- من بلاغة القرآن / أحمد أحمد بدوى

دار نهضة مصر للطبع والنشر ( القاهرة )

- المنقذ من الضلال / أبي حامد الغزالي

تحقيق : جميل صليبا وآخر

دار الأندلس / الطبعة التاسعة لعام ١٩٨٠م

- من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك /محمد البهي

دارالفكر ( بيروت - القاهرة ) /الطبعة الأولى لعام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م

- منهج التربية الاسلامية / محمد قطب

دار الشروق / الطبعة السابعة لعام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- منهج القرآن في الدعوة الى الايمان / علي بن محمد ناصر الفقيهي

الطبعة الأولى لعام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م

- المنهج الحركي للسيرة النبوية / منير محمد الغضبان

مكتبة المنار (الاردن - الزرقاء ) / الطبعة الاولى لعام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

- من الوجهة الأدبية في دراسة القرآن الكريم / السيد تقي الدين

دار احياء الكتب العربية / عيسى البابي الحلبي وشركاه /

طبعة عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

- الملل والنحل / أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني المتوفى

سنة ٥٤٨ هـ / تحقيق : محمد سيد كيلاني

دارالمعرفة ( بيروت - لبنان ) طبعة عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)

- مواقف الداعية التعبيرية / عبدالله ناصح علوان

دارالسلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة / الطبعة الأولى /لعام

١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية / تقي الدين

أبي العباس أحمد بن علي المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

مكتبة الثقافة الدينية / الطبعة الثانية لعام ١٩٨٧م

- الموسوعة العربية الميسرة

اشراف : محمد شفيق غربال ، دار القلم.

( النون )

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / ابن تغرى بردى

دار الكتب المصرية / الطبعة الاولى لعام ١٣٤٨هـ

- نظرات في القرآن / محمد الغزالي

دار الكتب الحديثة ( مصر ) الطبعة الرابعة لعام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م

- النظم الفني في القرآن / عبد المتعال الصعيدى

المطبعة النموذجية بالقاهرة / مكتبة الآداب بالجماميز

- النفس المطمئنة / سيد عبد الحميد مرسي

دار التوفيق النموذجية ( الازهر ) مكتبة وهبة ( القاهرة ) / الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

( الهاء )

- هداية المرشدين / علي محفوظ

دار الاعتصام / الطبعة التاسعة لعام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

( الواو )

- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم / محمد محمود حجازى

دار الكتب الحديثة لعام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م

- وظيفة الحكومة الاسلامية ( الحسبة في الاسلام ) تقي الدين أحمد بن تيميه

دار الكاتب العربي .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ

تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد

مطبعة السعادة ( القاهرة ) الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٩م.

( الياء )

- يقظة أولي الاعتبار / صديق حسن خان

تحقيق : أحمد حجازى السقا

دار التراث الاسلامي بالأزهر

- يوم القيامة / عبد الرزاق نوفل

المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ( القاهرة ) .

# فهرس الموضوعات

# فهرس الموضوعـــات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| شكر و تقدير | - |
| المقدمـــة | أ - |
| التمهيد : ويشتمل على | |
| - الدعوة الى الله وموقعها من الدين | ٢ |
| - حكم الدعوة الى الله | ٥ |
| - التعريف بسورة غافر : | ٩ |
| * اسماؤها | ٩ |
| * وقت نزولها | ١١ |
| * مكان نزولها | ١٢ |
| * عدد آياتها | ١٤ |
| * فضلها | ١٥ |
| مناسبتها لما قبلها | ١٥ |
| موضوعات السورة الرئيسية | ١٧ |
| الباب الأول : قضايا العقيدة والأخلاق في ضوء سورة غافر | |
| الفصل الأول : قضايا العقيدة في ضوء السورة : | ٢٠ |
| المبحث الأول : تمهيد في معنى الايمان وأركانه | ٢٤ |
| المبحث الثاني : في الايمان بالله ( التوحيد وأقسامه ) | ٣٦ |
| * المطلب الأول : توحيد الربوبية | ٤٣ |
| * المطلب الثاني : توحيد الألوهية | ٦٦ |
| * المطلب الثالث : توحيد الأسماء والصفات | ٨٢ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


المبحث الثالث : في الايمان بالملائكة :

* تمهيد ٩٣
* المطلب الأول : جانب من وظائفهم في السماء ٩٦
* المطلب الثاني : جانب من عباداتهم ٩٨
* المطلب الثالث: جانب من وظائفهم في الأرض ١٠٣

المبحث الرابع : في الايمان بالكتب

* التمهيد ١٠٦
* المطلب الأول : وجوب الايمان بالكتب السماوية اجمالا وتفصيلا ١٠٦
* المطلب الثاني : وجوب الايمان بها شرعا و عقلا ١٠٨
* المطلب الثالث : اتفاق هذه الكتب السماوية في الأصول ١١٣

المبحث الخامس : في الايمان بالرسل

* التمهيد في معنى الايمان بالرسل ١١٦
* المطلب الأول : عدد الأنبياء والرسل عليهم السلام ١١٨
- نوح عليه السلام ١٢٠
- هود عليه السلام ١٢٢
- صالح عليه السلام ١٢٣
- يوسف عليه السلام ١٢٤
- موسى عليه السلام ١٢٦
* المطلب الثاني : من وظائف الرسل عليهم السلام ١٣٠

١- الدعوة الى الله ١٣١

٢- الانذار والتبشير ١٣٤

٣- اقامة الحجة ١٣٧

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |


المبحث السادس : في الايمان باليوم الآخر

* تمهيد في معنى الايمان باليوم الآخر ١٤٠
* المطلب الأول : بعض من أسماء ذلك اليوم ١٤٢
* المطلب الثاني : بعض من مشاهد ذلك اليوم ١٤٩
* المطلب الثالث : حياة البرزخ ( عذاب القبر ) ١٥١
* المطلب الرابع : جانب من الرد على منكرى البعث ١٦٣

الفصل الثاني : قضايا الأخلاق في السورة

المبحث الأول : تعريف الخلق لغة واصطلاحا ١٦٨

المبحث الثاني : صلة الأخلاق بالعقيدة ١٧١

المبحث الثالث : الاخلاق الحسنة في ضوء سورة غافر ١٧٨

* المطلب الأول : الصبر ١٧٨
* المطلب الثاني : الشجاعة ١٨٥

المبحث الرابع : في الاخلاق السيئة في السورة

* المطلب الأول : الكبر ١٩٠
* المطلب الثاني : الفرح والمرح بغير الحق ٢٠٣
- المسألة الأولى : الفرح بغير الحق ٢٠٣
- المسألة الثانية : المرح بغير الحق ٢٠٩
* المطلب الثالث : الاسراف ٢١٢

الباب الثاني : أساليب الدعوة في سورة غافر

الفصل الأول : في أسلوب الجدل

المبحث الأول : تعريف الجدل لغة واصطلاحا ٢٢٠

المبحث الثاني : في أقسام الجدل ٢٢٨

أولا - الجدل الممدوح ٢٢٨

ثانيا - الجدال المذموم ٢٣١

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| المبحث الثالث : في الموضوعات التي جادل فيها القرآن الكريم من خلال السورة | ٢٣٧ |
| * المطلب الأول : الجدال لاثبات الوحدانية | ٢٣٨ |
| * المطلب الثاني : الجدال في أمر البعث | ٢٦٦ |
| - ما يخرج به الداعية من مجادلة المشركين للرسول عليه السلام | ٢٧٨ |
| المبحث الرابع : المجادلات التي وردت في السورة | ٢٨١ |
| - ما يخرج به الداعية من مجادلة موسى لفرعون | ٣١٤ |
| المبحث الخامس : أهمية الجدل للداعية | ٣٢٣ |
| الفصل الثاني : في أسلوب القصة في السورة | |
| المبحث الأول : تعريف القصة لغة واصطلاحا في القرآن مع بيان أهميتها | ٣٣٥ |
| المبحث الثاني : عناصر القصة | ٣٥١ |
| ١- الشخصية | ٣٥١ |
| ٢- الأحداث | ٣٦١ |
| ٣- الحوار | ٣٦٤ |
| ٤- الزمان والمكان | ٣٦٧ |
| المبحث الثالث : القصص في سورة غافر | ٣٦٩ |
| * المطلب الأول : قصة موسى في ضوء السورة ( دراسة تحليلية ) | ٣٧٠ |
| * المطلب الثاني : قصة مؤمن من آل فرعون : | |
| - المسألة الأولى : التعريف بذلك المؤمن | ٣٨٨ |
| - المسألة الثانية : منهجه في دعوته لقومه | ٣٩٤ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| - المسألة الثالثة : دراسة تحليلية للقصة | ٣٩٩ |
| النتائج | ٤٢٥ |
| الفصل الثالث : في أسلوب الترغيب والترهيب | |
| المبحث الأول : أسلوب الترغيب | ٤٢٩ |
| * المطلب الأول : تعريف الترغيب لغة واصطلاحا | ٤٢٩ |
| * المطلب الثاني : أهمية الترغيب والترهيب | ٤٣٣ |
| * المطلب الثالث : صور الترغيب في السورة : | ٤٤٦ |
| - الصورة الأولى | ٤٤٦ |
| - الصورة الثانية | ٤٥٠ |
| - الصورة الثالثة | ٤٥٩ |
| * المطلب الرابع : أهمية أسلوب الترغيب للداعية | ٤٦٦ |
| النتائج الخاصة بالمبحث | ٤٧٤ |
| المبحث الثاني : أسلوب الترهيب | ٤٧٧ |
| * المطلب الأول : تعريف الترهيب لغة واصطلاحا | ٤٧٧ |
| * المطلب الثاني : في أهمية الترهيب | ٤٧٩ |
| * المطلب الثالث : صور الترهيب في السورة : | ٤٨٣ |
| - الصورة الأولى | ٤٨٣ |
| - الصورة الثانية | ٤٨٩ |
| - الصورة الثالثة | ٤٩٥ |
| - الصورة الرابعة | ٥٠١ |
| - الصورة الخامسة ( صور الترهيب في قصة مؤمن آل فرعون ) | ٥١٨ |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| - الصورة السادسة | ٥٢٨ |
| - الصورة السابعة | ٥٣٣ |
| - الصورة الثامنة | ٥٤١ |
| * المطلب الرابع : أهمية أسلوب الترهيب للداعية | ٥٤٥ |
| النتائج الخاصة بالبحث | ٥٤٧ |
| الخاتمة | ٥٥٣ |
| التوصيات والمقترحات | ٥٦٣ |
| الفهارس : | |
| - فهرس الآيات | ٥٦٤ |
| - فهرس الأحاديث | ٥٩٠ |
| - فهرس الأعلام | ٥٩٤ |
| - فهرس المصادر والمراجع | ٥٩٩ |
| - فهرس الموضوعات | ٦٢٦ |